

سيرة أحمد بن طولون

تأليف
أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البأوي

حققها وعلق عليها
محمد كرد علي

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

١٤ ميدان العتبة - ت ٩٢٢٦٢٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لِلنَّاشِرِ
مَكْتَبَةُ الْإِثْقَافِ الْعَرَبِيَّةِ
لِلصَّامِيَّةِ، أَمْرَأَتِي عِدَا الْجَبِيَّةِ
١٤ مِيْرَابِ السَّنَةِ الْقَاهِرَةِ
٩٢٢٦٢٠ ت

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل الكتاب

المؤلف وتأليفه

اكتفى من ترجموا لمؤلف سيرة ابن طولون بذكر اسمه وأسماء
أجداده واسم قبيلته ، وأشاروا إلى ما غلب عليه من أصناف العلم
والى بعض تأليفه ، والى مذهبه وما طعن عليه فيه . نظر أكثرهم
اليه من ناحية دينه خاصة ، وأغفلوا نواحي مفيدة من دنياه ،
كفعل معظم كتاب السير لا يحفلون بالبحث بأولية الرجل ودراسته
ومشيعته وبيئته ، وما الى ذلك من العوامل التي لها الأثر الأول
في سر نشأته ، وحصائل قريحته .

وغاية ما عرفنا من نسب البلوي وعلمه ومذهبه أنه أبو محمد
عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني البلوي ، من قبيلة
بلي كعلي ورضي ، وهي فرع من قضاة ينتهي نسبها الى قطان .
وكانت بلي بالشام فنأدى رجل منها : يال قضاة ينتهي ذلك أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب فكتب الى عامل الشام أن يسير ثلث
قضاة الى مصر ففرقت بلي بأرضها . ومنازل بلي اليوم في أرجاء الوجه
من بلاد الحجاز ، وقد كان لهم يد يضاء في فتوح مصر والشام ، وجاء

منهم على الدهر الصحابة والتابعون والعلماء والفصحاء ومنهم عبد الله هذا ، والأرجح أنه كان من بلي الحجاز ، بدليل اقتران لفظ المديني باسم بيته ، نزل أجداده وادي النيل فنشأ مصرياً يتناغى بحب مصر . عرفه ابن النديم في الفهرست بأنه من ألف الكتب للإسماعيلية ، فعرفنا أنه من أعلام الإسماعيلية أي السبعية ، ووصفه بأنه كان واعظاً فقيهاً عالماً ، وأن له من الكتب كتاب الأبواب (وفي رواية كتاب الأنوار) وكتاب المعرفة وكتاب الدين وفرائضه ، وهذا كل ما ذكره له من التأليف . وما زاد الطوسي في فهرسته على عبارة ابن النديم شيئاً ، ونقص منها لفظ « عالم » . وفي تنقيح المقال « ولولا تضعيف النجاشي لاندرج في الحسان ، لعدم الشبهة في كونه إمامياً ، وكون ما في الفهرست مدحاً معتدّاً به له ، ولكن كلام النجاشي أسقطه بالسكينة » . والنجاشي هو صاحب كتاب الرجال عند الإمامية وهو ثقتهم وعمدتهم . ولم ينص الطوسي على تعديل البلوي ولا على جرحه . وغلا الغضائري فقال فيه انه كذاب وضاع للحديث لا يلتفت الى حديثه ولا يُعْبَأُ به .

ولعل السبب في حمل بعض الإمامية على البلوي ، وعدّه في الضعفاء واتهامه بالكذب والوضع ، ناشئ من إirاده أحاديث لتأييد الدعوة الإسماعيلية فوصموه بما وصموه ، على العادة في طاعن الفرق في الإسلام والنصرانية . والإمامية والإسماعيلية يختلفون في الإمامة ، فيوافق

الإسماعيلية الإمامية في سوق الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى جعفر الصادق ، ثم يعدلون بها عن موسى الكاظم الذي هو الإمام عند الإمامية ، إلى إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق .
وعرض ابن حجر في لسان الميزان لذكر البلوي وتقل عن الدارقطني أنه يضع الحديث ، وأنه روى عنه أبو عوانة في صحيحه في الاستسقاء خبراً موضوعاً . قال وهو صاحب رحلة الشافعي طوله وتمعها ، وغالب ما أورده فيها مختلف . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال بمثل ذلك وروى عبارة الدارقطني فيه .
وغاية ما أحصي للمؤلف في كتابه هذا ، وهو مما تجلّى به مذهبه الديني أيضاً ، أنه لم يترض في المقدمة عن الصحابة على عادة أهل السنة والجماعة ، واكتفى بالترضي عن آل البيت الطاهرين ، وكان إذا ذكر عمر بن الخطاب ترحم عليه ، وإذا عرض لآل الرسول صلى وسلم عليهم أجمعين . وصيغة صلاته وسلامه على النبي الصيغة التي ألف استعمالها أهل السنة . وأكثر ما رواه من هذا التقييل منقول عن غيره ، لم يعدل فيه شيئاً . وقد غمز الخوارج مرة لما أشار إلى صدق أحد رجالهم . وفي الجملة ما خالف أهل السنة في شيء مما قال وروى . فكان من هذا النظر إسماعيلياً لا يبعد كثيراً عن هدي الجماعة . ومسافة الخلف بين فرق الشيعة والسنة لم تكن في عصره منفرجة انفراجها في العصور الأخيرة .

ليس لدينا نص يُعتمد عليه في السبب الذي حمل البلوي على وضع هذا التأليف . وقد قال في مقدمته انه طُلب منه أن يكتب في سيرة آل طولون كتاباً « يكون أكبر شرحاً وأكمل وصفاً » من كتاب أحمد بن يوسف المعروف بابن الداية ، وأن الطالب قال له في كتاب ابن الداية في السيرة الطولونية : « ما هكذا أرّخ الناس الأخبار ، ولا عليه نظم العلماء الآثار » . وليس قوله هذا فيما نرى السبب المهم في وضع كتابه .

قد يرد على الخاطر أن المؤلف شاهد تبديلاً في حال مصر بعد ابن طولون ، فحدثته نفسه أن يضع تأليفاً يخلد فيه مآثره ، ليجعل من سيرته مهمازاً مان يأتى بعده من الولاة والأمرء ، وليتفطنوا لسعة فضل ذاك الآخذ بمخنق الممالك ، والدراكة بترويض الناس على الطاعة . وربما يخطر على البال من جملة التعليقات أن ابن طولون كان يعطف على الإسماعيلية ، أو يستظهر بهم للانتفاع بقوتهم شأن كثير من رجال السياسة يحاولون استخدام كل قوة ، ويوهمون من يخالفونهم أنهم منهم ، إلا أنهم يكتسبون إيمانهم ويتقنون الحكمة لا يذكرونها . فعطف البلوي على ابن طولون لعطف هذا على أهل مذهبه ، في زمن قتل فيه الحلاج شر قتلة في بغداد ، وهو صنوّه وقريعه في مذهبه ، وفي عصر كانت جميعات الإسماعيلية منتشرة في هذه الأقطار ، يتحفز دعايتها لإنشاء دولة إسماعيلية ، وكان

قيام بني عبيد القاطمين في إفريقية ثم في مصر آخر تلك الجهود .
لم تعرف السنة التي وضع فيها البلوي كتابه في آل طولون ،
والثابت أنه ألفه بعد موت أحمد بن طولون (٢٧٠ هـ) وبعد انقراض
الدولة الطولونية (٢٩٢) وبعد سنة ٣١٢ وفيها وافى مصر الوزير علي
ابن عيسى بن الجراح ، وقد جرى له ذكر في هذا الكتاب كما
ذكر فيه الخليفة المقتدر ، والمقتدر قتل سنة عشرين وثلاثمائة .
واستتجنا من رواية المؤلف عن أناس رووا عن ابن الداية أن
البلوي ألف كتابه في الثالث الثاني من القرن الرابع في أرجح
الظن ، لأن ابن الداية هلك ، على أقرب الروايات الى الصحة ،
بعد نيف وثلاثين وثلاثمائة ، فالكتاب ألف إذاً بعد أكثر من
ستين سنة مضت على وفاة ابن طولون .

إن ابن الداية روى عن سعد الفرغاني وابن عبد كان ونسيم
الخادم وطاهر الكبير الخادم وأبي جعفر المروزي وموسى بن طولون
ونعت أم ولد أحمد بن طولون وشعيب بن صالح وبراقة الحاسب
وهارون بن ملؤل وأحمد بن أبي أوفى وأحمد بن أعين وأحمد بن
محمد الواسطي وأحمد بن خاقان وأحمد بن دعيم وإبراهيم بن كامل
وأحمد بن القاسم وعلي بن مهاجر والفارسي والحسن بن واقع ويعقوب
ابن صالح ومحمد بن عبيد الله الخراساني وعن عمه إسحق بن إبراهيم
وغيرهم وكلهم من قواد ابن طولون ومن غلمانه أي من رجاله .

وابن الداية أيضاً كتب لآل طولون وعدّ من غلمانهم ، وكانت له بهم خلطة وأنسة ، وكان لأصالة بيته ، ونُبل محتده ، نفتح له أبواب القصور ، فيطلع على سرّ القوم وجهرهم ، وعلى عجرهم ويجرهم . فتاريخ ابن الداية بهذا الاعتبار ، لو ظفر الباحثون بالأصل السليم منه ، أمتع من تاريخ البلوي ، لأنه كتب عن عيان ومشاهدة ، وتقل عن ثقات عارفين ، وتأليفه نسج يده ، وزبدة تحقيقه . ووضع تاريخ البلوي في عهد خلافيه من المؤثرات السياسية في الجملة ، بتغير الزمان وانقراض الدولة ، وانتفاء ما يخشى على المؤرخ فيه من مصانعة من يعاصره أقرب الى السداد والسلامة . وكتابة البلوي سيرة ابن طولون بهذا التطويل المفيد أدنى الى الإحاطة بحال مترجه ، والدولة الطولونية منقطعة ، وصلة الكاتب بها معدومة ، ومذهب المؤرخ غير مذهب من أرّخ له . وللمذاهب تأثير غير قليل في معظم ما كتب من التواريخ في تلك الأيام . أكثر البلوي الاعتذار عن ابن طولون في كل ما صدر عنه من شدة ، وما استطاع في بعض الأخبار النائية عن حد العقل أن يذيلها برأيه فسارع في روايتها ، لئلا يسأله سائل عن رأيه فيها ، كقصّة الجماعة الذين ذكروا ابن طولون في دعوة لهم بما يسوّه ، فألقاهم كلهم في اليمّ ، في الليلة التي أخذ فيها رقعتين بما قالوه فيه ، واستولى على نعمتهم ، ونقض الدار التي اجتمعوا فيها

من أساسها ، وما طلع النهار إلا وهي رجة مكنوسة مرشوشة !
وكتصة ابن عمار آتى به من سجنه فنصح له أنفع نصيحة في
بقاء سلطانه ، فردّه الى السجن وقال إنه نصحه في دنياه وغشه في
دينه ، وأنه يخاف دهائه وعقله اذا هو أطلق سبيله ، فمات من
غمه في السجن . وما تقد البلوي ابن طولون حتى في تسرعه بإهلاك
الناس ، يقتل من يقتل بوشاية يرفعها اليه أحد أصحاب أخباره ،
فيغرق في النيل من بغضب عليهم ، أو يلقهم في حفرة يطمها
عليهم وهم أحياء ، يعجل أبدأ في إنتفاذ عقوبته ، لا يرجئها الى
غد يومه ، لينظر إن كان ما اتهم به المتهمون ليس فيه شيء من
الأسباب المخففة فيحقن الدماء .

ولم يقل لنا البلوي رأيه في حنق ابن طولون على بكار بن
قتيبة ، قاضي مصر ومن أكبر فقهاء عصره ومحدثيه ، يوم امتنع عن
القول بخلع الموفق ، وخالف القضاة في فتواهم ، وابن طولون يحاول
أن يفتيه قاضيه بما يرضيه ويرضي سياسته . فلما توقف بكار
عن متابعة القضاة في فتواهم سجنه مدة طويلة وعامله أسوأ معاملة ،
أهاناه وسلط عليه الرعاع ، ونسي أو تناسى أنه شيخ كبير وإمام
جليل ، لا ذنب له إلا أنه لم يقل بما قال به قضااته الرعيون ،
ومن هؤلاء من لا يتوقف عن إغضاب الحق لإرضاء أرباب الدولة
وما ذكر لنا المؤلف قسوة ابن طولون على طيبيته ، وادعائه

عليهما أنهما قصّرا في علاجه ، فطاف بالأول على جمل ناسباً اليه
الخيانة ، وضربه مقارع أوردته حتفه ، وهدد الثاني تهديداً أتى
على نفسه بعد يوم . وربما يقول البلوي ، هذا صدر عنه وهو في
حالة غير متزنة ، كان مريضاً وليس على المريض حرج . فيقال له
عندئذ إن كان ابن طولون متديناً تدبناً باطنه كظاهره فسبيله غير
هذا ، والدينيون يعتقدون أن الموت والحياة بيد الله لا بيد الطبيب ،
ولا يعقل أن يقصر طبيباه في طبه ، والذنب ذنبه لأنه أبى أن
يخضع لما أشارا عليه به من الترانيب .

طريقة البلوي في تاريخه إيراد الحوادث ، وقد يحللها ويعملها
أو يصرح برأيه وشعوره أحياناً ، ويروي الأخبار بأسانيدھا على
النحو الذي كان يعمد اليه الرؤاة وأرباب السير في القرون الأولى .
والبلوي بليغ يحسن الوصف ، ويؤثر السلاسة ويكتب
بلا تعمل ، وعبارته خالية من السجع في الجملة ، وفيها ازدواج ولها
رنة . وكان اذا أراد أخذ بعض ما ورد في كتاب مطول طرح
الأسجاع أولاً ، ثم أتى على المكررات حتى يأتي تأليفه نسقاً واحداً ،
لا يبدو فرق كبير بين ما يكتبه ويكتبه غيره .

اقتبس البلوي نحو خمسين قصة من قصص ابن طولون عن ابن
الداية ذكرها هذا في كتابيه سيرة ابن طولون والمكافاة ، وزاد من عنده
نحو أربعين قصة أخرى . وما ندري إن كانت زياداته هذه

نُقلت أيضاً في المطول من كتاب ابن الداية ، أو تلَقَّطها البلوي من أماكن أخرى ، ويترجح من نسقها وعبارتها الطلية أنها من بضاعة ابن الداية ، ومعظم الحكايات عن ابن طولون تشهدها في رواية البلوي مفصلة مزيدة زيادات مهمة ، وينقل أول الحكاية من كلام ابن الداية باللفظ والمعنى . وضم المؤلف إلى كتابه رسائل ووثائق عديدة لا أثر لها عند ابن الداية وعني بالتوسع في الحكاية فأولى سيفره إمتاعاً وإبداعاً . وقد وردت في كتاب البلوي تفاصيل نشأة ابن طولون ، وأخبار حروبه في الثغور ، وأخبار ابنه العباس وغلामه لؤلؤ ، وأخبار مرضه وخلعه الموفق ، على صورة أجمع وأبرع ، ومنها ما خلا منه كتاب ابن الداية كأخبار مرضه ووفاته وجنازته ووصيته وثورته وغير ذلك .

وصدق البلوي فيما ادعاه من محاولته وضع تأليف مطول ، وحقق أمنية من طلب إليه كتاباً أوسع من كتاب ابن الداية ، وساعده على الذهاب بهذا الفضل تأخره في العصر ، وانتفاعه بكتب من تقدمه ، وزاد أنه نفوق بتنسيقه وترتيبه ، وامتاز ببسطه وشرحه . ولعل للبلوي عذراً على سلخ أخبار ابن الداية بمعناها ومبناها ، وزيادته عليها زيادات حببتها إلى من ينظر فيها ، وتبدت مهارته في التأليف حتى ليخالها قارئها أنها نسج بد واحدة . فالواقع أن تلك الحكايات كانت من البلوي على طرف الثمام ، ولم ير موجبا

لنسخها نسجاً ثانياً ، وحوك ابن الداية من أجل ما حاك بلغاء العربية .
هذا وأمثاله مما يعذر عليه ، ولكن من الصعب أن يلتبس له
عذر في نقله ما ينقل دون أن يصرح بابن الداية ، فيقول قال
ابن الداية وأخذت عن ابن الداية ، وهذا ما كان يرجى من عالم
فقيه واعظ من عياره . ولو فعل لأتى بما يزيد تاريخه وثوقاً ، ولصير
لكلامه موقعاً أحسن من نفوس العارفين ، بنسبته الفضل لصاحبه .
ومن بركة الكلام أن يعزى لقائله

وعجيب أن تجازي الطبيعة من يستحق جزاءها اذا خرج
على قانونها . فقد رأينا البلوي في القرن الرابع استحل نقل أخبار
برمتها عن ابن الداية ، سيد كتاب مصر في الدهر الغابر ، دون
أن يشير الى أبي عذرها ، فافتتحت الطبيعة لابن الداية منه بعد
أربعة قرون ، سلطت على البلوي المقريري ، فغزاه في خططه
وسلخ من كلامه صفحات طويلة في سيرة ابن طولون ، وما أقامه
من أعمال العمران ، فكانت واحدة بواحدة : غزا البلوي ابن
الداية ، فسطا المقريري على البلوي ، وسلط على من جاوز سرقة
من تقدمه ، من يسرقه بعد زمن ولا يرحمه

أصل المخطوط

أصل هذا الكتاب من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ،
مسجل في قسم التاريخ تحت رقم ٢٤٢ ، وكان مدشوتاً فجمع وجُلِّد
في أوائل هذا القرن . وهو مما وقفه محمد بن علي بن أحمد بن طولون
الصالحى الدمشقي المؤرخ المشهور المتوفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ،
على خزانة المدرسة العمرية بصالحية دمشق ، وكتب عليه بخطه
أنه ابتاعه بتسعة قروش

ورد اسم الكتاب في أول صفحة هكذا : « كتاب سيرة آل
طولون » وجاء الكتاب في سيرة أحمد بن طولون فقط ، وكتب في
آخره بخط يخالف خط ناسخه « تمت سيرة أحمد بن طولون » والغالب
أن الكتاب كان في سيرة آل طولون فضاعت كراريس من آخره ،
أو أن المؤلف لم يكمل كتابه كما وعد في المقدمة ، عند إشارته
إلى تفضيل كتابه على كتاب ابن الداية ، فقال إن هذا « لم يأت
بجميع أخباره ولا أخبار أبي الجيش ابنه ، وما كان من جميل
أفعاله وحسن آثاره ، ولا أخبار سائر إخوته بعده » . وكتاب البلوي
لم يستوف هذه الأخبار كلها ، وكان كلامه مقصوراً على سيرة
أحمد بن طولون ، وما جاء من أخبار أولاده جاء بالعرض ، ولأمر
كان لما علاقة بأبيهم لا بهم .

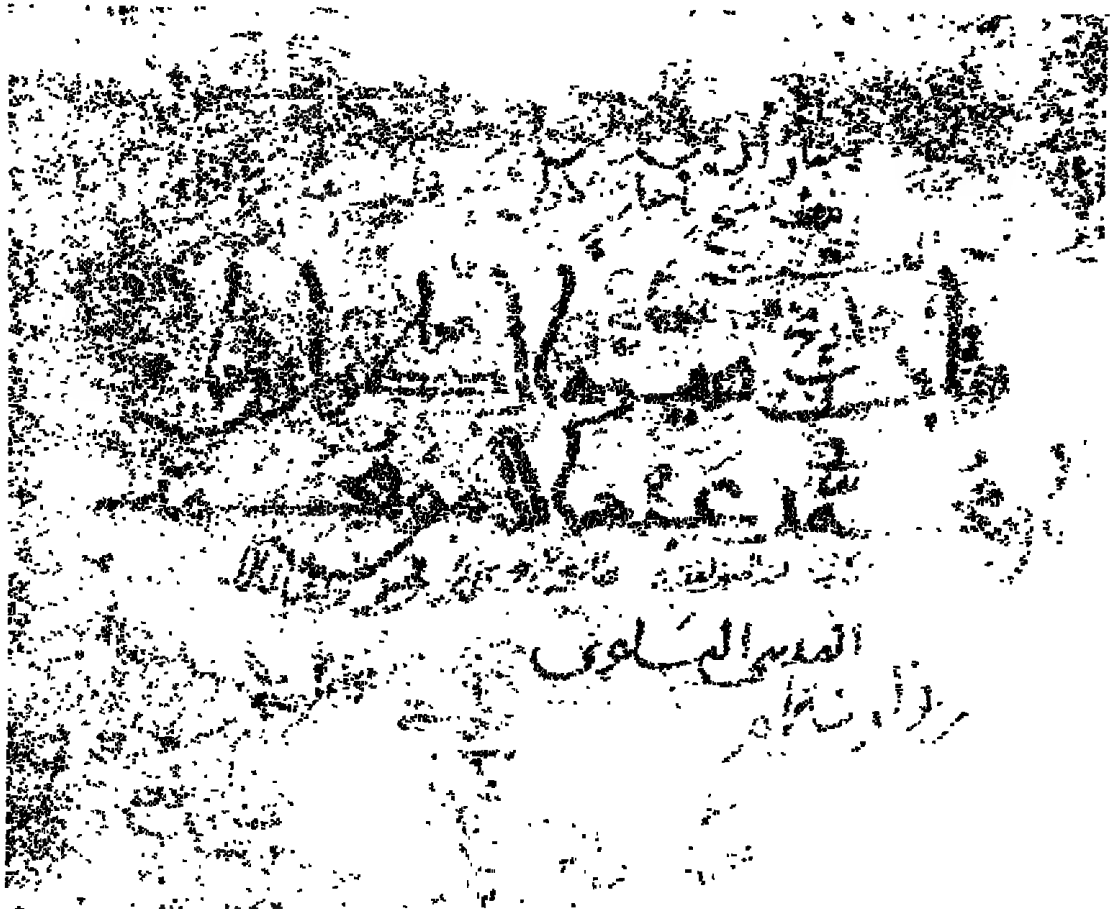
وقع هذا المخطوط في ٢٥٣ صفحة منصفة التطع ، وكتب على
ورق غليظ بخط أهل القرن الرابع ، عارياً من النقط ومن تاريخ

النسخ ، وقد يغلط ناسخه في النحو والتصريف والإيملاء ، وينقل ما لا يفهم ويكرر كلمة سبق له كتابتها فيعيد رسمها في الجملة الواحدة . وقد أصاب المخطوطة بلل طُمست به بعض الكلمات في أول الكتاب ووسطه وآخره ، وأكلت الأرضة رءوس بعض الصفحات الأخيرة ، ولما رُفع ما ألصق عليها من ورق رُدَّ بعض المطبوس الى الصحة ، ورُجع في تقويم بعضها الى أصول نقل عنها المؤلف أو نقل غيره عنه . ومنها ما وضعت له كلمات يقتضيها السياق ، وذلك بشيء من الظن والقرض ، وجعلت الزيادات بين قوسين في السطور المحوثة ، فإذا كان المطبوس نحو كلمتين جعل بدلها نقطتان ، وإذا كان ثلاثاً وضعت ثلاث وهكذا . أما الشعر فقد هزّعه الناسخ كثيراً فما أمكن رده كله الى الصحة . خصوصاً ما قيل منه في حادثة خاصة محلية ، وتيسر إرجاع الشعر المعروفة دواوينه الى نصابه من الصحة .

ولم نر مندوحة من التعليق على الكتاب ، إلا أننا أقللنا منه ما أمكن مجتزئين بمالا غنية عنه ، وصححنا الأغلاط النحوية وغيرها دون أن نشير الى كل غلطة وقعت ، وإذا كان هناك نص نقل عنه المؤلف نصلح به ما تيسر إصلاحه من نص مؤلفنا ، وقد لا نشير الى ذلك ، وحللنا بعض الألفاظ اللغوية والأعلام الجغرافية وأضفنا الى التعليقات ما ظفرنا به مفرقاً في الكتب مما نتم به ترجمة

أحمد بن طولون ، وكان مما فات المؤلف التعرض له .
وقد اغتبطنا ، وحالة مخطوط البلوي على ما ذكرنا ، أن
حسبنا ما سطت عليه الأيام من كلامه جزءاً ضئيلاً ، لا يحول
دون الانتفاع بتأليفه الذي ظل يتنقل في الخزائن ألف سنة حتى
كتب لابن هذا الجيل أن يخرج له للناس مطبوعاً ، وقد أشرف
على البلي ، فحي بذلك اسم مؤلفه وكاد ينسى لذهاب بقية تأليفه .
لا جرم أن في نشر كتاب البلوي إحياء مادة جديدة في
تاريخ مصر والشام ، ولوناً طريفاً من أدب عصره الجميل فيه حلاوة
وطلاوة ، وألفاظاً فصيحة ومعربة في شئون الحياة كانت مألوفاً
في زمن المؤلف ونحن في حاجة إليها اليوم . دع ما هناك من قصص
واقعية على مثال قصص الصولي والقاضي التنوخي ، تدل على كياسة
ابن طولون وسياسته ، وتفيد القارئ من حكمته وحتكته ، فيها
متعة للنفس وسلوى ، وصورة صادقة من صور ذلك المجتمع .
وقد حافظنا على متن الكتاب ، وترجمنا في الهامش لكل فصل
ولكل قصة ، وختمناه بفهرس للأعلام والبلدان ، وبجريدة بأسماء
المصادر التي رجعنا إليها في التصحيح ، وقد راعينا فيه الأمانة
ما وسعتنا المراجعة
وحاولنا العثور على نسخة ثانية من هذا التأليف لتعارض عليها
هذه النسخة الوحيدة ، وسألنا بعض أصحابنا المستعربين من

علماء المشرقيات في الشرق والغرب ، فكتب اليها صديقنا العلامة
كرنفكو Krenkow يقول إنه لم يعرف في الدنيا نسخة ثانية له
ولاشيئاً من أخباره سوى ما في الكتب التي ذكرناها له . وهذا عذرنا
في إبقاء بعض ما توقعنا فيه من عبارات المؤلف بحاله من السقم
والنقص ، وعسى أن يسكشف للباحثين وجه الصواب فيما لم يظهر
لنا بعد بذل الجهد .



أحمد بن طولون بنصور البلوي

صوّر البلوي أحمد بن طولون صورة جميلة ، وخلع عليه من الثناء ثوباً فضفاضاً . صوّر ذكاءه وقوة ملاحظته ، ورسم فراسته وسياسته ، وعدله ورحمته ، وصدقاته ومكارمه ، مُعْجَباً بكل ما أتاها ، عاذراً له على ما قدمت يداه ، لم ينتقده في شيء مما قصّ من أخباره . ونسب كل ما وقع له من موت عدوّ ، وتبديل في مجرى أحوال الدولة ، أو غير ذلك من المصادفات ، الى الإقبال الذي عرف به طالعه ، والحظ الذي « حسن قبيحه وأصلح رديئه » . والبلوي يعتقد بالإقبال كثيراً ، يقيم للطالع والنجوم والمنامات والكرامات وزناً على ما كان أهل عصره .

والمعقول أن ليس هناك إقبال ولا بخت ، والعامل في توفيق ابن طولون تربية صالحة ، كانت من أرقى ما عُرف في دهره ، وذكاء نادر تفرد به دون أبناء جنسه . نشأ في أشرف عصور بغداد جندياً مطبوعاً على أجمل صفات الجندي الشريف ، ولقّن في بيته وهو طفل أموراً أفادته في حياته . وحفظ القرآن وجوّده ، وفصح بالعربية فعداً من فصحاء رجال السياسة بلسانه وقلمه ، وأخذ عن المحدثين قطعة صالحة من العلم ، ورزق صوتاً جميلاً وأتقن الموسيقى ، ونظم الشعر بالتركية لغة أبيه وأمه .

وتأفف في عنفوان شبابه من الظلم الذي يأتيه الأتراك في

عاصمة الخلافة فأثر الهجرة إلى طرسوس من مدن الثغور ، وكانت يومئذ مقيل القراء والعلماء والزهاد ، فتخرج بهم وتأدب بأدابهم ، وانصرف إلى العبادة حتى كان يخشى أن لا تصادف أعمال السلطان موقعاً من قلبه لانصرافه إلى أمور الدين . ولما عُهد إليه منصب الولاية في مصر نيابةً عن باكباك من وزراء العباسيين تجلى نبوغه بأجلى مظاهره ، وثبت غرامه بحسن التدبير والنظام ، واستبان طموحه وثقته بنفسه . ومن حسن حظه أن كانت ولايته على مصر ، ومصر من طبيعتها أن تُغري من ينزلها بالتوطن فيها ، وأن تدمج فيها غيرها ولا تندمج . ها . ومن العسير على بغداد أن تحكم مصر مباشرة للبعد الباعد . مصر وسط رمالها يتعذر الوصول إليها من البر ومن البحر . وطبيعة القطرين متخالفة ، وبلاد الرافدين يومئذ مشغولة بفتنة عظيمة كادت تودي ببني العباس ، وهي فتنة الزنج في البصرة . وما ساعد ابن طولون على التوفيق في حكم مصر أن كان في طباع أهلها من الانقياد من يعتقدون فيه الإخلاص لهم ، والحرص على إسعادهم ، ما ظهر أثره في الدول السالفة والخالفة . وفي هواء مصر وتربتها خصائص نطلق عليها اليوم اسم « الإقليمية والقبلية » . ومصر إلى هذا تعتقد بالأمر الواقع إذا كانت حسنت راعيها أكثر من سيئاته ارتضته وتبنته ، وسائرته في السبيل التي يُزججها فيها .

أول ما فكر فيه أحمد بن طولون لما هبط مصر أن يبعد القوضى

عن أحكامها وترتيبها ، فوضع لها قواعد فرض عليها العمل بها ، فأفلح في ولايته ، وارتاحت رعيته . نظر إلى خصب تربتها وسهولة العيش فيها ، وإلى تدني خراجها ، بعد أن كان يوفرت مضرِب الأمثال عند العرب ، فأصلح ، برأيه المسدّد ، الريّ والصرف والجسور والطرق والترع ، وأسقط ضريبة المعاونة وغيرها من الضرائب ، واكتفى بالخراج والمكوس ، فبلغت عبء خراجها أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ، عدا المكوس التي تجبى في المواني والحدود ، ذلك بعد أن انحط خراجها إلى ثمانمائة ألف دينار ، وما كانت تجبى إلا بشيء من العسف .

هذا هو سر نجاح ابن طولون في حكم مصر ، لم يعرض له البلوي وأشار إليه المؤرخون . وهناك سرٌّ آخر له صلة بهذا ، وهو عنايته بتحسين حال الفلاح ، ونشر العدل بين الرعية ، لافرق بين مسلم وقبطي ورومي ويهودي

قام في نفس ابن طولون أن ينشئ في مصر دولة فأمّر بإنشاء القطائع ، وبنى قصره « الميدان » على مثال قصور الخلفاء في الجلالة ، وعمر رجاله وغلّمانه الدور والقصور ، وتبنّى كوا في النعيم . وما خلت بلاد الأقاليم أيضاً من استيفاء حظها من العمران ، فأضت عاصمة الديار المصرية في أعوام قليلة كأعظم مدينة من مدن الشام . زعموا أن ابن طولون عثر على كنوز عمر منها جامع العظيم ومستشفاه

والعين والحصن ، والحقيقة أنه كانت تُفتح له كل عام كنوز من أرض مصر وثروتها الطبيعية .

صرف جهوداً عظيمة لتثبيت قدمه بالديار المصرية كما يصرف في العادة كل من يفتح فتحاً جديداً ، ويحاول أن يصفو له إلى الأبد . وجروء على نزع يده من قيود بني العباس ، وكان من اشتغالهم بأنفسهم أن سار حراً طليقاً لا يخضع لسفساف سلطان لا يرضيه شيء ، ولا لخليفة يُملِي كل يوم إرادته عليه . وحر كته لم تخفَ على أهل البصر من أصحاب الدولة ، ومن يهيم بقاؤها عباسية .

عرف ابن طولون من أين توء كل الكتف ، فاختر من المصريين ومن غيرهم طبقة من الوكلاء والسامرة والزبانية والمدّاحين ، وأغدق عليهم إدراراته ، فهاؤا له الطريق إلى المجد ، واستماتوا في حبه ، وأخلصوا له القصد في الخدمة . وهو بما فطر عليه من بسطة اليد كان يرضي الخليفة بما كان يرسله إليه مسانحة من المال ، ويرضي ولي العهد ، وإن كانا في الظاهر متشاكسين ، ويرضي خزانة الدولة وخزائنه الخاصة ، ويرضي أصحاب السلطان وطبقات العلماء والقراء والفقراء في بغداد ، ويرضي أهل الثغور والمواصم والحرمين ، بما كان يحمل إليهم من المؤن والمعدات والثياب والأموال ، ويرضي أهل الشام والجزيرة وبرقة بما كان يولاهم من عطفه ولطفه ، ويرضي كل من تحدّثه نفسه أن يخلفه في تقلد عمل مصر ، ويرضي قواده

وكتابه وغلمازه وجميع من يمتُّ إليه بصلة . ويعيش مع هذا هو وآله عيش الملوك ، لا عيش أبناء الأجناد من الولاة والمتصرفين ، وخلف في خزائنه من الناضِّ ما لم يخلف مثله قبله أحد من الولاة ، خلف على ما قيل عشرة آلاف ألف دينار أو خمسة ملايين جنيه ذهبي ، عدا عشرات الألوف من العبيد والمماليك والجواري والخيول والبغال والعدد والآلات ، وعشرات من أسفاط الجواهر والحلي ، وبلغ ربيع إقطاعاته خمسين ومائتي ألف دينار في السنة ، وأقام في مصر من المصانع ما كانت حضرة بني العباس عاجزة عن محاكاته .

كان لشدة انتباهه إذا رأى منفذاً يتسرب إليه منه ضرر يسعى إلى ردمه ، وإذا شاهد خمشاً يخاف أن يستحيل جرحاً نفاراً يبادر إلى معالجته لساعته بضروب من الوقاية . وكان يتفنن في أخذ الأخبار إلى ما لم تصل إلى أكثر منه أعظم الدول مهارة في الجاسوسية اليوم ، وإلى ما لم يتسام إليه رجل من عظماء التاريخ في الدول الإسلامية . ولو تساهل في هذه السبيل ما صفا له ملك مصر والشام وما إليهما هذه الحقبة . ووفق لأن يشهد مصرع أعدائه واحداً بعد واحد ، ونال من بعض من عاونوه على قيام دولته ، لما أعتقد أنهم مخالفوه في بعض الطرق ، لم تأخذه بهم شفقة ، ولا شفعت بهم لديه سابقة من خدمة ، أو يدٌ سلفت من إخلاص ، فصفا له بذلك جوٌّ مصر وجوٌّ بغداد .

كان ابن طولون عجيباً في سيرته ، إن احتملت نفسه كل مخالف
فلا تحتل من ينايذه في رأيه ، ويعترض على عمله ولو في سره ،
يتطال إلى توحيد كلمة الناس في التغني بحمده ، ومن خرج في
نظره عن الحدود المرسومة عوقب بالقتل . منح الناس حرياتهم في
النطاق الذي ارتآه ، فإذا اصطدم بما يريد هم عليه ، وأدرك من
طرف خفي أنهم من المعارضين ، أو ممن يفاوضون أعداءه ، أو يفاوضهم
أعداؤه على غير علم منهم ، فهناك الإقراط في تطبيق مفصل
قانونه ، لا يسمع حواراً ولا مناقشة ، ولا يسير إلا مع حظ نفسه
ينتقم لها .

وقد يهلك رجلاً لا يستحق جرمه أكثر من مؤاخذه ، أو
يكفي في تعزيره حبسه أو تشريده ، وقد يغضي عن كبير الجرم
لأنه رقيق له ، أو كانت له به صلة ، أو جاءه في حالة سرور ،
كما فعل مع ابنه العباس عصى عليه فضربه مقارع يسيرة واعتقله ،
وقضى ، على أفطح صورة من التمثيل ، على من رافقوه إلى
برقة و طرابلس .

ما عرف ابن طولون الوفاء ولا الولاء : كان إذا غضب أساء
إلى أقرب الناس إليه ، ولا يزال يسيئ الظن بالخلص له إساءته
بالخائن ، لا يثق حتى بمن صدقوه ، وكانوا من أكبر العوامل
في إنشاء دولته ، مثل أحمد بن محمد الواسطي الذي رافقه منذ ظهوره

في واسط إلى آخر أيامه . وما كان يهدأ له بال إلا إذا اطلع على ما تنطوي عليه قلوب عماله ، ولهذا كان يُغني من يقلده أمر البريد ، وإلى البريد يومئذ تُردُّ مراقبة العمال وغيرهم . ويغني من نديهم موافاته بالأخبار في بلاده وخارجها .

كان يُدرُّ الرواتب على عماله وقواده وغلمانه وجنوده يقبضونها مشاهرات ، ويجزل لهم الهبات والصلات ، ليلتعدوا عن ظلم الناس ، آمنين على رزقهم ورزق عيالهم ، ويجري على المستورين والمستورات ، ويحسن إلى الفقراء بإطعامهم وكسوتهم ، ويحمل من ترضيه سيرتهم على دوابه ، ويجري الجرايات على المحاويع والمعوزين ، وجريدة صدقاته طويلة ، ومن قُدِّر له الوصول إليه ساعة رضاه يسعد . وكان يُفْضِل على الثَّسَّاء والفقهاء والمحدثين والمتطبين والمهندسين يجري عليهم ما يكفيهم ، ولا يُعْنَى كثيراً بالمتجيمين والشعراء على ما يظهر ، لبعده عن الاعتقاد بتأثيرات النجوم على أهل الأرض ، ولا تهمة كثيراً مصانعات الشعراء . وقد مدحه البحري ثم هجاه ، وتوفّر محمد بن داود على هجوه عند كل سانحة .

ظهر أن ابن طولون كان من المحافظين المأخوذين بعبادات لهم موروثّة ، يحافظ على صلواته ، ولا يخلو يوماً من التوسل والتضرع والسجود في الملا . وظهر أنه كان معتدلاً في عشرة النساء ، لا يفرط

في التسري واقتناء الجواري ، وهمه أبداً حفظ نعمته ، وصيانة دولته . عهدناه يحب المنادمة والطرب ، ويعقد مجالس الأنس أحياناً ، ويتناول ما استحل تناوله من الشراب ، وكان حتى في مجالسه الخاصة ، يوتر الوقار ويصطنع التقوى ، وهو يحسن الجمع بين اللذات المحللة ، ويمتنع على ما يظهر عن المحرمات . فهو ذو شخصية خاضت كل عباب ، وطرقت كل باب .

أحسن ابن طولون الاضطلاع بأعباء الحكم ، وتمرّس بالسياسة ، وقدّر التبعات التي ألقيت على عاتقه ، فكان يهون عليه إتعاب نفسه لتستريح رعيته ، ويسهر عليهم ليناموا مطمئنين ، وبفضل يقظته ما نجم نجاحه يجاذبه جبل السلطة إلا قضى عليه ، ولاقاومه عامل أراد خدمة بغداد على حسابه إلا قهره ، ومعظم أهل هذه الطبقة قضوا في سجنه ، أو تحت سياط جلاديه ، وجروا بأرجلهم جراً من حضرته ، على مكانتهم في أنفسهم .

حسب ابن طولون حساب كل طارئ ، وما كان يدور في خلدّه أن يفترص ابنه البكر المسمى بالعباس فرصة تغيب والده عن مصر فيجيش وهو نائبه عليها جيشاً ، ويستتبع أناساً من رجال أبيه ، ويجعل أموالاً وآلات كثيرة ، ويرحل إلى رقة يرفع لواء العصيان على أبيه فيرمضه ويؤلمه . وكان من لؤلؤ ، وهو غلامه وغذي نعمته ، أن ثار عليه في آخر عهده ، وفي أوقات حكمه

فأخذ أموال الجباية من الشام والجزيرة ، ولحق بالموفق عدو ابن طولون اللدود في دار السلام ، فباع ابن طولون حرمه وولده في سوق الرقيق .

كان ابن طولون في الظاهر لبيّن الملمس لمن في بغداد ، وهو في باطنه شديد الوطأة عليهم ، لا ينزل لهم عن أقل حق من حقوقه ، هو يتقيهم لا يثقانهم أنهم لا يرضيهم سيره بحال ، وكيف يرضون عنه وهم يتوجسون خيفة من انبساط ظلّ حكمه ، ولا يفتأون يذكرّون ويذكّرهم الذّاكرون أنهم دونة علماً وعقلاً وعدلاً ، وأنه يخشى أن يكيد بعد حين لبني العباس

وكان من جملة وصاياه لقوّاده ولأبي الجيش ابنه وخليفته ألا يغتروا بمخاريق أهل العراق ، وألا يندسوا ما في نفوسهم عليهم ، وأن يذكروا أبداً أن من في مصر شجعاً في خلوق من في بغداد ، وتقدم إليهم ألا يضعوا أيديهم في أيديهم ، وقال لهم إني أعرف ذنبي لهم . وكل هذا يدعو إلى التفكير في إخلاصه للعباسيين ، ويلقي الشك في تزيده بإظهار إخلاصه لهم ، وأن دعواه أنه لا أرب له في نشوزه على ولي العهد إلا دفع عدوانه على أخيه مسألة فيها نظر ، وهو يعلم علم اليقين بأن الموفق يعمل ليله ونهاره في دفع صائل الأعداء عن دولتهم ، وإن المعتمد لا يستجيب لغير صوت شهواته . ويلمح من يقرأ ما في القلوب أن الحرص على الاحتفاظ بحقوق المعتمد ليس

كله من أجل بيعه له في عنقه كما كان يزعم ، ولا كان انتصاره له
بعامل ديني قوي في نفسه ، بل كان هناك أمور يمكنها صدره ،
ولا يعرف غيره سرّها ، ربما كانت تظهر لو لم تعاجله المنية .

ولولا حرب علوي البصرة ما تيسر لابن طولون أن يحكم هذه
الأعوام الطويلة في وادي النيل ، ولولا أنه أصهر إلى يارجوخ
من قواد الترك في بغداد ما صارت إليه مصر مرة ثانية نيابة عن
حميه أيضاً ، كما كانت له على عهد بأكباك ، ولولا أن ملأ قلوب
رجال الدولة وصدورهم بهداياه ورشاواه لتقدم بعض الأقوياء من
أصحاب السلطان فاستولى على مصر قبل أن ترسخ قدمه فيها .
وما كان بعد ولايته عن الحضرة ، ولا صعوبة الوصول إليها ،
ولا المئة ألف عنان من جيشه لتنفعه لولا أن جاء في غفلة الدهر ،
وبنو العباس محكومون فعلاً للأتراك لا يعملون إلا ما يرضيهم ،
ومن عادة العباسيين إذا استبسلوا اقتربوا وإذا ضعفوا استكانوا وذلوا
وأياً كان فأحمد بن طولون وحيد عصره في إدارة الملك ،
رزق صفات تعذر اجتماع مثلها فيمن عاصروه ، وحسناته على التحقيق
أوفر من سيئاته . ومهما قيل في مؤاخذته فهو إلى الاعتدال أقرب
من معظم أمراء تلك الأيام . رأيناه لما حاول الموفق أن يقصيه عن
ولاية مصر كيف يعمد إلى استدعاء الخليفة المعتمد إلى مصر ليقم
فيها الخلافة العباسية ، فلما تعذر نفوذ الخليفة إليه قام يخلع الموفق

في مدينة دمشق ، ذا كراً في وثيقة خلعه أسباباً معقولة تنم عن جريرة ودهاء ، على حين رأينا الموفق يتقوّل عليه ، ويشتمه على منابر بلاده ، ويرميه بالمروق من الدين ، ويتهمة بإخراّب ثغور المسلمين ، ويقتال المجاهدين بأهل الفسق الملحدين ، وباستباحة الحرم وسفك الدماء ، وكل هذا لم يحصل منه شيء ، وكانت سياسة ابن طولون عكس ذلك ، كان يفضّ عن مساوئ أصحاب الثغور ، يموّنها ويقوّمهم ليكونوا في حرز حريز من مطامع الروم . وعهد السلطان إلى غير واحد أن يحموا حمى الثغور فأخفقوا ، وما أُنم عليها إلا لما عهدت حمايتها إلى كفاءة ابن طولون .

وبعد فإن أنكر منكر شيئاً على ابن طولون فأكثر ما ينكر عليه إسرافه في سفك الدماء ، قتل فيما قيل في سجنه ثمانية عشر ألف إنسان . والمنكر اليوم يتكلم بعقلية ابن هذا القرن الناشئ على حب الحرية ، المتشبع بحقوق الإنسان . ولا مريبة بأن الدماء كانت رخيصة في الأزمان الماضية ، وكان ابن طولون يحاول مع هذا أن يظهر بمظهر الشفقة ، وما ندري هل كان ذلك منه عن تدين ورحمة ؟ إن معظم رجال السياسة كرجال المال قساة القلوب ، غلاظ شداد ، لا يحنون ولا يعطفون ، وهم وإن حاولوا الظهور بما يقضي به الدين أشد الخلق تحلاً من جوهره في باطنهم .

إن ست عشرة سنة قضاها ابن طولون في تأسيس دولته قد يقضي

الطغاة في الحكم مثلها وضعفها ، ولا يقوم لهم عمل ، ولا يتم لهم مشروع ،
أما هو فقضى في آخر العقد الخامس من عمره محققاً الآمال بإصلاحات
كثيرة ابتدعها فعدت من بنات أفكاره ، كعنايته بوضع الأضياف
والجزازات والتقايد ، فكان حيث انقلب يصحبه كاتب يدون
كل ما يقوله وما يقال في حضرته ، فإذا كان الليل خلا بكاتبه ،
وأصلح له ما كتب ، ليحفظ ما دار من الكلام على حقيقته ويرجع
إليه عند الاقتضاء .

كان الراضون عن حكم ابن طولون ، المغتبطون بأيامه أكثر من
الناقمين ، استراح الناس إلى أحكامه ، على أنه صورة من رجل
الاستبداد يخالط سيرته تدين وتصور ، في عصر فسد بعض أوضاعه ،
وفي دولة قامت باسم الدين وهدفها الدنيا ، يسترخس الصالح والطالح
من أصحاب ولاياتها إهراق الدماء ، وهل كان ابن طولون إلا واحداً
منهم ؟ نشقف في تلك المدرسة ، وجرى على تلك الطريقة ، استحل
احتجاج الأموال كما كانوا يحتجون ، وجار على من لا تسع أصواتهم ،
وهو إلى هذا يطعم الفقراء ، ويصطنع الرحمة ، ويجود على من ينفعه
أو يتوقع نفعه ، ويقىم الشعائر الدينية ، ولا يعمل إلا ما فيه فتنة
العامة ، بيد أنه كان ممن يأخذ ويعطي ، ويخزن وينفق ، ويعدل ويظلم ،
ويجمع بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة . يعرف ما يريد وما يُراد ،
وما يجب وما لا يجب ، وهدفه الأسى استقلاله بالديار المصرية ، وتركها

إرثاً شرعياً لأولاده من بعده ، سعى لذلك خروب السعي ، وما تعفف
لبلوغ غرضه عن ارتكاب كل عظيمة .

لأحمد بن طولون مشابه من الحجاج بن يوسف الثقفي ، يتشابهان
في إحسان السياسة ، والتجديد في طرق العمل ، وبقوة العزيمة وشدة
البطش . الحجاج مثال العربي الحازم في القرن الأول ، وابن طولون
مثال التركي الحازم في القرن الثالث ، جاهد الحجاج لتكون كلمة دولته
هي العليا ، وجاهد ابن طولون فكان جهاده لنفسه ولبيته . ذلك لم يخلف
من حطام الدنيا شيئاً يُعتدُّ به ، وهذا خلف من الخزائن والكنوز
ما لم يخلف أعظم أمراء تلك العصور مثله .

محمد كرد علي



الحمد لله

الحمد لله وبه أستعين ، الحمد لله خالق السموات والأرض وما بينهما ،
من الآيات والآلات على حكمته ، الشاهدات على قدرته ، المنبهات على
وحدانيته ، حسن نظم فطرته ، « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »
فسبحانه من ملك قدير ، وإله خبير . وصلى الله على محمد رسوله
الأمين ، وخيرته من العالمين ، المبشر بالجنة عباده المؤمنين ، وبالنار
أعداء الكافرين ، وعلى من تقدمه من النبيين ، وعلى آله الطاهرين .

فهمت ما ذكرت ، جعلني الله فداك ، في سيرة آل طولون ،
وأنت قرأت كتاب أحمد بن يوسف في ذلك ، فلم يكن موقعه منك
الغرض الذي إليه ذهبت ، ولا المعنى الذي له نحوت ، وأنت تريد
ما هو أكبر منه شرحاً ، وأكل وصفاً . وأن أحمد بن يوسف كان
يُمرُّ في شرح قصة ثم يرجع إلى ما هو قبلها ، وأنه كان يخلط
أخباره ^(١) ، فيأتي بقصة من قصصه التي تدلُّ على ذكاء عقله وفطنته ،

(١) كان الأول أن تكون عبارته هكذا : أخبار أحمد بن طولون . أو فيأتي بقصة من قصص
أحمد بن طولون فإن الضمير في البارتين أيم الكلام مع جدد الناعل وسير ما تاروى . في هذا
الكتاب أمثلة كثيرة من هذا القيل جد فيها الضمير عن الفاعل الراجع إليه مكاد المعنى يصير
إلى غموض .

ولطيف حسه ، ثم يأتي بضدها ، وأنه لم يأت بجميع أخباره ، ولا أخبار أبي الجيش ابنه ، وما كان من جميل أفعاله ، وحسن آثاره ، ولا أخبار سائر إخوته بعده

طريقة المؤلف في
تأليفه

وقلت ما هكذا أرّخ الناس الأخبار ، ولا عليه نظم العلماء الآثار ، وأردت أن يكون ذلك مستقصى جميعه ، وعلى ترتيب في شرحه ، ولا يذكر آخرًا قبل أول ، ولا يقدم سالفًا على آتف ، وقد امتثلت أمرك فيما أردت ، وسلكت فيه الذي اخترت . ولم أدع من أخبار جماعتهم شيئًا مثله يؤرخ وبه يتأدب وله يستحسن إلا ذكرته ، وجعلت ذلك أبوابًا [ولم أذكر في] الباب ما ليس من شكله ، ولا خلطت به ماخرج [عن أصله ، وإن] ابن آدم لا يخلو من نقص ونقصير ، ولم يعر من ذلك العلماء الواصفون لشرائط الدين ، والمبلغون سنن المرسلين ، وكيف ما إن قصر عنه مقصر لم يؤزر ، وإن بالغ فيه مجتهد لم يؤجر .

ثقة العباسيين
بالأثر

فأول ذلك ، أعزك الله ، أن المعتصم بالله ، لما اختص الأثر والوضع من العرب ، فجعل الأثر أنصار دولته ، وأعلام دعوته ، وبذلك احتج عليهم العلوي البصري فقال :
واستفتحوا بالترك أمرهم لم يستفتحوا بالأوس ولا بالخزرج^(١)

(١) كذا في الأصل ويمكن أن يستقيم مناه مكذا
واستفتحوا بالترك أمرهم ما استفتحوا بالأوس والخزرج

فكان من عَظُمَت عندهم منزلته، وحدث طريقته، أَلْزَمُوهُ خِدْمَتَهُمْ،
وجعلوه الذَّابَّ عَنْ بِيضَتِهِمْ، وَقُلَّدَ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةَ الْخَارِجَةَ عَنْ
الْحَضْرَةِ^(١)، وَاسْتَخْلَفُوا لَهُ عَلَيْهَا الْخُلَفَاءَ، وَحُمِلَ إِلَيْهِ مَالُهَا، وَدُعِيَ
لَهُ عَلَى مَنَابِرِهَا .

فكَانَتْ سَبِيلَ مِصْرَ عَنْدهُمْ أَنْ يُجَبِّيَ بِهَا مِنْ صَحْتٍ فِيهِ هَذِهِ
الْصِفَةُ الَّتِي قَدِمْنَا ذِكْرَهَا، كَمَا فَعَلَ هَارُونَ الرَّشِيدُ بَعْدَ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ،
وَالْمَأْمُونُ بِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَالْمُعْتَصِمُ بِأَشْناسٍ، وَالْوَاتِقُ بِإِيثَاخٍ،
وَالْمَتَوَكِّلُ بِبَغَا وَوَصِيفٍ، وَالْمُهْتَدِي بِيَارْجُوخٍ، وَكَمَا قَدِمَ بُغَا وَأَتَامَشُ
وغيرهما فقلدت مصر بابك، والتمس له خليفة فوجه به إليها .

وكان أحمد بن طولون قدم مات أبوه في سنة أربعين ومائتين،
ولأحمد عشرون سنة، من جارية كانت لأبيه تعرف بقاسم، ولدت
أحمد في سنة عشرين ومائتين، وولدت بعده أخاه موسى وحسبية
وسمانة . وكان طولون من طغرغر، حمله نوح بن أسد عامل بخاري
وخراسان إلى المأمون، فيما كان موظفاً عليه من المال والرقيق والبراذين
وغير ذلك في كل سنة، وذلك في سنة مائتين .

وسألت أبا العباس أحمد بن محمد الكوفي^(٢)، وكان خبيراً بأمر

(١) ينون بالحضرة حضرة نبي العباس أو حاصلة خلافتهم وكانت بغداد أولاً ثم سر من رأى
أو سامرا (٢) دواية ابن الداية : وقلت : (أي ابن الداية) لأبي العباس بن خاقان
والسؤال هو نفس سؤال البلوي للكوفي والجواب مثله والبراءة تكاد تكون واحدة .

مصر على عهد
العباسيين

أصل طولون
والد أحمد

الأتراك ، عارفاً بأحوالهم ، عن أحمد بن طولون وقلت له : إن الناس في أمره فريقان أحدهما يقول إنه أحمد بن طولون وإن يلبخاً كان زوج أمه قاسم ، والآخر يقول إنه أحمد بن طولون وإن يلبخاً ابن قاسم جارية طولون ، فأكذب ذلك وضحك منه وقال لي : يلبخ هذا تركي سبي مع طولون ، وكان خفيف الروح يُغني بالتركية ، مستحلي الكلام ، فلما مات طولون ألزمه الوفاء له القيام بأمر ولده ، والمحافظة عليه ، فكان يركب معه حتى يوصله إلى الموضع التي لم يكن أحمد يصل إليها لحدائث سنه ، وصغره عن ذلك ، وكان كل من يراه معه يقول له : هذا ابنك ؟ فيقول : نعم ، هو ابني وابن سيدي رحمه الله . وتوفي يلبخ بعد وفاة طولون بعشر سنين ، ولم يخلف إلا طفلة ، فكان أحمد بن طولون يُجري على أمها وعليها ما يسعها من الرزق حتى ماتت .

وقال لي : ومما يدل على صحة ذلك أن الموفق لما لعن أحمد بن طولون أسنده إلى طولون ولم يسند به إلى يلبخ ، ولو كان ابن يلبخ لما زوجه يارجوخ ابنته ، لأن يلبخاً كان عندهم مغنياً ، وطولون معروف بالستر والصيانة .

فنشأ أحمد بن طولون نشوئاً جميلاً غير نشوء أولاد المعجم ، من بعد الهمة ، وحسن الدين ، والذهاب بنفسه عما كانت تُسف إليه

اولية أحمد بن
طولون

طبقة، وطلب الحديث وأحب الغزو^(١)، وخرج إلى طرسوس مرات،
ولقي شيوخ المحدثين، وسمع منهم، وكتب العلم. وحصل له من ذلك
قطعة كبيرة

وألّف بطرسوس جماعة من الزهاد، وأهل الدين والورع، فأدبوه
بآدابهم، فحسنت طريقته، وظهر فضله، فتمكن له في قلوب الأولياء
ما ارتفع به على طبقة، وبان فضله على وجوه الأتراك، وصار محله
عندهم محلّ من يوثق به على الأموال والأسرار والفروج، ومثل هذا
عند العجم محله عظيم في نفوسهم، لو تصنّع به متصنّع، فكيف من
مبتدئ غير متصنّع. فخطب إلى يارجوخ ابنته فزوجه، وكانت أمّ
ابنه العباس [وابنته] فاطمة

فلما كان في نفسه من محبة الخير ورغبته فيه، سأل الوزير^(٢)

(١) كذا ويحتمل أن تكون العرب

(٢) في القطعة المأخوذة من كتاب أحمد بن يوسف الكاتب في سيرة ابن طولون
أن أحمد بن طولون مع قفاسه وجلاله في قفوس الاتراك كان شديد الاوزار عليهم، يستصغر
عقولهم وآدابهم، ويذكر أنهم قد تسنموا من المراتب ما لا يستحقون، وأن حرمة الدين بهم
متهوكة، وفرائضه مسطلة. فقال لأحمد بن محمد بن خاقان يوماً: إلى كم يا أخي تقيم على هذا
الانتماء لا نظماً موطئاً الا كتب علينا خطيئة. والصواب أن نسأل الوزير عبيد الله بن يحيى ان
يكتب لنا بأرزاقنا إلى التفرغ تقيم به في ثواب قائم، وجهاد متصل. قال: فركنت إلى هذا،
ورفضنا إلى عبيد الله قصة مكتب ارزاقنا في التفرغ. فلما انتهينا إلى طرسوس، ورأى ما التائب
عليه من الأمر بالمعروف وبجانبه المنكر، أنست نفسه وزال استيحاظه، وتبع المحدثين، ولم
يكن يدخل إلى منزله من التشاغل بهم الا ليلاً. قال: فكنت اذا رأيته بهذه الحال أبيت
من ان يتصرف في شيء من أعمال السلطان.

أن يكتب له برزقه إلى الثغر^(١) ، وعرفه رغبته في المقام به ، فأجابه الوزير عبيد الله بن يحيى إلى ذلك وكتب له به ، وخرج فأقام بطرسوس مدة ، وشق على أمه مفارقتها لها ، فكاتبت به بما أقلقته . فلما قفل الناس إلى سر^(٢) من رأى^(٣) ، قفل معهم بسبب أمه ، وكان جملة القافلين نحواً من خمسمائة رجل ، والخليفة يومئذ المستعين بالله .

وكان قد انفق أن المستعين بالله استحسناً شيئاً يعمل ببلاد الروم ، غرام الخليفة
بالطرائف الرومية من بز يون^(٤) وكراسي حديد منقوشة بأحسن نقش ، يجري فيها الذهب ، وأشياء يضمن بها الملك أن تخرج إلى أرض العرب ، فأنفذ خادماً من خدمه يتكلم بالرومية إلى ملك الروم ، برسالة جعلها سبباً لما يريد ، وأمر الخادم أن يتلطف في ابتياع ما تهيأ له مما قدمنا ذكره وقدر عليه ، وخرج الخادم ووصل إلى ملك الروم وأدّى الرسالة ، وأنزل في دار فرشت له ، وبلغ في إكرامه كل مبلغ ، وجعل يلتمس شراء كل ما يمكنه بضعف ثمنه المبيع منه ، فاشترى ما حصل له منه وقر بغل ، لم يمكنه أكثر منه .

(١) الثغر (بالفتح ثم السكون ورا) : كل موضع قريب من أرض العدو سمي ثغراً ومن ثغر الشام وجهه تنور ومن مدن التنور تياس ، الاسكندرونة ، المصيصة ، أذنة ، طرسوس ، ومن ثغور الجزيرة مرعش وانطاكية وبنراس ، قال اليكري : واختزل الرشيد التنور من الجزيرة وقسرين وسماها العوام .

(٢) سر من رأى ويقال لها سامراء بلدة كانت بين بغداد وتكريت شرقي دجلة على ثلاثين فرسخاً من بغداد وهي من المدن التي أحدثها العباسيون .
(٣) ضرب من نسيج البز أو من دقيق الدياج .

فأجاب ملك الروم المستعين عن رسالته ، وحمل إليه هدايا حسناً ،
وخلص الخادم ذلك البغل المحمل ذلك المتاع بالحيلة ، على محمله من أمير
المؤمنين في حمله ما حمل معه ، وخرج حتى حصل بطرسوس^(١) ، وخرج
مع القافلين ، وفيهم أحمد بن طولون .

ومن رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين مثل العقبان ، فنظرت
الأعراب شيئاً من سوادهم^(٢) في بعض المواضع فأخذوه ، ووقعت
الصيحة ، وجاء النذير إلى الطائفة التي فيها أحمد بن طولون ..
فكان أول من انتدب ، وحض على القتال ، والذهاب خلف
الأعراب إلى حيث قصدوا ، وسار يريدونهم ، فلما رآه الباكون اتبعوه ،
فكان أول من لحق بالأعراب ، ووضع فيهم السيف ، ورمى بنفسه
عليهم ، وحذفهم بالنشاب ، وكان حسن الرمي لا يُخطئ شيئاً ، فخلت
الأعراب عن جميع ما أخذوه ، ونجوا بأنفسهم على خيولهم

ظهور أحمد بن
طولون بالشجاعة
والنجدة

(١) طرسوس: بلدة بالتغور الشامية على ثلاثين كيلومتراً من مرسين كانت الى القرن الرابع من
الهجرة مقر الزهاد والعلماء واستولى عليها الروم ثم الصليبيون ثم فتحها المماليك التركان أصحاب مصر
ودخلت في القرن العاشر في حوزة الدولة العثمانية وهي اليوم من كورة كيليكيا وتعد من ولاية
أذنة ولها قبر أمير المؤمنين المأمون العباسي رضي الله عنه . وضبطها البكري في سجن ما استعجم
بضم الأول واسكان الثاني وقال انها معروفة من التغور الجزرية قال أبو حاتم هكذا يقول الأصمعي
وغيره يقول طرسوس بفتح أوله وتانيه قال ولا يجوز فتح الطاء واسكان الراء

(٢) السواد : المال الكثير

وكان فيما أخذه الأعراب البغلُ المحملُ ذلك المتاع الذي لم
يُوصل إليه إلا بالحيلة ، وكانت نفس الخادم قد كادت أن تخرج لذلك ،
خوفاً على قوت ما أمله من جائزة أمير المؤمنين ، ولما لحقه من
التعب والمخاطرة قبل أن وصل إليه ، ولما سلم سكن روعه ، ورجع
إليه عقله ، بعد أن كاد يزول .

وعظم أحمد بن طولون في عينه وقلبه ، وصار له كالعبد ، وكبر في
قلوب أهل القافلة ، فلما وصلوا إلى العراق أحضر الخادم ذلك المتاع
إلى المستعين ، فاستحسنه وسر به كل السرور ، فذكر له الخادم
ما عاينه في أمره قبل الوصول إليه ، وقال له : وأعظم ما جرى
يا مولاي أنه لما حصل وسلم إلى طرسوس ، وقفت مع الناس ، خرج
علينا الأعراب فأخذوه ، فلولا أن الله جل اسمه من علي بن غلام من
غلان مولاي أمير المؤمنين يُعرف بأحمد بن طولون ، فإنه أول من
انتدب وخرج إليهم ، وحصله وجميع ما أخذوه ، لقتلت نفسي
أسفاً على فواته .

فازداد به المستعين سروراً ، وأمر في الوقت لأحمد بن طولون
بألف دينار ، وقال للخادم : إِمض أنت بها إليه سرّاً ، وأقرئه مني
السلام ، وقل له عني : لولا خوفاً من أن يُعلم بحله من قلبي فيحسد ويقتل
لبلّغته أفضل مراتب أمثاله ، وإذا هو دخل إليّ في المسلمين أَرنيه .

حجة الخليفة لأحمد
ابن طولون

فأوصل إليه الخادم المال ، وعرفه الرسالة ، فحمد الله عز وجل على ذلك .
فلما كان يوم السلام ، ودخل مع الأولياء ، غمز الخادم المستعين
عليه حتى رآه ، فأشار إليه المستعين بالسلام . ولم يزل يفعل ذلك ،
كلما دخل إليه في المسلمين ، ويوجه إليه بالصلاة الوافرة في كل وقت ،
دفعه بعد دفعة ، حتى حسنت حاله بذلك ، ووهب له جارية اسمها
مياس فولدت له أبا الجيش في النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين .

خلع المستعين
وتسليمه لابن
طولون

ولما كان من أمر المستعين ما كان من تنكُّر الأتراك عليه ،
واستقر الأمر بعد ذلك على أن يصير المعتزُّ على الخلافة ، وينفي
المستعين إلى واسط^(١) ، مع رجل يختار له ، يوثق بدينه وأمانته ،
وترضى به الأتراك ، ويأمنه على نفسه ، وقع اختيارهم على أحمد بن
طولون ، فسلم إليه ومضى به إلى واسط ، وأحسن عشرة المستعين
وشكر له ذلك الجليل في أمره ، فأطلق له التنزه والصيد . وكره
أحمد بن طولون أن يلحقه منه احتشام ، فالزمه أحمد بن محمد الواسطي
كاتبه ، وكان يومئذ غلاماً جريئاً ، حسن الشاهد ، حاضر النادرة ،
فأنس به المستعين غاية الأُنس ، وشكر لأحمد بن طولون ما يأتيه
في أمره ، ولم يألُ أحمد بن طولون حرصاً في خدمة المستعين وتوفية حقه .

(١) بلدة في العراق قائمة إلى الآن اختطها الحجاج بن يوسف الثقفي في سنتين ويقال لها واسط
القصبة أو هو قصر كان قد بناء هو أولاً قبل أن يبنى البلد

امتناع ابن
طولون من قتل
المستعين

فلما تمت البيعة للمعتز ، وخلع المستعين ، أنفذ إليه أهله وولده ، فأقام بواسط مدة ، واجتمع غلمان المتوكل ، وقالوا نخاف من كيد يلحق المعتز من المستعين ، فصاروا إلى قبيحة أمه ، فعرفوها ذلك وخوفوها منه ، وقوي الخوف في نفسها فاضطربت له ، فعزمت على قتله ، فحضر الأولياء وتشاوروا في ذلك فأشاروا به ، فكتبت قبيحة أم المعتز إلى أحمد بن طولون : « إذا قرأت كتابي فجئني برأس المستعين ، وقد قلدتك واسط » . فلما وصل الكتاب إليه اغتم غمًا عظيمًا ، وكتب إليها يقول : « والله لا يراني الله عز وجل أقتل خايفة له في رقبتني بيعة وأيمان مغلظة أبدًا » .

فلما ورد كتابه بذلك زاد به في قلوب الأتراك محلاً كبيراً ، ووسموه بحسن التوقف وجميل المذهب ، وأحسن أحمد بن طولون في ذلك وأجل رحمه الله . كما أمر الحجاج بن يوسف رجلاً من التابعين بقتل رجلٍ اتهم بما أراد قتله بسببه فامتنع وقال :

ولست بقاتلٍ رجلاً يُصَلِّي على سلطانٍ آخر من قريش
له سلطاناه وعليَّ إثمي معاذ الله من جهلٍ وطيش
إذا طأوعته وعصيتُ ربي فما فضلي هناك على قُمَيْشٍ
وكان قُمَيْشٌ هذا رجلاً خليعاً ماجناً ماردًا .

ووجهوا إلى أحمد بن طولون لما امتنع من قتله بسعيد الحاجب ،
وكتبوا إليه ليسلم المستعين إليه ، وينصرف عن واسط إلى سر من رأى ،
ففعل ذلك وأحمد الناس كلهم فعل أحمد بن طولون ، وشكره عليه
الخاص والعام .

حدث أحمد بن محمد الواسطي قال : و كنت مع المستعين بالله على
الرسم ، فرأينا غيرة خيل قد أقبلت ، فأنفذ غلاماً له يركض ليعرف
له خبرها ، فعاد وقال : هو سعيد الحاجب فاصفر لونه ووجم^(١) ،
فقال لي : يا أبا عبد الله أنا استودعك الله ، هذا جزار بني هاشم قد
جاءني ، فحررت وجزعت ، وعدنا جميعاً .

ووافي سعيد في أثرنا ، فأوصل إلى أحمد بن طولون الكتاب ،
فأحضر قاضي واسط والشهود ، فأشهدهم على تسليمه إياه سليماً ، فتسلمه
وأخرجه من وقته إلى الصحراء ، وضرب له خيمة فأدخله إليها ، فأقام
سويعة وخرج ، وألقى الخيمة عليه ، وركب من وقته دابته ،
وسار راجعاً .

فلما بعد أتينا الخيمة فرفعناها ، وأحمد بن طولون معي ، فإذا
بجثة المستعين مطروحة على الأرض ، وقد صرعه وأخذ رأسه ومضى .
فأقبل أحمد بن طولون يبكي وينتحب عليه ، كما تبكي الثكلى ، وأنا معه
كذلك ، لما ورد على قلبه منه ، ولم يزل قائماً على رجله حتى غُسل
وكفن وصلينا عليه وواريناه ، ورحل إلى سر من رأى

(١) وجم وجماً ووجوماً : سكت على غيظ والقي . كرمه .

مبدأ سعادة ابن
طولون بتولية
مصر

ووافق دخوله سرّاً من رأي تقليد بكباك مصر ، وانتماسه من يخلفه
عليها ، فقبل له أحمد بن طولون : الثقة الأمين ، الحبر ، الدين ، الخير ،
قلده خلافته وضمّ إليه الجيش .

ورحل إلى مصر فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان
سنة أربع وخمسين ومائتين ، مقلداً للقصة دون غيرها ، من الأعمال
الخارجة عنها مثل الإسكندرية وغيرها ، ودخل معه أحمد بن محمد
الواسطي ، وكان خليطاً به جداً ، وأبو يوسف يعقوب بن إسحق ،
كان الوزير قد قرّنه به .

فحدثني شيخ من شيوخنا قال : جلست في بعض الدكاكين
الشارعة^(١) مع الناس ، لننظر دخول أحمد بن طولون البلد وترتيبه ،
وكان معي في الدكان رجل مكفوف يعرف بأبي قبيل^(٢) صاحب
الملاحم ، فسأله رجل كان معنا عما يجده في كتبهم ، فقال : هذا رجل
نجد صفته كذا وكذا ، ويتقلد البلد هو وولده قريباً من أربعين سنة .
فما تم كلامه حتى أقبل أحمد بن طولون ، فكانت صفته كما وصف في
صورته وشمائله ، لم يغادر منها شيئاً . وكانت مدة الطولونية ثماني
وثلاثين سنة .

(١) شرع المنزل صار على طريق نافذ وهي دار شارعة ومنزل شارع .
(٢) ترجم القنطي صاحب طبقات الحكماء . هذا المكفوف قال : المكفوف الملاحمي
المصري ، هذا رجل كان بمصر ، وكان مكفوفاً ينسب إلى قبيل الملاحمي ينكح في علم الحدّثان
ويصيب في الأكثر . وذكر قصة دخول أحمد بن طولون القسطنطينية . قاله نحو من هذه
العبارة إلا أنه استندما للحسن بن واقع الكاتب .

ودخل أحمد بن طولون مصر ، وكان على خراجها أحمد بن محمد بن مديبر
وكان من دهاة الناس ، وشياطين الكتاب والعمال الأجلاد ، فحسبك أنه
ابتدع بمصر بدءاً صارت سناً إلى اليوم لا يُنقض . ولقد حرص أبو الحسن
علي بن عيسى بن الجراح عند دخوله مصر أن ينقض شيئاً منها فما تهيأ له ،
علي صناعته ودهائه بين الوزراء الذين كان هو باركهم ^(١) فما ابتدعه بمصر :
النظرون ، وكان مباحاً لجميع الناس بمصر ، فصير لهم ديواناً مفرداً ، وعاملاً
جلداً ، يحظر على الناس أن يبيعه أو يشتروه إلا من جهته . والمراعي ،
وهي الكلا المباح المطلق التي أنبتها الله عز وجل لعباده ترعاها بهائمهم .
والمصايد ، وهي ما أطعم الله جل اسمه من صيد البحر .

عمال مصر عند
دخول ابن
طولون

فلما احتشم ابن مديبر من ذكر المصايد ، وشناعة القول فيها ، أمر
بأن يكتب في الديوان : خراج مضارب الأوتاد ، ومفارش الشباك
وغير ذلك بمصر . وله بالشامات ^(٢) أمثال هذا .

فحين دخل أحمد بن طولون أهدي إليه ابن مديبر هدايا حسنة ،
قيمتها عشرة آلاف دينار . وكان ابن مديبر خرج لتلقيه عند دخوله ،
ومعه شقير الخادم ^(٣) وكان صاحب البريد ^(٤) يومئذ بمصر ، وهو

دهاء ابن طولون
وما عمله لظهوره
بمظهر العظمة

(١) هكذا في الاصل . (٢) الشامات : بلاد الشام .

(٣) قال اليعقوبي : وتلاحى أحمد بن طولون وأحمد بن المديبر وهو عامل الخراج بمصر وافسد
بينهما شقير الخادم المعروف بأبي صجة (في رواية ضحجة) ، فكان شقير يتولى البريد وضياعاً
من ضياع الاقطاع . واستعمل للسلطان من المتاع واليه ينسب الديقي النقيري وكتب كل
واحد منهما في صاحبه فنصر ما كباك أحمد بن طولون . وكان ما كباك النائب على امر الخليفة
واعانة الحسن بن محمد بن الجراح وأبو نوح عيسى بن إبراهيم بن نوح فكذب بزل ابن المديبر
وتولية رجل من اهل مصر يقال له محمد بن هلال فتولى الخراج وقبض ابن طولون على ابن المديبر
فقيده والبسه جبة صوف ووقفه في الشمس فأقام بهذه الحال ثلاثة أشهر (٤) صاحب البريد

غلام قبيحة أم المعتز المعروف بأبي صُحبة ، فلما تلقياه وسلما عليه بشاً بها وأحسن مخاطبتها

وانظر بين يدي أحمد بن مدبر مئة غلام من مولدي الغور^(١) ، قد انتخبهم ، وجعلهم عُدَّةً وجمالاً ، وكان لهم خلق حسن ، وطول أجسام ، وبأس يعرفون به شديد ، وعليهم الخفاتين^(٢) والأقبيّة والمناطق الثقال العراض ، وبأيديهم مقارع تامة غلاظ ، على كل طرف من أطرافها فضة مضمّعة بها ، وكانوا يقفون في حافتي مجلس ابن مدبر إذا جلس ، وإذا ركب كانوا بين يديه ، فكانت له بهم هيبة عظيمة في صدور الناس إذا رأوهم .

فلما أهدى إلى أحمد بن طولون الهدية التي قدمنا ذكرها ردّها ولم يقبلها ، فقال ابن مدبر :^(٣) إن هذه لهمة عظيمة ، ومن كانت هذه همته

— كان إليه الأخبار وقد اشار الامام ابو يوسف في رسالة الخراج التي بث بها الى الرشيد الى اختلال امور هذا الديوان في عهده قال : ينبغي عن ولائك على البريد والاخبار في النواحي تخطيط كثير ومعاينة فيما يحتاج الى معرفته من امور الولاة والرعية ، وانهم ربما مالوا مع الهال واستروا اخبارهم وسوء ماملتهم للناس وربما كتبوا في الولاة والهال ما لم يملوا اذا لم يرضوهم وهنا ما ينبغي ان تنفق به وبأمر باختيار الثقات المدول من اهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والاخبار . قال : ومتى لم يكن اصحاب البريد والاخبار في النواحي ثقات عدولاً فلا ينبغي ان يقبل لهم خبر في قاض ولا وال فاذا لم يكن صاحب البريد عدلاً فلا يحسن استئصال خبره ولا قبوله .

(١) النور (بضم اوله وسكون ثانيه) جبال وولاية بين هراة وغزنة وهي بلاد واسعة موحشة هذا ما قاله ياقوت والغالب ان هؤلاء النملان من تلك البلاد لأن النور (بفتح النين) والساكنون في الاغوار في العادة سمر البشرية .

(٢) الخفاتين واحدها خفتان ضرب من الثياب وسها التفتان بضم الفاف وفتحها .

(٣) في المكافأة : ما ينبغي ان يشق السلطان بمن لم يكن لشدة آلا ف دبتار في عينه قدر على طرف من اطراف مملكته . وهو اقرب الى صحة المعنى .

فغير مأمون على طرف من الأطراف ، وكان في ابن مدبر دهاء عظيم ،
ورياء كبير ، فخافه ^(١) وكره مقامه معه في البلد ، فاجتمع مع شقير
صاحب البريد ، على أن يكتب فيه إلى أمير المؤمنين بما يقدران
به إزالته .

فلما كان بعد أيام كتب أحمد بن طولون إلى ابن مدبر : « قد كنت ،
أعزك الله ، أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها ، فلم نجز تغنم ^(٢) مالك ،
كثره الله ، فرددناها توفيرا عليك ، وأحب أن تجعل العوض منها
الغلمان الذين رأيتم بين يديك ، فأنا إليهم أحوج منك . » فقال ابن
مدبر : هذه أخرى أعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل ،
كيف آمنه إذا كان يرذالاً أعراض والأموال ، ويستهدي الرجال ويستأثر
عليهم ، ولم يجد ابن مدبر بداً من أن يبعثهم إليه ، فتحولت هيئته
إليه ، وتقصت هيئته هو بمفارقتهم مجلسه ، وزال جماهم له بين يديه
في ركوبه ، وكتب بخبره إلى الخضر . ونفى الخبر إلى أحمد بن طولون
فأسره في نفسه ولم يبده ، فأقام أحمد بن طولون أيام المعتز ، فلحقات
وجلس المهدي بالله ، كان في نفسه على باكباك ما بعثه على قتله إياه ،
ورد جميع ما كان له وفي يده إلى يار جوخ التركي . وكان بين يار جوخ
وبين أحمد بن طولون أجل مما كان بينه وبين صاحبه باكباك ، لما
قدمنا ذكره من تزويجه ابنته من زوجته التي كان المتوكل أزوجه

(١) أي خاف أحمد بن طولون (٢) تنه عنه غيبة

إياها ، وكانت من جواريه ، وكانت لها محل وجلالة خطر ، فكان
يارجوخ من أكبر مُعدد أحمد بن طولون

تبيت ابن طولون
في إمارة مصر

فلما حصلت مصر ليارجوخ ، في جملة ما حصل له من أمور باكبك ،
كتب إلى أحمد بن طولون يعرفه ما جرى ويقول : تسلم من نفسك
لنفسك . وزاده جميع الأعمال الخارجة كانت عن مصر . وكتب إلى
إسحق بن دينار^(١) ، وهو متقلد الاسكندرية بتسليمها إلى أحمد بن
طولون ، وعظمت منزلته ، وورد على ابن مدبر ما زاد في قلقه وغمه ،
ودعته الضرورة والخوف منه إلى ملاطفته ، والتقرب من قلبه .

طلب موسى بن
طولون ولاية
الاسكندرية

كان موسى أخو أحمد بن طولون رجلاً فيه خير ، فلما حصلت
الاسكندرية لأخيه ، وهي بلد ثغر ، أحب المقام بها ، فسأل يعقوب
أبا يوسف الكاتب ، الذي كان ضمه الوزير إلى أحمد بن طولون عند
رحيله إلى مصر أن يسأل أخاه في تقليده إياها ، وكانت بينه وبينه
مودة ، فقال له : ابتدئ أنت بالقول ، وأنا أكفيك إذا خلوت به ،
فخاطب أخاه على مَضَض منه ، لأنه كان لما قدما البلد أمر فيه ونهى ،

(١) في المختصر من ابن الداية ان يارجوخ رَدَّ الى احمد بن طولون الأعمال الخارجة
عن معونة مصر الى يده فتسلم من اسحق بن دينار الاسكندرية ومن احمد بن عيسى
الصعيد وبرقة .

كما^(١) يفعل الأخ الشقيق [مع الشقيق] فثقل ذلك على أخيه ، حتى إنه قصد قوماً كان أخوه يعتني بهم بالأذية .

وأمسك موسى عما كان يعمل ويحمل مسأله ، فخرج من البلد ولا يكون معه فيه لما بيته . فلما سأله ردّ عليه ردّاً ضعيفاً فأغضبه ذلك ، فقال له : تالله لقد آيست منك ومن مرتبة أئالها بك في الدنيا ، وإنما طلبت هذا البلد لأنه ثغر من الثغور ، اخترت المقام فيه والتعبّد ، فوعده بتقليده إياه .

وكان أحمد بن طولون يتوقع من يارجوخ إنفاذه إليه الكتب بولاية الثغور الشامية ، وقد رشح أخاه موسى لتقليده إياه طرسوس ، فإنها أجلّ مما طلب منه ، وأسرّ ذلك إلى أن ترد الكتب به عليه ، وأراد أحمد بن طولون بولاية أخيه طرسوس إحياء ذكره بالثغر لأنه كان أغلب البلدان على قلبه محبةً ، وآثرها عنده .

وعزم أحمد بن طولون على الخروج إلى الإسكندرية لمشاهدتها وتسلمها ، فسأل موسى أبا يوسف الكاتب معاودة أخيه في أمرهاله ، حسب ما وعده ، فخاطبه في ذلك فوعده أيضاً . وخرج أحمد بن طولون إليها مرابطاً ، فرحاً بما حصل له منها ، لمحبتة انشغور لا غير ، وكان ذلك في سنة ست وخمسين ومائتين

(١) قال أحمد بن يوسف : قلت لأبي جعفر محمد بن موسى بن طولون ، وكان لي صديقاً وبي حقياً ، وقد رحل إلى مصر بعد قتل أبي المينش : لم تطل مدة أبي عمران موسى مع الأمير أبي العباس أحمد بن طولون بمصر ، وأحب أن أقف على السبب في ذلك ، وما الذي فرق بينهما ؟ قال : لما دخل والذي إلى هذا البلد أسره ونهى كما يفعل الشقيق مع الشقيق فثقل ذلك على أحمد بن طولون فقصد بالأذية من قدم والذي الناية به ، فأمكن عن الأمر والنهي .

فحدث الواسطي أحمد بن محمد كاتبه عنه أنه قال لما وردت عليه الكتب برد الأعمال الخارجة إليه : الحمد لله كثيراً ، وقال : تركنا لله عز وجل شيئاً واحداً ، عوضنا منه أشياء أعظم منه وأجود وأحمد عاقبة . كانت نهاية ما وعدنا به على قتل المستعين بالله تقليد واسط ، نجفنا الله عز وجل في قتله فلم تقتله ، فعوضنا جل اسمه مصر وغيرها . فلما قرب من الإسكندرية تلقاه إسحق بن دينار ، وقد كان وقف على ما جرى ، وتوقع صرفه عنها فخرج إليه حتى لقيه بأبعد المواضع ، فلما رآه ترجل له ، وأعطاه بحق الرياسة عليه ، فأحشم^(١) ذلك منه أحمد بن طولون وكان حياً ، رقيق الوجه ، فاستحيا منه أن يصرفه عن البلد فأقره عليه .

اغتيال ابن
طولون بولاية
مصر

وجعل موسى يتربص من أخيه إنجاز وعده له ، فلما طال ذلك سأل أبا يوسف أيضاً المسألة ، وقال له أبو يوسف : أيد الله الأمير ، أخوك منتظر لوعدك ، فقال له : ويحك قد كان ما وعدت به ، وتالله إني لآمل له ما هو أجل منه ، وقد ترى ما صنعه هذا الرجل معنا من الجليل ، على محله أيضاً في نفسه ، ولا والله ما يحملني وجهي أصرفه عن عمله ، فتلطف لي في أن تصرف رأيي أخي عن هذا الأمر ، وقل له إن أخاك يرشحك إلى ما هو أجل من هذه المدينة ، واحذر أن تطلع على شيء مما ذكرته لك من أمر ابن دينار . فلما سأله موسى عن الجواب

مطالبة موسى بن
طولون بوعده
أخيه وشره
مقارع بيد أحمد

(١) احشم منه وعنه وحشمه واحشمه انجمله .

عرّفه أن أخاه يرشحه لما هو أجل مما طلبه ، فلم يثنّه ذلك وقال :
ما أريد سوى هذه المدينة ، وهي أحب إليّ من كل ناحية جليّة ، فلما
راه أبو يوسف لا ينتهي عنها كشف له الخبر ، لما كان بينه وبينه من
المودة ، ولأنهما كانا يجتمعان على التعجب من مصادر أمور أحمد بن
طولون ومواردها ، وأن الحظّ قد عمل له ما لم يقدره ، حتى إنه قد
حسن قيحه ، وأصلح رديته .

فاغتاظ موسى مما حكا له أبو يوسف ، وصار إلى أخيه وقال له :
بخلت عليّ بما لا مشقه عليك فيه ، وخاطبه بدالة الأخوة ، بكلام فيه
غلظ ، بمحضرة الناس ، إلى أن قال له : ما أحسبك تخرج من الدنيا
سالماً ، لقطعك لرحمك ، وسوء نيتك ، وتفصيلك غلمانك ، ومن تختاره
بسوء رأيك على أقرب الناس منك ، فلعن الله جوارك وأراحني منه ،
فأمر به فبطح وضربه يده مقارع يسيرة . فعانب الناس موسى على
ما خاطب به أخاه وقالوا له : ليس أخوك اليوم هو الذي تعده وتعرفه ،
فوفّه حقّ الرئاسة ، واطرح دالة الأخوة ، فلم يقبل ، وكان فيه لجأج
وكبر نفس ، فراسله في أن يكتب له جوازاً ليخرج عن البلد ، فتغنم
ذلك أحمد بن طولون منه ليريح قلبه منه ، ومن دالّته عليه ، فكتب
له الجواز وأمر له ببال كثير فلم يقبله ، وخرج غضبان إلى طرسوس ،
فقبض أحمد بن طولون على أبي يوسف وقال له : أظهرت لأخي ما أمرتك

بستره غنه ، فأوحشت بذلك ما بيني وبينه ، وأتفذه من الإسكندرية إلى المطبق^(١) بمصر .

وكان أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والأردن فلما مات توثب ابن شيخ عليها ، وقال : هي من عملي وحمل أحمد بن مدبر مالا إلى السلطان من مصر ، مبلغه سبعمائة وخمسون ألف دينار ، فقبض أيضا عليه ابن شيخ وقال : إنا نحتاج إليه للرجال ، ففرقه في أصحابه . وبلغه اضطراب الأمور بالحضرة فقويت شوكته ، فجمع الجموع ، وقوي طمعه في التغلب على الشامات بأسرها ، وشجع الناس ، لما رأوا من قوة أمره ، أنه على أن يتغلب أيضا على مصر ، وأنه مُجدد في ذلك

توثب ابن شيخ
على فلسطين
والأردن

فأنفذ المهدي بالله حسين الخادم المعروف بعرق الموت^(٢) ومعه الكُرَيزي وأبو نصير المروزي^(٣) الفقيهان ، ومعهما عهد على أنه إن رد ابن شيخ المال الذي أخذه ، وحمل ما وجب عليه عما كان يتقلده ، وانصرف عن الشامات ، سلمنا العهد إليه وانصرفا عنه ، فإن لم يفعل لم يسلمنا العهد إليه ، وكاتبنا بخبره ، ليدبر أمره بما يجب

(١) المطبق كمعسن : سجن تحت الأرض .

(٢) قال القاضي في المتأنفة والتوثيق : عرق الموت يضرب مثلاً لأشد الشدة ، وكان حسين الخادم خادماً المتنفذة المكتفي الذي كان يتولى البريد لقب بعرق الموت ، وقيل إن المكتفي لقبه بذلك .

(٣) الكُرَيزي هو عبد بن عبيد الله الكُرَيزي القاهني وأبو نصر هو اسماعيل بن عبد الله الزُرَيزي المروفي بأبي نصر (ابن جرير الطبري) .

فلما وردا عليه وخاطباه في ذلك ، احتج في المال بأنه قد استهلك على الرجال ، ثم لم يجبهما إلى شيء مما يجبونه . وورد الخبر بقتل المهدي وجلس المعتمد فلم يدع له ابن شيخ ، ولا أخذه بيعة على أصحابه ، وأراد أن يوهمهما بذلك منه ، فبلغ منهما فعله ، واستعمل حسين الخادم مداراته بأن دفع إليه عهده على إرمينية حتى أقام الدعوة للمعتمد وأخذه البيعة ، وعمل ابن شيخ على أن يستخلف على إرمينية ولا ينصرف عن أعماله ، وتخلص حسين الخادم والكُرَيْزِي والمروزي منه بما فعلوه ، وعادوا إلى بغداد ، فعرفوا المعتمد ما كان من ابن شيخ

مبدأ قوة ابن
طولون بالانكسار
من الجند

وكتب إلى أحمد بن طولون يأمره بأن يتأهب للخروج إلى ابن شيخ وأمره أن يزيد في عدته ، وكتب إلى ابن مدثر أن يطلق له من المال ما أراد لذلك ، فتبعهما أحمد بن طولون فعرض الرجال ، وأثبت من يصلح إثباته ، واشترى العبيد روماً وسوداناً ، وجدد آتته وكل ما يحتاج إليه ، وخرج وراسل ابن شيخ بقميس بن حفص كاتب بكار بن قتيبة وبأحمد بن يحيى السراج ، وجعلهما معذرة بينه وبينهم قبل إيقاع الحرب ، [وأوعز] إليهما بأن يدعوا إلى طاعة السلطان ورد ما أخذه من ماله المحمول كان من مصر ، فأجابه بجواب قبيح ، فلقياه بالجواب وقد نزل بالعباسة ^(١) فورد الخبر عليه بأن المعتمد قد أنفذ أيضاً إلى ابن

(١) قرية كانت بين بليس والصالحية في مديرية الشرقية على خمسة عشر فرسخاً من القاهرة ويقول القريري أنها كانت منزلاً للملك مصر وبها ولد الباسر بن أحمد بن طولون فسماء لذلك العباس .

شيخ بفلام من غلمانه يعرف بماجور الا فرنجي^(١). وأقام أحمد بن طولون بموضعه إلى أن يعلم ما يكون من ماجور مع ابن شيخ. فلما قرب ماجور من دمشق أنفذ [عيسى بن شيخ] إلى ماجور ابنه منصور، وكان من الشجعان الفرسان، وبخليفته وجماعته من فرسان عسكره، فوافياه في جيش كثيف وأمرهما أن يمنعاه دخوله دمشق وأن يحاربا، فالتقى العسكران فأول من قتل منصور بن شيخ وجماعته من وجوه أصحابه، وأسر خليفته، فضرب ماجور عنقه وصلبه مع منصور، وانهزم سائر عسكرهم، ولم ينج منهم إلا ذو فرس جواد عتيق.

ودخل ماجور دمشق عزيزاً مظفراً. فلما اتصل الخبر بابن شيخ وقتل ولده وخليفته وصناديد عسكره، انخزل وقت ذلك في عضده^(٢)، وانكسرت نفسه، وضاق به الشامات، فرحل عنها على طريق الساحل يربد إرمينية، وبلغ خبره ماجور فوجه بمن قبض على أعماله كلها، واستخلف عليها خلفاء من قبله، ونقل أعمال الشامات كلها، وذلك في سنة سبع وخمسين ومائتين.

وعاد أحمد بن طولون إلى مصر، وقد استكثر من العبيد والرجال^(٣) والآلات، فضاق به داره، وكان هو والأمرء من قبله يسكنون

بناء القلاع
والقصور
والأسواق
وامتداد العمران

(١) المشهور أماجور التركي (٢) فت في عضده إذا كسر قوته وفرق عنه أعوانه .
(٣) في معظم المصادر أن جيش طولون بلغ مئة ألف وفي قاموس الأعلام لشمس الدين سامي أنه بلغ مئتي ألف وإن بلاده أصبحت أشبه بدولة مستقلة .

في الدار التي تعرف إلى اليوم ببلد الإمارة التي لها بابان ، أحدهما بالحارة المعروفة بحوض أبي قديرة ، والمعروف إلى اليوم بباب الخاصة وبابها الآخر الملاصق للشرطة الفوقانية ، وكان باب الشرطة أيضاً أحد أبوابها ، وكانت كلها داراً واحدة ولها باب إلى المسجد الملاصق للشرطة ، وكان يجمع فيه الجمعة ، وفيه منبره ومقصورته إلى اليوم ، وإنما فُرقت هذه الدار حُجراً بعد دخول محمد بن سليمان البلد ، وبعد انحلال أمر آل طولون ، وكانت في أيام هارون بن خوارويه قد صيرت ديواناً للخراج .

فركب أحمد بن طولون إلى سفح الجبل ، فاخطت فيه قصراً ، وأمر أصحابه وغلماؤه وتبأعه أن يختطوا لأنفسهم حوله وما قرب منه ، فاخطت الناس وبنوا ، حتى اتصل البناء بعمارة البلد ، وهي هذه الدور الشارعة من حد قيسارية بدر إلى سوق الدواب .

واتصل البناء والعمارة من الجانب الآخر إلى أن جاوز المدينة ، ثم قطعت القِطائع ، وسميت كل قطعة باسم من يسكنها ، فكانت للنوبة قطعة مفردة تعرف بهم ، وللروم قطعة أخرى ، وللغراشين قطعة مفردة ، ولغيرهم من كل صنف من الغلمان ، وبنى القواد مواضع متعددة ، فعمرت عمارة حسنة ، تفرقت فيها السكك والأزقة ، وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران ، وسميت أسواقها ، فسمي منها سوق العيارين^(١) يجمع فيه البزازين والعطارين ،

(١) العيار الكبير المجي . والذهب ولله يقصد الكثيرين من المساومة في الشراء والبيع .

وسوق الفاميين^(١) [يجمع] فيه الجزارين والبقالين والشوائين ، وكان في دكاكين الفاميين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن ، وسوق الطباخين [يجمع] فيه الصيارقة والخبازين وأصحاب الحلواء ، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقاً حسناً عامراً فبيلاً صيناً .

فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن

قصر ابن طولون

وبنى قصره ووسعه وحسنه ، وبني فيه ميداناً حسناً يضرب فيه بالصوالجة^(٢) ، فسمي القصر كله الميدان من أجل الميدان . فكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير سُئل عن ذهابه فيقول إلى الميدان ، وعمل له أبواباً وسمي كل باب منها باسم ، فمنها باب الميدان ، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وسمي باب الصوالجة ، وباب الخاصة لا يدخل منه إلا خاصته ، و [ما] كان مما يلي المقطم سمي باب الجبل ، وباب الحرم ولا يدخل منه إلا خادم أو حرمة ، وباب سمي باسم حاجب كان يجلس عليه يقال له الدَّرمون^(٣) لأنه كان رجلاً أسود

(١) الفامي : بائع الثوم أي الثوم والخططة والحمس والخبز وبياتر الجوب التي تختبز .

(٢) الصوالجان : المحجن ج صوالجة . (٣) في رواية الدرغوث وفي أخرى الذرموث .

عظيم الخلق ، وقُلِّد النظر في جنائيات الغلمان السودان ، والرجالة خاصة ،
فسمي باب الدرمون ، وباب آخر سمي باسم حاجب كان عليه يقال
له دعناج ، وباب عمل من خشب الساج سمي باب الساج ، وباب في
الشارع الأعظم ، كان يخرج منه إلى الجامع الذي بناه فسمي باب
الصلاة ، وصوِّر عليه سبعين من جِبَس . وهذا الباب قائم بحاله إلى
اليوم ، وهو يُعرف بباب السباع أيضاً في أول سوق الدواب . وكان
الطريق الذي يعرج منه الفاصل إلى قصره طريقاً واسعاً ، ولم يكن
يكتنفه باب واحد ولا بابان ، فقطعه بجائط ، وعمل فيه ثلاثة أبواب
كأكبر ما يكون من الأبواب [وكانت] الدُّرُوب متصلة كلها واحد
إلى جانب واحد ، يفرق بين الناس الركن الذي ينصفق إليه الدرب .
فكان إذا ركب أحمد بن طولون لعيد أو لغيره يخرج عسكره
منه ، متكاثف الخروج ، على حسن ترتيب بغير زحمة ، ويخرج هو من
الباب الأوسط منها ، لا يختلط به أحد ، فتلك السكة إلى اليوم تسمى
ثلاثة أبواب . ومن هذه الأبواب واحد قائم إلى اليوم ، ودخل البابان
الآخران بعدهما في بناء الناس لما انتقضت أيامهم وخربت اتطائع .
وكانت أبواب قصره ، التي سمينا قبل هذا ، تفتح بعد عرض
الجيش أو يوم صدقة ، وسائر الأيام تفتح على ترتيب في وقت ،
وتغلق في وقت ، وكان له في قصره مجلس يشرف منه يوم العرض ،
ويوم المساكين ، فينفذ منه من يدخل إلى جنب الحارج ، فكفوا

يردون من باب الصوالة ويصدرون من باب السباع .
وبنى على باب السباع مجلساً يشرف منه ليلة العيد على القطار ، فيرى
اضطراب القلمان في تأهيبهم ، وتصرفهم في حوائجهم ، على مقدار كل
واحد منهم ، فإذا شاهد من واحد منهم يسيراً من الاختلال ، أمر له
في الوقت بما يتسع به ، ويزيد في جماله . وكان يشرف منه أيضاً على
البحر ، وعلى باب المدينة وما والاها ، وكان متزهاً حسناً .

وكان يصلي الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرطة ، فلما ضاق عنه
بنى الجامع الجديد ، بما أقام الله عليه من المال الذي وجده فوق الجبل ،
في الموضع المعروف بتنور فرعون ، ومنه بنى العين المعروفة بعين أبي ابن
خليد . وتولى بناء العين والجامع رجل نصراني حاذق بالهندسة . ونحن
نأتي بخبره إن شاء الله .

وانسعت أحواله بعد فراغه من بناء الجامع ، وكثرت اضطرباته
لكثرة كُرّاعه ، وعظم صوته ، فلما بلغ ماجور خبره خافه وهابه ،
وكتب إلى الحضرة يقول : « أما بعد فإنه قد اجتمع لأحمد بن طولون
أكثر مما كان يجتمع لأحمد بن عيسى بن شيخ ، والخوف منه أكثر ،
إذ كان فيه من الفضل ما ليس في أحمد بن شيخ » وكتب أيضاً أحمد
ابن مدبر وشقير الخادم صاحب البريد بمثل ذلك ، فكتب [الخليفة]
إلى أحمد بن طولون : « أما بعد فإننا رأينا أن نردّ إليك أمر دارنا
بالحضرة ، وتدير مملكتنا ، فإذا قرأت كتابنا هذا فاستخلف على

الوشايات باب
طولون إلى بغداد

قصر ك^(١) من أحببت ، والبلد لك وباسمك ، واشخص إلينا لما ندبناك إليه ، ورأيناك أهلاً له ، والسلام . »

إرساله الهدايا إلى
أرباب المكاة .
الحضرة

فلما قرأ أحمد بن طولون الكتاب علم بما فيه من الدهاء والذكاء ، والعقل وحزم الرأي ، أنها حيلة نُوقِعَ عليه ، فأنفذ كاتبه أحمد بن محمد الواسطي إلى الحضرة ، وحمل معه مالاً كثيراً إلى الوزير ، وكان يومئذ الحسن بن مَخْلَد ، وحمل إليه مع المال كل شيء يحسن غريب ، من دِقِّ^(٢) تَنِيَس ودمياط ، ومن الخيل والبغال وغير ذلك ما يجوز الوصف حسناً ومقداراً ، وسأله أن تشمله عنايته في أن يطلق له ولده وحرّمه ، وكتب إلى يارجوخ صاحبه بما كتب به إليه ، وعرفه ما كاتب به الوزير ، وسأله مسأله في أمره ، وحمل أيضاً إلى يارجوخ مالاً ومتاعاً ، فلما وصل كتابه إلى الوزير وماحله معه ، قال لكتابه : « لَنْ نُنزِعَ عن عمله ، ولا يقبل فيه قول ساعٍ سعى فيه » وركب إليه يارجوخ فسأله فأجابه إلى إنفاذ ولده وحرّمه ، وأقر ولده في عمله ، وركبا إلى

(١) لعلها مصر ك .

(٢) في الأصل دق وهو الكتان وإذا قرئت ديق فان ديق على ما قال القرزي في المخطط قرية من قرى دمياط تنسب إليها الثياب الثقلة والمهائم الشرب الملوثة والديقي الملم للذهب وكانت المهائم الشرب المذهبة تعمل بها ، ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقعات منسوجة بالذهب فتبلغ المهامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والنزل . وفي كنوز الفاطميين ان الثياب الدقيقية نسبة الى ديق وقد كانت في العصور الوسطى بلدة من أعمال دمياط وربما كان مرقعها الآن على مقربة من قرية ديبج الواقعة جنوبي السبلاوين واشتهرت ديق بصناعة المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب ولم يلبث اسم الألبسة الكتانية المنسوجة فيها (الديقي) أن أصبح طاماً على نوع من النسيج كان يصنع فيها وفي غيرها من البلاد كأسيوط .

أمير المؤمنين فأحسننا القول فيه، وصغرا ما كتب به ماجور وابن مدبر
وصاحب البريد، فأمر بتثبيت يده في عمله، فكتب إليه الوزير
وبار جوخ بذلك، وأطلق له حرمة وولده فحملها كاتبه إليه، ووافاه
وقد بلغ له ما يحبه .

فلما ورد كتاب الوزير بذلك عليه، سره غاية السرور، وتصدق
من وقته بصدقات جليلة كثيرة، وحمل إليه الوزير أيضاً هدايا حسناً،
ومالاً كثيراً، وكتب إليه يشكر ما كان من تطوُّله عليه، واستدعى
منه أن ينفذ إليه كتب من يكتب فيه من العمال بمصر وأهل البلد،
فلما ملك به قلب الوزير وملاً به عينه، بعثه على أن أنفذ إليه
ما استدعاه، فأنفذ إليه كتاب شقير صاحب البريد بمصر يقول له :
« إن أحمد بن طولون على التغلب على مصر والعصيان بها » ثم أنفذ إليه
كتباً من ابن مدبر بمثل ذلك .

فأحضر أحمد بن طولون شقيراً الخادم راجلاً من داره، ونقدم
بأن يتتبع^(١)، ويسكده في عدوه، من داره بمصر إلى الميدان، وكان
شقير الخادم مبدئاً مرفهاً، وقصد أحمد بن طولون، لعلمه بذلك منه،
أن يقتله التعب، فلم يصل إليه إلا وقد كادت نفسه تخرج . فلما
مثل بين يديه أمر بأن تحضر السياط والعقابان^(٢) فأحضرا وأمر بشده

إهلاك ابن
طولون لأحد
أعدائه بالحر
والجر

(١) تتبته : قتله وحركه جتف أو أكرمه في الأمر حتى قلق .

(٢) العقابان : خنثيان يشبح الرجل بينهما الجلد .

في العُقابين وغفل عنه ، فاستغاث ساعة ، وسقطت قوته ووقع ، وتبين فيه الموت فلم يُضرب ، وأمر برده إلى داره راكباً ، فلما حصل فيها مات آخر نهار يومه .

وأنفذ أحمد بن طولون إليه العدول حتى شاهدوه عرياناً وأنه مات من غير ضرب ولا سبب غير فناء أجله . فكان علم أحمد بن طولون بأن ما عمله يبلغ به ما يُحب من أمره من غير مكروه ضرب ولا غيره حسناً .

وكان ابن هلال قد تقرب من قلب أحمد بن طولون وتعبد^(١) له ، وكان له بمصر محل ونبل ، فسأله أن يكتب إلى الخضره يطلب له الخراج ، فلموضعه منه ولما في نفسه من ابن مدبر سارع إلى ذلك ، وأكدا القول فيه إلى يار جوخ وإلى الوزير ، فوردت عليه الكتب بتقليد ابن هلال عمل ابن مدبر ، فقويت يد أحمد بن طولون على الاستخفاف بابن مدبر ، والسعي فيه ، وقبض عليه وحبسه في داره ، بحال سيئة .

وولي المعتمد فردَّ الخراج ، باضطراب أخيه في أمره ببغداد ، إلى ابن مدبر ، ووردت الكتب بذلك على أحمد بن طولون ، فأطلقه وتسلم الخراج ، ولم يمكنه الإساءة لابن هلال ، لموضعه من أحمد بن طولون ، وانحرافه عنه هو ، لما في نفسه منه ، فتأمل ابن مدبر أمره ، فإذا به يخاف من أحمد بن طولون خوفاً لا يأمنه أن يأتي عليه ، فكتب إلى

حسن حيلته و
ارضاء حكومة
بغداد .

(١) تعبد فلاناً اتخذه عبداً كاعتبده ، وتعبد له : تذل .

أخيه يقول: تلتطف لي في التخلص من أحمد بن طولون والخروج عنه، فأورد أخوه عليه الكتاب بتقليده جندى فلسطين والأردن ودمشق، وقلد أبو تراب أحمد بن شجاع^(١) ابن أخت الوزير الخراج بمصر، وذلك في سنة ثمان وخمسين ومائتين.

فاستعمل أحمد بن مدرّ مع أحمد بن طولون التلطف والحيلة في الخلاص منه، ووهب له ضياعاً كان يملكها بمصر جليلة المقدار، وعقد نكاحاً بين أبي الجيش ابنه وبين ابنته فحلة^(٢)، وخرج فخرج أحمد ابن طولون معه مشيعاً له.

واستمال أحمد بن طولون معمر الجوهري، وكان له محل جليل بمصر وبيغداد، وأخذ كتبه إلى أخيه ببغداد وإلى حدرى وجباب^(٣) الجوهريين، وكانا أجل أهل سرّ من رأى، وإلى جماعة من وجوه التجار بها، بأن يدفعوا إلى خليفته بالحضرة كل ما أحب من المال، وإن احتاج إلى ضمانهم عنه في شيء يحتاج إليه من المصانعة ضمنوا وكتبوا له بذلك، ليأخذ العوض منه بمصر.

فكان خليفة أحمد بن طولون بالحضرة طيفور التركي، وكان جلدأ شهماً ثقة، فكان كلما بلغه عن واحد من القواد أنه قد طلب

حسن حيلة وكيله
في دار السلام

(١) في اس الداية: أحمد بن محمد بن اخت. (٢) في اس الداية: وبين طفلة من ولده. (٣) في الجواهر للبيروني أن من أشهر الجوهريين في الايام الروانية والعباسية ابن حباب وذكر أيضاً رجلاً اسمه عتاب الجوهري في عهد اس طولون وقبله اما حدرى فلم نهند اليه ولم نصحح اسمه.

عمل مصر وُندب لها ، لأن الموفق كان إذا تعذر عليه الرجال ، أو أكدوه^(١) ، قال : مصر خزانة السلطان وفيها أمواله فليخرج إليها أحدكم . فمن همَّ بذلك من القواد ، أخذ طيفور خليفته من التجار ما يريد من المال ، على قدر يحمل الرجل ، وركب إليه وقال له : أخوك أبو العباس أحمد بن طولون كتب إليّ يقرأ عليك السلام ، ويشكو شوقه إليك ، ووحشته منك ، ويقول لك : يا أخي وسيدي ، لبعد الطريق ، وخوف العوائق ، امتنعت أن أحمل إليك من هدايا مصر ، فتطوّل ببسط عنصري في ذلك ، واصرف هذه الدنانير فيما تحتاج إليه ولا تُخلني من مكاتبتك وأخبارك وأحوالك وحوائجك فإني أُسر بذلك . ويدفع إليه المال من ثلاثة آلاف دينار إلى ألفي دينار ، إلى ألف دينار على مقدار الرجل ، فليحق الرجل من ذلك احتشام ويمتنع من أخذه ، حتى يسأله طيفور ويخاطبه عليه بما يزيل احتشامه فيأخذه ، وقد كبر أحمد بن طولون في قلبه ، وعظم في صدره ، وملكه جميل فعله ، وإذا ذُكرت له مصر استبعد طريقها ، وثاقل عن قبول نقلها ، وإن كان هو الخاطب لها أضرب عن ذكرها . ولا يخلو أيضاً من أن يكون بينه وبين انتجار الذين قد كاتبهم معمر في أمر أحمد بن طولون معاملة فيصIRON إليه ويطالبونه بما لم عليه من المال ، ويقولون له : أنت قد عزمت على الخروج إلى مصر وهو بلد لا تُرجى

(١) أكده : الخ عليه في المسألة .

فيه سلامة من يخرج إليه ، لأن من قصده إنما يقصده مائة ألف عنان . فمن سمع هذا ولو لم يكن حصل له مال ، يَجِبُ قلبه ^(١) ويقوى امتناعه ، فكيف وقد انضاف إلى ذلك ما صار إليه ، فإذا حلف لهم أنه لا يخرج ، قيل له : جوزيت ليس تحصل إلا على فساد ما بينك وبين أحمد بن طولون ، وقتل أصحابك وذهاب مالك ، إن سلمت نفسك ، فيزداد بذلك امتناعاً ، ولما فعل في أمره خوفاً واحتشاماً ، فكانت هذه الأحوال تقوي أمره ، ويزول عنه ما يتخوفه ، لأنه علم أن بلده مذبوم مظلوم .

ولما دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين خرج رجل علوي لقب نفسه ببغا الكبير وذكر أنه أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن طباطبا ، بين برقة والاسكندرية بوضع يعرف بالدرين (?) ، ثم صار إلى صعيد مصر ، فوجه إليه أحمد بن طولون قائداً يعرف بهم بن الحسين ، فكانت بينهما وقعة قتل العلوي في معركتها ، فأخذ رأسه وانهزم أصحابه وتمزقوا .

خارج على ابن طولون بين برقة والاسكندرية

ثم خرج بعده في سنة ست وخمسين ومائتين رجل ذكر أنه ^(٢) إبراهيم ابن محمد بن يحيى بن عبد الله بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وكان يعرف بابن الصوفي أيضاً . وجاءت

(١) يتحقق (٢) في تاريخ اليعقوبي أن الوائب رجل من الطالبيين يقال له إبراهيم بن محمد من ولد عمر بن علي ويعرف بالصوفي .

خارج آخر في الصعيد

الأخبار أنه دخل إسنا^(١) فنهبا، وعاث وأفسد في نواحيها^(٢)، فوجه إليه أحمد بن طولون بقائد من قواده يعرف بابن يزداد فظفر به العلوي فقطع يده ورجله وصلبه، فبلغ ذلك أحمد بن طولون فأنفذ إليه بهم بن الحسين، فالتقيا بنواحي إخميم^(٣)، فهزم العلوي ونهب بسواده، وقتل خلقا كثيرا من رجاله وانقل أمره^(٤). وعاد بهم بن الحسين إلى أحمد ابن طولون فعرفه بما جرى من أمرهم، فخلع عليه خلعا حسنا وطوقه بطوق ثقیل من ذهب صامت، وأجاز له وقاد بين يديه خيلا حسنا، فكان بهم إذا ركب في الأعياد يركب بذلك الطوق.

ودخل ابن الصوفي^(٥) إلى نواحي الواحات^(٦) وأقام مدة، ثم ظهر

- (١) اسنى بالكسر وفتح: بلد بصعيد مصر ورسونها بهذا هكذا « اسنا » وهي اليوم من عمل مديرية قنا - (٢) ذكر المؤرخون أنه ظهر في سنة ٢٧٠ علوي اسمه أحمد بن عبد الله بن ابراهيم بصعيد مصر فقتله اس طولون على باب أسوان وحمل رأسه إلى الممتد.
- (٣) إخميم: بلد بالصعيد على شاطئ النيل وهو اليوم مركز من المراكز في مديرية جرجا قال البكري وهو الموضع الذي فيه البحراي بصعيد مصر - (٤) فله وظله تله فقتل وانقل واقتل.
- (٥) قال اليعقوبي: في هذه السنة (٢٥٧) أخرج أحمد بن طولون الطالبين من مصر إلى المدينة ووجه معهم من بنفهم، وكان خروجهم في جمادى الآخرة وتخلف رجل من ولد النباس اس علي وأراد أن يتوجه إلى المغرب فأخذه أحمد بن طولون وضربه مائة وخمسين سوطا واطافه بالنسقاط وكتب الينا العلامة كرنكو يقول ان زمان احمد بن طولون كان عهد افراط دعاة الشيعة في أكثر أقطار الاسلام وكانت في مصر نفسها ثورات عدة وأهم من ذلك أنه كان وراء هذا كله ثورة الزنادقة المانوية على الاسلام وكانوا يسترون تصدعهم بالدعاة لآل بيت النبي (عليه الصلاة والسلام) وترى أن أبا أحمد بن طولون وأريد موسى بن طولون وكان بطرسوس لما غضب عليه أحمد أمر بلبس البياض وهو اعلان ميله إلى الشيعة (ولاية مصر للكسندى ص ١٦٢ من ٢٧)
- (٦) الواحات: وأحداه واح قال ياقوت: تطلقها قبطية وهي ثلاث كور في غربي مصر ثم غربي الصعيد والواحات الأولى مقابل القيوم تمتد إلى أسوان وهي أكبر الواحات وراية كورة أخرى يقال لها واح الثاني وخلقها بيل تمتد كامتداد الذي قبله وراية كورة أخرى يقال لها واح الثالثة وهي دون الأولى في المهارة ومدينة الواحات الثالثة يقال لها بشتية وهي غربي مصر.

في نواحي الأشمونين^(١) ، فأنفذ إليه قائداً يعرف بابن أبي المغيث^(٢) ، فوجده قد صاعد إلى الصعيد ، لقتال رجل ظهر بالصعيد ، زعم أنه عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله يكتنّى أبا عبد الرحمن^(٣)

تسمى آخر في بلاد
البجة

وكان السبب في خروجه أن البجة^(٤) أقبلت في يوم عيد بقدمهم رجل أعور مارد ، كلهم ركبان على النجيب ، حتى كبسوا الناس في مصلاتهم ، وقتلوا فيهم ونهبوا ورجعوا من حيث جاءوا سالمين ، وكان لهم قبل ذلك مقدمات كذلك ، فخرج هذا العمري غضباً لله عز وجل وللسلمين ، فكن لهم في طريقهم حتى أقبلوا كعادتهم فكبسهم ، وقتل رئيسهم الأعور ومن معه ، ولهذا السبب كانت الطولونية وغيرهم من الأمراء وإلى اليوم يوقعون من سفح الجبل مما يلي الموضع المعروف بالحيش جيشاً كثيفاً ، مراعيًا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل عيد .

(١) يقول ياقوت : أشمون واهل مصر يقولون الأشمونين من بلاد الصعيد مدينة قديمة أزيلت وهي اليوم حامية ومن عمل أسيوط . (٢) في رواية : التيث بدل التيث .
(٣) ورد اسمه في البخاري هكذا : عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وفي خطط القرظي هكذا : أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد السري .

(٤) يقول القرظي في المخطط أن أول بلد البجة من قرية ترف بالحيرة (لها الحيرة) بمدن الزرد في صحراء قوس ومن هذا الموضع ومن قوس نحو من ثلاث مراحل وآخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة ومن في بلد هذه الجزيرة تسمى جزيرة مصر إلى سيف البحر المالح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودعك ومن بادية (وقد قل فضلاً عنها في تاريخهم طبعاً) .

ثم دخل هذا العمري إلى بلاد البجة فقتل فيهم مقتلة عظيمة ، وضيق عليهم بلادهم ، وصار شجياً في حلوقهم ، حتى أدوا إليه الجزية استكفافاً له ، وما أدوها لأحد قبله ، فكان لا يعرض لأحد من الناس بأذية لا ذمي ولا ملي ، وكان مسالماً للنوبة ، للعهد الذي لهم حتى بداله الثوبى الأول الذي بالموضع المعروف بمريس^(١) فعطف عليه العمري ، وأحلاه عن دياره ، وحرّق مدائنه ، وسبى منهم سبياً كثيراً ، حتى إنه كان الرجل من أصحابه يشتري الحاجة من البياح أو من البقال . بنوئياً أو بنوية ، لكثرتهم كانوا في أيدي أصحابه .

فلما التقى هو والعلوي كنت بينهما وقعة انهزم فيها العلوي ، وصار إلى ناحية أسوان^(٢) ، فعاث بها وأفسد ، وكتب بخبره إلى أحمد بن طولون فكتب إلى بهم بن الحسين يأمره بأن يصاعده في طلبه حيث قصد . فلما اتصل الخبر بالعلوي مضى هارباً إلى عيذاب^(٣) وركب البحر إلى مكة وتفرق عنه أصحابه ، فلما حصل بمكة بلغ خبره صاحب مكة فقبض عليه وحبسه عنده ، ثم حمّله إلى أحمد بن طولون ،

(١) كذا ولها المرسى جزيرة في بلاد النوبة كبيرة كما في معجم البلدان وسميت قرية بصر وولاية من ناحية الصعيد ينسب إليها بشر بن غياث المريبى اللامة المعتزلي المشهور

(٢) أسوان بالضم : بلد صعيد مصر وعمله اليوم واسع وهو آخر ولايات مصر من الصعيد ومديرياتها .

(٣) في معجم البلدان أنها بلدة على شفة بحر القلزم أي الأحمر وهي مرسى المراكب التي تسمى من عدن إلى الصعيد . كانت ملتقى الحاج ودبرت في القرن العاشر وهي على البحر الأحمر جنوبي رأس أبو فاطمة على خط عرض ٢٢ درجة و ٣٠ دقيقة يقابلها من الغرب على النيل قرية أبو سنبل من مركز الدر الواقعة شمال بلدة حلفا على بعد ٦٦ كيلو متراً (من تعليقات التجرم الزاهرة)

فلما وصل إلى مصر طيف به وشهر للناس على جمل ، واعتقله عنده مدة ،
ثم أظهر توبة ، فأطلقه وأحسن إليه ، وخرج إلى المدينة ومات فيها .
ولما وقف أحمد بن طولون على خبر العمري ، وشدة شوكته على
البيعة وغيرهم ، خاف من سوء العاقبة في أمره إن أغفله فأنفذ جيشاً
عليه قائد من قواده يعرف بشعبة بن خركام البابكي ، فلما قرب منه
خرج إليه العمري وقال لأصحابه : لا تعجلوا فإن هذا رجل أعجبي ،
وأنا أخاطبه بنفسي وأنظر ما عنده .

فخرج من عسكره ، وقال لمن قرب من عسكر شعبة : إني
أريد أخاطب الأمير قبل وقوع الحرب بيننا ، فعرف شعبة ذلك
فخرج إليه ، فلما قرب منه خرج إليه العمري بحيث يسمع بعضهم
كلام بعض ، فقال له العمري : إن الأمير أحمد بن طولون لم يبلغه
خبري على حقيقته ، وقد موّه عليه في أمري ، إني لم أخرج أبغي
فساداً ، ويدلك على ذلك أنني لم أؤذ مسلماً [ولا] معاهداً ، وإنما
خرجت في طلب أعداء المسلمين حتى كفانا الله أمرهم ، فأكف
يدك عن القتال حتى أكتب إلى الأمير ، أعزه الله ، وأكشف له
خبري ، وتكتب أنت أيضاً ، فإن قبل عذري ولم تثقل عليه وطأتي
وأمن جانبي ، كتب إليك بالكف والانصراف عني ، فانصرفت
معدوراً مشكوراً ، وإن أملك غير ذلك امتثلت أمره غير ملوم ، فقال
له شعبة : لست أنا فيجاً^(١) لك أحمل كتابك ، ما بيني وبينك إلا

(١) الليج : الحارس أو رسول السلطان الذي يمد يده والجمع فيوج

السيف . فقال له العمري : ما أنت بحمد الله شعبة الرجال ، بل أنت بلعبة النساء أشبه ، وما هذا الفعل السيئ والخلق القبيح إلا لمن هو كذلك . ورجع إلى أصحابه وقال : هذا رجل جاهل أحق فدونكم ، فعطفوا به وحملوا عليه ، فانهزم أقبح هزيمة ، وعاد [شعبة] إلى أحمد بن طولون فعرفه ما كان فقال : أخطأت وأسأت ، كنت قد أهملته ، وكتبت إلينا بخبره على صحته ، لنرى فيه رأينا ، لكنك بغيت عليه فنصر عليك وأهمل أحمد بن طولون أمره مدة ، فلما كان بعد شهور يسيرة وافى إلى أحمد بن طولون غلامان ^(١) زعما أنهما من غلمان العمري وأنهما أتياه برأسه ، فأستحضرهما الرأس فأحضراه ، فدعا بجماعة من أهل الصعيد ممن يعرف العمري فأراهم الرأس ، فعرفوه وشهدوا أنه رأس العمري لا يشكون فيه ، فقال للغلامين : كان صاحبكما مسيئاً إليكما ؟ قالا : لا ، قال : فكان يمنعكما رزقكما ؟ قالا : لا ، قال : فركب بحضرتكما إثماً استحلتما به قتله ؟ قالا لا . قال : فلم قتلتما ؟ قالا : لأننا أردنا بذلك الخطوة عند الأمير والقرب منه ، فقال : ذاك والله أبعد لكما مني ومن الله عز وجل ، وأمر بضرب عنقهما فضربت وصلبت جثثاهما ، وأمر برأس العمري فغسل وكفن وطُيب ودفن .

ثم ورد عليه الخبر بخروج رجل في الصعيد أيضاً يكنى أبا روح واسمه سكن من بوادي بحيرة الاسكندرية ذكر له أنه من بقايا

خارجي في
الصعيد

(١) في المكافأة : صار إليه جماعة منهم ياربون الشر

أصحاب ابن الصوفي، والتفت به طائفة كبيرة، فقطع الطريق وأخاف السيل، فوجه إليه قائداً من قواده يعرف يلبق الطرسوسي، وكان جل أصحابه طرسوسيين. وكان أبو روث هذا غلاماً عياراً قد ربي بالريف، وعرف طرقاتها والحرب فيها، فلما اجتمعوا للقتال أوقف أصحابه في أرض كثيرة الشقوق، حصيدة قح، قد بقي من تبته ما يستر شقوقه، وأهل الريف قد ألقوا المشي في هذه الأماكن، ولا عهد لأهل طرسوس بها، فلما التقوا تطارد أصحاب أبي روح لهم، وطلبهم خيل يلبق وفرسانه، فوقع حوافر الخيل في تلك الشقوق فكبت بفرسانها، وسقط بعضهم على بعض، فتراجع أصحاب أبي روح عليهم فقتل كل من سقط، وانهمزم من سلم أقبح هزيمة، فعاد يلبق إلى مصر، فكان الذي لقي هو وأصحابه من غوغاء البلد وعطعتهم^(١) أعظم مما لقوه من الهزيمة وأهمل أحمد بن طولون أمره هنيئة إلى أن وافاه خبره من نواحي الفيوم، فأنفذ إليه قائداً من قواده يعرف بابن جيفويه، وأمره أن يأخذ على طريق الواحات من ناحية الصحراء، ليملك عليه فم البرية من هناك ففعل. ثم أمر شعبة بن خركام بالخروج إليه فخرج - وظن أصحاب أبي روح أن هذا كالأول فلم يهربوا منهم، وصاقوه^(٢) بالابليز^(٣) الكثير الشقوق، فأقبل أصحاب شعبة ينادون: خذوا

(١) الطلطة: حكاية صوت الهجان إذا قالوا عيط عيط وذلك إذا غلبوا قوماً

(٢) صاف القوم القوم في القتال مصافة: وقفوا مصطفين

(٣) الابليز وطن الابليز طين مصر وهو ما يقبه النيل بعد ذهابه من وجه الأرض

حذر كم من الشقوق فحذروها وهم عليها ، وأخذوا عليهم نواحي طرقهم ،
فلما علموا أنهم قد فطنوا لهم ، وأن مكيدتهم قد بطلت ولوا منهزمين ،
فلم يذهب منهم أحد إلا أخذه الذئب فقتل منهم خلق ، ومن استسلم
أسر ، وانهمز أبو روح ووئلى يريد طريق الواح ، ولا ملجأ له غيره .
فلما أشرف على ابن جيغويه ، ورآه قد ملك فم البرية والطريق ، وقف
وراسله في الأمان ، فظن ابن جيغويه أن شعبة لم يلقه ، وأنه وافاه
قاصداً يطلب الأمان راغباً فيه ، فأمنه

ولما بلغ أحمد بن طولون ذلك اغتاز على ابن جيغويه غيظاً عظيماً ،
ومنعه من الرجوع إلى البلد ، وألزمه سكنى الريف شهوراً كثيرة ،
عقوبة له على إعطائه الأمان ، وكان قد تم له هلاك العدو بأخذه الطريق .
وبعث شعبة بالأسارى وفيهم رجل مخزومي ، وكان فيما زعموا
سيء المقدرة ردي الظفر ، فضربه أحمد بن طولون بالسوط ، وحمله على
جل ، فمات في الطريق ، فكث زماناً مطروحاً على رأس الجسر . وكان
فيهم رجل يهودي منجم ، فقال له أحمد بن طولون : أرايت هذا في
نجومك ^(١) ؟ فقال : نعم قد رأيت ، ونصحت له فلم يقبل نصيحتي ،

(١) قال السيوطي في حسن المحاضرة : وفي أيام أحمد بن طولون تساقطت النجوم فراه ذلك
فسأل العلماء والنجمين عن ذلك فما اجابوا بشي ، فدخل عليه الجمل الشاعر وهم في الحديث فأنشد في الحال

قالوا تساقطت النجوم	م لحادث فظير عسير
فأجبت عند مقالهم	بجواب محنتك خير
هذي النجوم السافلا	ت نجوم أعداء الأُمير

فتناول ابن طولون بذلك ووصله .

فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وُصِّلَ حياً ، مقابلًا للمخزومي حتى مات

هياج أهل بركة

ثم هاج بعد أبي روح أهل بركة، ووثبوا بأمرهم محمد بن فروخ^(١) الفرغاني، وأخرجوه عن البلد، فأنفذ إليهم أحمد بن طولون أبا الأسود الغطريف ويزبك الفرغاني، وكان من حجابيه، وهو صاحب الرحبة المجاورة لدور الماذرائيين المسماة به، في جيش عظيم، وبعث إليهم أيضاً مراكب مشحونة رجالاً وسلاحاً وبمجنيق، وأتبعهم بجيش آخر عليه لؤلؤ غلامه. فلما فصل لؤلؤ أتبعه أيضاً جيشاً آخر عليه شعبة بن خركام، وأمر رئيس كل جيش منهم بالتوقف والتساند وبذل السلامة والأمان، إن قبل، وتقديم المائدة وترك العجلة، فإن أجابوه وإلا السيف.

ولبرقة حصن منيع، فترك الغطريف يربك على أحد أبوابه، وترك لؤلؤ أعلى باب آخر، واستعملوا الرفق كما أمروا، فأمنوا بذلك، وأطعمهم^(٢) اللين، ففتحو الباب الذي عليه الغطريف ليلاً وأوقعوا بعسكره. فلما وقعت الصيحة تسرع الغطريف، وقائد معه يعرف بدعباش وابن لفروخ يعرف بإسرائيل، فقتلوا جميعاً في المعركة، وأصبح عسكر أبي الأسود بلا رئيس، فانضم أهله إلى عسكر لؤلؤ، فكان تسرع الغطريف تسرع باسل لزمه فرض وطمع في

(١) في رواية: فرج بدل فروخ

(٢) اطعم أهل الحصن

الظفر وعجل ، ولو تثبت وكان في أجله تأخير لم يقتل . كما روي عن هشام بن عبد الملك أنه قال لأخيه مسلمة : أذهلك دعر قط لحرب أو عدو ؟ فقال : ما سلمت في ذلك من دعر بيته على حيلة نكون معها السلامة ، وما غشيني قط فيهما دعر سلبي رأيت . فقال له هشام : هذه المقالة

وروي أن عمر بن الخطاب أمر الأحنف بن قيس على جيش وجه به نحو خراسان ، فلما قربوا منهم فرقوا جيشهم ثلاث فرق ، وأقبلوا تدلهم طبولهم على السبيل ، ففزع الناس ، فأول من ركب الأحنف فخرج وهو يقول :

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَئِيسٍ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا
وحمل على صاحب الطبل قتلته ، فلما فقد أصحابه ضرب الطبل ولّوا منهزمين ، وفعل في الفريقين كفعله في الأول ، فتكامل ركوب الناس ، وقد فرغ لهم الأحنف مما أرادوا فتبعوهم ، فكانوا بين قتلى وأسرى .

وأراد الغطريف أن يصنع هكذا ، فخانه المقدار ، ولكل ميتة سبب . فقال أصحاب الغطريف : ما ننتظر ؟ إن لم نناهضهم وإلا عملوا كل ليلة مثل هذا .

فكتب لؤلؤ إلى مولاه بجملة الخبر ، وما يعمل وما فعلوه ، فكتب إليه يأمرهم بقتالهم ويقول : قد أحسنتم في توقفكم ، وأنتم الآن

تُصرون بمشيئة الله وعونه ، فباكرهم لؤلؤ طالباً لثأر صاحبه كما
قال الشاعر :

إذا ما وُترنا^(١) لم نَمَّ عن تراتنا^(٢) ولم نك أوغالا^(٣) نقيم البواكيا
ولكننا نَزَّجِي الجياد شوآزبا^(٤) فنري بها نحو الترات المراميا
وعباً عسكره ، ونصب منجنيقاته ، وزحف إلى الحصن ، فلما جدَّ
بهم القتال وأخذتهم الحجارة والنشاب ، صاح بعضهم : طلب الأمان ،
وفتحوا له الباب ، ودخلوا عليهم ، وقبضوا على جماعة من رؤسائهم
فضربهم بالسوط ، وقطع أبدي جماعة منهم ، وصلب منهم طائفة ،
وكتب إلى مولاه بالفتح .

ووصل شعبة إلى لؤلؤ بعد الفتح ، فاستخلفه لؤلؤ على البلد ، ودخل
إلى القسطنطينية ، وحمل معه جماعة من الأسرى ليرى مولاه فيهم رأيهم ،
فلما وصل إلى الجيزة بعث إليه مولاه بالخلع وبطوقين حسنين ثقيلين ،
فلبس الخلع والطوقين ، وحمل الأسرى بين يديه ، وطاف بهم البلد ،
فسكنت رهبة أحمد بن طولون في صدور الناس ، حتى كان
يُفرِّع الصبيان [و] الأطفال .

ومن إقباله أن المعتمد لما أنفذ أبا أيوب على الخراج ، وكتب
إلى أحمد بن طولون في استحثائه على حمل الأموال ، وإدراار الحمل

تقليد ابن طولون
الخراج والمعونة
بمصر والقفور

(١) وزت الرجل : نلت حيه فأفردته منه وطلب وتره وزرته وهو طلاب الأوتار والترات
(٢) الوغل : الضميف النذل الساطع المقصر في الأشياء . (٣) نزجي : نسوق . الشواذب : الضوامر .

إليه ، أجاب المعتمد يقول : إنه لا يستتر ما أحمله من الأموال عن الأولياء ، ولا يخفى عن الموالي والمطالبين به ، وفيه تأخير كبير من أرزاقهم ، ولا ينهياً أيضاً إدارار الحمل والمتابعة به والخراج إلى غيرهم .
فأنفذ المعتمد نفيساً الخادم إليه ، بتقليده الخراج مع المعونة بمصر والثغور الشامية ، ووجه مع نفيس بصالح بن أحمد [بن حنبل] ^(١) ، وكان على قضاء الثغور ، وبمحمد بن محمد الجذوعي ^(٢) ، وكان على قضاء واسط ، على أن يحمل ماجرى الرسم بحمله من المال والطرارز ^(٣) وغير ذلك .

فأخرج أحمد بن طولون شيوخ مصر ووجهها إلى العراق ، يشكرون سيرته فيهم ، وضبطه لبلدهم ، وأنفذ معهم أصحاب أخبار من حيث لا يعلمون بهم ، يحصون عليهم ما يكون من واحد واحد ، وينهونه إليه عند عودتهم ، فعادوا ولم يعرف سي منيهم ، فشكر لهم ذلك وأحسن برهم ، وزادت محبته لهم .

وأقر أحمد بن طولون أبا أيوب على الخراج من قبله ، وجعل عبد الله بن دشومة أميناً عليه ، وجعل نعيماً المعروف بأبي الذؤيب عينا عليها ، وقلد الأملأك لسليمان بن ثابت المعروف بأبي ريشة ، وكان عبد الله بن دشومة منهم ، واسع الحيلة ، بخيل الكف ، لم يكن يعيبه

(١) ترجمته في طبقات الحنابلة لاس القراء (٢) ترجمته في الوافي بالوفيات للصفيدي .

(٣) الطراز بكسر الطاء : الثياب الجيدة .

تدبيره الخراج
واسقاطه المعاون

مدح وفد مصر
لابن طولون

غير بخلة وزهده في شكر الشاكرين ، ويرى بجهله وما حرمه الله عز وجل من اصطناع الجميل ، أن الثناء حيلة من حيل القاصد على المقصود ، ولا يش إلى شيء من أعمال البر ، ففقتة الناس على ذلك و كثرة به الدعاء عليه ، وكان فيه مع هذا الشر سعاية .

وكان أحمد بن طولون رقيباً على نفسه يتصدق في أثر الإساءة ، إذا جرت منه إلى إنسان ، بالصدقات الجزيلة ، ويتضرع إلى الله جل اسمه في تمحيص ما جناه ، فكان بذلك يوقى ويكفى وينصر ^(١) .

ولما ورد عليه كتاب المعتمد ، بما استدعاه من ردّ الخراج بمصر إليه ، وزاده المعتمد مع ما طلب خراج الثغور الشامية ، رغب بنفسه عن أدناس معاون ومراقمها ، فرفضها وأمر بتركها ، وكتب بإسقاطها في سائر الأعمال ، ومنع المتقبلين ^(٢) من الفسخ على المزارعين ، وحظر الارتفاق ^(٣) على العمال .

وكان قبل إسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دشومة في ذلك ، فقال له : إن أمتني الأمير تكلمت بما عندي . فقال له : قد أمتك الله عز وجل مني قتل ، فقال : أيها الأمير إن الدنيا والآخرة ضرّتان ، فالخازم من لم يخلط إحداهما مع الأخرى ، والمفترط من خلط بينهما ،

(١) روى ابن تفردي في النجوم الزاهرة أن جميع خصال ابن طولون كانت عمودة ، إلا أنه كان حاد الخلق والمزاج . فانه لما ولي مصر والتمام ظلم كثيراً وعسف ، وسفك كثيراً من الدماء . يقال انه مات في حبسه ثمانية عشر ألفاً . (٢) قبل العامل العمل قتيلاً : الزمه بمقد (٣) الارتفاق والاكتمال

فيتلف أعماله ويبطل سعيه . وأفعال الأمير أيده الله أفعال الخيرة ،
وتوكله توكل الزهاد ، وليس مثله ركب خُطة لم يُحكمها ، ولو
كنا نشق بالنصر دائماً طول العمر ، لما كان شيء آثر عندنا من التضيق
على أنفسنا في العاجل بعمارة الآجل ، ولكن الإنسان قصير العمر ،
كثير المصائب ، مدفوع إلى الآفات ^(١) فتترك الإنسان ما قد
أمكنه وحصل في يده تضييع . ولعل الذي حماه نفسه يكون
سعادة لمن يأتي بعده ، فيفوز ذلك بما قد حرمه هو .

ويجتمع للأمير أيده الله مما قد عزم على إسقاطه من المرافق في السنة
بمصر دون غيرها مائة ألف دينار ، وإن فسخ ضياع الأمراء والمتقبلين
في هذه السنة ، لأنها سنة ظلم توجب الفسخ ، وألزمت القصة ^(٢) الاثنين
زاد مال البلد وتوفر توفراً عظيماً يضاف إلى مال المرافق ، فضبط به
الأمير أيده الله أمر دنياه ، وهذه طريقة خدمة الدنيا ، وإحكام أمور
الرياسة والسياسة فيها ، وكل ما عدل إليه الأمير أيده الله من غير هذا
فهو مفسد لدنياه ، وهذا رأيي والأمير أيده الله أعلى عينا وما يراه ^(٣) .
فقال له : تنظر في هذا إن شاء الله ، وشغل قلبه كلامه ، فبات في
تلك الليلة بعد أن مضى أكثر الليل يفكر في كلام ابن دشومة ،
فرأى في منامه رجلاً من إخوانه الزهاد بطرسوس ، وهو يقول له :
ليس ما أشار به عليك من استشرته في أمر الارتفاق والفسخ برأي

(١) في ابن الداية : سري بأغلظ الآفات . (٢) قصة الملكة : حاضرتها الكبرى

(٣) في ابن الداية : على وأي فيما يراه وفي القرزي : على ما ههنا يراه

تحمّد عاقبته فلا تقبله ، ومن ترك شيئاً لله عز وجل عوضه الله عنه ،
فأمض ما كنت عزمته عليه .

ولما أصبح ابن طولون أنفذ الكتب إلى الأعمال بذلك ، وتقدم
به في سائر الدواوين ، وأمضاه ودعا بابن دشومة فعرفه ذلك فقال له :
قد أشار عليك رجلان أحدهما في اليقظة ، والآخر ميت في النوم ،
وأنت للحَيِّ [أوجد] ، وبضمانه أوثق ، فقال : دعنا من هذا فلست
أقبل منك ، وركب في غد ذلك اليوم إلى الصيد .

عُثِرَ ابن طولون
على كثر

فلما أمعن في الصحراء ساخت في الأرض يد فرس بعض غلمانها ،
وهو رمل ، فسقط الغلام ، لنزول يد الفرس كلها في الرمل ، فوقف
عليه أحمد بن طولون وأخرجت يد الفرس ، فنظر فإذا بفتق
ففتح ، وأصاب فيه من المال ، [ما] كان مقداره ألف ألف دينار ، وهو
المطلب " الذي شاع خبره ، وكتب به إلى العراق ، وكتب أحمد
ابن طولون بخبره إلى المعتمد ، يستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر
أو غيرها مما يأمره به . فكتب إليه المعتمد يأمره بأن يصرفه في وجوه
البر ، فبنى منه بیمارستان . ثم أصاب بعده في الجبل مالاً عظيماً فبنى
منه الجامع ، وأوقف جميع ما بقي من المال في الصدقات ، فكانت
صدقاته ومعروفه لا تحصى كثرة ، بنية قوية ، وشهوة شديدة .

(١) في خطط القرطبي : الكثر بدل المطلب .

ولما انصرف أحمد بن طولون من الصحراء وحمل المال أحضر ابن دثومة وأراه المال وقال له : بش الصاحب والمستشار أنت ، هذا أول بركة مشورة المبت في النوم ، ولولا أنني أمتك لضربت عنقك .
وتغير عليه أحمد بن طولون وسقط محله عنده ، ورُفِعَ إليه بعد ذلك أنه قد أجحف بالناس ، وألزمهم أشياء ضجُّوا منها ، فقبض عليه وأخذ ماله وحبسه فمات في حبسه .

انقسام الدولة
العباسية شطرين

ومن أفعاله خبره مع موسى بن بُغا ، وذلك أنه لما زاد أمر صاحب البصرة واستفحل ، وكان ابتداءً خروجه في سنة أربع وخمسين ومائتين ، أنفذ المعتمد رسولا في حمل أخيه المسمى بالموفق من مكة إليه ، وكان المهتدي قد نفاه إليها ، فلما وصل إليه عقد العهد بعده لابنه المقوِّض وله من بعده ، ولقبه بالموفق ، وقسم المملكة بينه وبين ابنه المقوِّض ، كما فعل الرشيد في أمر ابنه ، فجعل غرب المملكة لابنه المقوِّض ، وشرقها لأخيه الموفق . وكتب بينهما بذلك كتاباً ارتهن فيه أيمانهما بالوفاء ، بما وقعت عليه الشروط على كل واحد منهما وله ، وضمن ذلك العهد الثابت في الشرط كل ما يخاف من مثله في العاقبة .
والمعتمد ما يعلم [ما] في طوبى الموفق ولا في سره ، وكان يحسد أخاه على الخلافة فلا يراه أهلاً لها ، ويطعن عليه ، وينقص من أمره جداً .

ولما جعل العهد لابنه ، ولقبه المفوض ، وجعله هو بعده ، اشتد ذلك عليه ^(١) ، وقوي بغضه لابنه ، وزاد حقه على أخيه المعتمد ، واعتقد فيه ، متى ظفر بالأمر ، التشفي منه ، وبلوغ كل مكروه به ، وكان ، لعمرى ، المعتمد بالله منحلّ الأمر جدّاً ، لأنه كان رجلاً متشاعلاً بملاذ نفسه ، وطية عيشه بالصيد واللعب ، والتفرد مع الجوّاري ، فكانت الأمور ضائعة ، والتدبير فاسداً ، وكل متقلد لعمل قد فاز بما يتقلده ، ففعل كفعلة [الرشيد] بابنيه المأمون ومحمد بن زُبَيْدَة ، احتياطاً وإشفاقاً عليهما ، ولم يعلم أن ذلك كان منه لثقتة بابنيه على نفسه وحاله ، فقدّر ذلك في أخيه وولده ، ولم يعلم ما في ضميره له ، وأنه يخرج عن طاعته ، ولا يشكر جميله عنده .

ضعف الخليفة
وتشاغله بملذاته

وإنما وقع الخلاف بين محمد بن زُبَيْدَة وبين المأمون لنقص محمد عن محل المأمون في نفسه وشجاعته وفضله في كل فن من سائر العلوم .

استطرد في فضل
المأمون على
الأمين

ولقد عاتبت زُبَيْدَة الرشيد على تفضيله المأمون على ابنها فقال لها : الساعة أبين لك فضل كل واحد ، فوجه إلى ابنها ، وقد مضى من الليل وقت ، يدعو إليه ، فوافاه وعليه ثياب المنادمة مبخرًا مطيبًا فقال له : اشتقت إلى رؤيتك فسقاه يده قدحاً ، ووهب له من جوهر كان بين يديه جوهرة واحدة حسنة وصرفه . ووجه إلى المأمون يدعو فابطأ ، ثم سمع بعد ذلك للدار ضجة عظيمة ، وجلبة هائلة ، ثم

دخل إليه وعليه صدرة السلاح يجوشه وخوذته^(١) وآلة الحرب ،
وعرف الرشيد بأن الجيش قيام له في السلاح فقال له : ما هذا ؟ فقال :
خفت أن يكون قد حدث حادث احتاج أمير المؤمنين إلى إنفاذي
فيه فجئت مستعداً فقال له : بارك الله عليك ، إنما اشتقت إليك
انصرف مصاحباً ، ووهب له جميع الجوهر . وقال لها : كيف رأيت ؟
فأمسكت عن المأمون .

وكان في الشرط الذي كتبه المعتمد بين الموفق وابنه أنه ما حدث
في عمل كل واحد منها من حدث ، كانت النفقة عليه من مال خراج
قسمه ، واستخلف المفوض على قسمه موسى بن بغا ، فاستكتب موسى
عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وانفرد الموفق بقسمه ، وتقدم إلى كل
واحد منها ألا ينظر في عمل صاحبه ، وخلد كتاب الشرط للكعبة ،
وأفرد الموفق لمحاربة العلوي البصري ، وأخرجه إليه وقواه ، وضم
إليه الجيوش ، فلما كبر عليهم أمر العلوي البصري ، وطالت محاربته ،
انقطعت مواد خراج الشرق عن أبي أحمد الموفق ، وتقاعد الناس عن
حمل المال الذي كان يحمل ، واحتجوا في ذلك بأشياء ، منها خروج
العلوي وما لحقهم منه ، وأخذ من أموالهم ، ومنها خوفهم من أن يؤخذ
ما يحملونه في الطريق ، لكثرة أصحاب العلوي وانتشارهم في الطرق ،
ومنهم من يتربص بالحمل لينظر كيف تكون الأمور ، وإن يصح الأمر .
فدعت أبا أحمد الموفق الضرورة إلى أن كتب إلى أحمد بن طولون

ارتباك الموفق
وإضافته

(١) الجوشن : الصدر والدرع ، والخوذة : القتر .

في حمل ما يستعين به على أمره ، وليثبت من صدق عمله ، إلا أنه شكاً في كتابه شدة حاجته إلى المال لما هو بسبيله ، وأنفذ إليه لحل المال نحريراً خادماً المتوكل ، وورد في عقب الكتاب إليه كتاب من المعتمد ، يأمره بحمل المال إليه على رسمه ، مع ما جرى الرسم بحمله مع المال في كل سنة من الطراز والرقيق والخيل والشمع والخيش وغير ذلك .

وكتب إليه [المعتمد] سرّاً أن الموفق إنما أنفذ نحريراً الخادماً إليك عيناً عليك ، ومستقصياً على أخبارك ، وأراه أنه قد كاتب بعض أصحابك فاحترس منه ، واحمل المال إلينا معه ، لئلا تقوى يد الموفق به ، وعجل إنفاذه من حضرتك .

رسول الموفق إلى
ابن طولون
وتحذير المعتمد له

ولما وافى نحرير أنزله أحمد بن طولون في دار معه في الميدان ، ومنعه من الركوب إلى موضع من المواضع ، ولم يمكنه الخروج من الدار التي أنزله فيها ، إلى أن أخرجه من البلد ، وتلطف في الكتب التي كانت معه فأخذها ، وحمل معه ألف ألف ومائتي ألف دينار^(١) ،

(١) في العقد الفريد لابن طلحة الوزير : وكان ابن طولون من محبته للعدل وإقامته وتأنيده الحق وسلوك طريقته ، ميل إلى كل من كان ذلك من صفته ، ويقرب إليه من علم التحقيق من خليقته ، حتى أنه في بعض الأيام أراد أن يحمل ما اجتمع من المال إلى حفرة الخليفة فأحضر القاضي ومعه العدول بحيث يشهدون على القاضي ، فكتب الشهود خطوطهم ، وقد عاينوا المال ، وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار ، ظمأ بلغ الكتاب إلى سليم وهو بعض الشهود القاء إلى الخادم من يده وقال : أيها الأمير لست أشهد حتى يوزن المال بحضرتي ، فضاظه ذلك منه ، لتأخر الانفاذ ، ثم قال للوزانين : زنوه ، فلما فرغوا من وزنه قالوا : أشهد قال : بقي لي النقد فدعا بالناد فقده ، وسليم جالس معهم حتى فرغ وختت الأكياس ، وتسلمها حاملها ، فكتب شهادته وانصرف . فقال ابن طولون : مثل هذا ينبغي أن يتد عليه ويمال إليه فان من لا دين له لا أمانة له ، ومن لا أمانة فيه جدير بالاجاد ، وألا يول شيئاً من أمور المسلمين . وكانت هذه الحالة سبباً لتفريه سليم واعتماد عليه وتحويل أمور إليه .

وحمل جميع ما جرى الرسم بحمله ، وخرج بنفسه ، وأخرج معه
العدول ، حتى شيعه إلى العريش ، ووجه إلى صاحب ماجور بالعريش
فأحضره وسلمه والمال إليه ، وأشهد عليه بذلك العدول ، وعاد إلى
مصر ينظر في الكتب ، فإذا هي إلى جماعة من قواده ، يضربهم
عليه ، ويستميل قلوبهم إليه ، لما كان في نفسه عليه من قوة موالاته
للمعتمد ، وصحة طاعته له .

وكانت قد قويت شوكة الموفق بن ضمه إليه المعتمد من الجيوش
والعدة لناواة العلوي البصري^(١) . فمن كان كتابه إليه جواباً
عن كتابه كان إليه بدر الحميري ، وهو صاحب القيسارية الوفائية التي
تعرف بقيسارية بدر ، وإليه كانت ضياع أبي أحمد بن المتوكل والطراز
والخيم وصناعتها ، وكان من وجوه غلمانه و كبارهم ، فضربه بالسوط
حتى مات . ومنهم أحمد بن عيسى الصفدي ، وكان من أجلاء أصحابه ،
فضربه أيضاً بالسوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وطاف به البلد ، وحبسه
في المطبق ، وكان إحسانه إليه وعليه فما شكر ذلك وكفره .

كتاب أحمد ،
طولون إلى المو
يهدده ويتوعا

ولما وصل المال كتب أبو أحمد الموفق إلى أحمد بن طولون
كتاباً يستصغر فيه المال ، ويقول : إن الحساب يوجب أضعافه ،

(١) قال القصاصي : ان المعتمد على الله جل ابنه جعفرأ ولي عهده ولقبه المفوض الى الله ،
وجعل اليه المغرب ، وغلب الموفق على الأمر وقام به أحسن قيام ، ومال الناس اليه ، وكان
مشغولاً بقتال علي بن عماد صاحب الزنج المعروف بلوي البصرة .

وبسط لسانه فيه ، والتمس من أصحابه من يخرج متقلداً عمله ، فأعوزة ذلك ، لما كنا قد ذكرناه من ملاطفة أحمد بن طولون لوجوه أهل الدولة الذين يندب أحدهم مثله . وكتب بذلك إلى أحمد بن طولون أصحاب أخباره ، فلما قرأ أحمد بن طولون كتاب الموفق قال : وأي حساب بيني وبينه ، أو حال توجب مكاتبتني بمثل هذا وغيره ؟ وأجابه جواباً نسخته ^(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتاب الأمير أيده الله وفهمته ، وكان أسعده الله حقيقةً بحسن التخير له في اختياره مثلي ، وتصويره إياي عمدة التي يعتمد عليها ، وسيفه الذي يصول به ، وسنانه الذي يتقي الأعداء بحمده ، لأنني دأبت في ذلك ، وجعلته وكدي ، فاحتملت الكلف العظام ، والمؤن الثقيل ، باجتلاب كل موصوف بشجاعة ، واستدعاء كل منعوت بغناء وكفاية ، بالتوسعة عليهم ، وتواصل الصلوات والمعاون لهم ، صيانةً لهذه الدولة ، وذباً عنها ، وحسماً لآطاع الشائين لها ، والمنحرفين عنها . وكان من هذه سبيله في الموالاة ، ومجمله في المناصحة ، حرياً أن يُعرف له حقه ، ويوفر من الأعظام قدره ^(٢) ،

(١) ورد هذا الكتاب في كتاب ابن الداية الطول مما جاء في نسخة الأصل هذه ، ورأينا فيه اسجاعاً وافاتمة لانسداد تؤثر في شيء مما صدر عن ديوان ابن طولون ولذلك اعتدنا على نسخة كتابنا وأشرنا هنا إلى بعض ما عساه يفيد من التطويل هناك وصححنا نصنا على ذلك النص عند الاقتضاء الشديد .

(٢) في كتاب ابن الداية وردت هذه العبارة هكذا : ويوفى من الاعظام والاكرام نصيبه ، وسطى من التقديم والايثار نسطه ، ولا يحمل حظه فيها ياب بالأولياء ، ويجازى به الصالحاء ، —

ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته ، فعوملت بضد ذلك من المطالبة بحمل المال مرة ، والجفاء في المخاطبة أخرى ، بغير حال توجب ذلك . ثم أكلف على الطاعة 'جملًا' ، وألزم للمناصحة ثمنًا ، وعهدي بمن استدعى ما استدعاه الأمير من طاعته يستدعي ذلك بالبذل والإعطاء ، والإرغاب ^(١) والإرضاء والإكرام ، لا أن يكلف ويحمل من أطاعه مؤونة وثقلًا ، على أنني لا أعرف السبب الذي ينتج الوحشة ، ويوقعها بيني وبين الأمير أيده الله ، ولا ثمّ معاملة توقع مشاجرة ، أو تحدث منافرة ، لأن العمل الذي أنا بسبيله لغيره ، والمكاتبة في أموره إلى سواه ، [وثقليدي ليس من قبله ولا ولايته] ^(٢) ، فإنه والأمير جعفر المفوض أيدهما الله قد اقتسما الأعمال ، وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه ، وأخذت عليه البيعة فيه ، أن من نقض عهده ، أو خفر ذمته ، ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه ، فالأمة بريئة من بيعته ، وفي حلّ وسعة من خلعه . والذي عاملني به الأمير من محاولة صرفي مرة ، وإسقاط رشي أخرى ، وما يأتيه ويسومني ، ناقض لشرطه ، مفسد لعهد . وقد التمس أوليائي ،

— من أموال تحمل اليهم ، وصلات واقطاعات تخرج لهم ، مما جل الأبرار أعزه الله حظي من مشيئته ، ونصبي من يره وتكرمه ، مما لا يزال الأبرار أيده الله يقصدي به من المكروه ، ويؤله علي وعلى علمي من التدبير ، ويلتمسه بني من حمل المال والمالون ، حتى كافي أكلف على الطاعة جملًا ، وألزم المناصحة ثمنًا .

(١) رغبه فيه وأرغبه : جمله يرغب وأرغب الله قدرك وسعه وأبعد خطوه .

(٢) هذه الجملة وردت في الاصل وفي المقرئ (ولا أنا من قبله) .

وأكثروا عليّ الطلب ، في اسقاط اسمه ، وإزالة رسمه ^(١) ، فأثرت
الابقاء وإن لم يوثروه ، واستعملت الأناة إذ لم تستعمل معي ،
ورأيت الاحتمال والكظم ، أشبه بدوي المعرفة والفهم ، وأدنى إلى
الظفر والنصر ، فصبرت نفسي على أحرّ من الجمر ، وأمرّ من الصبر ،
وما لا يتسع له الصدر . والأمر أيده الله أولى من أعانني على
ما أوثره من لزوم عهده ، وأتوخاه من تأكيد عقده ، بحسن العشرة
والإنصاف ، وكشف الأذى والمضرة ، ولا يضطرني إلى ما يعلم
الله عز وجل كرهني له ، وإلى أن أجعل ما قد أعددت له لحياطة
الدولة من الجيوش المتكاثفة ، والعساكر المتضاعفة ، التي قد ضرست
رجالها من الحروب ، وجرت عليهم محن الخطوب ، مصروفاً إلى نقضها ،
فعندنا وفي حيزنا من يرى أنه أحق بهذا الأمر وأولى من الأمير .
ولو أمنتوني على أنفسهم فضلاً عن أن يرجعوا مني إلى ميل لهم ، أو قيام
بنصرتهم ، لاشتدت شوكتهم ، ولصعب على السلطان معاركتهم ،
والأمير يعلم أن بإزائه منهم واحداً قد أبرّ عليه ، وفض كل جيش
أنهض إليه ، على أنه لا ناصر له إلا لفيف البصرة ^(٢) وأوباش

(١) في اس الداية زيادة هذه الجملة : عند مصير الخارجين من العراق ، الى حيث صاروا
اليه من نواحي عملي ، ومحاولتهم البيث والافساد فيه .

(٢) القالب ان الاشارة الى ان صاحب الزنج وان كان جيشه من رعايا البصرة ومن ماتلهم
فهو يطلب ما يرسل اليه من الجيوش ، بخلاف احمدس طولون وما ربي من جيوش يعتمد عليها .

عامتها ، فكيف بمن يجد ركنًا منيعًا ، وناصرًا مطيعًا ، وممثل الأمير
في أصالة رأيه قصد المائة ألف عنان 'عدة' له فجعلها 'عدة'
عليه ^(١) بغير ما سبب أوجب ذلك . فإن يكن من الأمير إعتاب
أورجوع إلى ما هو أشبه به ^(٢) وأولى ، وإلا رجوت من الله عز وجل
كفاية أمره ، وحسم مادة شره ، وإجراءنا في الحياطة على أجل
عاداته عندنا ، والسلام .

إرسال المرفق
العمال للضرب
على أيدي ابن
طولون واستعداد
هذا وتحصنه

فلما وصل الكتاب إلى الموفق أقلقه ، وبلغ منه مبلغًا عظيمًا ،
وأغاظه غيظًا شديدًا ، فأحضر موسى بن بُغا ، وكان موسى هذا عول
الدولة ، وأشد أهلها بأسًا وإقدامًا ، فتقدم إليه في صرف أحمد بن
طولون عن مصر وتقليدها ماجورًا فامثل ذلك ، وكتب الماجور كتاب
التقليد وأنقذه إليه ، فلما وصل إليه الكتاب توقف عن إيصاله إلى
أحمد بن طولون ، لعجزه عن مناهضته .

وخرج موسى بن بُغا عن الحضرة مقدرًا أنه يدوس عمل النقوض
الذي فيه تقض الشرط ، لما قويت به يد الموفق ، باستيلائه على الأمر ،
وطاعة الجيوش بأسرها له ، فلم يكن له مخالف غير أحمد بن طولون ،
وقصد بمشارفته الأعمال ، حمل الأموال منها ، وكتب إلى ماجور

(١) البارة في ابن الداية هكذا : فجعلها عدة عليه من غير أن يتجنم لها تفلًا ، ويحتل
بسيها مؤونة وغرمًا .

(٢) في ابن الداية : أشبه بفضلته .

وإلى أحمد بن طولون ، لما علم توقف ماجور عنه ، في حمل مال أعمالها ، وعزم على أن يقصد مصر ، لما علمه من قصور حال ماجور عنها ، ليتسلمها ويستخلف ماجور عليها ، ويعود إلى الحضرة ، وخرج حتى بلغ الرقة ، واتصل ذلك بأحمد بن طولون فأقلقه ونمّه وبلغ منه ، لا لأنه يقصر عن موسى ، لكن لتحمله هتك الدولة ، وأن يأتي ما يكون سبيله فيه سبيل من قاوم السلطان وكسر جيشه ، فعمل على محاربة موسى ، وتأمل البلد فعلم أنه لا يفتح إلا من جهة نيله ، فأراد لكبر همته و [كثرة] فكره في العواقب ، أن يبني حصناً^(١) على الجزيرة التي بين الفسطاط والجزيرة ، ليكون معقلاً لحرمه لكثرتهم كانوا ولذخائره ، ويستعمل بعد ذلك للحرب من يأتيه وقد زال فكره فيما سواه مما يشغل قلبه ، وأمر ببناء

(١) قال القضاة أنه بناء سنة ثلاث وثمانين لمحمّد بن طغرل في حربه وماله وانه اتخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف إليها من المشارب وغيرها وذكر أياتاً لمحمّد بن داود قال بها من أحمد بن طولون وهي :

لما نوى ابنُ بنا بالرقين ملا ساقية ذرقاً إلى الكهين والعقب
بني الجزيرة حصناً يستجى به بالسف والضرب والصناع في تب
ووائب الجزيرة القموى فخذتها وكاد يهتق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة فاسوى اثمار للنظار والحشب
ترى عليها لاس الذل مذ بيت بالشط متنوعة من مزة الطلب
فا بناها لنزد الروم محسباً لكن بناها غداة الردع للهرب

فلنا: ويظهر ان محمد بن داود هذا كان من الشعراء الذين توفروا على مجو ابن طولون، فان له مقطوعات غير هذه في مجوه ذكر بعضها الكندي صاحب تاريخ مصر وولاتها .

الحصن على الجزيرة، واتخذ مائة مركب عربية كباراً ومائة مركب
حرية سوى ما ينتضاف إليها من العلاليات والحائم والعشاريات
والسناديل وقوارب الخدمة، وعمل على سد وجه البحر الكبير و[أن]
يمنع ما يجيء إليه من مركب طرسوس وغيرها بنقض مركبه،
ويكون ما فيها يذب عن هذه الجزيرة، وعمل على أن ينفذ إلى
الصعيد وأسفل الأرض^(١) فيمنع من حمل الغلات إلى البلد، لينع
من يأتي من البر بالميرة .

فأقام موسى بن بُغا بالرقّة عشرة أشهر، فاضطرب عليه أمر
الأتراك، وطالبوا بأرزاقهم مطالبة عظيمة، استتر منها كاتبه عبيد الله
ابن سليمان، لتعذر المال عليه، وخوفه على نفسه منهم . فلما تبين
موسى بن بُغا عظيم ما جرى ويجرى دعتة الضرورة إلى الرجوع إلى
الحضرة، فرجع وأقام بها شهرين واعتلّ ومات في صفر سنة أربع
وستين ومائتين . ومات عبيد الله بن خاقان في هذه السنة .

وكان أحمد بن طولون مجدداً في بناء الحصن على الجزيرة، وقد ألزم
قواده وثقاته أمره، وفرقه قطعاً، وألزم كلاً منهم قطعة يكف نفسه
بالفراغ منها، ويتعاهد هم هو بنفسه في كل يوم يُشرف عليهم، ولا يعلم
أن الله عز وجل قد كفاه وأغناه عما يعافيه، وما يشك أحد أن كل
طوبه بُنيت فيه تقوم على أحمد بن طولون بدرهم صحيح .

(١) يريد أسفل الأرض ما نطلق عليه اليوم الوجه البحري وكانوا يطلقون أعلى الأرض

على ما نعرفه لهدنا باسم الصعيد .

ولما انتابت الأخبار بموت موسى بن بغا كف عن البناء وتصدق بمال كثير لما وهبه الله جل اسمه له من صيافته عما تقبح فيه عنه الأحدث ، وما رأى الناس شيئاً كان أعجب من ذلك الجدة العظيم في البناء ، ومباكرة الصانع في السحر ، حين يخرجون من منازلهم في كل يوم ، حتى انقطع ذلك فلم ير أحد من الصانع أحداً يطلبه ، فكان كأنه نار صب عليه ماء فخم من وقته ^(١) ، ووهب للصانع كل ما كان سلفاً عليهم ..

قضاء ابن طولون
على أعدائه

وقبض أحمد بن طولون من وقته على أحمد ^(٢) الدائني صاحب موسى ابن بغا ، وكان بمصر يتقلد ضياع صاحبه بها التي أقطعه السلطان إياها ، وكان رجلاً ترفاً غزياً نعمة ، وكان مبدئاً ^(٣) ، فشى راجلاً إليه ، كما مشى شقير صاحب البريد ، وكان يوم شديد الحر ، وكان أحمد ابن طولون يحقد عليه خلافاً كان له كبيراً فيما كان يحاوله ، ولأنه كان صاحب موسى بن بغا ، وكان لثقتهم بصاحبه وعظم منزلته ، يبسط لسانه في أحمد بن طولون بأشياء تبلغه عنه ، فيغيظه عليه ويحقد له ، فلما أحضر أحضر له السباط والعقابين فاستجاب إلى ما طالبه به من المال ، وبادر بكتب خطه به خوفاً من مكروه يلحقه ، إلا أنه لحقه من التمتع والمشي ما كان أغلظ عليه من الضرب أو مثله ، فلما أخذ خطه

(١) كذا في الأصل والنار مؤنثة وتذكر (٢) في اسر الداية : حفر

(٣) البدق كمظم : الجسيم

بالمال رده إلى داره فمات في تلك الجمعة . فاحتاز أحمد بن طولون
النضايح بما كان كتب به خطه ، وقبض على جميع نعمته ، وقبض على
اندونة كاتبه ، فأخذ منه خمسون ألف دينار .

اخفاق من عينه
بعداد لحفظ
الثغور الشامية

ولما مات موسى بن بغا كتب الموفق إلى المعتمد يقول إن الثغور
الشامية ضائعة ، وأنها تحتاج إلى من يقيم فيها ويغزو بأهلها ، وأن
أحمد بن طولون مهمل لأمرها ، وإنما يبعث إليها من لا يستقل بها ،
فاستقر الأمر على أن ينفذ إليها محمد بن هارون التغلبي ، وكان يتولى
الموصل ، فكتب إليه في الحضور لينفذ إلى الثغور ، فركب في دجلة ،
لعله نالته منغته عن ركوب الظهر^(١) ، وهاجت ريح شديدة فآلتته إلى
موضع من الشط فيه قوم من أصحاب مساور الشاري^(٢) قتلوه ،
وأخذوا كل ما كان معه ، وبلغ ذلك الموفق فبقي متحيراً في أمر أحمد
ابن طولون ، وما يأتيه به الإقبال ، ووقع اختياره على إنقاذ محمد بن
علي بن يحيى^(٣) الأرمني إليها ، فأنفذه متقلداً لها ولا نطاكية ، وحاول
سيما الطويل دخول أنطاكية ، فمنعه محمد بن علي بن يحيى منها ومن
الثغر ، فكتب إلى أهل طرسوس فآلبهم ووثبهم عليه ، وخوفهم منه
فقبضوا يده ، ووقعت بينه وبينهم حال غليظ ، وقتل في داره ودفن فيها .
وبلغ ذلك الموفق ، فاشتد غيظه أيضاً وحنقه ونعجه ، وقلد

(١) طريق البر (٢) الشاري : الخارجي والشراءم الخوارج لقولهم : انا شرنا اقمنا
في طاعة الله لقبوا بذلك (٣) كذا في الاصل : بغير قط . وفي ابن الداية : يحيى

الثغور أرخوز بن بولغ بن طرخان التركي ، وأمره أن يقبض على سيما الطويل ، فلما وصل إلى الثغور تشاغل بالأكـل والشرب ، وأخذ كل ما لاح له ، واستولى على كل ما كان للمرتبين بلوثة^(١) ، مما كان يحمل إليهم من الميرة ، فضجوا من تأخر ذلك عنهم ، وكتبوا إلى أهل طرسوس يعرفونهم أنهم إن لم ينفذوا إليهم بما يحتاجون إليه على رسمهم ، سلموا القلعة إلى الروم ، فأعظم أهل طرسوس ذلك وخافوه ، وجعوا لهم من البلاد خمسة عشر ألف دينار ، وعملوا على حملها إليهم ، فقال لهم أرخوز : أنا أحمل إليهم المال من قبلي لنصلح بينهم ، فأجابوه إلى ذلك فكتب إليهم واعتذر من تأخير ما أخره ، فلأنه أميرهم وصاحب الثغور ، قبلوا عذره ورجوا استصلاحه ، ولما سلم المال شرهت نفسه إليه ، وقال : متى يجتمع لي مثل هذا ؟ فاستولى عليه وعرفهم أنه قد أنقذه . فلما تأخر عن انقود المال انصرفوا عن لوثـة وسلموها ، فاضطرب أهل الثغور بأسرهم من ذلك غاية الاضطراب ، وضجوا في الطرقات .

(١) لوثـة : قلعة قرب طرسوس وذكر صاحب الكامل في حوادث سنة ثلاث وستين ومائتين ان فيها سلت الصقالبة « لوثـة » إلى الروم ، وكان سبب ذلك ان احدهم طولون قد ادمن الغزو بطرسوس ، قبل أن يلبى مصر ، فلما ولي مصر كان يؤثر أن يلبى طرسوس لينزو منها أميراً فكتب إلى أبي أحمد الموفق يطلب ولايتها فلم يجبه إلى ذلك . قال : وكانت لوثـة شجراً في حلق العدو ، ولم يكن يخرج الروم في بر أو بحر الا رأوه وأنذروا به .

تقليد الثغور لا
طولون

وبلغ المعتمد ذلك فأكره فدعت الضرورة إلى أن كتب إلى أحمد بن طولون في تدبير أمر الثغور، وضبطها كما يرى. فلم يكن للموفق بعد ذلك حيلة في منعه منها، وكتب أحمد بن طولون إلى أخيه موسى وكان مقيماً بطرسوس منذ وقعت بينهما تلك الوحشة بتقليده إياه لها فأبى ذلك، لما كان في نفسه منه. فكتب إلى إبراهيم بن عبد الوهاب، وكان أيضاً مقيماً بها، فامتنع تصاوناً، فأنفذ إليها طخشي بن بليرده^(١) ووصاه بحسن العشرة لهم، وجميل السيرة فيهم، واحتمال هفواتهم ففعل، وحسنت سيرته بطرسوس، فأقام بها إلى أن مات، فاغتم عليه أهل طرسوس وسائر الثغور.

هلاك أعداء
طولون

ومن إقبال أحمد بن طولون أيضاً موت ماجور، وكان أحد من يعرّب^(٢) عليه، ويسعى في أذيته فلا تمكنه. فلما بلغه موته حمد الله عز وجل على ذلك، واستخلف ابنه العباس على مصر وخرج من وقته، وأيد ابنه بكاتبه أحمد بن محمد الواسطي، ووصى العباس بالاعتداء برأيه، والامتنال لأمره وألا يجاوز شيئاً يرسمه، أو يشير به، وسار في شوال من سنة أربع وستين ومائتين، وقد خلا قلبه من عبيد الله ابن خاقان وموسى بن بُغا وماجور أعدائه الذين كانوا يعملون الحيل في أمره وطلب هلاكه. وجدّ في السير، واستكتب أبا الضحاك

(١) في رواية: بلين وفي أخرى بليرد

(٢) يرتب عليه: يرد عليه بالانكار

محبوب بن رجاء ، وقدم كتابه إلى ابن ماجور يعزيه بأبيه ، وكان صيياً إلا أن أصحاب آبيه قد أقاموه مقام أبيه في الرياسة ، وتولى الأمر وتديره أحمد بن دعباش^(١) التركي ، وجّه أصحاب ماجور والمقدم فيهم ، وكان رجلاً شهماً جلدأ عاقلاً ، سمحاً بالمال ، سخياً على الطعام ، حسن الخلق ، حازم التدبير .

استباعه أمراء
الشام

ويذكر أحمد بن طولون في كتابه إليه أن أمير المؤمنين قد قلده الشام كله ، مضافاً إلى الثغور الشامية ، وأنه في^(٢) أثر كتابه ، ويقول فيه : وينبغي أن نتقدم فيما نحتاج إليه من الميرة والعلف للعساكر وما نحتاج إليه ، فأجابه ابن ماجور أحسن جواب ، فلما قرب من الرملة نلقاه خليفة أبيه كان بها ، وهو محمد بن رافع بالميرة والعلف ، وكان قد أقام له الدعوة ، لا بلغه خبر رحيله إلى الشام ، فلما وقعت عينه عليه ترجل له ، وتقدم إليه فباس يده ، فلقبه أحمد بن طولون بجميل ، وبشبهه وساء له عن حاله ، فقال له : سلامة ما أبقى لنا الأمير أيده الله ، فعزاه بصاحبه وأظهر له غماً به ، وشكر ذلك منه ، فأقره أحمد بن طولون على عمله ولم يصرفه ، وشخص إلى دمشق فلتقاه علي بن ماجور وأحمد بن دعباش^(٣) وجميع قواد ماجور وأصحابه ، فوفّوه حق الرياسة ، وقد أعدوا له الميرة والعلف وكل ما يحتاج

(١) في الأصل : دعباس . وفي الكندي : دعباش

(٢) في الأصل : قد (٣) في الأصل : دعباج وكذلك هو بعد سطرين .

إليه بها^(١) . واستخلف على دمشق أحمد بن دعباش وأقره عليها .
وكان أحمد بن وصيف مقيماً بدمشق على سبيل النفي ، نفاه
إليها المهتدي ، وهو وصيف الكبير التركي الذي يقول فيه الشاعر
وفي بُغا أبي موسى الذي مضى لنا ذكره فيما تقدم .

خليفةٌ في قفصٍ بين وصيفٍ وبُغا
يقولُ ما قالاً له كما تقولُ البُغا

والخليفة الذي قيل هذا فيه هو المستعين بالله ، لأنه كان يؤثرهما
جداً ويقدمهما ويفضلهما ويقول برأيهما

فلما دخل أحمد بن طولون دمشق انضم إليه ابن وصيف هو وجماعة
قواد ماجور . واصلأر أحمد بن طولون إلى حمص تلقاه عيسى
الكرخي ، وكان يتقلدها ، وترجّل له وعمل على أن يقره أيضاً على
عمله ، فضجّ أهل حمص منه وشكوا سوء سيرته فيهم ، فصرفه عنهم
وولاهم بين التركي .

(١) لما دخل أحمد بن طولون دمشق وقع بها حريق عند كنيسة مريم ، فركب ابن طولون
إليه ، و معه أبو زرعة البصري وأبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي كاتبه ، قال ابن طولون
لأبي زرعة : ما يسمى هذا الموضع ؟ قال كنيسة مريم ، فقال أبو عبد الله : أكان لمريم كنيسة ؟
قال : ما هي من بناء مريم وإنما بنوها على اسمها . قال ابن طولون : مالك وللاعتراض على الشيخ
ثم امر بسبعين ألف دينار من ماله ، وأن يعطى لكل من احترق له شيء . وقبل قوله ولا يستخلف ،
فأعطوا لمن ذهب ماله . وفضل من المال أربعة عشر ألف دينار ، ثم امر بال هظيم أيضاً فحرق
في قراء أهل دمشق والنوطة ، وأقل ما أصاب الواحد من المستورين دينار (عن النجوم الزاهرة
لابن تقي يدي) .

مفاوضته سيما
الطويل وطبيعة
ابن طولون

وكاتب سيما الطويل ، وكان بأنطاكية على جهة التغلب وعصيان
السلطان ، بدعوه إلى الطاعة للسلطان والسلام ، ويقول في كتابه
إليه : لست أسومك شيئاً غير إقامتك الدعوة ، وأنصرف عنك ،
ويكون البلد لك ، تدبره كما ترى ، فامتنع سيما من ذلك ، ولج فيه
لأسباب المنية ، وكان قد تحصن بأنطاكية ، لأن حصنها ما فتح عنوة
قط ، فسار إليه أحمد بن طولون وعاوده المكاتبة ، وراجع القول
الأول ، ولطف به ، وراسله برسل معهم عقل ورأي وتلطف ،
فأقام على رأيه ، وهذا الفعل منه ، على ما كان بينه وبين أحمد بن
طولون من المحبة والمصادقة والمواقفة ، فلم يثنه ذلك ولا راعاه ،
فركب إليه أحمد بن طولون ليخاطبه بنفسه ، ووجه إليه : قد جئتكم
لتسرع خطابي مشافهة ، فأشرف عليه سيما من برج من أبراج الحصن
فجرت بينهما مخاطبات^(١) كثيرة ، بعضها بالتركية وبعضها بالعربية ،
ولاطفه بكل لطف وكل حيلة ، وحلف له بكل يمين ، فلم يجبه إلى
مادعاه إليه ، وكان آخر قول سيما له : امض واعمل ما شئت ،
فلأن يلعب الصبيان برأسي فأحمد ، آثر عندي وأحب إلى قلبي
من أن تلعب أنت بروحي . وأخطأ سيما الطويل في هذا القول
وجهل فيه ، لأن أحمد بن طولون كان من طبعه أن من لا يشه
واستسلم إليه ، رأى منه كل ما يجبه ، وبلغ منه كل ما يريد ،

(١) في الاصل : خطوب .

ومن خاشنهُ أو قاومه لم يُطقهُ وكافأهُ بما يستحق ، كما قال الشاعر :
 وكالسيف إن لا يَنْتَهُ لَانِ مَتْنُهُ وحدّاهُ إن خاشنَتُهُ خَشِنانُ
 وكما وصف دَعِيلَ بن علي الخُزاعي رئيساً كان في زمنه فقال :
 وإذا جالستُهُ صدّرتُهُ وتنحّيتَ له [في] الحاشيةُ
 وإذا ساورتُهُ قدّمتُهُ وتأخرتَ مع المُستأنيةِ
 وإذا لا يَنْتَهُ صادفتُهُ سَلَسَ الخلقِ سليمَ الناحيةِ
 وإذا خاشنَتُهُ أَلْفَيْتُهُ شَرِسَ الرأيِ أَيْباً داهيةِ
 فاحمدِ اللهَ على صحبتهِ وسلِّ الرحمنَ منه العافيةِ
 وكانت هذه الأفعال كلها في أحمد بن طولون ، قد تبينها الناس في
 علي بن إسحق وعلي بن ماجور وغيرهما .

فانصرف أحمد بن طولون عن سِما ، لما سمع ذلك القول منه من ^{مقتل سِما} _{الطويل} وقتِه ، وكان عسكره فيما يلي الباب المعروف بباب فارس ، فأقام بقية يومه ، وياكره من غد فنصب المنجنيقات ، ورمى الحصن بالحجارة وبالنفط ، وكان سِما قد أساء العشرة لأهل أنطاكية ، فكرهوه وبغضوه ، فلما حاصروهم أحمد بن طولون ورمى حصنهم بما لا يأمنون منه المكروه ، وعلموا أنهم لا يقاومونه ، شوا إليه فدّأوه على الموضع الذي منه المدخل إليهم ، فلما كان الليل دخل أحمد بن طولون وأصحابه الحصن منه ، ونصب أعلامه .

عليه ، وركب سبى الطويل فأحرق باب فارس ليشتغلهم بالنار ،
فتمكنه النجاة بنفسه ، وسقط الباب الحديد ودخل منه إليه بقية
أصحاب أحمد بن طولون ، وهو لا يعلم ذلك ، وطلبه أحمد بن طولون
وأصحابه والتقوا ، فحارب بنفسه ساعة حرباً ^(١) شديداً بانته
فيه رُجلته وجزالته . وقد تقدم أحمد بن طولون إلى جميع من
معه ألا يُقتل ، وإن أمكن قتله ، ولا يُرمى وإن أخذ أخذ
سليماً ، فلبغض أهل أنطاكية له رمي بالطوب والحجارة من المنازل
والمواضع فتحير ولحقه سهم فصرعه ، فقتل في المعركة ولم يُعلم به ،
وبني مطروحاً واستأمن أصحابه وغلانته ، وأحمد بن طولون يسأل
عنه ويبحث عن خبره ، فماوقف عليه حتى اجتاز به آخر النهار
وصيف اللاني مولى القصيصيين ^(٢) فعرقه ، فنزل وأخذ رأسه ،
وأتى به إلى أحمد بن طولون ، فنصبه على رمح ، فلما رآه من كان بقي
من أصحابه منهم من هرب ، ومنهم من استأمن .

ولما رأى أحمد بن طولون رأس سبى قال : قد علم الله جل اسمه أني
كنت أحب لك غير هذا فأيت ، فأنا بريء من دمك ، والله
ما أمرت بقتلك ، ولقد نهيت عنه ، فأحب الله جل ذكره فيك
ما أحب فأمضاه . وكان ذلك في المحرم سنة خمس وستين ومائتين ،

(١) في الأصل : فحاربهم ساعة حدة حوفاً شديداً (٢) كذا والقالب ان القسيس كان
من اهل المرة مرة النعمان . قال البيهقي : ووثب بالمرة المعروف بالقسيس وهو يوسف بن ابراهيم
التونخي فجمع جموعاً من تونخ وصار الى مدينة قسرين فتحصى بها .

وقبض أحمد بن طولون على جميع ما كان لسيما من مال وُعدة وكُراع وغير ذلك ، وكل شيء عظيم جليل خطير .

دخول ابن
طولون طرسوس
ورجوعه عنها
لأسباب سياسية

ودخل إلى طرسوس في جمع عظيم ، وعزّ منيع ، فضاق السّعر بها ، وضاق بأصحابه وسواده طرقاتها ، فاضطرب أهلها وتأذوا بأصحابه فصاروا إليه ، وفيهم غلظة أهل الثغر ، ونسوا أنهم في وجه عدو عظيم قد قاوموه فقالوا : عافاك الله قد ضاق بأصحابك بلدنا ، وتعدرت بك معيشتنا ، ونقص سعرتنا ، فأما أقمت في عدة يسيرة تحملها بلدنا ، وإلا رحلت عنا . وكان كلامهم له كالشغب ، فقال لهم برفق وتأنٍ نرحل عنكم ، حفظكم الله ، وركب من وقته .

وأطلقوا السنّتهم في أصحابه ، فقال لهم أحمد بن طولون : أحذروا أن تنابذوهم فقالوا له : قد حملوا السلاح يريدوننا . فقال لهم : انهزموا عنهم ، وأظهروا الخوف منهم ، واخرجوا عن بلدكم ، فقد ضيقناه عليهم ، فشقّ على أصحابه ما أمرهم به من انهزامهم عنهم ، وقالوا له : أيها الأمير تكسرنا عنهم ، وليس عدتهم كعدتنا ، ولا حالهم كحالنا ، ولا هم وغيرهم ممن يقاومنا ، وخاطبه وجوه قواده بمثل هذا ، وقالوا له : علينا في هذا مكسرة ، ووضعنا عندهم وعند غيرهم ، فقال : ونحكم كل ما تقولونه أنا أعلمه ، ولي فيه ما قد علمه الله جل اسمه ، وأنا أتحمّل فيه وأحملكم كل مكروه ومشقة مما ذكرتموه ، تقرباً إلى الله عز وجل ،

فقالوا له : فيعرفنا الأمير لنسكن إليه . فقال : إنه لم يخفَ عن ممتلك
الروم العِدَّة التي دخلت هذا البلد ، والعدة وما نحن عليه من القوة
والنجدة ، فأحببت أن يستقر في قلبه ، وعنده وعند عساكره
وجنوده ، أنا على ما نحن عليه قد ضعفنا عن أهل طرسوس ، ولم يمكننا
مقاومتهم ، فانهزمنا عنهم ، وعزهم فهو الله عز وجل ، وعزكم فهو لي
والله جل اسمه أولى أن يُؤثر ، فقالوا : صدق الأمير ، الآن طابت
نفوسنا ، وضرب مضاربه خارجها ، حتى فرغ مما احتاج إليه ، ومنع
أن يدخل إليها أحد من أصحابه حتى رحل عنها .

وركب يوم الجمعة ، وقبل رحيله ، دخل إلى الجامع ليصلي
راجلاً برداء ونعل ، ومعه ثلاثة غلمان . فصلى الجمعة وجلس في الجامع
فقضى حوائج أهل البلد ، في كل ما سأله فيه وأرادوه ، وبلغ لهم
كل ما أحبوه ، وتصدق بجملة من المال ، وكثر الدعاء له والضحيج
بذلك في الجامع والطرقات ، وخرج إلى مضربه ، وخرج أهل البلد
كلهم معه يشيعونه ويدعون له ، ورحل عنهم . فبلغ ذلك ممتلك الروم ،
وما كان من أهل طرسوس معه ، فعظمت هيبة الثغر في قلبه .

احسانه لأهل
طرسوس
 واجتماعه ببعض
النسك

حدث أبو العباس [الطرسوسي] المتولي كان لغسل أحمد بن طولون
عند وفاته ، وكان رجلاً خيراً فاضلاً زاهداً ، بتقوت من المباح ،
قال : كان بطرسوس رجل من خشن الصوفية خيراً فاضل ، قد خرج من
طعمة جليلاً ، ونعمة حسنة ، إلى الله عز وجل ، بتقوت من عمل الخوص ،

وكان لا يقطع الخروج إلى الثغور راجلاً ، وكان أحمد بن طولون ، بمقامه في ابتداء أمره بطرسوس ، مواصلاً له [ومتعجباً من حسن الفاظه] فحدث قال : لما أراد أحمد بن طولون الانصراف عن طرسوس أحضرني فجثته فسألتني عن حالي ، فشكرت الله جلَّ اسمه عليها ، فقال : قد سررت بنظري إليك ، وأنا أريد أن تتقدمني مع العشاء إلى منزل فلان صديقنا ، يريد الرجل الذي قدمت ذكره ، فتجلس عنده ولا تعرفه مصيري إليه ، فإن سألك عني فلا تريبه في كلامك هيبه لي ، وكن في جوابك له مستكيناً خاضعاً لذكرك وأقرته مني السلام ، وعرفه أنني استدعيت مجيئك لتعرف خبره ، وذكرت لك شدة شوقي إليه ، وقل له آخر كلامك : وأحسبه يصير إليك ليسلم عليك قبل رحيله ، وودعه وأخرج ، فتلقاني وتعرفني ما جرى بينكما . وكانت قد حصلت بيني وبين أحمد بن طولون ، بطول مقامه بالثغر ، مودة وعشرة وصحبة على الخير ، وكان يطوي أياماً ويحيي الليل بالصلاة إلى الصبح ، فأحبه قلبي ، وقلب كل من شاهد ذلك منه ، فلم أحب مخالفتة ، ومضيت فعملت كما رسم لي ، فقال لي بانكسار منه وكثرة حياء : يجي متى شاء . وانصرفت عنه ، فلتقت أحمد بن طولون في الطريق ، وهو يريد المجي راجلاً ، وليس معه إلا غلام واحد كان خصيصاً به ، فأخبرته بما جرى فردني معه إليه ، فلما دخلت إليه قلت له : لقيني فردني إليك ، فلما قرب منه أحمد قام

إليه وقال: هذا ما توجبه الطاعة لأولي الأمر، وتاركه يُخطئ، فبكى أحمد بن طولون، فقال له لما استقر به المجلس: يا أحي ما الذي أنكرته من ربك حتى شردت عنه، وأنت مع تباعدك عنه لا تخرج من قبضته، فأرحم نفسك من تحميلها ما لا تحمل، واعلم أن جدّه يُحصّ هزلك، وطاعته تزيل اجترامك، ولا تستكثر من الدنيا ما لا يخفُّ معك حملة، ولا ينفعك إذا دعا بك ربك، وتيقن أنك مردود إليه بعملك وحده، وما سواه متخلف عنك. وأحمد بن طولون لا يزيد على البكاء الكثير شيئاً.

قال أبو العباس: فالتفت إليّ الشيخ وقال: يا أحي ما ترى الناس كيف يبطلون تحت الأقدار، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بصره رشده، وأرحمه من سخطك عليه، ثم قال له: انصرف في حفظ الله [فإني أخاف أن تُعديني بحب الدنيا وطاعة الاثتار]، ولست أنساك عند ذكرى إن شاء الله.

فقال لأبي العباس: كيف حفظت هذا الكلام؟ فقال: كان الغلام الذي كان مع أحمد بن طولون هو الذي كان كاتب السر، الذي كان يكتب كل ما يجري من أحمد بن طولون مع من يخاطبه، وما يجري من مخاطبه له، ولا يسقط من ذلك شيئاً. فإذا خلا عرض الغلام عليه جملاً "بما يجري يوماً يوماً وليلة ليلة"، فكتب

نريقته و ضبط
المجالس ونقل
الكلام

الغلام جميع ذلك على الرسم ، فلما انصرفت مشياً له إلى مضربه سأله أن يأمر الغلام أن يطلق لي نسخة فأمره بذلك فنسخته .
قال مؤلف هذا الكتاب : و كذا كان أحمد بن طولون إذا أنفذ رسولاً في حاجة برسالة ، قال له : أَعِدْ عليّ ما قلت ، فإن أعاده ولم يخرم منه حرفاً أنفذه ، وإن قصّر عن ذلك استبدل به وأمر بحبسه .

مثال من حزمه
والتنظير بينه وبين
غيره

قال : وكان أحمد بن طولون قد عمل على أن يغزو قبل أن ينصرف من الثغر ، حتى ورد عليه الخبر بخلاف ابنه العباس عليه ، وأخذته كل ما تهيأ له من المال والكراع والسلاح ، وذهابه إلى الغرب ، وحمله معه أحمد بن محمد الواسطي كاتب أبيه مكرهاً ، وأمين الأسود مقيدين ، فانكفأ راجعاً إلى مصر قد حيره ما دهاه من مأمنه .
فمن دهائه وجودة رأيه وحزمه ، أنه لما عمل على المبادرة إلى مصر ، لم يكن الرأي عنده أن يترك أطراف عمله منتشرة ، غير مضبوطة ولا محروسة ، فتوقف ، وفي قلبه أحرث من الجمر ، حتى بعث بأحمد بن جينغويه في جيش كثيف إلى حرّان^(١) وما والاها ، وبعث بلؤلؤ غلامه في مثل ذلك إلى نواحي الرقة^(٢)

(١) حران بفتح الحاء وتشديد الراء : بلدة بميزرة ابن عمر ومن جلة ديار مصر .

(٢) الرقة بتشديد الراء والقاف : بلدة على الفرات كانت حامية جداً اتخذها بعض ملوك بني العباس مصطفاً لهم وهي اليوم مركز قضاء سكانها بضمة ألوف . وعدها الكردي من مدن العراق وقال : وكل أرض إلى جانب واد تبسط عليها الماء أيام الدثم ينحصر عنها فتكون مكرمة للنبات فهي رقة وبذلك سميت المدينة .

والدنارس^(١) ليضبط ذلك . وهو آخر عمله مما يلي الشرق .
قال مؤلف هذا الكتاب : ومثل هذا بعينه رأيناه مع مؤنس
الخدام الذي كان يعرف بالأستاذ ، لما وجه^(٢) به المقتدر لقتال
عبد الرحمن صاحب الغرب ، وقد حصل عبد الرحمن هذا بالفيوم ،
وملك أكثر أعمال مصر فأقام مؤنس الخدام بالجيزة حتى استتم
ما أراد من العدة ، وسار إلى الفيوم في جيش لم يُر مثله قط .
أخذ أول عرضه الجبل والأهرام ، وأخذ آخر عرضه شط النيل ،
وأخرج في البحر مراكب حرية والملاييات والعشاريات والسناديل
العمالة والقوارب وكل صنف من السفن مما لا يحصى كثرة ، مملوءة

(١) هكذا في الأصل بلا نقط ولا تعرف بلدة بهذا الرسم هناك
(٢) لم تكن وقعة مؤنس الخدام مع عبد الرحمن صاحب الغرب كما جاء في الأصل بل كانت
مع جيش المهدي الفاطمي وكان سمر جيشاً في سنة إحدى وثلاثمائة مع ابنة أبي القاسم إلى الديار
المصرية فاستولى على برقة وملك الاسكندرية والفيوم وصار في يده أكثر البلاد فسير إليها المقتدر
بأقوى مؤنس الخدام في جيش كثيف فحاربهم وأجلاهم عن مصر فنادوا إلى الغرب نهزمين على
على ما روى ابن الأثير في الكامل . وذكر صاحب تاريخ مصر وولاتها أن حباة بن يوسف
سار في جيوشه من برقة فاصداً للاسكندرية في مائة الف أو زيادة عليها فدخل الاسكندرية
يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة اثنين وثلاثمائة وقدمت الجيوش من الشرق وخرج تكتين
بجيوشه إلى الجيزة فسكر بها وصار حباة من الاسكندرية فسكر بمشتول فتودي بالنفير في
النسائط والتقى الجيشان وقتلت رجاله حباة كلهم ونهزم جماعته ومنح أهل مصر أكتافهم ومضوا
على وجوههم هارين . ومشتول المذكورة آخاً كانت على الأغلب قرب الجيزة وكان في الشرقية
قرتان باسم مشتول يقال للأولى . مشتول الطواحين ولثانية مشتول القاضي . ومشتول القاضي
ما زالت حاضرة : وهي من محل الزقازيق أما مشتول السوق فهي اليوم قرية من مركز بليس
من مديرية الشرقية في الجنوب الغربي بانتماس على مافي المخطط التوفيقية . ومشتول الطواحين
غير معروفة .

رجالاً وسلاحاً وعلوفةً وزاداً ، حتى كأن البحر كله قد فرش سقناً ، وكانت تسير في البحر مسير الجيش في البر . فلما اتصل خبره بعبد الرحمن ولى هارباً راجعاً من حيث جاء ، ولحق 'سرعان' مقدمة موئس أطراف أصحاب عبد الرحمن ، فأسروهم وقتلوا منهم خلقاً عظيماً ، فلما اتصل بموئس خبر عبد الرحمن وهربه ، أتاح له الفكر والتيقظ أن يكون أظهر ذلك ، لما صح عنده خلو البلد من الجيش فخالف إليه ليملك القصبه عليهم ، وأمر تكين^(١) الخاصة ، وكان أمير مصر يومئذ ، أن يلحق الجيزة ويضرب مضاربه بها ومصافه ، فأقبل تكين ركضاً من الفيوم حتى ضرب مضاربه بالجيزة ، حيث كانت قبل الرحيل . فسأت ظنون الناس لذلك ، ولم يعلموا ما السبب فيه حتى انكشف لهم . وهذا من التيقظ في سياسة العساكر ومن حزم الرأي وجودة التحفظ ، وإنا استدرك موئس الرأي بعد . ولاحمد بن طولون فضل سبق ، لأنه استقبل أمره بحسن التدبير ، وضبط الأعمال ، قبل دخول آفة عليها وعليه فيها ، فكان هذا من إقباله .

ولما وصل ابن جيفويه إلى حرّان وجد بها محمد بن أتامش^(٢) فطرده عنها ، وهزمه أقبح هزيمة ، فأتصل خبره بأخيه موسى بن أتامش ،

القبض على موئس
ابن أتامش ود
في صميم جيش

(١) تكين : هو ابن منصور الخزري مولى الممّض بالله ولي الشام ومصر مرات وولي مصر من قل القندر غير مرة احدثه في شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وعزل عنها سنة اثنتين وثلاثمائة على ما في تاريخ دمشق لابن عساكر

(٢) في الكامل لابن الأثير : محمد بن أتامش وموسى بن أتامش . وفي الأصل محمد بن مامس

وكان موسى بن أتامش هذا من القرسان المعدودين ، والشجعان المذكورين ، فأغاضه ذلك ، وخرج تعصباً لأخيه وطالبا له ولثأره ، يريد ابن جيفويه . فلما اتصل خبره بابن جيفويه 'سقط' (١) في يده ، وخاف أن يضعف عنه ، ووقع بين شرين ، كما قال الشاعر :

[فقال] غدرٌ ونكلٌ أنتَ بينهما فاخترَ وما فيها حظٌ لمختار
مقارعة موسى بن أتامش وليس هو من أنداده ، ثم النكوص عنه والرجوع إلى أحمد بن طولون فيلقى منه التلف والوبار . فأحزنه ذلك وحيره ، فتأمل به بعض أصحابه من الأعراب المضمومين إليه يكنى أبا الأغر ، وليس بصاحب ابن الخليج ، فقال له : أيها الأمير مالي أراك مقطبا مغموما ساهما مفكرا منذ أيام فما الخبر ؟ فقال له : لخبر موسى بن أتامش فقال له : فما هذا وزن ابن أتامش ولا مقداره أن يبلغ منك مبلغه هذا المبلغ العظيم ؟ والله إنه لطياش قلق ، ولو شاء الأمير أن أمضي فأتي به إليه أسيرا فعلت ، فبقي ابن جيفويه متعجبا من قوله ، وقد أغاضه منه ذلك ، فلغظه قال له : نعم قد شئت أن تأتيني به أسيرا ، ولك السبق الوافر ، فقال له : فضمَّ إليَّ عشرة (٢) رجال اختارهم ، قال : أفعل . فاختار عشرة كما أحب ، وأمرهم ابن جيفويه بالسمع والطاعة له .

وخرج فكمن أربعة منهم بموضع ، وثلاثة في موضع آخر ، وجعل

(١) دم وتحسر (٢) في الكامل : فاضم إليَّ عشرين رجلا اختارهم

بينه وبين الثلاثة علامة وشعاراً ، وسار في الثلاثة الباقية معه في زي الأعراب ، حتى خالطوا عسكر موسى بن أتامش ليلاً ، فقصده مضرباً ، فلما قرب منه تعثر بأري^(١) فيه خيل مربوطة قريبة من المضرب ، فخلع الأري^(٢) فنفرت الخيل ، وصيح بها ففرت نافرة تعدو بين المضارب ، وصاح هو ومن معه : الأعراب الأعراب ، وأصحاب موسى متفرقون ، منهم من قد مضى يلتمس علماً لدوابه ، وآخرون في حوائجهم ، ومن في الخيم ، فمنهم من يشرب ، ومنهم من يضرب بطنبوره ويغني لنفسه ، ومنهم من قد سكر ونام . قد آمنوا أنهم لا يقدم عليهم أعراب ولا غيرهم : فأول من خرج لما سمع الصوت موسى بن أتامش وحده ، ثقة منه بنفسه وشجاعته وإقدامه ، وقد كان كذلك ، وما كان يعيبه غير عجلة الإقدام ، وهي التي تنسب إلى الطيش . فلما رآه أبو الأغر مرّاً منهزماً بين يديه ، فقصده موسى وأقبل أبو الأغر يطعمه في نفسه ويريه أنه قد خافه وهابه ، وهو بين يديه يتطارد ، ولجّ موسى في طلبه حتى قرب من موضع الكمناء فناداهم بالعلامة بينهم ، فخرجوا إليه من هاهنا ومن هاهنا ، فعطف هو ومن اجتمع معه على موسى بن أتامش فأخذوه أسيراً ، وأقبلوا به يقودونه قوداً إلى ابن جينغويه^(٣) ، فورد عليه وعلى الناس من ذلك ما تعجبوا منه وتحيروا له وقالوا : ليس هذا بتدبير الأعراي ولا برجلة^(٤) ابن جينغويه ، ولكنه

(١) في الأصل : بدوى ولله بأري أي بأخية وهو جبل تشد به الدابة في محبها

(٢) في الأصل : الروى . (٣) والرجولة والرجولية بمعنى واحد

بإقبال أحمد بن طولون نهياً أخذ مثل هذا الأسد مالم يُطمع في مثله ،
فحيره إقباله حتى خرج بنفسه مبادراً ولم يعلم به أحد من غلمانه
ولا طلبه ولا استدعاه . وكان لما أن ركب موسى وعلم به بعض غلمانه
وأصحابه ركبوا خلفه ، فلم يدروا كيف ذهب ، وكانت ليلة
ظلماء فتفرقوا يمينا وشمالاً ، ولم يُقدَّر لواحد منهم أن يسلك طريقه
التي قصدتها ، ليتم القضاء المقدر لأحمد بن طولون ، فلما وصل إليه
اعتقله في حجرة فرشها له في داره ، وفك قيده ، وخلع عليه ،
وبلغ في إكرامه ما يستحق مثله ، وخلع على أبي الأغر وأجازته ،
وزاد في رزقه ونوّه باسمه ، وقد كان ابن جيفويه أجازته أيضاً ،
وحمله وخلع عليه ، قبل إنفاذه موسى بن أتمش إلى أحمد بن طولون .

قال : وعدنا إلى أخباره المشهورة في دهائه وعقله وحزمه ،
وجعلنا الخبر ابنه العباس باباً مفرداً كما شرطنا . فمن ذلك أنه لما
وجه بالواسطي إلى العراق كما ذكرنا في أول أخباره ، واستكتب
جعفر بن عبد الغفار ، اضطرب بما حُمِّلَه من الأمر ولم يكمل له ،
فقال له حمدان ^(١) بن خاقان : الأمير أيده الله يحتاج إلى كاتب أوفى
وزناً من هذا الكاتب . فقال له : أنا احتمله وأقنع به لأنه مصري .
فقال له : والأمير أيده الله يرى أن الكاتب المصري أكتب من
العراقي وأنهض بما يتولاه ؟ قال له : اعلم أن أصلح الأشياء لمن ملك

تفضيله المصريين
في الاستخدام
على العراقيين

(١) في ابن الداية : احمد .

بلداً أن يكون كاتبه منه ، فإنه يجمع بذلك أشياء تحمد عاقبتها .
 منها أن عيال الكتّاب وشملته ، وكل ما يملكه معه في بلده . ومنها أن
 جميع ما يكسبه فيه ، وإن كان ممن يرغب في تجارة كانت تجارته
 فيه ، أو في شراء عقار أو بناء كان فيه . ومنها أن جميع ما يتجمل
 به ولده وعياله ويقتصده لهم من قليل وكثير في بلده ، وما يعتقده^(١)
 من ضيعة أو ربيع^(٢) أو ماشية فكله عمارة لبلده ، وضمنه الجناية إن
 كانت منه أو جناية أحد من جهته ، و[هو] مع هذا وأهله ظاهرون
 لي ، متصرفون في خدمتي .

والكتّاب الغريب ليس كذلك لأنه يعتقد المستغلات في البلد
 النائي عني ، وكده عمارة بلده بتخريب بلدي ، وهو كذلك في كل
 حال متطالع إلى بلده ، فإن اجتمع عليّ منه أن يكون رئيس بلده
 من أميرها أو وزيرها عولي (?) وهو أحد أهله المقيمين معه في بلده
 خلطة أو خدمة فاختصار الحبه (?) أمن الاشتغال عليه . فهذا الذي
 زهدني في كتاب العراق ، مع علمي بما فيهم من الصناعة وتقدمهم في
 الكتابة ، فقال له : قد أصاب الأمير الرأي وفقه الله .

وكيل ابن طولون
 في بغداد وحيلته
 في الانتفاع
 بالعدو

ومن ذلك أن طيفور خليفته بالحضرة كتب إليه أن رجلاً من
 الموالي قد أشجاني وضيق عليّ ، وشغل قلبي ، مما لا يجري ذكرك أيها

(١) القدة بالضم : الولاية على البلد ج كهرد والضيعة والقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً

(٢) الربع : الدار بينها ، ويجوز الربع وهو النقة .

الأمير بحضرته في مجلس الموفق أو غيره إلا بسط لسانه فيك ،
وحرّض عليك ، فكتب إليه يقول : قد وجهت إليك كتاباً يصل
من يدك إليه ، فأوصله سرّاً عن جميع الناس ، مع ما قد حملته إليك
لتوصله إليه أيضاً ليلاً ، فلا يقف عليه أحد بوجه ولا سبب .
قال : وكان الكتاب يصف فيه شوقه إليه ، وتطلّعه إلى معرفة
خبره ، وأنه قد كان منذ مدة طويلة ، يطلب رجلاً يعتمد عليه
بالخبرة لمهامه ، ففسر ذلك عليه ، خوفاً أن ينكشف أمره ، فيتعذر
عليه ما يحتاج إلى معرفته من جهته ، فلما بلغني مقالاتك في ، وبسط
لسانك بذكري ، بما يسر العدو ، ويغتم الصديق ، علمت أن بهذه
الحال يتم لي بها منك ما أحبه ، وتيقنت أن بمودتك برجوعك إليّ
يحصل لي ما استميل به قلبك ، وأرغب فيه من موافقاتك ومساومتك ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تهادوا تحابوا . وقال أمير المؤمنين
عليه السلام : الهدية عطفة القلوب . وقد وجهت إليك بما جعلته
هدية إليك ألفي دينار تصرفها في بعض مهماتك ، ولن أقطع مواصلتك
بحسب ما أقف عليه من خلوص طويتك ، وصحة نيتك ، فلا تخلني
يا أخي ، أعزك الله من ذكر أحوالك ، حسنها الله ، ونسكتبني بجميع
ما أحتاج إلى علمه فإن الذي تأتبه من ذلك يغيب ويستتر عن
الخلق كلهم ، لما يعرفونك به من الانحراف عني ، ولا تقطع ذكري بما
جرى رسمك بذكره ، بل فزدني ثلبي والطعن عليّ ، فإنك تبلغ لي

بذلك ما تحبه لي ، وتسريني فيما تأتيه في ذلك إن شاء الله .
فلما وصل الكتاب إلى طيفور ركب به كما أمره ، وأوصله إليه
والمال ، فدعا له وشكره ، ووعد طيفوراً بأنه يبلغ له في ذلك فوق
ما يحبه ، وصار من أخص أصحاب أحمد بن طولون على الأخبار ،
فكان يكتبه بجميع ما يجري في دار الموفق ودار المعتمد وسائر البلد ،
مما يحتاج إلى علمه ، واستتر أمره مدة طويلة عن أصحاب أخبار
الموفق ، ثم انكشف أمره للموفق ، فأحضره وضربه بالسوط ، ورماه
[في] المطبق ، وأقام فيه أياماً ومات . فانتفع به أحمد بن طولون مدة
على الضرورة ، ثم استراح منه دفعة واحدة بأهون سعي ، وذلك الذي
قصده فيه .

ومنه ما رواه أبو جعفر بن عبد كان أنه ورد عليه كتاب
ملك الروم يطلب الهدنة
متملك الروم ^(١) يسأله الهدنة ، فأجابه إلى ذلك وقال له : اكتب إلى
طخشي بطرسوس أن متملك الروم سألتنا الهدنة مدة كذا وكذا ،
وقد أجنبناه إلى ذلك ، على علم منا أنه لم يدعه إلى ما سأل ، إشفاق
من سفك الدماء ، ولا تحوّل لطلب السلامة ، بل أظن ، وهو كذلك ،
أنه قد خربت له قصور أو استرمت ^(٢) ، أو لحقه من بعض أعدائه

(١) يقول ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٢٦٥ أن فيها بث ملك الروم إلى أحمد بن
طولون جديده س رشيد س كاوس وعدة أسرى وأقد منهم مصاحب منه هدية إليه . قلنا : ولعل
صاحب الروم جعل عمله هذا وسيلة إلى عقد الهدنة مع ابن طولون في تلك السنة .
(٢) استرمت الحائط : دعا إلى إصلاحه وحان له أن يرم

اضطراب اضطره إلى الهدنة هذه المدة، ومن الحسران المبين أن يكون
بما التمس من ذلك أسعد منا، وإذا قرأت كتابي تعاهد جميع الحصون
التي بقربك، فرم منها ما استرمت، وأعمر منها ما خرب، وجدد منها
ما أخلق، وأنفق على ذلك من مالي الذي في أيدي وكلائي في ضياعي
التي تقرب منك، وفرق في صعاليك أهل الثغر ممن تضر به هذه
الهدنة ما يقيم أودهم ويكفيهم، وأوسع عليهم في ذلك، وطالعتني بما
يكون منك فيه فأني أراعيه إن شاء الله .

قال ابن عبد كان: وكان مضطلماً بالكتابة: فوالله العظيم ما حضرني
لهذا الكتاب أحسن من معاني ألفاظه كلها فلم أتجاوزها، وأنفذ
الكتاب وعمل به .

ومن ذلك ما حدثت به نعت^(١) أم ولده قالت: كان عندي له
جوار أهدين إلى مولاي، ما رأيت أحسن منهن ولا أنجل، فأقن
عندي مدة لم يطلبهن، فشوقته إليهن، بحسن الصفة لهن، فذكر
لي شغل قلبه عن ذلك، ثم دخل إلي بعد ليال، فتبينت منه انشراح
صدر، وطيبة نفس، فذكرتهن له فقال لي: اعرضين علي واحدة
واحدة، ففعلت، فنظر إلى الأولى وقال: حسنة والله، ثم أحضر
بعض الخدم ودفعها إليه وقال له: امض بها إلى غلامي فلان، وقل

عزوف ابن
طولون عن
النساء

(١) في كتاب ابن الداية: وحدثني نعت، أي ان ابن الداية هو الراوي عنها لا مؤلفنا
وقد روى عنها ابن الداية عدة أخبار ذلك على عدة أقواله فالباب الطولوني

له : بجيأتي عليك اطلب من هذه الولد [سرك الله وكثرك] ، ثم لم يزل يفعل ذلك بواحدة واحدة حتى استوفى عدتهن مني .

فتبين الغيظ فيّ ، فضحك وقال : أراك مغيظة ؟ فقلت : يا مولاي ، آثرت مثل هؤلاء المتعذر مثلهم ، غلمانك على نفسك ، فقال لي : يا ويحك قد ارتفعت رغبتني في النكاح وما ناسبه ، وإنما رغبتني الآن وغرضي وأربي في حراسة دولتي ، وضبط نعمتي ، ومن اضطر إلى من يضافره على أمره سلك هذا المسلك ، وآثر هذا الايثار ، وهؤلاء الغلمان فهم عدتي ، وينتسبون إليّ انتساب الأبناء إلى الآباء ، وشهواتهم مقصورة على الأكل والشرب والنكاح ، فأنا أؤثرهم بما يحبون وأرتفع أنا عنه ، كما أنهم يؤثرونني في أوقات التضايق على نفوسهم ، فيبدلون فيّ مهجهم دون مهجتي ، فقلت : وفق الله الأمير ، فقال لي : اعلمي أنني أجد في فهم الرجل عني وإفهامه إياي من الالتذاذ أكثر مما يجده بجامع الحسان من لذة جماعها ، وحسبك ، فدعوت له .

بعض أخلاق ابن
طولون وعاداته
في إدارته

وحدث نسيم الخادم قال : جرى ذكر أخلاق قوم بين يدي مولاي فقال : أما أنا فأرى أن أدفع بمالي عن رجالي ، وبرجالي عن نفسي ، ومافي الأرض عندي أبفض إلي من رجل يزيد ماله على فعاله وحالته على كفايته .

واستكتب كاتباً فقال له : إني جعلتك صاحب خبر على ألقاظي ،

فانظر كل ما يجري بيني وبين من يخاطبني ، من كان من الناس من صغير
وكبير ، فاكتب خطابه وجوابي ، وخطابي إياه وجوابه لي ، واعرضه
عليّ بالعشيّ ، فكان يراعي هذا أشد مراعاة
وحدث عنه ابن عبد كان قال : كنا ننشئ الكتب إلى السلطان
وغيره من أصحاب أعماله ، فيرد في الأجوبة غير ما صدرت به الكتب
إليهم ، فذكرت له ذلك لما كثّر ، فضحك فقال : هذه أجوبة عن
أشياء أضمتها أنا الكتب لا أطلعكم عليها .

تدقيقه في
الرسائل الصادرة
عنه

ومن ذلك أن كتابه^(١) لم يكونوا يختمون كتاباً ولا يحررون
نسخته حتى يعرضوه عليه ، فإن استصابه^(٢) أمضاه وإلا غيره . وكان
لما استكتب في خرجته إلى الشام أبا الضحاك محبوب بن رجاء ، ولم
يكن بالكامل ، إلا أنه كان حاضر الذهن ، حلوا الألفاظ ، فعرض
عليه يوماً كتاباً فلم يقل فيه شيئاً ، فأنقذه محبوب فسأله عنه أحمد بن
طولون بعد أيام فقال له : قد أنقذته ، فحرد واغتاض ، وقال له :
ويلاك ، حق الكتب أن تراجع فيها الأفكار ، وقد كان ينبغي أن
تؤخر إنفاذه وتراجعني فيه . فكانت كتبه بعد ذلك تؤخر لمراجعة
النظر ، والتصفح بعد الإنشاء ، وجعل لها ديواناً .

(١) قال ابن تيري بردي في التجوم الزاهرة : وكانت الديار المصرية من حين الفتح الاسلامي
والى الدولة الطولونية امانة ، ولم يكن لديوان الانشاء فيها كبير أمر . فلما استولى أحمد بن طولون
عظمت مملكتها وقوي امرها فكتب عنه أبو حمزة محمد بن أحمد بن مودود .
(٢) استصاب استصاية واستصوب استصواما قوله ومعه ورأيه : رأاه صواباً

فقال له يوماً في كتاب قد كان عرضه عليه : أظن ذلك الكتاب قد شارف دمشق ، فقال له محبوب : لا والله ، أيها الأمير ، هو مؤخر في ديوان التصفح^(١) ، فقال له : ويل لك ، أتشك في رأيي حتى تطلب مراجعة بعد مراجعة ؟ وإنما قصدنا مراجعة مرة لا مرتين ، كأنك تراني بعين من لا يوثق بخاطره ونظره فكيف مراجعة مرة . فحمل محبوب بن رجاء الغيظ والدالة عليه إلى أن قال له : أيها الأمير ، ما أدري أي شيء أنت . إن قد منا قلت : أخروا ، فإن آخرنا قلت لنا : قدّموا . فأمر به فبطح وضربه خمس مقارع ، فكانت المقارع تأخذه وهو يقول : اقتلني وقل لي أي شيء أنت ؟ فضحك منه وأطلقه

خدة ابن طولون
على أقرب الناس
إليه

وهذا كله فإنما كن منه دهاء ، ولم يكن في كتابه أحد أعرف بخدته ، ولا أصبر عليها من أحمد بن محمد الواسطي . لقد عتب عليه يوماً فضربه بيده ضرباً لا يحتمله المملوك . ومن حسن أفعاله أنه كان لا يضرب أحداً من كتابه إلا هو بيده ، كما كان يضرب من يخطئ من ولده بيده .

ولما ضرب الواسطي ضرباً بلغ منه ، أمره بالانصراف عنه ، فلما خرج من بين يديه ، طرح نفسه في دهليز من دهاليزه ، فأقام فيه ثلاثة أيام ، ينام على حصير الدهليز ، ودواته تحت رأسه ، صائماً نهاره ،

(١) في الأصل : في ديوان مراجعة التصفح

فإذا صليت العشاء أفطر على خبز وملح لا غير ذلك ، ولم يتهياً لأحد من حاشيته [أن] يفعل في أمره ما يستحقه ويلزمهم له خوفاً منه ، وأخباره تنقل إلى أحمد بن طولون في كل ساعة ،

ولما مضت له ثلاثة أيام ، أحضره وخلع عليه ، وأجازته وعاتبه على ما كان منه ، حتى أخرجه إلى ما جرى إليه ، وأنه جعل ذلك تأديباً له كما يؤدب أحد ولده ، فشكر ودعا وزادت حاله عنده .

وحدث الراسطي هذا قال : انصرفت ليلة إلى داري ، وكان عندي من آتس به ، وأتفرج إليه ، وأثق بمودته ، ممن يصحبني ، قد خالطني^(١) بنفسه ، لأن الإنسان الكامل يتفرج إلى صاحبه بالابتفرج به إلى أخيه ولا ولده ولا خاصته وإن كانت حظية عنده .

توفر ابن طولون
على كشف أسرار
صحابته

و كنت قد ألزمته المبيت عندي ، وكان انصرافي ، وقد مضى هزيع من الليل ، فدخلت ، وأنا مقطب مشغول القلب ، فتأمل ذلك مني ، وقال لي : أطلت عند الأمير الليلة جداً ، وأراك قد جمشت وعلى قلبك هم ، فما الخبر ؟ فلم يكن بي فضل لجوابه ، وبقيت بثيابي وخفي جالساً فقال لي : استخر الله يا سيدي ، وادخل إلى الحرم ، واخلع ثيابك ، ونم تهدأ أعضائك بما تعطيه نفسك من الراحة . فقلت له : دعني من هذا فقد حيرني أمر هذا الرجل الذي أخدمه وأدهشني ، وما أشبه موارد أموره ومصادرها إلا بالآخرة ، فلي والله في الفكر

(١) في الأصل : قد خاطني

فيها ما يشغلني عن الراحة والمطعم والمشرب التي لا بد منها .
فقال لي : قد استعجلت أنا الساعة الحيرة فخبّرني ما السبب ؟
فقلت له : كنت بين يدي الأمير واقفاً ، أعرض عليه الأعمال ، فلم
أزل كذلك إلى أن جاء نصف الليل ، فرأيت أنه قد تشاغل عني بشيء
آثر الانفراد به ، فتأخرت وملت تبعاً إلى طرف الزقاق ، فطرحت
نفسي اغتيم استراحة ، وكان موضعاً مظلماً لا يبين من فيه لكثرة
ضوء الشمع ، فرأيت غلابي فلاناً ، وهو كما تعلم أكبرهم وأوثقهم
عندي ، وهو عدّتي وعليه معوّلي ، وقد وقف بإزائه لما لم يرني ، وظن
الأمير أنني قد خرجت من الدار ، فاستدناه فدنا منه ، فلم يزال في سرار
متصل أكثر من ساعة ، ثم خرج من عنده متبسماً ، ما لقيه به من
محبوبه ، فما ظنك بمن أبرّ غلمانه عنده صاحب خبر عليه ؟ أي عيش
يطيب له ؟ أو أي راحة تنفعه ؟

غرام ابن طولون
بالتجسس على
الناس

ومن ذلك ما حدث به أحمد بن أمين قال : قال لي أحمد بن طولون
يوماً : اطلب لي رجلاً زكي الروح ، صادق اللهجة ، صحيح التمييز ،
أهمّ لي أريده ، فوعده بذلك ، وقد كان في جوارى فتي من أولاد
الكتاب ، فيه ما وصفه لي ، فعرضت عليه ما ذكره لي الأمير فقبله ،
فأدخلته إليه ، وقلت له : هذا الرجل الذي طلبه مني الأمير ، فتأمله ثم
استدناه فدنا منه ، وأسرّ إليه ما لم أقف عليه ، فدعا بالسياط والعقابين ،

فشق عن الفتى وضرب عشرين سوطاً ، وأمر به للطبيب ، فلم استعجز
أسأله عن أمره ، فأنصرفت مهموماً مغموماً ، وسألني بعض أسبابه ^(١)
عن حاله فقلت : أنفذ الأمير في مهمّ له من وقته ، وأمر له بصلة ،
وقد أنفذ إليكم هذا منها ، ودفعت إليهم من عندي خمسين ديناراً ،
واستتر عني خبره شهراً ، فلما انقضى رأيت يوماً قد دخل وأنا بين يديه ،
وقد اتسخت ثيابه ، وطال شعره ، فاستبشرت لرويته ، وعجبت من حاله .
فدنا من الأمير فخطبه ساعة ، ثم استدعى أيضاً السياط فضربه
عشرين سوطاً ، وأمر به إلى الطبيب ، فازدت حيرة وتعجباً وغماً . فلما
كان بعد شهر قال لي أحمد بن طولون : يا أحمد . قممت قائماً فقلت : لبيك
أيها الأمير . قال لي : قد وافى ذلك الفتى من الموضع الذي كنا أنفذناه
إليه ، والساعة يدخل فاخرج للقاءه ، فبادرت مسروراً بذلك ،
فلقيته بعين شمس ، وهو راكب على بغل فارٍ به سرج ثقيل ، وجنيبة ^(٢)
تجنب له ، ومعه ثلاثة أبغل تُقلُّ بحمله إليه ، فسلمت عليه وبدأني فقال :
إني لأعلم تعلق قلبك بأمرى ، فقلت له : ما أحسن أصف ذلك ،
فعرفني حالك . فقال لي : لما نظر إليّ عند دخولي إليه واستدنا في قال
لي : إن قلبي متعلق بما يجري من المعتقلين في المطبخ ، وقد ندبتك لذلك ،
وقد عملت على أني أظهر سخطاً عليك ، وأمر بك إلى المطبخ ، فإذا

(١) في الحديث كل سبب ونسب يقطع إلا سببي ونسبي ، النسب بالولادة والسبب بالزواج وهو
من السبب وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء ثم استبرأ لكل ما يتوصل به إلى النسي (تاج الروس)
(٢) الجنيبة : الدابة قاصدة .

حصلت فيه فأثبت ما يجري من واحد واحد ساعة بساعة ، فأني أنفذ إليك رجلاً خفي الشخص يجلس إليك ، تنفذ إليّ معه ما يجري يوماً بيوم ، فقلت له : لما توجه به هذه الحال : فإن ضربني الأمير ولو ضرباً يسيراً كان أصحّ لخبري ، فقال : لله درك ، فما أخطأت فراستي فيك ، فأمر بضربي كما شاهدت ، وأقت في المطبق شهراً أنفذ إليه كل يوم مجللاً بما يجري مع شيخ يأتي كالمأم عليّ ، وأهل المطبق يسألوني عن حالي ، فأقول : لا أدري من سعى بي بمالا أعلمه .

ثم أخرجت من المطبق ، فقال لي : قد قبضت على قوم آخر ، وأنا أريد إنفاذهم إلى المطبق ، فتعود إليه على رسمك ، وثابت ما يكون منهم أيضاً ، وأطالعني به ففعلت ، فأنفذ عشرة أنفس ما بين قائد وعامل وكاتب وصاحب ، فجريت على شاكلي فيهم ، وأخرجت أمس إليه فقال لي : بارك الله عليك وفيك ، وأمر لي بألفي دينار وعشرة آلاف درهم ، وما ترى من الحملان^(١) وثياب كثيرة ، ونقدم إلى نسيم بأن يسفرني هذا السفر وينفذني إلى عين شمس ، لا أعود منها كالسافر . فركبت فصرت معه إلى منزله ، وقد سررت بسلامته ، وكثر تعجبي من أفعال أحمد بن طولون ، وازداد خوفي ووجلتي منه .

(١) الحملان بضم الحاء : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

ابن طولون
ورهبان القبط

ومن ذلك ما رواه رهبان دير القصير^(١) قالوا: كان كثيراً ما يطرقتنا الأمير أحمد بن طولون، ويخلو في بعض قلايينا^(٢) يفكر، وكان يأنس براهب منا يقال له أندونة، فشكونا إليه يوماً أمر ابن مديبر صاحب الخراج بمصر، وقلنا له: إنه يطالبنا بجزية رؤوسنا، وقد أسقطت عن أمثالنا على مر السنين، فوقع إليه بخطه توقيعاً وقال لنا: احذروا أن تجعلوا توقيع هذا كالسيف الذي يصول به صاحبه، ولكن استعملوا الاستكانة عند إصالحكم إياه إليه، والمسألة وحسن التلطف، فعجبنا من قوله، وصرنا إلى ابن مديبر وإذا به قد بلغه خبر التوقيع، واستعملنا ما أمرنا به الأمير، فأخذ التوقيع منا، وبلغ لنا فوق مانحبه.

تمس ابن
طولون على أحد
أصحابه

ومن ذلك ما حدث به الفارسي، وكان من ثقات أصحاب أخباره، وخصيصاً به جداً قال: دعا في أحمد بن طولون يوماً فقال لي: ويحك قد خفي عني أمر فلان، رجل كان من أصحابه الأتراك،

(١) التالبيين دير القصير ضد الطويل لا القصير بالتصغير ودير القصير كان في جهات حلوان في المكان المثل على الصحراء والبل وعلى القرية المعروفة كانت بـشهران والمعروفة اليوم باسم المعصرة بين طرا وحلوان. ودير القصير ما زال إلى اليوم طاراً. قال ابن فضل الله في مسالك الأبصار: إنه في أعلى الجبل وفي أعلاه غرفة بناها خنارويه بن طولون تطل من كل جهة، وكان كثير الفتيان لهذا الدير وإلى جانبه قرية تعرف بشهران. وفي عمل أسبوط اليوم دير القصير أيضاً لكن هذا بعيد وإن طولون كان يختلف إلى دير قرب القسطاط وهو الدير الذي وصفنا.

(٢) القلاية كالتلوية: شبه الصومعة تكون في كنيسة النصارى والجمع القلايا وقد جاء ذكرها في الحديث وهي القلاية عند النصارى معرب كلاًه وهي من بيوت عبادتهم (قاله الزبيدي في تاج العروس)

وقال لي . من العجب أن يضبط نفسه ، ولا يظهر شيئاً من أمره ،
فابحث لي عن حاله ، والطف في ذلك . فمضيت إلى داره فجلست
ناحية ، وسألت من قرب من جواره عنه ، فعرفت أنه يركب في كل
يوم ، ويغلق باب داره فلا يفتح ، ولا يقربه أحد إلى موافاته ، فإذا
وافتى ونزل أغلق فلم يخرج منه أحد ولم يدخل إليه أحد إلى غد يومه ،
فإذا ركب كانت تلك سبيله على هذا دائماً

فاكتريت داراً رأيتها مشرفة على داره وانصرفت . فلما كان غد
يومي صرت إليها ومعي حمال ، معه ما أجلس عليه وآكله وأشربه
ليومي ، فدخلت الدار وغلقت علي بابها ، وصعدت إلى سطحها فتأملته ،
وإذا فيه موضع أشرف منه فأرى قاعة التركي وبعض مجلسه ، ولم
أسمع له حساً فعلمت ركوبه ، فلم أزل أتوقع عودته ، حتى عاد من
ركوبه ، فلما سمعت حركته أشرفت ، فرأيت أنه قد دخل مجلسه ،
وأقبلت أراعي أمره ، حتى رأيت الطعام ينقل إليه ، إلى أن فرغ
من آكله ، وأدخل إليه الطست والغسل ، ولم أسمع بعد ذلك له
حركة ، فعلمت أنه لما أكل نام ، فلم أزل أنتظر ما يكون ، وكان
ذلك الوقت صيفاً .

فرأيت القراش بعد العصر ، وقد كنس القاعة ورشها ، وأخرج
حصراً حسناً ففرشها ، وجعل له مطرحاً^(١) طبرياً ومسورتين^(٢) وأربع

(١) الطرح : كالفرش وزناً ومعنى ، وطبري ندية إلى طبرية من مدن الشام أو إلى طبرستان .

(٢) المسورة بكسر الميم مخدة مدورة (دوزي) .

تمخّذاً ومقعد سامان (?) مبطن عن يمينه ومخادّ بلامساور، وخرج انقراش
فخرجت جارية فغلقت باب القاعة بينهم وبين العلمان ، وخرج التركي
فجلس على المطرح ، وخرجت معه جارية في نهاية الحسن والجمال ،
فجلست على المقعد السامان (?) وجاءتها جاريته يعودها ، فوضعت
بين يديها .

وقدّم بين يديه صينية فيها ثلاث خرداديات " ، وكوز ماء ،
وقدح نصف ، وجعل بين يدي الجارية صينية فيها خردادي وقدح
لطيف وكوز ماء ومغسل ، وأخذت العود فغنت أحسن غناء وأطيبه
وأحذّقه ، وشرب حتى استوفى الثلاث خرداديات ، وشربت الجارية
الخردادي الذي بين يديها ، فأتي بثلاثة آخر وملئ خردادي الجارية ،
وغنت وشرب وشربت واستوفاهما . وفي كل واحد منهما نحو الرطلين
لأنني رأيتهما كباراً وملئوا له ، وقد خلط في كلامه ، فاستدعى الرطل
فملاّه ، وغنت وشرب ، فلما شربه قال لها : ويحك الساعة حصلنا على أن
يملك أحمد بن طولون العاصي لمولاه أمير المؤمنين الموفق هذا البلد الذي
ليس في الدنيا أجمل منه ، ونحن بين يديه يُديرنا كما يشاء ، وبأمر
فينا بما يحب ، والله لا صبرت له على هذا . فقالت له الجارية : أيضاً قد

(١) الخردادي على ما في كتاب كتوز الفاطميين للأستاذ زكي محمد حسن : ابريق من
البلور الصخري له عنق ضيق وجسم يزداد اتساعاً من اعلى الى اسفل . والخردادي الخرمعرب
خوردادي بالفارسية ، والغالب ان هذا الالاء كان خاصاً بوضع الخمر كالباطية . وقال الاستاد
كرنكو : انها خرداذية مالدال في الثانية وهي كلمة فارسية لنوع من اواني الشرب كانوا يشربون
فيها ايام الأعياد .

عدت إلى هذا؟ دع عنك مالا نحتاج إلى ذكره، واشرب حتى أغنيك صوتاً ما سمعت مني مثله قط، فقال لها: هات، فغنت صوتاً جوت فيه وأحسن كل الإحسان، وشرب فما ضبط نفسه فقال لها: ما أدري أي قتل أقتل هذا العاصي الملعون. فقالت له: املاً قدحك حتى أغنيك صوتاً أحسن من كل ما غنيته، فلما غنت وشرب زاد الأمر عليه فقال لها: ويحك والله لا صبرت عن هذا العاصي، ولا دخلن إليه غداً وأخذ سيفي هذا، ثم جرّ دسيغه ووقف واقفاً وقال: ولا أزال أضربه هكذا وهكذا، وأقبل يضرب به المسورة، ويقول: أشتني منه قلبي هكذا، حتى قطعها قطعة قطعة، فلم تزل ترفق به حتى أخذت السيف منه، وأقبلت تغنيه وتسقيه حتى سكر ونام، ونمت موضعي. ولما كان في السحر بكرت إلى أحمد بن طولون وعرفته ما جرى، وتبينت الغيظ في وجهه، وقال لي: امضي، وأمسك حتى دخل إليه في جملة المسلمين من غدٍ، فلما أراد الانصراف أمره بالجلوس، فلما لم يبق أحد من المسلمين استدناه إليه ثم قال: يا هذا أسأت إليك قط؟ قال: لا أيها الأمير. قال: أليس أنا أدرّ عليك أرزاقك وجراياتك وأرزاق من معك؟ قال: نعم أيها الأمير. قال: زولا أخليك في الأوقات من صلة وجائزة؟ قال: نعم. قال: فبأي حال استوجبت منك أن تفعل كذا وكذا، وعرفه ما عرفته، فقام «أتركي قائماً، ورفع رأسه إلى السماء وقال: رفعته علينا فصبرنا،

وما كثره رقابنا وأرزاقنا فأطعنا ، وأعطيته الدنيا كلها فلم نبال ، ما قنعت له بهذا كله ، حتى صرت له صاحب خبر علينا ، فرفعت إليه ما تخرجه حماقة النبيذ من الناس إذا هم شربوا ، كل هذا تتقرب من قلبه . فضحك أحمد بن طولون حتى استلقى على شدة تزمته^(١) ، ثم أمره بالانصراف ، وأتبعه بخادم معه خمس مائة دينار ، وأمره أن يدفعها إلى الجارية ويقول لها : قد أحسنت في تأديبه فالزمي ذلك ، ثم أخرجه بعد شهر إلى طرسوس ، وكتب له بأرزاقه هناك ، ووصله بخمس مائة دينار ، ولم يحتمل أن يكون معه في بلده وبحيث تراه عينه ، ويحمل منه ما شق عليه تحمله ، ولم ير في مروه أنه يسي إلى الجليل فعل جاريته ، وما أصلحته من خطابه ، ورمى به بطرفه إلى السماء

وأما فراسته وصحة إزكانه^(٢) ، فما رواه أبو العباس المعروف بالطرسوسي صاحب خبره قال : ما رأيت أصح إزكاناً من أحمد بن طولون ولا أقوى فراسة منه . نظر يوماً شيخاً في جملة من ينظر إليه ، وهو راكب سائر في جيشه فقال لبعض حجابه : دونك ذلك الشيخ ، فقبض عليه ، فلما صار في داره أحضره ، فاذا به رجل خراساني شديد العجمة ، فسأله عن أمره فاعترف أنه صاحب خبر عليه للموفق ، وأن معه كتباً إلى جماعة من قواده وأصحابه ، وأحضر الكتب فأخذها ، وأمر به إلى المطبق ، فقال له : أيها الأمير أما وقد أخذتني بحسن فراستك ، فقد

اهتداء ابن
طولون
للجواسيس عليه

(١) التزم : الوثار . (٢) الإزكان : النظنة والمدرس وان تظن شيئاً فتصيب فيه .

لزماني نصحك ، لما ملك قلبي من ذكاء عقلك ، واقتصارك بي على الحبس ،
وعفوك عن عقوبة كنت أتوقع التلف معها . فقال له : قل يا مبارك .
قال : معي صاحب خبر آخر فإن أردت أن تحتاط فاحبسنا جميعاً إن
رأيت ذاك ، أيها الأمير ، صواباً . فقال له : بارك الله عليك ، وأين
يكون ؟ قال : في موضع نجتمع فيه من ليل إلى ليل ، قال : فخذ معك
من تريه إياه ، حتى يأتيني به قال : أفعل فأنفذ معه بعض حجابيه
ومضى معه ، ولم يزل يتقرب موافاة صاحبه حتى وافى في آخر النهار ،
فعرّفه معرفة أحمد بن طولون به ، وقبضه عليه ، فسمعه الحاجب ،
وهو يقول له : فما الذي قلت له ؟ فقال : اعترفت بالصدق ، فقال له :
جودت ، الصدق أحمد عاقبة ، وإن سألتني صدقته ، وأحسبك ذكرت
له مكافئ معك ، فوجه هذا الرجل معك ليحضرني إليه قال : نعم .
قال : سمعاً وطاعة ، امض بنا . ووافيا والحاجب معهما إلى أحمد بن
طولون . فعرّفه الحاجب ما سمعه منه ، فأعجبه ذلك ، وسأله عن خبره
فصدقه . فقال لهما : قد نجوتما مني وتخلصتما بصدقكما ، فارجعا الآن
إليه وعرفاه بمعرفتنا بكما ، وأخذنا الكتب التي كانت معكما ، وإطلاقي
لكما ، ووصلهما ووجه معهما من يقيهما .

قال أبو العباس فتجирنا مما شاهدناه منه ، وقلنا : هذا وحي ،
وفطن لما خامر قلوبنا من ذلك ، فقال لنا : قد علمت ما اختلج بأسراركم ،
ما هو وحي ، ولكنه إن كان صحيح ، وذكاء قوي بحمد الله ومنه .

إني رأيت هذا الرجل في وسط الناس وهو مشغول بالنظر إليّ والتأمل لي ، لا يطرف عني بنظر إلى جليس ولا غيره ، فارتبت به ، فكان كما ظننت . فقلت له : وفق الله الأمير وكفاه

قال : وانصرف يوماً من الصيد ، فاجتاز على شارع الحمراء فتأمل داراً تبني هناك ، فوقعت عينه على بعض الرقاصين ^(١) ، فأمر بأخذه فقبض عليه ، ووافوا به إلى الميدان ، فلما جلس أمر بإحضاره ، فلما حضر أمر بإحضار السياط والعُقابين ، فلما شُدَّ صاح : أيها الأمير ، لا تعجل عليّ من قبل أن تسألني ، وتعلم ما عندي ، فقال : صدق حلوه . فلما حلَّ قال له : ادنْ ، فلما دنا ، قال له : عرِّفني خبرك ، واصدُقني تنجُ مني . قال : نعم أيها الأمير أنا جاسوس للموفق ، وكانت معي كتب ففرقتها على أصحابها ، فوعدوني بكتب الجواب عنها ، فعملت رقاصاً ليستتر أمري ، وأسمع وأنا في أوساط الناس من أحوال البلد وأخبار الأمير ما أحفظه ، حتى أذكره عند عودتي إن أنقذني ، كما يلزم من نصب لهذا المنصب . فقال له : صدقت ، فعرفني من أصحاب الكتب ، فعرفه بهم واحداً واحداً ، ووكل به من أخرجه عن البلد من وقته ، وقال له : قل له قد أطلعنا الله عز وجل على ما سترته ، وأردت أذيتنا به ، وأظفرنا ونصرنا ، ولم يضرنا فعلك ، والحمد لله على ذلك . فلما كان في الليل قبض على

معرفة الجواسيس
بالنظر في لباسهم

أولئك القوم أصحاب الكتب كلهم ، فمنهم من غرقه ، ومنهم من طمَّ عليه الحُفْر .

فقال له موسى بن طوفيق وكان خصيصاً به : أيها الأمير ، كيف علمت أن هذا الرقاص جاسوس ؟ قال : لمحتة على الاسقالة ^(١) وعلى كتفه قَصْرِيَّة ^(٢) الطين ورأيت تكة أرمني فأنكرت ذلك وقلت : رقاص لا تكون تكمته إلا خيطاً أو كتاناً ، فقبضت عليه وكان ما شاهدت منه . قال له : أحسن الله توفيق الأمير .

وحدث موسى بن طوفيق قال : رأيت أحمد بن طولون يوماً ، وقد أمر بالقبض على رجل دخل إليه في جملة الأولياء للسلام ، ثم أحضر له السياط والعقابين وقال له : اصدقني ويلك من أرسلك إليّ ، فخبرك عندي منذ البارحة . فقال له : صدق الأمير أيده الله ، أنا صاحب خبر لأبي أحمد الموفق ، فأمر به إلى المطبق .

جاسوسان على
ابن طولون

قال موسى فقلت له : أيها الأمير هذا وحي لا شك فيه . فضحك وقال لي : ويحك لا تكفر بالله ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي . ولكن اعلم أنه إذا كان العقل صحيحاً قلّ ما يخطئ ، وإلا فما منزلتي منزلة من يوحى إليه ، ولكنني أَرَكُنْ وأستدل قتل ما أخطئ ،

(١) الاسقالة: ليلها ما يطلق عليه في الشام اسم الصقالة وهي اخشاب تحكم لبيتليها البنّازون والتجارون والمجسمون والطينون والمدمنون .

(٢) القصرية: كالاعجانة توضع فيها الزهور والطين وغير ذلك . وهي لفظة دخيلة

ومع هذا فإني رأيت البارحة في النوم هذا الشخص بعينه ، وكأنه يروم الدخول إليّ فيمنع من ذلك ، فكأنه يتسلق إلى طاق^(١) في مجلسي ليرى ما أعمل . فكانت عبارة هذه الرؤيا تدل على أنه صاحب خبر لتسلفه عليّ وتجنسه ، وكان ما قدرته .

ومن ذلك ما رواه تركان بن عبد الله بن الإمام قال : جلس أحمد بن طولون يوماً في مُستَشَرَف له على بعض بساتينه ، وأحضر الطعام ومن يواكله من خاصته ، فرأى من بعيد سائلاً في ثوب خَلَق ، وحال سيئة ، وهو جالس يتأمل المستَشَرَف ومن فيه ، فأخذ رغيفاً ، وكان خبز الطولونية في الرغيف رطلين زائدين ، فجعل عليه دجاجة وفرخاً وفروجاً وشواء لحم ، وقطع فالودج كبيرة ، ومن جميع ما كان بين يديه ، وغطاه برغيف آخر ، وجعل فوقه لوزينجاً مع الفالودج وغطاه برُقاقَتين ، ودفعه إلى بعض العلمان وأراه إياه وقال له : امض سلّمه إليه ، وأقبل يُراعي الغلام في دفعه إياه إليه وما يكون منه ، إلى أن دفعه إليه ، وعاد فعرفه ذلك ، فلم يزل يتأمل السائل ساعة ، ثم أمر بإحضاره ، فلما مثل بين يديه استنطقه ، فأحسن الجواب ، ولم يضطرب من هيئته ، فقال له : اكتب التي معك هاتهما ، واصدقني صدقاً ينجيك من ضرب السوط ، فقد توهمت فيك بحسن عبارتك ، وثبوت قلبك ، وصحة عقلك ،

(١) الطاق : ما عطف من الابنية ج طاقات وطبقان (فارسي مررب) .

فاعترف له أنه صاحب خبر، وأن الكتب معه ما أوصلها ليدبر أمره في إيصالها، فوكل به حتى مضى وأحضرت الكتب .

قال ترکان الإمام: فقال له طبارجي [وكان ذا دالة عليه وذا موقع منه] . أيها الأمير إن لم يكن هذا وحيًا فهو سحر ، فقال له : لا والله يا هذا ، ما هو وحي ولا سحر ، ولكنه قياس صحيح ، وتوفيق من الله جل اسمه ، وتفضل منه عليّ : رأيت هذا الرجل على ما هو عليه من سوء الحال فأشفقت ^(١) عليه ، وعلت أن مثله لا يصل إلى مثل ما بين أيدينا من الطعام ، وأنه يرى في الأسواق ويشم من الروائح ما لا يصل إليه ، وتعلق نفسه به ، فأردت أن أسره بما أنفذته إليه ، فوجهت إليه بما تشره إليه نفس الشبعان الواحد فكيف الفقير ؟ فما هشّ له ولا مدّ يداً إليه ، ولا رأيت من حسن القبول له والشهوة ما قدرته ، فنفر قلبي منه ، وقلت : هذا عينه ملائى وفي غنى عن هذا ، هذا جاسوس لا شك فيه ، فأحضرتة فكان من أمره ما قد شاهدتموه من صحة خطابه ، واستيفاء جوابه ، فازداد إنكاري لأمره لقوة قلبه ، واجتماع لبه . وأنه ليس عليه من شواهد الفقر ما يدل على فقره ، وبعثه عقله على أن اعترف بأنه صاحب خبر ، وصدقني عن

(١) شفق واشفق : حاذر قال الراغب : الاشتقاق عناية مختلطة بخوف لأن المشتق يحب المشتق عليه قال عز وجل : « وهم من الساعة مشفقون » فإذا عدي عن فني الخوف فيه اظهر ، وإذا عدي بلى فني العناية فيه اظهر

أمره ، ولا أسيء إليه وأثأثره وأطلقه . ففعل ذلك بعد ثلاثة أيام ^(١)

النساء
الصالحات
والجاسوسان

وحدث تركان بن الإمام عن أبيه قال : قال لي أبي : ركبت مع
الأمير أحمد بن طولون يوماً في السحر ، وكان من عادته أن يركب
سحراً في نفر من أصحابه ، ويمتاز بالواضع الشعثة يطالع منها جنابات
أهل الشر في الليل ، فمن ظفر به منهم أمر بضرب عنقه ، فلقينا في
الطريق صوائح ، فوجه معهن من يخفهن إلى حيث يقصدن ، إلى
أن لقينا صوائح آخر فقال لصندل المزاحمي : انزل إلى هؤلاء الصوائح
فقتلهن واحدة واحدة ، فأخرج من وسطهن رجلين وأمر بهما إلى
المطبخ ، وكانا ممن قد جدَّ في طلبهما فلم يقدر عليهما ، فقال له طبارجي :
كيف تبينت ، أيها الأمير ، هذا من هؤلاء خاصة ، وقد لقينا غيرهن ،
ولم تفعل هذا بهن ، فقال له : نعم أولئك اللاتي لقينا هن كان صياحن
يجدن وحرقة وعلى غير تصنع ، وكان صياح هؤلاء بتشاج وتصنع ،
فعلت أن معهن رجلاً ، لأن من شأن النساء التصنع للرجال ، فكان
ما ظننت .

(١) قال المصري في « جمع الجواهر في الملح والواد » : وكان أحمد بن طولون قد نابذ
الموفق وباينه بالمدواة وخلمه ، وكان قد ضبط مصر من الجواسيس ، وكان متيقظاً فها هو
من قصره يوماً فاذا بجنازة قد مرت عليه ، فقال : علي بالنش ومن فيه ، فأحضره ، فقال : قم
يا متهات ، ثم دعا بالسياف وقال : اضربه ، فقام الميت من نعته ، فقال له : انت متجسس من
ناحية أحمد . قال : نعم . قال : لو لم اتقدم اليك لقتلتك وقتلت من معك ، وأمر من أخرجهم من
عمل مصر ، قيل له : من أين علمت ذلك ؟ قال : رأيت القوم ليس عليهم كتابة من مات له
ميت ، ورأيتهم يطوفون بالقصر ونظرت إليه في النش فرأيت رجله قائمتين ورجل الميت مسترحي ،
فحكمت بأنه حي ، فلما حضر رأيت يسارق النفس فصحت القضية .

الملاعب من
رجال ابن طولون

وحدث شعيب بن صالح قال : كان لأحمد بن طولون رجل يشتق به على كثير من أسرار^(١) ، يطالعه بها وما غاب عنه منها ، فعرفه جماعة من الناس بذلك ، فكانوا يهادونه استكفافاً لشهره ، وبسط يده للارتفاق^(٢) إلى أن كسب مالا عظيما ، وانكشف أمره لأحمد بن طولون ، وعلم أن قصده الارتفاق في النصيحة . فلما وقف الرجل على علم أحمد بن طولون به هرب منه خوفا على نفسه ، فشق ذلك على أحمد ابن طولون جدا ، لاشتتاله على ما عنده من أسرار^(١) ، فرأى أحمد بن طولون في منامه كأنه حفر قبرا ، واستخرج منه ثعبانا عظيما ، فقبض عليه بعنقه ، وأخرجه من القبر ، وجعله في جرة عظيمة ، وسد رأسها ، ثم أصبح فركب على رسمه مغلّسا إلى العين انتي بناها بالمعافر ، فرأى جنازة امرأة وخلفها نحو من عشرة أنفس ، وقد أخرجت في ذلك الوقت ، فاستراب بها ، فقال إن يحملها : أين حفرتم لهذه المرأة ؟ فاضطرب الجماعة ، وحطها وكشف الغطاء ، فوجد الرجل الهارب منه ، وقد رام الخروج عن البلد ، فأعجزه ذلك وضاق به الحيل ، فصنع هذا حتى يصل إلى الصحراء ، فيذهب متنكرا في زي العباد ، ويأخذ طريق الجبل ، الصحراء الصحراء ، إلى أن يتخلص ، فأمر به إلى المطبق ، واستصفي جميع ماله ، وصحت رؤياه التي رآها وزال غمه بها .

(١) في الأصل : اصحابه بدل أسرار^(١) ولا معنى لها .

(٢) الانتفاع والكسب ، وفي رواية : دون تجريد النصيحة

كشف ابن
طولون للقتيلة

وحدث شعيب بن صالح قال : كنت مع أحمد بن طولون يوماً في الصحراء فرأى حملاً وهو يحمل شيئاً قد أثقله ، وهو تحته يضطرب اضطراباً شديداً ، فقال : لو كان اضطراب هذا الحمال من ثقل الحملة ، مع ما أرى فيه ، لغاص رأسه في عنقه ، وما هذا منه إلا من رعب مما يحمله ، فأوقفه وأمر بحط الحملة عنه ، فحطت وفتشت ، فإذا معه جارية قد قتلت وفصلت ، فاستخبر الحمال عن القصة ، فقال له : أربعة نفر في دار ، دفعوا إليّ هذه الحملة ، وأعطوني ديناراً فشرهت نفسي ، لسوء حالي ، إلى الدينار ، فتحمّلت من حملها ما لا أطيقه . فقال له : فحضرت قتلها ؟ قال : لا والله . قال له : أرني الموضع ، وعاد مع الحمال إلى أن أراه الموضع الذي حمل منه ، ووجد القوم بمحلم لم يهربوا بعد ، فقبض عليهم وأمر بضرب أعناقهم ، وضرب الحمال مائة مكررة وأطلقه ، وقال له : لو كنت حضرت قتلها لقتلتك .

احتداه ابن يهر

منه

وحدث حماد بن علي الأزدي - وكان أحمد بن طولون قد جعل إليه منع من هرب منه والتفتيش عنه - قال : تغير أحمد بن طولون على نعيم المعروف بأبي الذيب فهرب منه فأمر بطلبه وقال لي : لا تطلبه في داره بالفسطاط ، ولا في ضيعته سراياط ^(١) ، ولا عند أحد من إخوانه ، فإنه أضعف قلباً وديناً من أن يقيم في هذه الأماكن ،

(١) كذا في الأصل خير قط ولا نعرف هذه الضيعة وهي محرفة بالرسم .

ولكن اطلبه في الديارات وعند النصارى ، فإنك تجده في زي رهب ،
وقد دخل في جملتهم ، لأنه حاذق بالقبطية فصيح بها . قال حماد :
وطلبته هناك فوجدته كما وصف فقبضت عليه ، وجثته به على هيئته ،
فلما رآه قال له : إيش هذا الزي ؟ أرتداد عن الإسلام ؟ السيف
والنطع . فقال : لا والله ، أيها الأمير ، ما ارتددت عن الإسلام وإنما
تسترت بهذا الزي لأخفى ، ولكن أين يتيأ لي استتار منك ولغيري ؟
وأنت كما قال النابغة الذبياني :

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خِلْتُ أن المُتَّأَى عنك واسعُ
فأوقفه هذا القول من أن يجري عليه من المكروه ما كان معتقداً
له فيه ، لما كان فيه من الكرم والحياء لمن صدقه ، واستكان بين يديه ،
وأخذ خطه بمائة ألف دينار وسلم الخط إلى محبوب بن رجاء كاتبه ،
وكان [في] محبوب شره ومحبة لأخذ المرافق ، فوعده بخمسة آلاف دينار
وكتب له خطه بها ، فسأله أن يُنَجِّم^(١) عليه المال ليؤديه قليلاً قليلاً ،
على حسب ما يتيأ له وتوسع به حيلته ، فكان كلما أحضر ما يؤديه
لم يأخذ به براءة ، واستدعى خطه فحط منه وكتب بياقيه ، وكلما كتب
خطه بالباقي ، صغر الخط ولطفه ، إلى أن حصل له من الأداء ثلاثون
ألف دينار وكتب الخط بسبعين في رقعة صغيرة ، وأقام أياماً ، وهو
يذكر اضطرابه واحتياله بما يؤديه ، ثم ذكر أنه أحضر ما يؤديه ،

(١) نجم المال : إذا اداء نجومأ اي اداء عند انقضاء كل شهر منها نجماً .

واستدعى من محبوب خطه ليحط منه على الرسم ، فدفعه إليه محبوب على الاسترسال والثقة والعادة التي قد جرت ، ولارتفاقه منه بخمسة آلاف دينار ، فلما حصل الخط في يده أكله وقال ما بقي عليّ من مصادرتي درهم واحد إلا الخمسة آلاف المرفق التي خطي معك بها ، فقامت على محبوب القيامة . وُرفِع الخبر الى أحمد بن طولون فأمر بإحضارهما ، فلما حضرا قال نعيم : قد أدبت ، أيد الله الأمير ، جميع المال الذي أخذ به خطي إلا خمسة آلاف دينار . فذكر له محبوب حيلته وأكله للخط ، فقال أحمد بن طولون لنعيم : احلف برأسي أنك قد أدبت المال ، ولم يبق عليك منه إلا ما ذكرت ، وأن الذي ادعاه محبوب باطل ، ونحن نصدقك ونزيل المطالبة عنك ، فقال : قد أدبت جميع ما أخذ به خطي وسلم إلى خطي وحرقتة ، وإننا لما طولبت بخمسة آلاف دينار مرفقاً خطي بها مع محبوب ، ولم يتهياً لي أداؤها ، ادعى عليّ بما ادعاه ، فقال له أحمد بن طولون : يمكن أن يكون الأمر كما ذكرت ، ولكن احلف برأسي على ما حكيت ، وقد برئت من المال ، فقال : يعفني الأمير ، أيد الله ، من هذه اليمين ، فأني لست أحلف بها بوجه ولا بسبب . فقال له : لست أعفيك منها إلا بالصدق فقال : إذا لم يعفني الأمير ، أيد الله ، فأنا أجعل رأسه أن أحلف به إلا صادقاً ، والأمر كما حكاه محبوب ، وما فعلت ما فعلت وحملت نفسي عليه ، إلا من إضاعة شديدة غليظة ، وأنه لم يبق لي شيء أرجع

إليه فيما أدبته ، وقد كشفت حالي للأمر أيدى الله فيرى في عبده ما يشبه كرمه ورياسته ، فثناه هذا الفعل عنه ، ورق قلبه له ، لأنه كان إذا صدق لان وانعطف وأنعم ، وبلغ منه فوق المحبوب . فأمر بإطلاقه ، وحط ما كان بقي عليه ، ورد ما أخذ منه ، ورد إليه عملاً يتصرف فيه .

وحدث شعيب بن صالح قال : ركب أحمد بن طولون يوماً فسلك
الجماسوس
الصادق الشريف
شارع الحمراء يريد الجيزة ، فلما توسطه وقف ودعا بطخشي ، فأراه داراً هناك ، وقال له : قف على هذه الدار توكل بها ، واحذر أن يفوتك أحد من فيها ، حتى نتصفح وجوههم واحداً واحداً ، فإنك تجد شيخاً صفته كذا وكذا ، رأيت الساعة يتطلع من طاق في عُقر^(١) هذه الدار ، فلما رأي أن أغلق الطاق ، فخذته وامض به إلى الدار إلى أن أعود إن شاء الله .

قال طخشي : وسار الأمير ووقفت على الدار ، وأطفت بها الخيل والرجال ، وأنزل إلى جميع من فيها وأتصفح وجوههم واحداً واحداً ، فوجدت الشيخ على الصفة التي وصفها لي ، فقبضت عليه ، وصرت به إلى الميدان ، ورجع الأمير فحين نزل دعا بالشيخ ، فلما مثل بين يديه قال له : من أين الرجل ؟ قال : من بغداد . قال : وما جاء بك إلى

(١) في الأصل : في عسكر هذه الدار

هاهنا؟ قال : صاحب خبر عليك . قال له : عليّ ؟ قال : نعم ، عليك .
قال : ومن أنفذك متخبراً^(١) عليّ ؟ قال : الأمير أبو أحمد الموفق .
قال : وبين تعرف يا شيخ ؟ قال : بالقطان الطالقاني . قال : فضحك
أحمد بن طولون ، لما أعجبه من صدقه ، وقلة جزعه ، وانحل غيظه . وقال
له : إجلس فجلس ، فقال له : أبو من ؟ قال : أبو جعفر . فقال له :
قد سمعت بك يا أبا جعفر ، وكتب إليّ بخبرك ، وقد سررتني بصدقك
إياي ، وحرست نفسك بذلك مني ، فمذكم وردت البلد ؟ قال :
منذ سنة . قال له : ويحك ، وللك هذه المدة منذ دخلت البلد ، وأمرك
مستتر عني ؟ قال : نعم ، قال : فكيف تقف على أخباري ، وهذه
حالك في الاستئثار ؟ فقال : معي عشرة يدورون في البلد ، ويرفعون
إليّ أخبارك ، وأكتب بها . فقال له : وكيف قدرت على الدخول
إلى البلد مع ضبطي طرقة ؟ فقال : ركبت البحر من أنطاكية إلى
تَينيس^(٢) ومنها إلى مصر . فقال : صدقت ، أما هذا فماضطناه ، ولكن
من الآن .

ثم قال له : يا أبا جعفر إنك هو ذا تحسن وتجمل إليّ وإلى نفسك
في صدقك إياي ، وقد آمنك الله عز وجل ، وأزال خوفك ، فاصدقني

(١) خرج يتخبر الأخبار : يقتبها

(٢) تينيس : مدينة كانت قرب دمياط تنسب إليها الثياب الفاخرة وهي بجوار المنزلة ولم يبق
منها اليوم الا اطلال . بنى فيها ابن طولون عدة مساريح وحواريات في السوق كبيرة وكانت
تصرف بمساريح الأمير ، وصفها القديس بأنها جزيرة صغيرة في بحيرة بين بحر الروم والنيل قد بنيت
لها مدينة واي مدينة وهي بقداد الصغرى وجل الذهب ومتجر الشرق والغرب الخ .

أيضاً عما أسألك عنه ولا تناقني متقرباً إليّ . هل ترى في سيرتي شيئاً تنكره ، أو في تدبيري سياستي ما تدم ؟ مع تأملك لذلك منذ سنة . قال : لا والله الذي لا إله إلا هو ، وبالله إني لا أكتب بذلك ، وبما هو لك لا عليك ، وإني لأعلم أنه يسوء من أكتبه به ، ولكن الصديق يبعثني عليه ، رضي به من رضي ، أو سخط من سخط ، لأنني ما أقول فيما أكتب به إلا حقاً ، لأن أفعالك كلها حسنة جميلة ، مضبوطة محفوظة مستقيمة ، فإن الذي أكتب به من ذلك لما يزيد به حالك في قلوبهم خوفاً ، وهيبتك في نفوسهم عظماً وجزعاً وذعراً . فقال له : حسبي يا أبا جعفر ، أحسن الله إليك .

ولكن يا أبا جعفر كتب إليّ عنك بستر ودين وصدق لهجة وغنى عما حلت نفسك عليه ، فلم رضيت لنفسك بخدمتهم في هذه الحال العظيمة التي يركب صاحبها فيها خطرة لا يدري ما عقباها ؟ وهذا أيضاً مع بعد الطريق ، وتكلف المشقة العظيمة فيها وعظم المخاطرة . فقال : أيها الأمير : أجبرت وخوفت ، فسعت وأطعت ، ولم يمكنني الخلاف ، لأن لي في بلدكم عقاراً وعيالاً وأهلاً وتجاراً ، ولولا ذلك لا اخترت ، لما نذبت له ، الهرب من بلدكم ، ولما استجبت . إلا أني اشترطت عليهم أني إن وقعت في يدك ، وسألتني عن شيء صدقتك فيه ، وقد رت أني أدفع بذلك عني ما دُعيت له ، فلم يثنهم ذلك ، وأذنوا

لي فيما شرطته عليهم من صدقك عما تسألني عنه من قليل وكثير ،
فحمدت الله عز وجل على ما ابتلاني به من ذلك ، وصبرت عليه ،
وعملت على أنها مصيبة من المصائب التي تلحق الناس لا يمكنهم دفعها
عنهم ، وعملت على أنك ، أيها الأمير ، إذا وجدتني لم تستبقني ، فما
خرجت حتى أوصيت كما يوصي من تحضره الوفاة ، إذ كنت لم أجد
بدًا من ذلك ، وقد أخلف الله جل اسمه ظني ، وأزال خوفي ، بكرم
طباع الأمير ، أيده الله ، ورأفته ، فلولا ذكاء الأمير ، أيده الله ، وحدة
خاطره ، وقوة حسه ، وصحة ذكائه ، بما وهبه الله الكريم له من ذلك ، لما فطن
لي ، وقد رأيي أنطلع من طاق ، وما أنكر عند ردي باب الطاق حين
رأيت ، فكان ما ظنه ووقع له في حقاً . فقال له الأمير : والله يا أبا جعفر
كذلك ، ما أنكرت غير ردك باب الطاق حين رأيتني ، وإن فطنتك
بذلك يا أبا جعفر لحسنة ، ولولا ما فيك من الفضل والذكاء والعقل لما
علمت بذلك ، فهل لك إلى ما أدعوك إليه ؟ فقال : يا أمر الأمير ،
أيده الله ، بما أمثله ، إن شاء الله . فقال له : أدعوك إلى خدمتي كما
خدمتهم مع مجانبة الخلاف عليّ . فقال له : قبيح أيها الأمير أن أدع
قومًا سبقوك إليّ ، وخطوني بأنفسهم ، ووثقوا بي ، فلا يجوز أن أكون
عليهم بعد أن كنت لهم ومعهم ، وإذا لم أصلح لصاحبي الأول لم
أصلح للثاني .

فاجتهد به أحمد بن طولون فلم تجد فيه في ذلك حيلة ، مع ما فيه

من البذل والعطاء . وقال له : لأن يقتلني الوفاء أيها الأمير أحب إليّ من أن يُحييني الغدر . فزاد بذلك في محله عنده . فقال له : إذا كنت يا أبا جعفر قد أيت فاختر ، إن أحببت المقام عندي من غير خدمة تكرهها ولا تختار التصرف فيها ، فبالرحب والسعة ، وإن أحببت الرجوع إلى صاحبك أطلقتك . فقال له : إذا كان الأمير أيده الله ، قد خيرني بكرمه فالرجوع إلى الأهل والوطن أثر عندي مما أوثره من التصرف بين أمره ونهيه ، وإن كانت المروءة هي أوجبت عليّ حسن الوفاء لمن وثق بي ، فلن أكون بعد منصرفي عن الأمير ، أيده الله ، إلا متصرفاً بين أمره ونهيه هناك ، مجازاةً لجميله ، أيده الله ، الذي شملني ، وإحسانه الذي قد عمي ، فقال له : أحسن الله جزاءك يا أبا جعفر ، وكثر في الناس مثلك .

وأمر سواراً الخادم ، فأخذه إليه على حال تكرمه ، فأقام في داره ثلاثة أيام ، تقام له في كل يوم مائدة حسنة ، ولا يزال أحمد ابن طولون يتبع^(١) له وهو يأكل من كل ما يستطيه ، مما يقدم إليه من طعام وحلواء وفاكهة . ويستدعيه ليلاً ، فلا يزال يجادته ويسأله عن أخبار الموفق ، وما يحتاج إلى علمه ، ويؤانسه إلى أن يمضي الليل إلا أقله . فلما كان في اليوم الرابع أحضره فقال له : يا أبا جعفر ، الضيافة ثلاثة ، ولا أشك في تعلق قلبك بمخلفيك ، ويعزّ عليّ والله

(١) بعض النسخ : جزاءه ، وبعض : تجزأ أي يأوله بعض ما على المائدة من طعام تجياً

مفارقتك ، إلا أني لا أحب أذيتك ، وأختار مساعدتك ، وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وعشرة أسفاط ثياباً ، وخمسة أروؤس من الدواب ، وثلاثة غلمان وطيب كثير . فكان مقدار ذلك عشرة آلاف دينار آخر . فلم يقبل شيئاً من ذلك إلا سقطاً واحداً من الثياب ، وبغلاً واحداً ، وديناراً واحداً من المال . وقال : أيد الله الأمير ، أنا والله من وراء نعمة عظيمة واسعة ، ولي مع ما كنت وصفته للأمير ، أيد الله ، ضيعة ترد عليّ في كل سنة عشرين ألف درهم ، وفي أخذي من الأمير ، أيد الله ، ما أمر لي به ، تفنّم لا أستحسن فعله ، ويقبح بي وصفه . وقد أخذت مما أمر به الأمير ، أيد الله ، ما أشرف بلبسي له ، وأتجمل بر كوبي بغلاً من بغاله ، وأتفق يوم أدخل بلدي هذا الدينار ، والله لا أنفقت يومى غيره تشرقاً به . فإن رأى الأمير ، أيد الله ، أن يتم سرور عبده ، ويدعه وما اختاره ، ولا ينقض علي حمله ، فعل وأحسن بها إليّ . فازداد بذلك أيضاً في قلب الأمير أحمد ابن طولون جلالة ورفعة ، ووصاه بما احتاج إليه وودعه ، وأنفذ معه من يشيعه ، وكتب له جوازاً وكتباً إلى سائر أعماله ، يأمر أصحابه بها بتلقيه وتشيعه وخدمته ، وخرج ، وأحمد بن طولون يتأسف ألا يكون مثله في خدمته ، وقد ملأ قلبه و صدره بحسن وفائه لصاحبه .

فلما وصل القطان إلى الحضرة لم يدع جيلاً ولا حالاً تصلح ما بين الموفق وأحمد بن طولون إلا بلغها ، من حسن طاعته ، وحسن سيرته ،

وضبط أمره ، وحزمه ، وجودة تدبيره ، وقوة أمره ، فثنى ذلك الموفق إلى الرجوع له . ووقف طيفور خليفة أحمد بن طولون هناك على ذلك وعلى انثناء الموفق له ، فكتب إلى أحمد بن طولون بذلك ويقول : أحسن الله جزاء القطان ، وكثر في الناس مثله ، فلقد قويت يدي به منذ ورد إلى الحضرة ، وباجرى منه مع الموفق ويقول في كتابه : ومن العجب أن يحضر مثل هذا الرجل بحضرة الأمير فيغفل إلزامه قبول برّه بكل حال . ولم يعلم طيفور بما عمله أحمد بن طولون معه ، فلم تجد فيه حيلة . ويزدكر عظم محله عند الموفق ، ونبل منزلته منه ، فكان أحمد بن طولون يقول : ما أسفت على شيء كتأسني ألا أكون ألزمت القطان قبول خمسين ألف دينار ومثلها أعراضاً ويقول : رزقني الله صاحباً مثله .

ولم يزل أحمد بن طولون يكاتبه في مهامته وحوادثه وما يحتاج إليه من مخاطبة الموفق ، فيبلغ له في جميعه ما يحبه إلى أن مات أحمد بن طولون . فلما مات بلغ القطان موته فحزن عليه واغتم غماً عظيماً ، وبلغ الموفق ذلك عنه فلم ينكره عليه ، وكان يحضره في كل وقت ويسأله إعادة أخباره عليه ، فيذكر كل ما كان يشاهده منه ومن سيرته ، وحسن سياسته في داره وحاشيته ، وحسن مملكته ، وعظيم هيئته ، وكثرة صدقاته ومعروفه ، ونفقده المستورين وأولاد النعم ، وإجرائه عليهم الرزق ، وما يعمل من الأطعمة في كل يوم جمعة ، وحضور الضعفاء وغير الضعفاء من المستورين ، وإشرافه على ذلك بنفسه حتى يأكلوا ، ويومرون

أن لا يخرج أحد أو يزُلَّ^(١) معه ما يقدر على حمله ، ينصرف به إلى عياله ، وما كان يجد في ذلك من اللذة والسرور والفرح ، وأنه جعل ذلك عوضاً من القصف والشراب وشماع الفناء وما يستعمله مثله من ذلك . وكلما سمعه الموفق يذكر من هذا شيئاً يبكي ويترحم عليه ، ويبكيان جميعاً ، فلم يكن للموفق أحد يعاضده على النعم بأحمد بن طولون إلا القطان ، ويستتر ذلك الموفق عن الناس كلهم إلا القطان ، فكان هذا الفعل من الموفق للفضل الذي كان في الموفق ، فعرف به فضل أحمد بن طولون ، فإنه ليس لهم في مملكتهم أنصح منه ولا أوثق ، ولا أضبط ولا آمن ، وإنما كان ذلك الفعل من الموفق من الانحراف عنه ، غيره عليه ألا يكون ما يفعله للمعتمد له .

ولما تواترت الأخبار بموت أحمد بن طولون وصح ذلك عند سائر الناس ، لأن الذي كان قبل كان بين مصدق ومكذب ، كان من الموفق حينئذ ما نأني به مشروحاً مبيناً إن شاء الله .

ومن إنصافه وحسن تأتبه ، وبطلان كثير مما يُشنع به عليه ، وإقامته له العذر فيما يأتبه ، أن وكيلاً له يعرف بابن مفضل ، صحبه ولا شيء له ، فقوض أمره كله إليه ، فاستولى عليه ، وكان من بين الوكلاء حازماً ذكي القلب شهماً بازلاً كافياً يحسن الخدمة ، ولم يكن يقعد به إلا بجمل كان فيه ، ولجأ في الشيء إذا خوطب فيه بملكه

خيانة وكيل ابن
طولون ومصيره

(١) زلّ الطام: أخذ

فلا ينحل عنه ، حتى إنه كان يتبع ما تضره اللجاجة ، فكان هذا عيبه ، فوصل إليه من الارتفاق ما لم يصل إلى أحد من حاشية أحمد ابن طولون ولا أهدي إليه ، وكبرت أحوال أحمد بن طولون ، فكبرت مرافق ابن مفضل واتسعت أحواله .

وكانت نفقات مطابخ أحمد بن طولون وراتبه من ضياع إقطاعه ، فتقدم إلى ابن مفضل في وقت اختاره ألا يضع يده على شيء من مال هذه الضياع ، وذكر له أنه يريد مالها لطرسوس . فلما انتضى الشهر وافى نفيس الطباخ إلى ابن مفضل يستدعي منه إطلاق النفقات على الرسم للمطابخ فقال له : قد حظر الأمير عليّ الجهة التي كنت أطلق لك مالها . فقال له نفيس : فتحتال لي بما نفقه اليوم ، وتستأذن الأمير الليلة فيما يُستأنف . فقال له : ما عندي حيلة فقال له : إن النهار يمضي . وقال : حدثنا في شيء مما نحتاج إليه ، مما لا بدّ للأمير منه ، فقال له : كذا اختار إيش في يدي ؟ قال : فأعطى ؟ قال : ذلك إليك . قال : فأذكر هذا للأمير ؟ قال : ذاك إليك افعل .

فدخل نفيس إلى أحمد بن طولون فعرفه الخبر ، فأحضر ابن مفضل فقال له : ويمحك ، ما كانت لك حيلة في إقامة نفقات المطابخ يوماً واحداً ، إلى أن نُطلق لك ، من جهة نختارها ، ما تحتاج إليه ؟ فقال له : لو تهيا لي ذلك لما توقفتُ عنه ، وإنه لمتعذر عليّ ، ثم قال له : احلف بالله ثم برأسي أنك ما تملك ذلك ، فحلف ، فدعا سواراً الخادم ،

وكان خادماً جريئاً ، صفيق الوجه ، قاسي القلب فقال له : امض الساعة واقبض على كل ماله ، واحمل إلي الساعة ما تجده من العين ، واختم على ما سواه . فمضى سوار وقبض على كل ما وجدته له في داره . فوجد له من العين ثمانين ألف دينار^(١) فحملها إليه ، وختم على ما بقي ، وعاد إليه فعرفه بجميعه ، فأمره ببيعه كله ، فبيع بعشرين ألف دينار سوى ما استملك وتمزق وتفرق ، وسلم ابن مفضل إلى سوار فكان آخر العهد به .

استخدامه
الصادقين

وحدث شعيب بن صالح قال : شئت نفس أحمد بن طولون استخدام الكتاب ، لما وقف على حال ابن مفضل ، وقبح فعله ، وجرأته على اليمين الكاذبة ، وكان ذلك يشتد عليه جداً ، واحتاج إلى من ينوب منابه ، فسمح له ذكر كاتب كان يكتب لحسين الخادم المعروف بعرق الموت ، كان لما قدم معه إلى مصر شاهده نخف على قلبه وافترس فيه خيراً فتبعتته نفسه . وكان هذا الخادم حسن العقل ، راجح الوزن ، يتقلد البريد بمصر ، وكان أحمد بن طولون يعرفه من الحضرة ، ويعلم منه حسن اختيار فيما هو بسبيله ، فتيقن أنه لم يختار من كتابه إلا مختاراً ، وهو رجل يعرف بحسن بن مهاجر فقال إليه وسأل عنه هو ، فأحضره وسأله عن بلده وسبب تعلقه

(١) في رواية ثمانية وسبعون ألف دينار

بحسين الخادم فقال : ولدت بالرقّة ، وكان والدي يتوكل لحسين هذا
في ضياع هناك ، فاجتاز به في مسيره إلى مصر ، فطالع ماجرى على يديه
فأحمد أمره فيه ، وتأملني وأناين يديه أكتب فالإليّ ، فقال لوالدي :
خرجت من الحضرة ولم استصحب منها كاتباً ، أعلمه منهم من المرأة
ولطف الحيلة ، وأنهم للعامل الخائن أوفق منهم للناصح ، وأحب أن
تصحبني ولدك هذا وتؤثرتني به فأني أقنع به وأرجو إن يحسن تأديبي
له أن يبلغ ما تُقصد عنه الحداثة ، ويتخرج معي فأبرّه وأكرمه
عن غيره ^(١) ، فشق ذلك على والدي لفارقتي له ، ولم يتهياً له مخالفته .
فسلمني إليه وألزم نفسه تأديبي وتقويمي ، كما يتولاه الوالد من ولده .
حتى إذا هو تبين اضطلاعي بما يسنده إليّ سلّم إليّ ديوان البريد ،
وقال لي : يا بني احفظ ما أوصيك به ، إحذر أن أراك في دار غير
داري ، ولا تسكن إلى أحد سكونك إليّ ، فإن تفويضني إليك
يوجب لي ذلك عليك ، وليكن إيثارك لحسن الذكر أكثر منه
لكسب المال ، وطلبتك للصواب أكثر منه لحسن الذكر ، وإن
شقّ عليك تحمله ، فإنه أحمد عاقبة فيما تأتية من غيره ، مما لا مشقة
عليك فيه ، ولا تنزعنّ إلى إنفاق ما تكتسبه ، بابتياح الأعراض
النفسية والملابس الرائعة ، فإنك لا تزيد بذلك إلا في عين ناقص
الفهم والحال ، لأن من قوي تمييزه إنما يطالع ما صدر عنك من فضل ،

(١) ورد في الاصل : فاسر به واكرمه من غيره .

واستعرضه فيك من طبع ، فإذا غاب عليك إيثاري شي يحسن به ظاهره
فطالع يمينه في حاصلك ، واعلم أنه في يدك متى شئت من غير أن
تغري بك كل حاسد أو باغ . ولاتذكرن لأحد من حديثي ما يسهل
عليك إذاعته ، فيجترى بذلك على إذاعة ما يقف عليه من سري ،
وأطو ما تستعرضه مني طي الصحيفة ، واحذر أن يسبقك أحد إلى
مطالعتي بما أتو كفه^(١) . وقد أمرت لك بكذا وكذا ديناراً ، لتأمل
بها زيادة عطيتي على عطية خيانتني ، واشتمل على أمري ، وقابل
ما ابتدأتك به بما يقصي عنك سوء النية لديك ، وفقك الله وسددك .

فقال له أحمد بن طولون : فمن خدمت بعده ؟ فقال : ما استرحت
إلى سواه ، ومعوّلي فيما يقيمني على جزء مما أفادنيه غنيت به عن سواه ،
فأنا أستغله مع قوم أثق بهم وبموداتهم وحسن معاملاتهم ، فأصرف
الفضل فيما ينوبني ، وأردُّ الأصل إلى موضعه . فقال له : وكم صرف
إليك حسين الخادم ، فقال : أربعة آلاف دينار ، وهي كانت أكثر
ما كان في حاصله في ذلك الوقت . فقال له : فما أحب من كاتبني إلا
ما وصالك به صاحبك لا زيادة عليه ، وقد أمرت لك بمائة ألف دينار ،
فإذا جريت على ما وصالك به صاحبك ، فهذا المال قليل من كثير لك
عندي ، وخلع عليه وحمله ، وألزمه خدمته ، فلم ينكر منه أحمد بن
طولون إلا تحامله على الناس له ليحظى بذلك عنده .

(١) نوكت الخبر انتظره وسأل عنه وتوقعه

فقال له يوماً : قد صحت عندي نصيحتك ، وأنت غير محتاج أن نتعامل على أحد لتزيد عندي ، وأنت تجني على نفسك بذلك من الأثام واستيحاش الناس مني ، أكثر مما تحوزه لي من الحظ ، واعلم أنك تزرع في قلوب الناس بما تأتيه حقداً لا تفنيه الأيام ، بل تتوارثه الأعداء ، فاطلب الشكر من الناس ؛ فليس يكرهه إلا ناقص المعرفة ، جاهل بما يوجبه حسن السياسة ، غير عالم بما في باطن النصيحة ، فيز الناس تمييز عادل : تلقى شرارهم بغلظتك ، وخيارهم برأفتك .

قال : فسألت نسيماً الخادم عن المائة ألف دينار التي دفعها إليه أحمد ابن طولون فقال : هي المائة ألف من المائة ألف التي أخذها من ابن مفضل ؛ تركها معزولة بحالها ناحية ، حتى يرى فيها رأيه ، فلما استكتب ابن مهاجر أمرني بدفعها إليه .

صفات بعض
عمال ابن طولون

قال صالح بن علي : جرى في مجلس لابن عبد كان ذكر محبوب بن رجاء وحسن بن مهاجر ، فطعن عليهما أكثر الحاضرين ، فقال ابن عبد كان : الصدق أجل ما يؤثر ، في كل واحد منهما فضل بين ، وإنهما لعل أفضل طريقة : أما محبوب فسرير الجواب ، حسن الانتزاع ^(١) ، حلوا المكاتب ، وأما ابن مهاجر ففوقور [النفس] ، مستصغر لنصيحة من ينصحه ، بعيد الغور ، لا يؤثر على توفير مال صاحبه ، وعلى ما زين

(١) في رواية : حسن الاستماع .

حاله عنده شيئاً من أعراض الدنيا ، ولقد اجتمعما وقت المناظرة ، وكل واحد منهما مغيظ على صاحبه ، فقال حسن لمحبوب : أمرني الأمير أن أجلس في حلقك حتى تفصل ما أثبتته من الحساب الذي رفعته . فقال له محبوب من وقته : لو جلست في حلقك قذفتك في المخرج . فأضحك جميع من حضر ، وانقطع ابن مهاجر ساعة ، ثم تناظرا ، فقال محبوب لحسن : أنت شاب أحدث غرّاً ، والصواب لك أن تستشعر خوف الأمير . فقال له حسن : والله ما أخافه . فقام بها محبوب وقعد ، ورفعها أصحاب الأخبار إلى أحمد بن طولون ، فدعا بهما وقال : ما هذا الكلام الذي جرى بينكما ؟ فقال له محبوب : ذكر حسن أنه لا يخاف الأمير ، فقال له أحمد : هو ذا تسمع يا حسن ، فقال : كذا قلتُ أيها الأمير ، لأنني قد استغرقت جهدي في نصيحتك ، وقد أمنت جورك ، وليس مع هذين ما يخيفني منك . فقال له : صدقت ، الأمر كما وصفت ، بارك الله عليك وفيك . وذهب حسن بن مهاجر إلى قول الأحوص في عمر بن عبد العزيز :

وأرى المدينة منذ صرّت أميرها آمِنَ البريُّ بها ونام الأعرل
ولقد أحسن ابن مهاجر في ذلك .

وشبهه بهذا ما روي عن عمر بن الخطاب رحمه الله أنه اجتاز ببعض سكك المدينة ، فرأى صبياناً يلعبون ، فيهم عبد الله بن الزبير ، فهربوا جميعاً غير ابن الزبير ، فقال له عمر : مالك أنت لم تهرب كما

هرب أصحابك ؟ فقال : لم آتِ جرماً فأخافك ، وما بالطريق من ضيق فأوسع لك . فأعجب عمر قوله ، ومضى وهو يقول : الله درك وبارك الله عليك .

له صاحبة محبوب
ابن رجاء

قال : وذُكر أيضاً محبوب بن رجاء في مجلس ابن عبد كان فقال قائل : إنما كان مقبلاً بآقبال صاحبه ، فلما مات أدبر . فقال ابن عبد كان : دعونا من هذا القول ، لقد كان بين الفضل . لقد أمرني أحمد بن طولون يوماً بإنشاء كتاب يقرأ على المنبر فأنشأته ودفعته إلى محبوب ليقرأه ، وكان فصيحاً ، فدفعه محبوب إلى غلامه صاحب دوانه ، ليحمله إلى الجامع ، وتركه الغلام في منديل العسل ^(١) . وركب الأمير إلى الجامع وحمل الغلام ثلثاً ثقيلاً ، وهو يقدر أنه الكتاب ، فلما صعد محبوب المنبر ناوله الغلام الثلث النقي ، فلما نشره محبوب علم أن الغلام غلط ونسي ، فاندفع ومضى به يقرأ ، وينشر الثلث ويطوي ليوهم من يراه أنه يقرأ منه ، مثل ما كان في الثلث ، وما شذ عنه منه شيء ، بألفاظ عذبة حسنة المعنى في الذي قصده ، وأتى على ما كان في نفسه . فلولا أنني الذي أنشأته ، لشككت فيه ، وما فطن به أحد غيري ، بل تبين منه الأمير بعض الاضطراب لذكائه ، وحدة خاطره ، وقوة حسه .

(١) الأقرب « منديل النمر » والنمر بالتحريك السهك وريح اللحم وما يلقى باليد من دمه ، ويقال لمنديل النمر المشوش ، ومنديل النمر هو ما نطلق عليه اليوم « فوطاة الأكل » أو « السفرة » .

فلما نزل عن المنبر أمر أن يؤخذ منه الغلام فأخذ ، وما خاطبه حتى صار إلى الدار ، فأحضره وقال له : ويحك إنك قد أتيت بمثل ما كان في الكتاب ، ولولا ما فيك من الفضل لا فتضحت ، فكيف جرى هذا ؟ فعرفه غلط الغلام فقال له : إن لم تؤذبه على هذا أدباً يمنعه من تركه مراعاة أمرك ، حري عليك بعده أعظم منه ، وأمر بإحضار الغلام فأحضره ، فضرب بين يديه مائة مفرقة . وقال لمحبوب : إن اخترت أن تستبدل به فافعل ، وإن علمت هذا الأدب قد أصلحه فدعه على رسمه . ثم قال ابن عبد كان : وإن كان الرجل يقبل بإقبال صاحبه كان ، فله فضل طبيعة وحسن صناعة .

وعدنا إلى أخباره الموجبة له العذر فيما يأتيه من العقوبة ، فمنها خبر ابن شعرة ، وكان ابن شعرة ^(١) هذا يضحك المتوكل على الله ، وكان يغني أيضاً ، وكان قد انضوى إلى ابن مدبر لصبابة خراجيات ^(٢) كانت له بمصر ، فكان لما يعلم من كره أحمد بن طولون لابن مدبر يذكره عنده ، فأحضره وسماه عن ذلك ، فكانه إنما أغواه بنفسه ، ولم ينته . فأقبل على حملته يتقرب إلى ابن مدبر يذكره كل ما سمعه ، يذكر ثقل وطأته عليه ، ويتبرم بمكانه معه في البلد ، فبلغه أيضاً ذلك فوجه إليه من نهاء فلم ينته ، وبلغه عنه ما يتفره مثل ذلك ، فأحضره وقال له : ويحك انت انت عما يبلغني ، واحذر مني ويحك ، فلن يبلغني عنك

انتقام ابن طولون
من كان يبال منه

(١) في الصفحة التالية ان اسم الحسن ، وفي المكافاة : الحسين بن شعرة .

(٢) في المكافاة : قد انضوى اليه فحمى به ضياعه وأملاكه .

بعد هذا شيء أنكره إلا أتيت على نفسك ، فعاد إلى ابن مدبر بعد أن حلف له أن جميع ما يبلغه تحيُّفٌ عليه ، فلما عاد إلى ابن مدبر دخل خزانة الكسوة ، ولبس منها مثل ما كان على أحمد بن طولون وخرج إلى ابن مدبر ، فجلس مثل جلوس أحمد بن طولون وحاكاه ، وأعاد ما خاطبه به ، وأقبل ابن مدبر يضحك منه ويعجبه ذلك . وبلغ ذلك أحمد بن طولون . وانفق في الوقت أن السعر بلغ ، واضطرب البلد لذلك . على أن السعر كان إذا تحرك في أيامه كان خمسة أراذب بدينار وأربعة ، وإلا فكان من العشرة إلى مادونها مما ذكرناه . فركب أحمد بن طولون ليهدي الناس ، ويعاقب قوماً من القهاجيين والدقاقين ، وينظر فيما يصلح أمر الناس في البلد . فلما بلغ إلى مسجد عبد الله ازدحم النساء من السطوح ينظرن إليه ، وأشرفن من كل دار ، فاطلعت امرأة من دار ابن شعرة من أعلى سطحها من بين مِرْكَنِي^(١) ريجان ، وجاءت أخرى لتنظر معها ، فازدحمتا ، فرمت إحداهما أحد المِرْكَنَيْنِ الريجان ، فسقط للمقدور على كفل دابة أحمد بن طولون ولم يشعر به ، فوثب الفرس ونثره من سرجه ، ولولا ثبوته في ظهره لرماه الأرض .

فسأل عن الدار إن هي ، فقبل لحسن بن شعرة ، فأحضره في الوقت ، وشق عنه وضربه في موضعه خمسمائة^(٢) سوط وهدمت داره ، وطيف

(١) المركن كثير: آية كالأجانة تفعل بها الثياب أو تزرع فيها الرياحير والجمع مراكن ومراكين .

(٢) في المصنفات : ثلاثمائة سوط وطاف به وكان ما أوقفه به من أجل متقدم رواقه إليه ولم

يفاج الحسنيين شعرة بعدها .

به البلد على جمل ، فبلغ ما كان في نفسه منه ، مكافأة على قبيح أفعاله
به مرة بعد مرة ، وهو يحذره فلا يحذر .
وعاد وقد بلغ في أمر السعر ما أحب وأحب أهل البلد ، وكثر
الضجيج له بالدعاء على ذلك ، وتصدق في ذلك اليوم بجملة عظيمة ،
شكراً لله على كفايته .

ومن ذلك أنه كان له بسر من رأى صديق من أولاد الموالي قد
برع في الكتابة والأدب ، وحسن الافتنان في العلوم ، وحلاوة
الشاهد . فلما استقلت أحواله ببصر وعظمت ، كتب إليه يستزيره ،
ويذكر له أن الحال التي قد هيأها الله جل ذكره لاتهنته إلا بمشاركته
فيها ، وأتى في ذلك ما يأتيه الكرام مع إخوانهم إذا رزقوا حالاً استبدوا
بها دونهم . فأجابه أن السفر يشق عليه ، والبلد بلد شاسع ، لا يكاد
يعهد السفر إليه ، ويذكر من شوقه إليه أضعاف ما ذكره في كتابه ،
وأن البسير الذي في يده يُقنعه ويُغنيه عما سواه ، ويشكر له فعله ،
فغم ذلك أحمد بن طولون وساء تأخره عنه ، لما كان بينه وبينه من
المودة والعشرة والأخوة ، فأراد الإفضال عليه والأنس به .

فلما سرفت الحال بينه وبين الموفق ورد كتابه عليه يذكر فيه
أن شوقه إليه قد تزايد ، وأنه لا يطيق الصبر عن زيارته ، وأنه قد
سهل عليه تحمل مشقة السفر ، لما قد استولى على قلبه من محبة النظر
إليه ، ويستأذنه في الرحيل إليه .

صديق لابن
طولون ينقلب
عليه ويريد قتله

فاستبشر أحمد بن طولون بذلك ، وأذن له فيه ، إلا أن نفسه ،
لقوة ذكائه ، نفرت بعض النفور . وكتب إلى خليفته طيفور يأمره
أن يستكشف له خبره ، ويشرح له صورة أمره بالحضرة ، وإلى من
ينقطع بها ، فكتب إليه أن حاله حسنت في دار السلطان ، ومنزلته
قد ظهرت ، وأن بينه وبين الموفق صلة قوية ، وله منه منزلة كبيرة .

ولم يمض إلا مديدة يسيرة ، حتى وافاه خبره ، أنه قد قرب من
البلد ، فأخرج إليه وجوه أصحابه وقواده ، وتلقوه بالعباسة ^(١) ، فلما
بلغ منية مال الله ^(٢) أقام له الجيش سباطين ^(٣) ، في أحسن زي إلى
الميدان ، ومن الميدان إلى داره ، وأوقف من باب قصره إلى مجلسه
الروم والترك والمستوقدات والعمد الحديد ، ودخل الرجل يشق
هوئلاء كلهم حتى وصل إليه ، فكاد عقله يطير مما رأى وشاهد ، مما
لم يظنه ولا قدّره .

فلما قرب منه قام إليه أحمد بن طولون فتلقاه ، وأجلسه معه ،
وأكب عليه يسأله عن أحواله ، وقد أعد له حجرة في قصره وفرش

(١) العباسية قرية بنيت باسم العباسية بنت أحمد بن طولون لما خرجت مع فطر الندي ابنة
مخارويه مشيعة لها إلى آخر أعمال مصر من جهة الشام ونزلت هناك وضربت فساطيطها على ما روى
ابن خلكان في وفيات الأعيان (وانظر تعليقة ص ٥١ من هذا الكتاب) .

(٢) لم تعرف قرية بهذا الاسم في القديم ولا الحديث .

(٣) سباط القوم : صفهم ، والسباط المائدة السلطانية أو ما يسط على الأرض لوضع الأطلعة
وجلوس الآكلين .

له فيها ، وأعدَّ له جميع ما يحتاج إليه من كل شيء حسن جليل له خطر وحسن من قليل وكثير . فلما خليا ساعة وتحدثا دعا بالمائدة فأكلوا ، ولم يزاالا في حديث وموائسة إلى وقت العشاء الآخرة ، فقال له احمد ابن طولون : أنت قد تعبت وتحتاج إلى راحة فإن نشطت إلى أن تخلو لذلك في دارك فعلت . فقام الرجل إلى تلك الدار ، وأتبعه غلمانة وحجبه يسبقونه إليها ، فلم يمض من الليل إلا أيسره حتى أمر خاقان الطرسوسي بالقبض عليه ، والاحتياط على جميع ما معه ، حتى لا يفوته منه شيء .

وكان إذا جرى منه شيء في هذا الباب كشف لأصحابه عن وجه الخبر فيه ، ليزول عن قلوبهم التعلق بما يجري منه . فلما انقضى أمر الرجل ومضت له ثلاثة أيام ، أقبل على جماعة من وجوه أصحابه وقواده فقال : اسمعوا خبري مع هذا الرجل الذي استدعيت لأقضي حقه وحق الصحبة كانت بيني وبينه والمودة ، ولما أعلمه من حاله لبشر كني في نعمة الله عندنا ، فأبى وامتنع عليّ ، واستبعد الطريق إلينا ، فغمني ذلك .

ولما كان في هذا الوقت كتب يستدعي ويذكر شوقه إلينا ، ويسأل الإذن له في مصيره إلينا ، فأذنت له في ذلك ، وآثرت مشاهدته ، وكتبت إلى خليفتي بالحضرة ليستكشف لي حاله هناك ، فكتب يدكر أن حاله قد حسنت في دار السلطان ، ومنزلته قد عظمت

عنده ، وخطته بالموفق قد ظهرت ، فما قدّرت إلا أن الموفق لما بلغه ما بيني وبينه من الإخاء والمودة دسّه إليّ ليحسن التسديد بيني وبينه حتى يصلح ما تشعث بيننا .

فلما وافى واجتمعنا ، لم يدّع للموفق مثبّة إلا نبشها ، ولا قبيحا إلا ذكره ، ورأيت صورته قد انقلبت عما كنت أعده عليه ، فتلطفت بأن استحضرت غلامين له ، رأيتهما مشتغلين على أمره ، فوعدتها ورغبتها ، فأحضرتني سفطا فيه ثمانون كتابا من الموفق إلى وجوه قواصي وخواص غلماي ، يعدّم فيها بأن من فتك بي منهم قلده البلدان الخطيرة ، وأسنى له العطية الجزيلة ، أفالأم على ما فعلته في أمره ؟ فقالوا : لا والله ، أيد الله الأمير ، والحمد لله على ما وفق الأمير له في أمره ، والعذر للأمير أيده الله ، والذنب لمن جنى على الأمير ، ولم يحفظ المودة ويرع الإخاء ، وقد جازاه الله بما يستوجبه .

معاملته لأولاد
حميه

ولما مات يارجوخ في سنة ثمان وخمسين خاف ستة بنين وبنات ، كان يارجوخ قد تزوجها من موسى بن بغا . وبنو يارجوخ : عيسى وهو الأكبر ، وجعفر طريده ، والفتح طريده ، وثلاثة صغار : صالح ، ورجاء ، ونصر ، لم يبلغوا الحلم . وكان عيسى بن يارجوخ كثير الهبة ، شرس الأخلاق ، كبير الهمة . فلما مات أبوه لم يلزم الركوب إلى دار السلطان ، ولا واظب على الخدمة ، وقدّر أن الأمر يحيثه على ما يحبه ، وهو جالس

في داره . فلما ترك الخدمة ولزم منزله اقتصر على رزقه ولم يقدِّ عملاً ، ولا ارتفق بزيادة ولا جارية ، فأغاضه ذلك ، فحمل إخوته وأخته ، وخرج بهم على طريق مكة . ووافى إلى أحمد بن طولون من الحضرة فقبله بأحسن قبول ، ووفّر عليه الرزق ، وأجرى على إخوته كلهم وأخته الأرزاق السنية ، وأقام لهم الوظائف ، وزوج جعفر بن يارجوخ من ابنته الكبرى فاطمة ، لأن عيسى كانت له امرأة . ولم يزالوا عنده في أجلّ حال ، حتى دعت عيسى شراسة أخلاقه إلى السكر ، وبلغه عنه مقالات قبيحة ، ذكر أنه صنّعة أبيه ، فوجه إليه يعذله على ما يبلغه عنه .

فلما علم عيسى أنه قد علم بمقالاته فيه ، سأله أن يطلقه إلى طرسوس خوفاً منه ، وحياءً من خطاؤه عليه ، ففعل ووصله بمال جزيل ، وكتب له جوازاً ، وحفظ فيه فعل أبيه ، ولم يواخذه ، ومنعه أن يأخذ معه إخوته ، وأقرهم عنده على حالهم ، حتى دعت جعفرأ أيضاً حماقته التي كانت فيه ، ولأنه كان بينه وبين العباس منادمة اصاهرة بينهما إلى أن خرج معه إلى برقة ، فلما كان من أمره ما كان ، عاقب الناس جميعاً ، وقتل من قتل ، وأعفى جعفرأ من ذلك ، غير أنه أمره بالخروج عن البلد .

وحدث محمد بن عبد الله الخراساني الدهان قال : نزل عندنا بجارة الخراسانيين شاب حسن الوجه ، فصيح اللسان ، حافظ للقرآن وسنة

مقتل خراساني
بيد من هتك
الخراساني عرضه

النبي صلى الله عليه وسلم ، من أهل بلخ ، فجلّ في قلوبنا ، وحلّ منا محلاً لطيفاً ، فأمنّا في مسجدنا في حارتنا ، وتوزّعنا ما يكفيه من أموالنا ، فكنا نجلس عنده في المسجد كل عشية ، ونأنس بحديثه ، وحسن فصاحته ، وكثرة فوائده . فإنّا لجلوس معه يوماً في عشية من العشايا ، حتى طلع علينا كهل من الحراسانية ، عليه لبّاد ، وفي يده خنجر مشهور ، فلما رآه إمامنا قام مبادراً هارباً ، فعدا صاحب اللباد خلفه ، فلاحقه ، فلم يزل يتوجّوه ^(١) بخنجره حتى قتله ، فقبضنا عليه وسقناه إلى الشرطة ، وهو مقتاد معنا غير متعاص ولا منكر .

فأوقفنا صاحب الشرطة على أمره ، فرفعنا بأجمعنا إلى أحمد بن طولون ، فلما حضرنا بين يديه ووقف على صورة القضية قال له : ما الذي حملك على ما أتيت ، فقال : أعز الله الأمير ، كان هذا الرجل جاري ببخارى ، وكان حسن المجاورة ، ظاهر الستر ، لا نعلم ما في باطنه ، فألفته وملت إلى عشرته ، فدخلت يوماً من الأيام إلى منزلي على غفلة من أهلي ، فوجدته مفترشاً زوجتي ، ففزعت إلى السيف ، وإلى أن أخذه فهرب مني ، فعدت إلى المرأة فقتلتها ، واشتهر أمري في الجوار ، فأحضرني أهل المرأة إلى السلطان فعرفته قصتي فأطلقني ، وأمرني بطلب هذا الفاجر ، وأباحني قتله ، فطلبته فلم أجده ، وأخبرت بخروجه عن بخارى ، فتركت شغلي ومعاشي ، وما أنا بسبيلة ببلدي من تجارة وأهل ، وخرجت خلفه .

(١) وجاء باليد والسكين كوضعه : ضربه كتوجّاه .

وكنت لا أدخل بلدًا إلا قيل لي ، إذا سألت عنه ، إنه قد دخل
إلينا ورحل ، إلى أن بلغت مصر ، ولي هاهنا مدة أسأل عنه في كل
يوم ، وأدور عليه ، وأصف صفته ، إلى أن عرفت بالصفة ، فعرفت
أنه يصلي بقوم في المسجد الذي وافيته فيه ، فأخذت بطائلي^(١) ،
وشفيت ما في نفسي ، فاصنع بي أيها الأمير الآن ما شئت ، فقد سهل
عليّ القتل بعد ما وصلت إليه .

فسألنا أحمد بن طولون عن المقتول لما رآه ما الذي عمل ؟ فقلنا : لما
نظر إليه قام يعدو هارباً منه . فقال له أحمد بن طولون : كثر الله في
الناس مثلك ، انصرف مكلوفاً ، فأقام عندنا تلك العشية ، وودعنا من
غدٍ وخرج إلى بلده .

ومن ذلك أن صاحب الخبر رفع إلى أحمد بن طولون أن رجلاً
دعا صديقاً له إلى منزله فقتله ، فأمر به فأحضر إليه مع أولياء الميت ،
فسأل أولياء الميت عنه ، فقالوا : دعاه هذا الرجل إليه ، للصدقة بينهما ،
وجاءونا به مقتولاً من منزله ، فلا نعلم كيف كانت حاله . فسأله عن
القصة فقال : والله ، أيد الله الأمير ، ما عندي علم من أمره ، وإنه
عندي لمثل ناظري ، وعزيز عليّ بما فُجعت به منه ، وإني عليه لشكلان
مُوجع . ولقد كان أخصّ خلق الله عندي ، وأحبهم إلى قلبي ،

قيل النيد وذكاء
ابن طولون

(١) الطائفة : العداوة والترة والحسم الطوائف وهي الذحول والآثان ، وهذان يطلب بني فلان بطائفة

أي يوتركان له فيهم ثأر يطلبه بدم قتيله .

ومحسب الأمير ، أيدته الله ، أني أصلحت نبيذاً منذ سنتين ، وأعوزتني الظروف فقيرت^(١) ظروفًا كباراً ، وجعلتها فيها ، وتركت الجرار في الشمس ، ولي في السطح برج حمام فتهدم منه موضع ، ولم يحضرني في الوقت طوب ، وخشيت على الفراخ من دخول شيء إليها ، فأخذت جرة من تلك الجرار الكبار فسددت بها ما انهدم من البرج وطينتها ، وعملت على أن أطلب طوباً فأجعله مكانها وأخذتها ، ومضت الأيام ونسيتها بالشغل والعوارض فما ذكرتها ، وانتقضى النبيذ وفرغ ، واعتلت علة قطعني عن إصلاح غيره ، فلما وهب الله جل اسمه العافية في هذا الوقت صعدت أفتقد الحمام ، فرأيت بعض الطين قد انكشف عن الجرة النبيذ ، فذكرتها فأخرجتها وجعلت عوضها طوباً ، وسررت بها كل السرور ، لأجتمع أنا وأخي هذا على شربها . فخرجت واشتريت لحماً وما أحتاج إليه ، وصفيتها في [إنا] أي ، فرأيت منظراً ما رأيت أحسن منه ، وعيّت^(٢) مجلسي كما يجب ، ومضيت إلى أخي فحدثته حديث الجرة ، فقرح بها أيضاً ، وسألته الحضور ، وأن يحضر معه ثلاثة من إخواننا ، وعدت إلى منزلي ، وتشاقلت بالطبخ وما أحتاج إليه .

فكان صديقي هذا وأخي أول من وافاني من إخواني ، وأنا مشغول ما فرغت ، فنظر إلى النبيذ فاستحسنه جداً وأعجب به ، وحلف أنه

(١) القار والقير : شيء أسود يطل على السفن والابل وهو الزفت ، وقير الحب والزق إذا طلاه

وقير الطرف طلاه . (٢) عيت : لغة في عبأت أي هيات

ما رأى قط مثله ، وشرب منه قدحاً واحداً ، ووضع رأسه فنام ، فلما فرغت من شغلي وحضر إخواني ، أصلحت المائدة وتقدمت إليه لأنبهه فوجدته ميتاً . فورد عليّ ، أيد الله الأمير ، من الأمر ما خشيت معه أن أجنّ ، وحرّت وحار القوم ، وبقينا لا ندري ما نعمل ، ولم أجد بدءاً من حمله إلى منزله ، فحملناه إليهم وعرفناهم خبره .

فقال أحمد بن طولون لأولياء الميت : تشكّون في مودته كانت لميتكم ؟ فقالوا : لا والله ، أيد الله الأمير ، لقد كان به عليه من الإشفاق والمحبة مثل ما نحن له عليه وأفضل ، وما نتهمه في أمره بوجه ولا سبب .

فقال له أحمد بن طولون : ما فعل النبيذ ؟ فقال : هو بحاله ، أيد الله الأمير ، شغلتنا هذه المصيبة عنه وعن كل حال . فقال له : أحضرني منه شيئاً ، فوجه معه من أتاها منه بقينة ، فنظر أحمد بن طولون إلى لونه وقال : حسن . فاستحضر كبد خروف فأتي به في غصارة^(١) صيني فملاً من النبيذ قدحاً وصبه على الكبد ، وغطاها قليلاً وكشف عنها فأصابها قد تقطعت وتهرأت ، ثم استدعى كبداً أخرى فأتي بها ، فأخذ من النبيذ قدحاً ، فجعل نصفه نبيذاً ونصفه ماءً ، وصبه عليها وغطاها أيضاً ، وتركها قليلاً ، ثم كشف عنها فوجدتها تبرق مصقولة حسنة ، فقال للرجل : هكذا كان ينبغي أن يشرب هذا النبيذ منصفاً

وقال لأولياء الميت : مات ميتكم بأجله وعلى حسب ما قضيت موته
فشأنكم بميتكم فا [مضوا وادفنوه] ، يتولاه الله جل اسمه برحمته .
ثم قال لصاحب النبيذ : امض واحذر أن تسقي أو تشرب من هذا النبيذ
شيئاً صرفاً فإنه قاتل . فقال : والله ، أيد الله الأمير ، لا شربت ولا
أسقيت بعد [يومي] نبيذاً أبداً ما عشت ، فقال له : جودت انصرف مسلماً .

الخطيب الموعود
بالعقوبة ومكافأته

ومن ذلك أنه راح في يوم جمعة فلما رقي الخطيب^(١) المنبر وخطب
دعاً للمعتمد ولولده ، ونسي أن يدعو لأحمد بن طولون ، ونزل عن المنبر
مرقاة ، فقال سوار الخادم : فأشار إليّ أن إذا فرغ من صلاته وخرج
أضربه خمسمائة سوط ، فذكر الإمام وهو على المرقاة الثانية ، فرجع إلى
أعلا المنبر ، وقال : الحمد لله وصلى الله على محمد . « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ
مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً » ، اللهم وأصلح الأمير أبا العباس
أحمد بن طولون . وزاد في الدعاء له ، ثم نزل عن المنبر . قال سوار : فنظر
إليّ مولاي وقال لي : اجعلها دنائير . ووقف الخطيب على ما كان منه ،
فحمد الله جل اسمه على سلامته منه ، وهناه الناس بالسلامة .

ومن ذلك أنه اعتلّ معمر الجوهري فعاده أحمد بن طولون ،^{اكتشف ظلامه}
وكانت بينه وبين معمر مودة وخالطة ، وميل شديد ومحبة . فإنه
لعنده جالس يتوجع له من عاتيه ، ويذكر له غمه به ، وشغل قلبه

(١) في خطط المقرئ ان هذا الخطيب كان ابا يعقوب البلخي .

بأمره ، ويدعو الله له بالعافية ؛ إذ سمع صائحاً يقول : أنا بالله
وبالأمير . فقال للحاجب : ما هذا ؟ فخرج وعاد فقال : امرأة .
فقال : هاتها . فدخلت إليه عجوز فلما رآته قالت : أنا بالله وبالأمير .
فقال لها : ما قصتك ومن تتظلمين ؟ فقالت : من هذا الذي أنت عنده ،
أيها الأمير . فقال لها : وما خبرك معه ؟ فقالت : أنا امرأة من أهل
الستر ، ولي نصف دار منها معيشتي ، وفي بقائها عليّ نعتي ، فاشتري
هذا الرجل من شريك ، وكدني في أن أبيع النصف الذي لي لتكمل
له الدار ، فامتنعت لأن في بقائها ستري ، وفي بيعها هتكلي ، فأنا
من كده لي ومطالبته إياي بالبيع ، وتخويني منه ، في أمر قد عذبنني
وحيرني . فردّ أحمد بن طولون إلى معمر وجهاً مكفهرًا لم ير مثله قط ،
تسكاد أن تطير من عينيه النار ، وانتقلب في الوقت عن تلك الحال التي
كان عليها له إلى غيرها ، كل ذلك مراعاة لحق الله عز وجل . ثم قال
له بعدسة وانتقباض وجفاء خطاب : ما تقول فيما قالت هذه المرأة ؟
قال معمر : جميع ما أملكه صدقة ، إن كنت أعرف شيئاً مما ذكرته .
فقالت المرأة : وكيف لك فلان الذي بعثني ويؤذيني ، وطلب في
الوقت فلم يوجد . فقام أحمد بن طولون وقال له : أنصفها ولا تحوجها
إلى شكاية بعدها . فبث معمر الرسل يطلبون وكيله حتى أحضر ،
فسأله عما حكّت المرأة قال : نعم صدقت ، النصف من الدار
الفلانية اشتريناها من شريكها ، وطلبت منها النصف الذي لها لتكمل

الدار بأجمعها لنا فامتنعت . فأمره باحضار الكتاب بشراء النصف فأحضره ، فأقر لها في ظهره أن الشراء لها دونه ، ووهبه لها ، ووصلها بجملة دنانير . وقال لها : قد أبقى الله جل اسمه عليك النصف الذي لك ، وزادك النصف الذي لنا هبة منك ، فأحب أن تمضي وتلقي الأمير ، وتعرفيه ما فعلته في أمرك وتشكريني عنده ، فخرجت إلى الميدان فلقيت أحمد بن طولون ، فعرفته ما كان من معمر فحمد الله على ذلك^(١)

ومن عجيب أخباره أنه لما صرف أبا أيوب عن الخراج وقلده أحمد بن إبراهيم الأطرش جعل يتجسس عنه فلا يجد له شاكياً ، ولا به ساعياً ، وكان قد استكتب أبا الجيش علي بن أحمد ، وسنه يومئذ أربعون سنة ، واستخلفه على جميع أمره ، وكان كل الكتاب يومئذ يحلفون ، وهم متوافرون ، أنهم ما رأوا ولا شاهدوا أحضر ذهناً منه ، ولا أقوى حفظاً .

فبينما أبو بكر أحمد بن إبراهيم الأطرش يوماً في الديوان يناظر المعاملين ، إذ نظر [إلى] نصراني كان يعرف بأيسحق كاتب جرجان ، وكان معتقلاً شيخاً من المتقبلين يعرف بابن جمهور فآدى^(٢) النصراني عليه ،

(١) قال ان مثل هذه الشكايات كان اربابها يرون ان دفعها الى ابن طولون على هذا الوجه اثم - الى ييل ما يتطلون ، والا فان صاحب الدولة الطولية كان يجلس للمظالم وينظر بنفسه في طلاعات الناس . روى القريزي في الخطط انه كان اول من جلس مصر من الأمراء للنظر في المظالم وكان يجلس لذلك يومين في الأسبوع . (٢) آدى : قوي .

فاغتاز ابن الأُطروش من تسلط النصراني على الشيخ، فأمر برده إلى حبسه . فصاح النصراني : نصيحة للأمير أحمد بن طولون . فما تم كلامه حتى وافى صاحب أحمد بن طولون ، فأخذ أحمد بن إبراهيم الأُطروش والنصراني فأحضرهما بين يدي أحمد بن طولون ، فقال لا يسحق النصراني : ما نصيحتك ؟ فقال : أخذ أحمد بن إبراهيم الأُطروش هذا من مال ضياع البلد في هذه الأيام أربعين ألف دينار . فقال لابن الأُطروش : ما تقول فيما ذكره ؟ فأنكره وقال : هذا نصراني أحق ما يدري ما يقول ، وإنما لما طالبت به بما يجب عليه من الخراج عمل هذا ليدفع به عن نفسه المطالبة . فاغتاز أحمد بن طولون وقال له : أنا أسألك عن الحجة فيما ذكره تقيمها تأتيني بخرافات ، فبقي ابن الأُطروش قد حار وُسقط في يده ^(١)

ورُفع في الخبر إليه ، لأن الأخبار ما كانت تُعْبَهُ في كل ساعة بكل ما يجري من قليل وكثير ، فكان في الخبر أن الباب كاتباً لأحمد بن إبراهيم الأُطروش ، يسأل الحجاب إدخاله إلى الأمير ، فأمر بإحضاره ، فدخل على أحمد بن طولون ، فكان أول ما ابتدأ به بعد السلام على الأمير أن قال : أيد الله الأمير ، جميع ما وجب على صاحبي هذا أحمد بن إبراهيم الأُطروش فهو عليّ دونه بما فوّضه إليّ من أمره ، فإن رأى الأمير ، أيد الله ، أن يعفيه من المناظرة لهذا النصراني

(١) سقط في يده واستقط مضومتين : زل واخطأ وندم وتعير

ويجعلها معي ويصغي الأمير ، أيده الله ، إلى ما يجري فعل . فعجب أحمد بن طولون من تأكيده على نفسه فيما يتبرأ فيه الولد من والده ، فقال له : شأنك وإياه .

والتفت إلى النصراني فقال له : ما نصيحتك ؟ فقال : أخذ صاحبك من مال ضياع البلد أربعين ألف دينار ، فقال له علي بن أحمد : أخذها جملة من حاصل مال كان لها مفرداً ، أو أخذها مفرقاً من الضياع ؟ فقال له النصراني : أخذها مفرقاً من الضياع . قال : فأحضرنّا بها عملاً مفصلاً تبين فيه ما ذكرت شيئاً شيئاً . فقال : ما عندي لها عمل بتفصيل ، ولكن إذا أحضر الحساب للضياع أخرجت من عرضه ما اختزله ويثبت اقتطاعه له . فقال علي بن أحمد : الله أكبر . وأخرج من خفه عملاً وناول له الأمير وقال له : أيد الله الأمير هذه نسخة ما حمل إلى بيت المال عن هذه الضياع دفعة دفعة ، وأنا أحفظها ظاهراً ، وهو ذا أقروؤه وهو يسمع ، فمهما عرف منه هذا النصراني شيئاً فيذكره . ثم اندفع يد كرك ذلك ضيعة ضيعة ودفعة دفعة . وقد أعجب أحمد بن طولون ذلك منه ، وأقبل عليه يستزیده حتى أتى على العمل . ثم استعاده إياه ثانية إعجاباً منه ، واستحسنائاً له ، فأعاده على ترتيب ، لم يقدم حرفاً ولم يؤخر حرفاً ، ثم قال للنصراني : أخبرني الآن ما الذي زاد على هذا حتى يكشفه الأمير ، أيده الله ؟ فإن صحّ علم صدقك ، وإن لم يصحّ وقف على كذبك ، فانقطع النصراني ، وسكت سكوت

منقطع لا خجة معه ، وارتعد بين يدي أحمد بن طولون فقال له :
يا كلب أردت أن تحملني على الإساءة لرجل ليس في خدمتي أعف منه
.....
.....
.....
لولا أن الإسلام يهدر ما قبله (١)
عبرة لغيرك ، وأمر بانصرافه . ثم قال لعلي بن أحمد : بارك الله عليك
.....
منك ، فقد جمعت بين الذكاء والوفاء فلا يدخلني إليّ صاحبك
وقتاً إلا وأنت معه . وكان لباس علي بن أحمد الدُّرَاعَة فنراه أحمد بن
طولون عنها وأمره بلباس الأقبية والسيف والمنطقة ولبس السواد
يوم السلام .

وحدث يحيى بن برامة الحاسب ، وكان صديق أبي يوسف
يعقوب بن إسحق كاتب أحمد بن طولون قال : صار إليّ غلام
أبي يوسف الكاتب ، بعد انصراف أحمد بن طولون من الإسكندرية
إلى القسطنطينية ، يدعوني إليه ويذكر شوقه إليّ ، وكنت قبل
نكبته مواصلاً له ، فلما حبسه أحمد بن طولون [تهيبته] الذهاب إليه
خوفاً على نفسي . فقلت له : ما تركتُ زيارته إلا خوفاً ، فقال : قد
علم عذرك ، والآن فقد تقدم الأمير إلى الموكل بالمطابق ، أن يفرد
من جملة المحبوسين ، ويطلق له دخول من قصده للسلام عليه ، من
أصدقائه وأصحابه وحاشيته وذوي عنايته ، وشوقه إليك شديد ،

سجين ابن
طولون يتم لقاءه
في الحبس

(١) في الأصل هنا خرق ثلاثة أسطر تيمناً في الثالث منها هذه الكلمات

وقد استبطأ تأخرك عنه مع ما جرى من تسهيل أمره ، ففضيت مع
الغلام إليه فوجدته في غرفة واسعة نظيفة فسلم عليّ وقال : يا أبا زكرياء ،
قد تفرغت الآن للعرض عليك ، والاقتباس منك ، فالزمني فلزمته .
فعمل زيح السند هند بأسره ، وعمل صدر آ من أحكام النجوم . وأقمت
أنقطع إليه في محبسه خمس سنين وكسراً حتى أطلق . فحدث يحيى بن
براقة قال : لما دخلت سنة أربع وستين ومائتين ^(١)

.
.

. المسلمين وتتضمن ما ذكر ما اراه

في الضيق . لك وقد سلكت في قصيدي ذلك المسلك ، وكتب
إلى أبي عبد الله الواسطي رقعة يشكو بها حاله ، ويسأله التلطف في
قراءة القصيدة عليه في خلوة ، ويتبعها بما يحسن أن يأتيه وهي :

الشعر صعب على المكروب والعاني	وليس أعجب شيء فيض ملآن
ما للزمان لقد حالت حوادثه	بيدي وبين حبيب فازح دان
إن قلت جاء أجاب الطرف من كذب	ملكنتي بين أبواب وحيطان
ودون عروب وعجم في مجالسهم	موكلين بنا ترك وسودان
إذا تنحنحت قالوا طار صاحبنا	كأنما لي في حبسي جناحان

(١) في الأصل هنا خرق ثلاثة أسطر تينا في اثالث منها هذه الكلمات وفي ابن الداية : لما
دخلت سنة أربع وستين ومائتين تحولت لأبي يوسف سنة مجودة رجا فرجه فيها . فعزل قصيدة
طويلة ، وكتب إلى أبي عبد الله الخ .

لكن طيفك يأتيني برغمهم
 طيف لبيضاء تنقاد القلوب لها
 لولا خيالك يا مولاة مالِكها
 إذا لما عشت من هم أعالجه
 كيف البقاء على سجن حبست به
 إذا مددت يدي مستلقياً بلغت
 وإن علا نفسي نمت سرائره
 وإن تروحت منه للخروج فلا
 للجن فيه عزيف كل صاخبة
 تجول فيه بنات الأفعوان مع الـ

يا حبذا طيف من أهوى ويهواني
 لو خاصمت قرأ جاءت بيرهان
 وأنه كلما نومت يغشاني
 وأحرقت كبدي نيران أحزاني
 كأنه حجر من بين كشباني
 منه ساءوته^(١) شلت^(٢) يد الباني
 ثم استقلت بأحزان وأشجان
 روح سوى مخرج مأوى لشيطان
 تنوح فرعون أو نبكي لهامان
 معارب [السود] من مثني ووحدان

قال : فورد جواب أحمد بن محمد الواسطي عليه يقول : قد قرأت القصيدة عليه ، وهو منشرح الصدر ، فتدمع لبعضها وضحك لبعضها .
 فقلت : أيد الله الأمير . قد طال حبسه ، وبلغ به غضب الأمير حالاً
 رثي له عدوه منها ، فإن رأى الأمير أيد الله أن ين عليه بالرضا ،
 فقال : ما غضبت عليه ، ولو غضبت لجرى مجرى غيره ممن اصطفت
 ماله وأجريت عليه المكروه ، حتى خفي خبره ، واستتر أثره ، وقد
 أطلقت له من يأنس به ، وهو مشغول بتعلم حساب النجوم وقول الشعر ،
 وقد زال الآن عتبي عليه عن قلبي فقلت له : الحمد لله ، فما يمنع
 الأمير من التطول عليه بإطلاقه والرضا عنه ؟ فقال : كلام ألقاه إلي ،

(١) ساءوة البيت : رواقه (٢) شلت بفتح الشين : أي يست

وحدثني به عن أنوشروان ، وهو أنه قال : الملك المتمكن من نفسه لا يغضب سريعا ولا يرضى سريعا ، لأن ذلك من أخلاق النساء ومن قاريهن . فلذلك أطلت حبسه . فأمسكت عن إعادة قول عليه ، فأنت يا أبا يوسف في حبس نفسك بما كنت غنيا عنه من هذا القول .

فلما وصل إليه الجواب من أبي عبد الله قال لمن حضره من إخوانه : أما ترى إلى فظاظة أبي عبد الله في خطابه لي ، وأنا في مثل هذه الحال ، وذمه إياي فيما كان يجب أن يمدحني به ، ولكن يا أخي المحن تقلب أعيان الحسنات إلى المساوي .

فكتب أبا بكر (١) القاضي وسأله كلام أحمد بن طولون في أمره ، ومسألته إطلاقه ، فركب إليه القاضي ، فأذكره بحرمة عليه ، وخدمته له ، وطول صحبته له . واتفق له في تلك الساعة ورود خبر عليه يسره ، فأمر بإطلاقه ، وتخليه سبيله .

وكان وقت الحج ، فلما أطلقه [جاءه] مسلما عليه ، فسأله الإذن له في الحج ، وعرفه أنه اعتقد ذلك إذا من الله عز وجل عليه برضا الأمير ، فأذن له في ذلك ، وأطلق له الذهاب إلى منزله بسر من رأى ، والاجتماع مع أهله وحرمة ، وأطلق له جملة كبيرة من المال وخرج . فلما حج ووصل إلى منزله كف لسانه بالعتاب ، فلم يذكر أحمد ابن طولون بكلمة تكره ولا بقبیح ، فزاد بذلك عند الموفق ، وتقدم به عنده ، وكتب طيفور خليفة أحمد بن طولون إليه بذلك ، وأنه

(١) أي كاتب أبو يوسف أبا بكر

يكثر الشكر بذلك ويطيل الثناء عليه ، فشكر له أحمد بن طولون ذلك ، وصار يكاتبه في مهماته وحوادثه ، ولا يقطع مواصلته بصلاته .

قال مؤلف هذا الكتاب : حدث نسيم الخادم قال : كان أحمد بن طولون مولاي على غيبة من الميل والمحبة لمعمر الجوهري ، فلما مات معمر الجوهري حزن عليه أحمد بن طولون حزناً عظيماً ، حتى ظهر ذلك منه للناس كلهم ، فلم يتعزَّ به ولم يسأل عنه . فلحزنه عليه كان يبكر كل يوم سحراً إلى قبره ، وأنا معه فيترحم عليه ويقرأ قليلاً ، ويعود إلى قصره مع الصبح . فكنا عند موافاتنا قبره نجد في كل يوم امرأة قد سبقتنا إلى قبر مقابل قبر معمر ، تبكي وتنتحب بحرقه موجهة مؤلة لقلب من يسمعها ، فكانت تزيد في حزن أحمد بن طولون وتبكيه .

امراة تبكي
زوجها لستره
عليها

فلما كثر ذلك عليه منها قال لها يوماً : يا امرأة أتبئين ها هنا ؟ فقالت : لا أيها الأمير . فعلم أنها قد عرفت ، فقالت : وكيف لي لو تها لي المبيت ، حتى أبيت ولا أفارق هذا القبر ، وأدفن فيه مع صاحبه . ولكنني أسهر ليلي ، لما أجد في قلبي ، فإذا قرب الفجر خرجت ، وقد شغل الحزن قلبي عن الخوف من وحشة الطريق . فقال لها أحمد بن طولون : وما هذه الحال العظيمة التي استحق بها هذا الفعل منك ؟ فقالت : أيها الأمير إنها حال عظيمة عندي ، لا يجوز لي أن أذكرها . فقال لها : لا بد أن تخبريني ذلك . أبتك هو ؟ قالت : لا . قال : فأخوك ؟ قالت : لا . قال : فزوجك ؟ قالت : نعم . قال : أقسمت

عليك لتخبرني بما استوجب به منك هذا الفعل . فقالت : أيها الأمير ،
إني أحترس من ذكره ، وأرفع الأمير عن كشفه . قال لها : إلزامي
لك ذكره قد أزال حشمتك ، وأقام عذرك .

فقالت : أزوجني أبي لهذا الرجل ، وأنا صبية ، ما بلغت مبالغ
النساء . فلما عقد النكاح سافر سافراً طال مدة أيسنا منه معها .
فخلا بي من النساء من لا خير فيه ، وأنا مع أبي وأمي ، وأفسدوني
واستولوا على عقلي ، وحملوني على أن ساعدتهم فيما كتب عليّ ، مما لم
يكن لي منه محيص ، وصبوت كما تصبو النساء وحملت . فلما تبين
والداي جميعاً ذلك ، ورد عليهما ما يرد مثله من المصائب ، فبينما هما
يركضان في الحيرة في أمري إذ قدم هذا الرجل من سفره ، فطالب
بإدخاله عليه ، فدافعه أبي وأمي ، بما يحتاج إلى إصلاحه لي ، رجاء أن
يزول ما في جوفي ، فلم يدها شيئاً يعمل في طرحه حتى عملاه ، فلما نزع
ذلك ، لما قضى الله جل اسمه بكونه .

وقربت ولادتي فوافانا هذا الرجل ، وقد طالبت المدافعة له ، فحالف
بالطلاق أنه يأخذني بعد ثلاثة أيام ، فلم يجد أبي وأمي بدءاً من إدخاله
عليه فدفعته إليه ، وأنا على حال قد علمها الله جل اسمه غمماً
وقلقاً ، وأبي وأمي في أعظم مما أنا فيه ، فلما أدخلت عليه ، وأخليت معه ،
انصرفت أبي وسائر أهلي ، خوفاً من مشاهدة الفضيحة . فلما حصلت
معه في الكِلَّة^(١) ، ضربني الطلق ، وزاد الأمر عليّ ، فوثبت من الكِلَّة ،

(١) الكِلَّة : ستر رقيق وهي ما تبرعه اليوم بالناموسية واقية الائم من الناموس .

أريد الخروج من البيت إلى أمي ، وليس عندي أنها هربت . فما بلغت عتبة باب البيت حتى طرحت الولد من بين رجلي إلى الأرض ، وسقطت ولا عقل لي ، فوثب هذا الرجل يتأمل ، فرأى طفلاً مطروحاً يبكي ، فصاح بأخته ، فسمعتنه وأنا في كربي وغمي ، يقول لها : يا أختي ! اقض كل حق لي عليك ، بما تأتبه في أمر هذه المرأة ، وانصرف عن البيت ، وتركني مع أخته ، فقامت بي أحسن قيام ، وتولت من أمري ما لا يتولى مثله أمي : برفق ، وإشفاق ، وانبساط وجه ، وحسن خلق ، ومرح ومداعبة ، حتى كأن الولد منهم ، وكل ذلك يزيدني خجلاً واحتشاماً ، إلا أنه قد سكن قلبي بعض السكون .

وبلغ أبي وأمي خبري فلم يقربني أحد منهما حياة واحتشاماً ، وبت ليلتي ، فلما كان من الغد دخل إليّ بوجه منبسط طلق ضاحك ، فجلس عند رأسي ، وسألتني عن خبري ، وقال لي : ألك حاجة ؟ قلت ، ودموعي تجري : يبقيك الله . فبكي لبكائي ، ومضى بنفسه إلى أبي وأمي ، فحلف عليهما حتى جاءني بهما وقال لهما : لا مهر ب من قضاء الله عز وجل ، إني ليس في يدي ولا في أيديكما ولا في يدي أحد من عبيده جلّ ذكره منه غير الصبر والحمد له ، تبارك وتعالى ، على البأساء والضراء ، والحمد لله الذي كان هذا من فيض (?) الله جل اسمه ، له الصبر عليه والستر عليكم ، واحمدوا الله جل اسمه . فدعيا له وشكراه واستعبدهما بذلك .

فكان كل يوم يدخل اليّ بكرة وبالعشيّ ، يسألني عن حالي ، ويسألني عن شيء أشتهيّه ويستحلفني على ذلك ، فأبوس يديه وأدعوه حتى إذا مضى لي أربعون يوماً ، وهي أيام النفاس ، ودخلت الحمام وطلعت له ، دخل اليّ مستبشراً طيب النفس ، فمازحني وجلس عندي ، واستحضر أبي وأمي وأنفق نفقة كبيرة واسعة حسنة ، حتى كانت مقام عرس ثانٍ . فلما انقضى يومنا وبات عندي ، وجرى بيني وبينه ما يجري بين الرجل وزوجته ، وأنا على غاية من الاحتشام والحياء منه ، وأصبح ، وهب لي دنائير كثيرة ، وقطع لي ثياباً حسناً . فما مضى إلا شهر حتى حملت فولدت غلاماً فسرّ به غاية السرور ، فكأنني انبسطت قليلاً إليه ، ودعا أيضاً أبي وأمي وحلف عليهما أن يلزماني ولا ينقطعا عني ، وصاغ لي حلّياً حسناً ، وما ترك شيئاً من إكرامي وسروري حتى بلغه لي ، وعاشرتني أخته ولأمي^(١) أحسن عشرة ، وفعلت معنا أجمل فعل ، فكنا له ولها كالعييد .

وما زلتُ معه على حال ما فوقها مزيد من الإحسان والمحبة ، حتى مضت لي عشر سنين ، وكبر ابني ، وحذق القرآن ، وعلمه جميع الآداب ، وأنجب ، فعظم بذلك سروره وسروري . ثم اعتلّ علته هذه التي مات فيها ، فلما أيس من نفسه كتب وصيته ، وأحضر الشهود ليشهدوا عليه فيها فسمعهم يقرءون في الوصية : والذي خلفه من الولد ، ولدان ذكران ، وهما فلان وفلان ، وزوجة وهي فلانة ابنة فلان ،

(١) الأولى : وعاشرت أُمي .

يريدني . فلما سمعت ذلك لحق قلبي ما يلحق قلوب النساء من الغيرة ،
ثم فكرت في خيانتني وقبح فعلي ، وجميل فعله ، فأمسكت ، إلا أنني لما
خرج العدول من عنده ، خرجت اليه من وراء مقطع كنت جالسة
خلفه ، فقبلت رأسه وبده ، وقلت له : يا سيدي ، لك عليّ من الإحسان
والإينعام وجميل الفعل ما قد استعبدتني به ، حتى لو وقفت على أن لك
ثلاث نسوة وعدة جوار لملتّن لك على رأسي ، فكان ذلك أقلّ
واجبك عليّ ، فكيف يكون لك ولد غير ولدي من امرأة غيري أو
جارية ، فلا تعرفني حتى أتولى خدمتها بنفسي ، وكان ذلك بعض ما تستحقه
مني ؟ فقال : كأنك أنكرت ما سمعته في وصيتي من ذكرى ولدين
ذكرين ، قلت : نعم . فحوّل وجهه عني إلى الحائط فقال لي : ويحك ،
هذا وذاك ، وتشهد ومات .

فأحضرتني أخته ذلك الطفل الذي كنت رميته ، ووالله ما قدّرت
يعيش ولا سألت عنه ولا فكرت فيه ، فقالت له : يا بني هذه أمك
فبُسْ^(١) رأسها ، فانكبْ على رأسي وبكيت وبكى وبكت أخته ،
وإذا بها قد اشتدت له دابة ، وأفردته في موضع معها ، وكبر فعلته
مع ابنه انقرآن وجميع ما علمه ابنه من الآداب وأنجب أيضاً ، على أنه
بعض ولد الجيران ، وأحضرت أخاه فقالت له : يا ابن أخي هذا أخوك
فتعانقا ، ووقف كل واحد منهما على صورة الأمر ، وانفقت الحال بينهما .
فتسخمت^(٢) أنا وأخته عليه ، وجززنا شعورنا ، ولزمنا الحزن عليه .

(١) البوس : التقبيل (فارسي معرب) . (٢) سخم وجهه : سوده ، وتسخم : تسود

فماتت أخته حزناً ، وبقيت أنا وابني وأخوه معي ، وخلف له شيئاً يسدُّ حاجتنا ^(١) . فأنا ألزم قبره ولا أنسى جميل فعله ، ولا يزول من قلبي حزنه . فقال لها أحمد بن طولون : رحمه الله ورضي عنه ، فإني الدنيا أكرم من هذا الرجل ولا أجمل فعلاً ، وأحسن الله جزاءك إذ عرفت له مقدار فعله بك ، وكثر الله في النساء مثلك ، فإن يكن لك حاجة ، أو نابتك نائبة ، فعرفيني فقد لزمني حقك ، ووجب عليّ حفظك ، فدعت له ، وانصرف أحمد بن طولون وقد أبكته وأحزنته .

ولم يلبث إلى ابن
طولون ثم شط
عليه

قال : وحمل أبو الفتح محمد بن الفتح أخته خديجة إلى أحمد بن طولون في آخر سنة خمس وستين ومائتين وكان المعتمد قد عقد بينهما نكاحاً ، وكانت أختها يومئذ تحت المعتمد بالله ، فقلد أحمد بن طولون محمد بن الفتح ديار مصر . وكان الحسن بن مخلد قد نفاه السلطان إلى الرقة ، لأنه أساء إلى الأولياء والكتاب ، فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر له رغبته في المقام عنده وفي كنفه . فأنفذ محمد بن الفتح كتابه إليه بذلك ، فأجابه أحمد بن طولون : أنا وليك ومقام صنيعتك ، لأنه كان الوزير ، وصوب رأيه فيما انتواه فرحل إليه ، فلما قارب أعمال مصر منعه صاحب البذرة ^(٢) ، وكتب إلى أحمد بن طولون يخبره ، وكتب إليه أيضاً الحسن بن مخلد ، فكتب أحمد بن طولون إلى صاحب

(١) في الأصل : يسترجعنا (٢) البذرة : الخفارة

البذرة ، يأمره بحمله مكرماً فحمل إليه . فلما وصل إلى أحمد بن طولون أظهر إكرامه وإعزازة ، والتجمل له والبشر به . ولم يزل عنده على هذه الحال إلى أن تأمل أحمد بن طولون منه أنه يرى أن فعله ذلك به ، باستحقاق له عليه ، وأقبل يتبسط بين يديه تبسط المتبوع مع التابع ، ولم يزد أيضاً مهابة ، ولا توفية حقه ، فأحفظه ذلك عليه . وكان يناديه فحضر يوماً محبوب بن رجاء معه بحضرة أحمد بن طولون فقال لمحبوب على جهة المداعبة :

فاح ریح الخمائ^(١) من سراويل قاسم-

يعرض بأن أم محبوب بن رجاء اسمها قاسم ، وذهب عنه أن اسم أم أحمد بن طولون قاسم . فقال له محبوب بن رجاء ، ليذبه أحمد بن طولون عليه : أويذ كر لآمي وقد كانت ماسه (?) أو يقال فيها هذا ؟ إنما المنكر أن يكون الوزير أخيف^(٢) إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء ، وهذا في الدواب مشثوم ، فكيف في الوزراء ؟ فأحفظ أحمد بن طولون قول الحسن بن مخلد وخبأ ذلك له . فلما كان بعد أيام أحضره أحمد ابن طولون لمنادته على الرسم فغنى ، وقد سكر ، بالنبطية^(٣) ، وصفق بيديه ، ثم زاد عليه السكر وملكه فقال :

أيا ويحك كم تصعدُ لقد جُزّت مدى الفرق قد
ولو زلّت بك النعلا نلاستوبأت ما تحمدُ

(١) الخماة : الكناسة والجمع خمائم (٢) الخيف محرّكة في الفرس وغيره زرة إحدى العينين وسواد الأخرى (٣) النبطية : لغة الأنباط وهي السريانية .

فاغتاز أحمد بن طولون غيظاً شديداً ، وأمر به فجرٌ برجله الى الحبس ، فمزال محبوساً حتى خرج أحمد بن طولون الى الشام ، فحمله معه مقيداً فمات في الطريق ، فدفن في قصر عيسى بن شيخ الحشاشي .

القضاء على ابن
مدبر

وكان ابن مخلد قد خبر ابن طولون عن أحمد بن محمد بن مدبر ، بما كان يكتب به أحمد بن محمد بن مدبر في أمره الى السلطان ، ودفع اليه كتباً ، منها ما يقول فيه بخطه : وإنه قد عزم على أن يقيم بمصر خليفة ، ويصف غدره ، ويذكره بكل قبيح ويشير بعزله ، ويُخيف السلطان منه ، ويذكر ما قد اختزله من الأموال ، فكتب أحمد بن طولون من وقته الى سعد الفرغاني . وكان من قواده وثقاته ، وهو بالشام مقيم ، أن يُشخص اليه ابن مدبر فأشخصه ، فحبسه في حجرة من داره مكرماً ، ولم يدر ابن مدبر ما عرفه به الحسن بن مخلد ، وقرره له عنده ، فكتب ابن مدبر الى أحمد بن طولون رقعة ، وليس عنده صورة الأمر فيما جرى في أمره ، ولا أن له ذنباً ، وضمن الرقعة أبياتاً منها :

أريت^(١) قبيل الصبح في النوم أننا جميعاً على سطح ينيف بنا السطح
إذا فارس يهوي الى السطح معلناً أخوشكة يزهي به السيف والرمح^(٢)
يلوح بالبشرى إليك مبادراً بتصرٍ وتمكين أجدهما النصيح

(١) في تاريخ دمشق : « أريت قبيل الصبح رؤيا كأننا » : وقد صححت من هنا بعض غلطات الناسخ وبقيت بقية لم تصحح .

(٢) الشكة بكر الشين : السلاح ، زهي فلان بكنا يزهي به . ومعناه زماه الاوهجاب بنفسه .

وعالوا بتبكير من الدار عدوة
فلم أر حلماً مثله صدق وافد
فهمت بالشكر العطية إنه
وقل لي فدتك النفس من كل حادث
الى كم يكون العتب في غير معتب^(١)
يصريح بالبهتان تصريح مازح
أما خلة ترعى ولا طول عشرة
تبين فإن الحق يجلو دجى العبي
ومالي ذنب غير أني محمد^(٢)
فإن كان لي ذنب فحلمك واسع^(٣)
فقد نالني بالامس مامل سمعه
وما كنت ذا شعير ولكن جراحة
قال: وكان أحمد بن طولون قد حبس ابن مدبر في حجرة مفروشة،
ومعه خادمان يخدمانه، ويوجه اليه أحمد بن طولون في كل يوم مائدة
حسنة عليهما من كل شيء، فلما ورد عليه هذا الشعر أغاظه فأحضره اليه وقال
له: تفككك وتفككك يدلان على أنك ما وقفت على علمي بما قصدتني به
وكانت السلطان في مرة بعد أخرى بسوء طبعك، وقبح كيدك
وجرأتك على ربك بأيمانك الكاذبة، هبك ويحك تتوهم بخبثك أنه قد جاز

(١) في تاريخ ابن عساكر دلاً من هذه النظرة: أما كان دور الحس للبر...

(٢) في ابن الداية: فان كان لي ذنب فحلمك واسع ومن على المصطر فالعمر والصفح

انها تجوز على عالم الغيب والشهادة ، والله لقد أردت قتلك ، لولا اليمين التي حلفت بها لك ، لما صخ عندي من سعيك في أذيتي ، وقصدك مكروهي ، وحيلتك في سفك دمي ، فأنكر ذلك فقال : ويلك ، تنكر وهذه كتبك بخطك عندي ؟ ثم أحضره الكتب التي سلمها إليه الحسن ابن مخلد ، ورماها إليه وقال له : ويلك هذه كتب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويخاف عقوبته عز وجل التي يخافها من بغى وأساء ؟ والله لولا ما في قلبي من يميني لضربت عنقك الساعة ، وضربتك بالسوط حتى تموت ، وأمر به فأخرج من بين يديه سحبا . وعمل أحمد بن محمد الواسطي جواباً لشعر ابن مدبر ، ودخل به إلى أحمد بن طولون فقرأه عليه فأعجبه وأمره بإتفاده إليه ، وقيل : إنه لمحمد بن عبد الغفار^(١)

أحمد كان السطح يا ابن محمد منيفاً لو عاليته خسف السطح^(٢)
متى كنت في الأحلام لله صادقاً فتصدق في رؤياك إذ وضح الصبح

(١) في تاريخ ابن عساكر ان ابن طولون لما قرأ قصيدة ابن مدبر دفا كاتبه ابن حدار وكان شاعراً ادياً وقال له : اقرأ قراها ، قال لابن حدار : أجيح قال : بالرضا أم بالسخط فقال : بالسخط ، قلب الرقعة وكتب في ظهرها هذه الأيات

(٢) أصلنا هذه الأيات من تاريخ ابن عساكر واعتدنا روايته ، وفيها زيادة على الأصل أربع آيات وهي الثالث والرابع والخامس والسادس ولم يرد البيتان الأخيران في تاريخ ابن عساكر . وعند ابن الداية أنه قيل لـ ابن طولون الأيات الأصلية هي لمحمد بن عبد الغفار لا لابن مدبر . والجواب عليها لابن حدار لـ الواسطي . وابن حدار او جرار او جدار . على اختلاف في النسخ كان شاعراً مقلداً ذكر ابن عبد رب في العقد الفريد قصيدة قال في مقدمتها : وقد يأتني من الشرم ما هو خارج عن طبقة الشراء منفرد في غرائبه وبديع صنعه ولطيف تشبيهه كقول جعفر بن جرار كاتب ابن طولون الخ (راجع ص ١٥٣ ج ٣ من العقد الفريد الطبعة الاميرية)

[فكذبحت كفاك من ربِّ نعمة
فأصبح مما خوّل الله عارياً
ومن عدلنا أن قد زويت مضيقاً
فلو جاءنا الناعي بنعيك جاءنا
ولكن أدام الله عزّ أميرنا
فما زال ميعون النقيّة ماجداً
وما زال في الهيجاء أول فارسٍ
فاستجادها أحمد بن طولون وأنفذت إليه ، فلما قرأها ندم على
ما كان من خطائه على نفسه حيث لم ينفعه ، ولم يزل في حبس أحمد بن
طولون حتى عمي ومات .

وكان قد أشرك بين علي بن الحسن بن شعيب المدايني وبين ابن
الأطروش في الخراج ، فوجدت لعل بن شعيب رقعة إلى ابن مدهبر يقول
فيها بخطه : « قد علم الله جل اسمه زهدي في العمل الذي أثقله ، وكرهتي
له ، وخوفي منه . وأسأل الله جل اسمه أن يكفيك ما أهمك . » فأمر
به أحمد بن طولون إلى المطبق ، فما زال فيه حتى مات . وأفرد ابن
الأطروش بالخراج .

مقال من تشدد
ابن طولون مع
الرعية

وكان أحمد بن إسماعيل بن عمار المعروف بسبع شعرات قد قدم
إلى أحمد بن طولون من الشام فقلده الأملاك وما خرج عن الخراج ،

وصرف به الحسن بن سليمان بن ثابت ، وتقدم إلى أحمد بن إسماعيل
بمطالبة الحسن بما دفعه عليّ ابنه ، فطالبه بذلك وضربه فمات في
الضرب . ونحن ندكر خبره مفرداً إن شاء الله

وكان أحمد بن إسماعيل هذا قد أشار على أحمد بن طولون بمشورة
فتعدها فبسط لسانه فيه على جهة الإشفاق عليه ، وقال : ليس هو ممن
تمرن في الرياسة . وفيه لجساج لا يؤمن عليه منه ، فبلغ ذلك أحمد بن
طولون فحبسه في المطبق ، ومنع من كان يبسط عليه عائدته حتى مات .
وكل هذه الأحوال التي عدناها فالعذر فيها كلها بين لأحمد بن
طولون ، والذنب لمن يبسط لسانه في مثله ، ويتعدى إلى غير ما هو أهله ،
وكان قد بقيت لأحمد بن طولون بقية كبيرة من خراج البلد على بعض
المتقبلين ذهب عني اسمه فاستتر ، وكان قبل استتاره قد عمد إلى ربيع
له نفيس يفي بما عليه من الخراج ، وفضل حبسه على ولده وخرج عن
البلد ، ورُفع خبره إلى أحمد بن طولون ، فطلب قتيلاً له : قد هرب وفات
وخرج عن البلد فأحضر بكار بن قتيبة القاضي وقال له : صاحبك يقول
بجَلِّ الحبس في الدين ، فتحلَّ حبس هذا الهارب منا حتى نأخذ مال
السلطان منه ؟ فقال له بكار : لا تفعل ولا تستنَّ سنةً يستن بها فيك ،
لأن لك أوقافاً على وجوه ، فإن حللت حلوا عنك . فتوقف عن ذلك
وكفَّ عنه ، وشكر لبار مشورته عليه ^(١) .

(١) في الولاة والقضاة : قال ابن طولون لبار : مر بيته على مذهبك ، فكنت ماعة —

بعض صدقات
ابن طولون
ومصانعه وآثاره

وأما رغبته كانت في أبواب البر التي كانت له فكانت ظاهرة
بينه واضحة ، بشهوة شديدة ، ونية صحيحة . فمن ذلك بناء الجامع
والبيمارستان ^(١) ، وما ضمنه خزائنه من العقاقير النفيسة الخطيرة ،
والدرياقات المعروفة التي ليست إلا في خزائن الملوك والخلفاء . فلم
يكن يعدم في بيمارستانه شيء من الأدوية ولا العقاقير الرئيسة ، مثل
دواء المسك وغيره مما لا يوجد مثله . واشترى له المستغلات النفيسة
التي يني بعضها بجميع حوائجها ، إذا أبقى الله جل اسمه من يتولاها .
ثم العين التي بالمعافر بناها بنية صحيحة ، ورغبة قوية جميلة ، حتى
إنها ليس لها نظير . ولقد اجتهد الماذرائيون ^(٢) وأنفقوا الأموال
الخطيرة ليحكموها فأعجزهم ذلك ، لأنها وقعت في موضع جيرانه كلهم

— فناوده فقال : أيها الأمير قد بنيت المسجد الجامع والمارستان والسقاية والصهرير وجبت على
ذلك ما شاء الله ، فلا تبجل لتفرك على اجسادك سيلاً فسكت أحمد .

(١) روى المترزي عن جامع السيرة الطولونية ان أحمد بن طولون بنى في سنة احدى وستين
ومائتين المارستان ولم يكن قبل ذلك بصر مارستان ، ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان
ودوره في الأسكفة والقيسارية وسوق الرقيق ، وشرط في المارستان ان لا يبالغ فيه جندي
مملوك ، وعمل حامين للمارستان إحداهما للرجال والاخرى للنساء ، حبسهما على المارستان وغيره ،
وشرط أنه اذا جئ بالليل تترع ثيابه وتحفظ نفقته عند أمين المارستان ثم يلبس ثياباً ،
ويغرش له ويخدي عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ ، فاذا أكل قروجاً
ورغيفاً أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه . قال : وكان يرك بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد
خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر الى المرضى وسائر الأعلام والمحجوسين من المجانين .

(٢) الماذرائي نسبة الى مازدا قرية بالبصرة نسب اليها الماذرائيون كتاب الدولة الطولونية
بصر — قاله ياقوت . ويقول الصاي في تاريخ الوزراء : إن أبا علي الحسين بن احمد المعروف
بأبن زُنُيُور وأبا بكر محمد بن علي الماذرائيين قد دبرا أمور بني طولون في المال والرجال ولهما
في الكتابة قدم وبالتدبير درية

محتاجون إليها ، وهي مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للأخذ منها ،
ولمن كان له غلام أو جارية ، والليل كله للضعفاء والمستورين والمستورات .
فهي لم حياة ومعونة . واتخذ لها المستغل الذي فيه فضل عن الكفاية .

حدث ابن قراطغان أن الذي تولى لأحمد بن طولون بناء هذه
العين رجل نصراني حسن الهندسة حاذق فيها ^(١) ، وأنه دخل إلى
أحمد بن طولون عشية من العشايا فقال له : فرغت مما تحتاج إليه فيها
لنر كعب إليها نراها . فقال له : ير كعب الأمير ، أيده الله ، في غد ،
فقد فرغت ، فركب وتقدم النصراني فتأمل منها موضعاً يحتاج إلى
قصرية ^(٢) جبر وأربع طوبات ^(٣) فبادر فعمل ذلك . وأقبل أحمد بن
طولون يتأمل العين ، واستحسن جميع ما شاهده منها . ثم أقبل إلى
الموضع الذي فيه قصرية الجبر ليقف ، فلرطوبة الجبر لما وضع الفرس
يده على الموضع غاصت يده ، وكبأ بأحمد بن طولون فرسه . ففسوء

(١) في تاريخ الأمة القبطية ان اسم هذا المهندس سعيد بن كاتب القرطاني وهو قبطي
تولى بناء قياس النيل والصهرنج وجامع ابن طولون . قلنا : وكان ابن طولون يقرب العالمين من
أي مذهب كان . ذكر المسعودي في مروج الذهب أن . حل إلى ابن طولون في النيل . كرمياً رجل
مُعمر من الأقباط في سنة ثيف وستين ومائتين كان بأعلى بلاد مصر من ارس الصيد وكان ممن
يشار إليه بالعلم من لدن حدائقه والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين
وغيرهم ، فأحضر له أحمد بن طولون من حضرته من أهل الدراية وصرف همه إليه وأدخل له نفسه
في ليالي وأيام كثيرة يسمع كلامه وإيراداته وجواباته فيما يسأل عنه ، وأقام عنده نحو ستة
فأجازوه وأعطاه فأبى قبول شيء من ذلك فردّه إلى بلاده مكرماً

(٢) القصرية : كالأجانة اسم للقصة الكبيرة التي تُفصل فيها الثياب وقد مرّ في التاليف .

(٣) الطوبة : هي البنة واللبن الطوب الذي لم يشو والآجر أو القرميد هو الذي شوي .

مهندس نصراني
يعني لابن طولون
عيناً وجامعاً

ظنه قدّر أن ذلك لمكروه أرادته النصراني به ، فأمر به وشق عنه
وضربه خمسمائة سوط وأمر به إلى المطبق . وكان المسكين يتوقع
الجائزة فاتفق له اتفاق سوء . وانصرف أحمد بن طولون .

وأقام النصراني في المطبق إلى أن أراد أحمد بن طولون بناء الجامع ،
فقدّر له ثلاثمائة عمود ، وقيل له : ما تجدها ؟ وتنفذ إلى الكنائس في الأرياف
وفي الضياع الخراب ، فتحمل إليك ، فأنكره ولم يختره ، وتعدّب
قلبه بالفكر في أمره ، وبلغ النصراني وهو في المطبق الخبر فكتب
إليه يقول : أنا أبنيه للأمير ، أبده الله ، كما يحب ويختار ، بلا عمود
إلا عمودي القبلية . وأحضره فأدخل إليه ، وقد طال شعره حتى سقط
على وجهه ، فقال له : ما تقول ويحك في بناء الجامع ؟ فقال له : أنا
أصوره للأمير حتى يراه عياناً . بلا عمود إلا عمودي القبلية . فأمر
بأن تحضر له الجلود^(١) فأحضرت ، وصوّره له فأعجب به واستحسنه .
فأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له النفقة عليه مائة ألف دينار ، فقال له :
أنفق وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك . فوضع النصراني يده
في البناء في الموضع الذي هو فيه وهو جبل يشكر^(٢) فكان ينشر
منه ويسطح ويعمله جيّراً ويبني إلى أن فرغ من جميعه ويّضه وخلّقه
وفرش فيه الحصر ، وعلق القناديل والسلاسل الطوال الغلاظ الحسان ،

(١) كانوا يرسمون مخطط البناء على الجلد

(٢) في حس المحاضرة : ان جبل يشكر هو الذي عليه جامع اس طولون ويقال انه قطعة من
الجبل المقدس وكان يشكر رجلاً صالحاً الخ

وحمل إليه صناديق المصاحف وتقل إليه الفقهاء والقراء . وتصديق في ذلك اليوم صدقات عظيمة فيه وعمل طعاماً واسعاً كبيراً ، وحمل إليه . فأطعم سائر من حضر ، وكان يوماً عظيماً نبيلاً جليلاً .

وراح أحمد بن طولون ونزل في الدار التي عملها فيه للإمامة ، وقد فرشت ، وعلّق فيها الستور ، وحمل إلى خزائنها الآلات والأواني التي يحتاج إليها ، وصناديق الشراب فيها من كل نوع من الأشربة وما شاكلها . فنزل فيها أحمد بن طولون ، وجدد طهره ، وأبدل ثيابه وتبخّر ، وخرج من بابها إلى المقصورة ، فركع وسجد شكراً لله على ما أعانه عليه من ذلك ويسره له . فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى أشرف على القوارة ، وخرج إلى باب الريج . فصعد النصراني المنارة ووقف إلى جانب المِرْكَن النحاس ، وصاح بأحمد بن طولون : أيها الأمير عبدك يريد الجائزة ، ويسأل الأمان ألا يجري عليه مثل ما جرى في المرة الأولى . فقال له أحمد بن طولون : انزل ويلك يا كافر : فقال : وحق رأس الأمير لا نزلت أو تؤمتني . فقال له : انزل فقد أمّنك الله ولك الجائزة . فنزل وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وخلع عليه وأجرى عليه رزقاً واسعاً .

بعض أفعال ابن
طولون الجميلة

قال : ومن أفعاله الجميلة ما كان يحمله إلى طَرَسُوس وغيرها من المغفور من المال العين والسلاح والكرّاع والثياب ما لم يحمله إليها أحد قط

ولم يغيره على أهل طرسوس شيء مما أنكره من فعلهم ، فيقصر عن ذلك مجازاة لهم ، لأنه كان يقصد بفعله الله وحده جل اسمه .

ومن ذلك بناؤه حصن يافا لأنها لم يكن لها حصن ، ومات قبل الفراغ منه وأتمه بعده ابنه أبو الجيش ^(١) .

ومنها ما كان يحمله إلى الحرمين من المال العين والحنطة و [الشفوف] والثياب وكل ما يحتاج إليه أهلها ^(٢) .

ومنها نفقده أهل الستر والمتجملين وضعفاء النواحي ممن يلزم المساجد ، ويسأل عن النساء المستورات في منازلهن ومحالهن ، فيجربهن مجرى الرجال من معرفته ويفضلهن ^(٣) .

وحدث أبو جعفر المروزي قال : دعاني أحمد بن طولون يوماً ودفع إلي رقعة وقال لي : سل عن فيها فهم سجنه حبس القاضي ، وانظر الدارج الحال منهم المستقل ، وأثبت لي أسماءهم وأحوالهم وأسماء خصومهم . قال : فمضيت فسألت عنهم ، وأثبت أسماءهم وأحوالهم وخصومهم ،

(١) وبنى ميناء عبك لا رأى ثمر صور واستدارة الحائط على مينائها فجمع صناع الكور وعرض عليهم ذلك . انشاء له ابو بكر البناء المقدسي جد مؤلف كتاب أحسن التقاسيم من أجل كتب الجغرافيا عند العرب

(٢) روى المؤرخون ان الأمير احمد كان يرسل في كل سنة الى قراء بغداد مائة ألف دينار يرسم الصدقات ويرسل اليهم في كل سنة بكسوة الشتاء والصيف مدة ولايته على مصر .

(٣) روى ابن طلحة الوزير في المقدم الفريد لملك السعيد أن مما ذكره عبد الله بن عبد الكريم ، وكان مطلقاً على أحمد بن طولون عارفاً بأمواله ، عالماً بوردته وصدوره فقال ما معناه : ان أحمد كان يرسل من يطرح على الطرفات — أي اللقطات — ويقيم لهم الكوافل ؛ ويدر عليهم النفقات ، رغبة في الثواب ، وتقرباً الى الله تعالى بهذه الأسباب .

وذكر الموجد منهم والمعدم ، وأحضرتة العمل بذلك ، فأحضر وكيه
ابن مفضل فقال له : اجتمع مع أبي جعفر المروزي حتى تنظر في أمر
هؤلاء القوم ، وتحضروا خصومهم وترضوهم عنهم ، وتثبتا مبلغ ذلك
وتعرفاني به ، فاجتمعنا وعرضناهم وأرضيناهم عنهم بمصالحة لواحد ، وأن
يدفع إلى آخر ماله كله لتشدده أو لاختلال حاله أيضاً حتى فرغنا من
جميعهم ، فكان مبلغ ما لزمه من ذلك عشرين ألف دينار ، وجئناه
بالعمل فأطلق المال باستبشار وفرح وسرور وطيب نفس ، وحمد الله
عز وجل ، وأمر بأن ينصرف جميع المحبسين إلى منازلهم ، فمضينا ودفعنا
المال إلى أربابه ، فأكثروا له الدعاء والشكر ، وأطلقنا الجماعة من حبس
القاضي ، وهم مبتهلون إلى الله جل اسمه بالدعاء له . فعدنا إليه فعرفناه
ذلك فقال لنا : من أنا ، لولا توفيق الله عز وجل إياي ؟ وإنه جل اسمه
ليلمني أن أحنو على الضعيف ، وأسطو على العنيف ، وهكذا وصف
الله عز وجل خلصه ^(١) فقال : (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ)
فالحمد لله على ما من به علي من ذلك .

قال مؤلف هذا الكتاب : وللحجاج بن يوسف حكاية مثل هذه
إلا أن الحجاج زكى نفسه ، وأحمد بن طولون استكان لربه .
حدث الحسن بن القاسم الأنباري أن امرأة عارضة الحجاج بن
يوسف فقالت له :

تَقَرَّ اللَّهُ يَا حُجَّاجُ فِينَا فَإِنَّا بَقِيَّةُ شَوْلٍ^(١) غَابَ عَنْهَا فُحُولُهَا
وَالْإِتْدَارُ كُنَّا ابْنَ يَوْسُفَ رَحْمَةً بِكَفِّكَ أُمْسَى صَعْبُهَا وَذَلُولُهَا
قَالَ لَهَا : مَا خَطْبُكَ ؟ فَقَالَتْ : غَرِبْتُ زَوْجِي مَعَ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ ،
وَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ وَخَفْنَا بَعْدَهُ الضَّيْعَةَ وَالْعَارَ ، فَأَمَرَ بِالْكِتَابِ إِلَى ابْنِ
أَبِي بَكْرَةَ بِإِقْفَالِ زَوْجِهَا وَكُلِّ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ ، فَوَلَّتْ لِقَوْلِ :
شَكُونَا إِلَى الْحُجَّاجِ مَا قَدْ أَصَابَنَا فَكَانَ كَرِيماً عَالِماً بِالنَّوَائِبِ
بَصِيراً بِمَا يَأْتِي حَلِيباً عَنِ الْعَدَى غَيُوراً عَلَى الْبَيْضِ الْحَسَانِ الْكَوَاعِبِ
فَقَالَ لَهَا الْحُجَّاجُ : صَدَقْتَ وَكَذَبْتَ ، أَنَا كَرِيمٌ عَالِمٌ بِالنَّوَائِبِ ،
بَصِيرٌ بِمَا يَأْتِي ، غَيُورٌ عَلَى الْبَيْضِ الْحَسَانِ ، وَلَسْتُ بِجَلِيمٍ عَلَى الْعَدَى .
أَنَا كَمَا قَالَ حَمِيدُ الْأَرْقُطِ :

خَلَقْتَ تُكْلًا لِلْعَدُوِّ الْجَاهِدِ أَضْرِبْ مِنْهُ مَوْضِعَ الْقَلَائِدِ
بِالسَّيْفِ ضَرْبَ الْهِنْدِيِّ الْخَائِدِ^(٢)

وَحَدَّثَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُرُوزِيُّ قَالَ : كَانَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ مِنْ حِفَازِ
الْقُرْآنِ ، [الْمُتَّقِنِينَ] حَفِظَهُ وَمِنْ الدَّارِسِينَ الْحُذَّاقِ ، فَكَانَ يُحِبُّ
حِفَازِ الْقُرْآنِ وَيَكْثُرُ [مُوَاسِلَتُهُمْ] بِصَلَاتِهِ ، وَيَطْرُقُهُمْ سِرّاً فِي
مَوَاضِعِهِمْ ، حَتَّى يَسْمَعَ قِرَاءَتَهُمْ ، فَيَتَّبِعُ مَنْزِلَةَ وَاحِدٍ وَاحِدٍ فِي حَفِظِهِ ،
وَيَصِلِي خَلْفَهُ إِمَّا الصَّبِيحَ وَإِمَّا الْعَتَمَةَ ، يَرِ كَبَّ حِمَاراً وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ ،

عطف ابن
طولون على
حفظه الكتاب
العزیز

(١) النَّائِلَةُ مِنَ الْأَبْلِ مَا أَتَى عَلَيْهَا مِنْ حَمَلٍ أَوْ وَضْعِهَا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ فَجَفَّ لَبْنُهَا وَاجْتَمَعَ شَوْلُ
(٢) الْهِنْدِيُّ : الْهِنْدِيُّ وَالْكَافُ زَائِدَةٌ يُقَالُ : سَيْفٌ هِنْدِيٌّ وَرَجُلٌ هِنْدِيٌّ

متكراً لا يعلم به أحد ، ولا يعرفه من يراه ، حتى يصلي خلفه ، ويعود في السحر إن كان صباحاً أو بعد عتمة ، ولا يقطع برهم في كل وقت .
فدعاني يوماً وقال لي : أتعرف إماماً يصلي بالنامة ^(١) في موضع كذا وكذا ؟ فقلت له : نعم أنا أعرف المسجد ، وما أعرف الرجل ، فقال لي : إنه حسن الصوت جيد الحفظ ، فخدمك خمسين ^(٢) ديناراً وامض إليه ، فأني لا أشك أنه في ضيقة ، فصل خلفه ، فإذا فرغ وخلا ، فوانسه حتى ينبسط إليك ، والطف به حتى يأنس بك ، فإذا أنس فادفع هذه الدنانير إليه ، وسله عن دين إن كان عليه ، فإن ذكره لك فاقضه عنه ، وعرفني ما يكون منك في أمره فأني أراعيه .

قال أبو جعفر : فمجببت من تغلغله في معرفة هؤلاء القوم واحداً واحداً ، وهم في أطراف البلد ، وفي مواضع متفرقة لا يكاد يعرف أكثرها أهل البلد ، ثم علمت أن دينه ورغبته في الخير حملاً على ذلك ، مع توفيق الله عز وجل له ، ولن يوفق جل اسمه من عبده إلا يرضاه إلا من يختاره ، وله عنده منزلة .

فبكرت في السحر إلى المسجد ، وصليت خلف الرجل ، فسمعت إماماً طيباً حسن الصوت . فلما فرغ من الصلاة وانصرف الناس جلست أحادثه ، فلم أزل أوانسه وأذكر له أخبار الصالحين ، وما يصلح أن

(١) كذا في الأصل وابن الداية ولها النسخة

(٢) في ابن الداية : ثلاثين

أحدثه لمثله ، حتى أنس وانبدسط ، وسألني عن حديثي وعن حالي ،
وقال : قد آتستني فأحب ألاّ تقطع مؤانستك ، فقد سررت بك .
فسألته عن أحواله وعن تصرف الزمان به ، فشكا إضاقة وقال : أغلظ
ما حلّ بي أني وقفت في المحراب أمس أصلي ، فغلطت في قراءتي وما
جرى عليّ هذا [قبلاً] فقلت : هذا يدل على شغل قلب وغم ،
فقال لي : نعم منزلي خلف قبلة هذا المسجد ، فجئت إلى الصلاة وزوجتي
تُطلّني ، فلما وقفت في المحراب سمعت صياحها من شدة الطلق ، ففكرت
أنه ليس لها في البيت دقيق ولا خبز ولا زيت ، ولا معي شيء أنفقه
عليها فغلطت . فقلت : موضع ياسيدي ، ما تلام على ذلك ،
فأخرجت إليه الدنانير وقلت له : هذه الدنانير من جهة صالحة ترضاها ،
نخذها ونفرج بها ، فتوقف عن أخذها فخلفت له أنها من جهة مرضية ،
ليس عليه فيها تبعة ، فأخذها وحمد الله جل اسمه وأثنى عليه ،
وانبدسط وجهه بعدما كان كالناعس وأنا أحدثه ، وكأنه في موضع
آخر مشغول القلب والفكر ، ثم سأله عن دين إن كان عليه فقال :
نعم عليّ دين ، وكان أيضاً قلبي به متعلقاً لتأخيرته عن أصحابه ،
والساعة أبدى بقضائه ، فقلت له : كم هو ؟ فقال : خمسة عشر ديناراً .
ندفعها إليه وقلت له : اقضها ولا تثلم هذه الدنانير ، واتسع أنت
وعيالك بها . فزاد في حمد الله عز وجل وشكرني ، وسألني من أي
جهة هي ؟ فلم أذكرها له ، كما أمرني أحمد بن طولون .

وعدتُ إليه لأعرفه ما كان ، فما وصلت إليه يومي ، فلما كان من غد صرت إليه فخبرتُه بما جرى بيننا ، فقال لي : صدق ، ولقد وقفت خلفه مراراً فما سمعت منه غلطاً إلا أول أمس ، فأني رددت عليه في ثلاثة مواضع ، وصليت اليوم خلفه فقرأ القراءة التي أعرفها منه . فحمدت الله جل اسمه على ما وقفني له في أمره . ثم أمرني بإثبات اسمه في دفتر الذي فيه أسماء المستورين والمستورات الذين يجري عليهم في كل شهر خمسة دنانير على كل رجل وامرأة ، وأجرى عليه مثلهم .

ومن ذلك ما حدث به سعد القرغاني قال : ركب أحمد بن طولون يوماً إلى الجيزة ، وكان رسمه إذا قَرُب من الجسر أُخلي له . فلما بلغ إليه أمر الناس بأن يسرعوا المحي عليه وأعجلوا . فلم يبق عليه إلا شيخ ضعيف على حمار هنزِيل ومعه صبيٌّ له ، وقد أقبل من بعض نواحي الجيزة . فلما أعجل الناس وهب ليُعجل معهم لم يكن له نهضة ولا حماره ، فسقط عن الحمار . فأقبل أحمد بن طولون بنظر إليه وإلى الصبي معه قد سقطا جميعاً . فقال لي : امنعهم من إزعاج هذا الشيخ ، وقف عليه وارفق به حتى يركب حماره والحقني به ، فما أشك أنه مظلوم ، وقد وافانا يريد التظلم ، وسأله في طريقك معه إليَّ عن خبره ، وسبب دخوله إلى مصر ، فإن ذكر ظلامته فأسأله ممن يتظلم ؟

قال سعد : فوقفت عليه حتى عبر أحمد بن طولون ، وعبرت مع الشيخ ،

حمار الجيزاوي
التظلم

وقد رددته معي ، فلخوفه انتقاد معي ولم يسألني عن رده ، وأقبلت أسير معه قليلاً قليلاً ، على قدر سير حمارة ، وساءلته عن خبره وسبب دخوله الفسطاط ، فقال : ما ترك لي وكيل ابن دشومة بذات ^(١) الساحل شيئاً أرجع إليه ، وكنت مستوراً فتهتكني ، وكنت غنياً فأفقرني ، حتى صرت بين المزارعين مرحوماً فقيراً ، بعد أن كنت موجداً موسراً . فدخلت مستغيثاً إلى الأمير أيده الله . وكان ابن دشومة يومئذ أميناً على أبي أيوب ^(٢) في الخراج . فلما لحقنا أحمد بن طولون وكلت بالشيخ ، ودخلت إليه في مضر به ، فعرفته جميع ما عرفني به الشيخ ، فوجه من ساعته بمن أحضر إليه ابن دشومة من مصر إلى الجيزة ، ولم يصبر إلى أن يعود ، لقوة رغبته في الثواب والخير ، فأحضر فقال له : ويحك إن الضياع تشبه البستان ، والمزارعون شجرة ، فإن رفق بهم ، وأحسن القيام بأمرهم ، ورعوا بإصلاحهم ، طلعت الثمرة وغنت وزكت ، وإن لم يفعل ذلك ، هلكت الشجرة وذهب ثمرها . فأحضر كاتبك الساعة الساعة ، ومختار الناحية إلى هاهنا ، ولا تبرحاً حتى تنصف هذا الشيخ من ظلامته ، وتبلغ له ما يحبه وتعرفني ، فأني هاهنا أراعي ما يكون منك في أمره .

فطار عقل ابن دشومة ، وجعل يتوقع مكروه أحمد بن طولون ،

(١) فهم مما ذكره ابن ماتي أن ذات الساحل كانت من عمل الجيزة وهي إلى شمال الفسطاط قرية من أم دينار (قاله الأستاذ فييت في تعليقاته على خطط القريري)

(٢) في ابن الدابة : أبي ذؤيب

ووجه بن أحضر صاحبه والمختار بالناحية ، وابن دشومة كالمعتقل ، حتى جمع بينهما وبين الشيخ ، وذكر ما جرى عليه ، فحطوا عنه ما كانوا يطالبونه به ، وأسقطوا عنه ما شكاه من القبن عليه ، وبلغوا له فوق ما يحبه ، وأحمد بن طولون يطالعهم برسله من حيث لا يعلمون ، حتى عرف جميع ما جرى بينهم وبينه ، وأقبل في خلال ذلك ينفذ إلى ابن دشومة خادماً بعد خادم يقول له : أنصف الشيخ ، ابلغ له فوق ما يحبه ، وبكدهم في الفراغ من أمره ، ويعرفهم أن مقامه بالجيزة بسببه ، إلى أن ينصف فيعود إلى القسطنطينية ، فلما فرغوا من أمر الرجل ، دخل إليه ابن دشومة فعرفه أنه قد بلغ له ما أحب ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال لابن دشومة : اشرح لي قصته وكيف ظلم ، وما عملت في أمره ، فكان ابن دشومة يعيد عليه أمره ، وهو يرعد خوفاً من بادرة تلحقه منه ، والشيخ واقف يسمع كل ما يجري في أمره . فلما فرغ من شرح ذلك قال له : يا شيخ الأمر كما حكى ؟ قال : نعم أيها الأمير ، جعل الله عليك واقية ، وسترك في الدنيا والآخرة فلما سمع ابن طولون قوله « والآخرة » بكى وخرَّ ساجداً لله ، ثم قال له : زال عنك ما كرهت ، وبلغت ما أحببت ؟ قال : نعم أيها الأمير أحسن الله إليك كما أحسنت إليّ ، فقال : ماشاء الله فعل بك ، ذاك بمنه وكرمه . فقال له : كم عمارتك ؟^(١) قال : خمسون

(١) العمار بالكر : ما يمر به المكان ، والعمارة : بالضم : أجرها

ديناراً قال له : فتطيعها ؟ قال : لا . قال : فكيف تطيق ؟ قال : ثلاثين ديناراً . فأمر بأن تجعل عمارته عشرين ديناراً ، ووهب له خمسين فداناً يزرعها ما أحب بعماط (١) وتقوية (٢) في كل سنة ولا تؤخذ منه التقوية ولا تسترجع ، وجعل ذلك كالصدقة وقال له : يا شيخ لولا أن حط العمارة عنك يحط من منزلتك في بلدك لحططتها . فدعا له ، فقال : ما فعله الأمير أيده الله في أمري فهو أكثر من الحطيطة ، وجميعه صدقة علي وعلى ولدي وعيالي ، فأجاب الله منا فيك صالح الدعاء ، فأمر بأن نهب له عشرين ديناراً ، وقال له : خذ هذه الدنانير فاشتر بها حماراً فارهاً لا يرميك على الجسر ، ولا يقف بك إذا عبر الأمير عليك . وضعحك أحمد بن طولون ، وانكب الشيخ ليقبل الأرض فمنعه من ذلك وقال له : احذر ثم احذر أن تفعل هذا بأحد من المخلوقين ، فإنه لا يوثره إلا كل جبار عنيد ، والسجود لله وحده عز وجل . فأنصرف الشيخ على غاية من السرور ، بما تم له من إزالة الظلم والمساحة في العمارة ، والافضل عليه ، وهبة الدنانير ، وممازحة أحمد بن طولون له في الحمار ، فرأيت في انصرافه يسكي فرحاً ، ويدعو لأحمد بن طولون بنية خالصة ، وحصل له بذلك جاه في بلده ووطنه ومجمله ، ومنزلة وسطوة .

(١) التقوية : إعطاء البذار والحيوانات التي يقوى بها الفلاح على فلاحته وهي عامية مثل التقاوي

وحدث نسيم الخادم قال : ركب مولاي في غداة باردةٍ إلى
 المقس^(١) فأصاب بشاطئ النيل صياداً عليه خلقت لا يواريه منه
 شيءٌ ، ومعه صبيٌّ له في مثل حاله وقد ألقى شبكته في البحر ،
 فرآه مولاي فرقاً له وقال لي : يا نسيم ادفع إلى هذا الصياد ثلاثين^(٢)
 ديناراً ، فتأخرت حتى دفعتها إليه ، ولحقت به فلم يبعد حتى رجع ،
 فوجدنا الصياد ميتاً ملقى ، والصبي يبكي ويصيح ، فظن مولاي
 أن بعض سودانه قتله ، وأخذ الدنانير منه ، فوقف بنفسه عليه ، وسأل
 هذا الصبي عن أبيه فقال له : هذا الغلام - وأشار إليّ - دفع إلى
 أبي شيئاً ، فلم يزل يبوسه حتى وقع ميتاً .

فقال لي مولاي : فتشه ، فنزلت وفتشته ، فوجدت الدنانير معه
 بجالها . فحرضنا الصبي أن يأخذها فأبى وقال : هذه قتلت أبي وإن
 أخذتها قتلتنى . فأحضر مولاي قاضي المقس وشيوخه ، وأمرهم بأن
 يشتروا للصبي داراً بخسمائة دينار يكون لها غلة^(٣) فاشتريت وحبست
 عليه ، وكتب اسمه في جملة من كان يُجري عليه جرايته في كل
 شهر . وقال لي : يا نسيم نحن قتلناه ، الغنى يحتاج إلى تدبير ، وإلا قتل

(١) موضع كان على نيل مصر بين يدي القاهرة (التاج) وهو في موقع جامع أولاد عنان في القاهرة
 اليوم ولم تكن بولاق موجودة - قاله الأستاذ علي بهجت في تعليقاته على قانون ديوان الرسائل
 لابن الصيرفي (٢) في ابن الداية : عشرين . وفي روضة المحبين لابن قيم الجوزية أن أحمد بن طولون
 مر بصياد في يوم بارد وعنده بني له ، فرق عليهما وأمر غلامه أن يدفع إليه ما معه من الذهب
 فضبه في حجره ومضى فاشتد فرحه به فلم يحمل ما ورد عليه من الفرح فتقضى مكانه . . .

(٣) الغلة : الدخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض

صاحبه ، كان يحب أن يدفع إليه دينار بعد دينار ، حتى تحصل له هذه الدنانير ، ولا تدفع إليه جملة .

وحدث طاهر الكبير قال : كان لمولاي برج حمام هيتي^(١) فصعد إليه يوماً ، وجلس على كرسي بين يدي البرج يستعرضها ، فأخرجت إليه ما كان عندي من الفراخ ، فنظر إليها وسرحها تدرج بين يديه ، وكان عددها ثمانية . ثم أمرني بردها فرددت سبعة ، وإذا بالثامن قد درج فصار خلفه ، فقال لي : قد بقي واحد . فقلت : هو حلف مولاي . فقال لي : خذه ، فمددت يدي إليه لآخذه ، فارتعدت هيفة له أن أمد يدي خلفه ، فتبين ذلك مني ، فقال لي : تنح ، فتنحيت فوضع خده على التراب ، في الموضع الذي كانت قدي عليه ، وبكى وأقبل يُمرغ خديه ولحيته في التراب ، ويتضرع إلى الله جل اسمه ، ويسأله العفو عنه ، وإلهامه الشكر على نعمة عنده .

الحمام الهدادي
وشكر ابن
طولون للنعمة

وحدث نسيم الخادم قال : ركب مولاي يوماً إلى الأهرام ، فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ، وفي أيديهم مساح ومعاول ، فسألهم

البحث عن
الكنوز وتشدد
ابن طولون في
عيار الذهب

(١) كذا في الأصل ، وفي ابن الناية : الهدادي . وفي المختصر لابن سيده : ومنه (أي من الحمام) الهداء. الواحد الهادي ومن اللائي يدرين ويرفن من مرحل إلى مرحل حتى يمشن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مسماة وهي محفوظات أنسابهم وربما كان ما لم يمرغوا له نسباً يساوين في الرجوع من البعد ولا يكون ذلك إلا بالتدريج والتوطئة من موضع إلى موضع الخ ما قال .

عمما يعملون، فقالوا : نحن قوم نطلب المطالب^(١)، فقال لهم : لا تخرجوا بعد هذا الوقت إلا بمشور^(٢)، ورجل من قبلي يكون معكم، فقالوا له : سماعاً وطاعة للأمر، أيده الله . فسألهم عمار^(٣) رفع إليهم من الصفات، فذكروا له أن في سمت الأهرام^(٤) مطلباً قد عجزوا عنه ، لأنهم يحتاجون في إثارته إلى جمع كبير ، ونفقات واسعة ، فإن فيه مالا عظيماً . فنظر مولاي إلى شيخ من أصحابه يعرف بالرافقي من أهل الثغر فضمه إليهم ، وتقدم إلى عامل معونة الجيزة في دفع جميع ما يحتاجون إليه من الرجال والنفقات . وانصرف مولاي فأقام القوم مدة يعملون حتى ظهرت لهم العلامات ، فوافانا الرافقي وأعلم مولاي بذلك ، وأن أمره قد قرب ، فركب وسرنا معه حتى وقف على الموضع ، فلما رآه الناس جثوا في الحفر ، فكشفوا عن حوض كبير عظيم مملوء دنانير ،

(١) الطالب واحدها مطلب ، كلمة كان المصريون يطلقونها على الكنتوز ، وقال القريري : انها كانت مستعملة لهذا المعنى الى عهد . والقوم المطالبية هم الباحثون عن الكنتوز

(٢) في ابن الداية والقريري : إلا بمشورتي

(٣) دوي السيوطي في حسن المحاضرة أن احمد بن طولون لما ملك مصر حفر على ابواب الأهرام فوجدوا في الحفر قطعة سرجان مكتوباً عليها سطور باليوناني فأحضر من يعرف ذلك القلم فاذا هي ابيات شعر فترجعت وما كان فيها :

ستفتح أقاليم وتبدو عجائبي	وفي ليلة في آخر الدهر تنجم
ثمان وتسع واثنان واربع	وسبعون من بعد المئين فتسلم
ومن بعد هذا جزء تسعين برهة	وتلقي البرابي صخرها وتهدم
تدبر فتالي في صخور قطعها	سنبقي وأفني قبلها ثم تقدم

فجمع احمد بن طولون الحكماء وارهم بحساب هذه المدة فلم يقدروا على تحقيق ذلك فيئس من فتحها .

وعليه غطاء مكتوب عليه بالبرنطية^(١) ، فأحضروا من قرأه فكان :
أنا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من شؤونه وغشه وأدناسه ،
فمن أراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه ، فليُنظر إلى فضل عيار ديناري
على عيار ديناره ، فإن مُخْلِصَ الذهب من الغش مُخْلِصٌ في محياه
وبعد مماته . فقال مولاي : الحمد لله يا نسيم ، ما نهتني عليه هذه الكتابة
أحب إليّ من المال . ثم أمر لكل رجل كان يعدل فيه بمائة دينار
ووفى الصناع أجرتهم ، ووهب لكل رجل منهم خمسة دنانير ، ودفع
إلى الرافقي منه ثلاثمائة دينار ، وقال لي يا نسيم : خذ نفسك منه ماشئت
فقلت : ما يأمرني به مولاي . فقال لي : خذ منه ملء كفك جميعاً ،
وخذ من غيره من بيت المال مثل ذلك مرتين ، فأني أشحّ على هذا ،
فبسطت كفيّ فملاهما ، فحصل لي منه ألف دينار . وكان عيار الدينار
منه أجود من عيار السندي بن شاهك ومن عيار المعتصم ، ولم يكن
يرى أجود منهما ، فتشدد مولاي من ذلك اليوم في العيار ، حتى لحق
ديناره بالعيار المعروف به ، وهو الأحمدي الذي لا يطلّ بأجود منه^(٢)

(١) اللغة التي يتكلم بها في برنطية وهي اليونانية . وفي خطط القريري البربطية بدل البرنطية
ويقول الاستاذ فينت في تليقاته على الخطط المصرية : ان الأقرب ان تقرأ باللغة البراوية لغة البراي . والبراي
جمع بر يا كلمة ببطية وهي الهياكل لقدماء المصريين قاله السلامة كرتكو في تليقاته على كتاب الجماهر للبيروني
(٢) ذكر القريري في رساله النقود الاسلاميه هذه القصة وقال : ان الأمير ابا العباس احمد
ابن طولون ضرب بمصر دنانير عرفت بالاحمدية وكان سبب ضربها هذه الحادثة التي وقعت له في
الاهرام والعثور على الذهب

اطعام ابن طولون
وعطفه على شيخ
فقير

قال : وأما صدقاته فكانت مشهورة متواترة على أهل الضعف
والمسكنة والمستورين والمتجملين ، وكان راتبها في كل شهر ألفي
دينار ، سوى ما يطرأ عليه من نذر ينذره ، أو شكر على تجديد نعمة
لله عز وجل عنده ، أو على خبر يسره ، فيقابل ذلك بالصدقات الكبيرة ،
فيزيد ذلك على راتبه زيادة عظيمة ، سوى مطالبته التي يقيم بها في
كل يوم للصدقات ، في داره وغير داره ، يذبح فيها البقر الكثير ،
والكباش العداد ، ويطعم الناس ، ويفرق على كل من يأخذ في القدور
الفخار مع الخبز على المساكين أربعة أرغفة مع كل قدر ، في رغيفين
منها فالزوج . وكان من شهوته لذلك ، وصحة نيتته فيه ، ورغبته في
الثواب عليه ، يعمل الطعام في داره ، وينادي من أحب أن يحضر
طعام الأمير فليحضر ، وتفتح الأبواب ، ويدخل الناس إلى الميدان ،
ويجلس هو في المجلس الذي ذكرنا مقدماً أنه كان يجلس فيه ، يشرف
على من يدخل داره ويخرج منها ، وينظر إلى المساكين ، ويتأمل
فرحهم مما يأكلون ، فيفرح بذلك ويحمد الله عليه .

فنظر يوماً إلى شيخ مستور ، وقد زل^(١) في خرقة معه زلة ، وزاد
فيها حتى لم يكن في الخرقة موضع ، فلما قام لشدة الزحمة وقعت من
يده لضعفه ، فغمز بعض الحجاب بعض الغلمان أن يأخذها ، فمأجناً
لا قصداً ، وترد عليه . وتأمل أحمد بن طولون ذلك فأغاظه ، فأمر

(١) زل الطعام : اخذه وتناوله ، والزلة : اسم لما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك .

برّد الشيخ وإحضار الحاجب ، وقال له : ويحك ما الذي حملك على ما صنعت بهذا الشيخ الضعيف ؟ فقال : والله أيها الأمير ما أردت إلا مداعبته ، فقال له : والله العظيم لا نَحْمَلُها له إلى منزله غيرك . وأمر فأصلح للشيخ مائدة عظيمة ، فيها من كل شيء حار وبارد وحلو ، وأحضره فقال له : يا شيخ كم سنُّك ؟ قال : ثمانون سنة قال له : لك عيال ؟ قال : نعم خمس بنات عوانق وثلاثة غلمان ، وأمههم ومن يخدمنا ، ومن يقربُ منا نواسيه بما أمكننا . فقال : ففي أي شيء تتجر ؟ قال : في المثلث ^(١) . قال : وكم بضاعتك منه ، قال : عشرة دنانير . قال له : فلم لا تزوج بناتك ؟ فقال : لا يُرغب فيهن إلا لشيء ، ومالنا شيء ، فأمر له بمائة دينار بضاعة له ، وأحضر معمر الجوهري فتقدم إليه بأن يُجهز بناته بما يصلح لهن من الجهاز والتجمل ويزوجهن ، ودفع إلى الذكور من ولده لكل واحد خمسين ديناراً ، وأثبت أسماء الجميع في دفتر الجرايات . فذكر معمر الجوهري أنه جهزهم بألف دينار ، فعرفه ذلك وسره ، وأطلق المال له ، وحمل الحاجب مع الشيخ تلك الزّالة بين يديه على سرجه ، حتى بلغ إلى منزله ، ووهب له عشرة دنانير تكريماً ورغبة في الثواب .

وحدث إبراهيم بن قراطغان ، وكان على صدقات أحمد بن طولون ،

قال : قلت للأمير : أريد الله الأمير إنا نقف في المواضع التي جرت

ابن طولون يعطى
الصدقات لطالها

(١) المثلث : شراب يطبخ حتى يذهب ثلثاه ولله شيء أشبه بالمربيات أو القنوداي السكر

العادة بصدقة الأمير على من فيها من المستورين والمستورات فتخرج
إلينا الكف الناعمة المخضوبة نقشاً أو تظارييف والمعصم الرائع وفي
الاصبع الخاتم الذهب والسوار والفنك^(١) والفراء والثوب الرطبة (?)
فقال لي: يا هذا كل من مدّ يده إليك فأعطه، فهذي هي الطبقة المستورة
التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ
مِنَ التَّعَفُّفِ لَا يَسَاءَ لَوْنِ النَّاسِ الْخَافَا) . فاحذر أن تردّ يداً امتدت
إليك ، وأعط كل من طلب منك

ابن طولون وأبناء
البيوتات

قال : ومن حسن أفعاله أنه بلغه عن علي بن طباطبّا أنه قد حبس
في مال بقي عليه من ضياعه وعجز عن أدائه . فقال : وكم مقداره ؟
فقال له : عشرون ألف دينار . فأمر صاحب الخراج بإسقاطها عنه ،
وكتب له بالعشرين ألف دينار براءة ، ووجه إليه ، فأحضره إليه
وعرفه بإسقاط ما عليه وصرفه إلى منزله ، فأكثر الدعاء والشكر . ولم يزل
وسائر أهله وجيرته يدعون له طول حياتهم

شفقته على أهل
مصر وبعده عن
أذاهم

قال : وأما إشفاقه على أهل مصر فكان يزيد على كل إشفاق ، حتى
إنه كان يجوز إشفاق الوالد على ولده . يحوطهم ، ويراعي أحوالهم ومصالحهم ،
ويدفع كل مكروه عنهم .

حدث سوار الخادم قال : قلت لولاي ليلة وقد بات في قبة الهواء

(١) الفنك بالتحريك : دابة فروتها أطيب أنواع الفراء . وشرها وأعد لها

خاليًا مفكرًا، وكانت ليلة قراء - وهذه القبة بُنيت لها من وقت موافاته
البلد، ويقال: إن العلماء الطائي بنوها على قرية من جبل المقطم، وكانت
تشرف على داره وعلى جميع البلد - أيها الأمير قد مضى أكثر الليل،
ومولاي منتصب، فلوأعطى نفسه حظها من الراحة كان ذلك أعود عليه .
فقال: يا بني! إنا كلفنا من القيام بأمر هذه البلدة ما كافناه، فإن نحن
أعطينا أنفسنا حظها من النوم والراحة، وأهملنا الفكر في تدبير
أحوالها، والشغل بما يعود به صلاح أمورها، وصيانة أهلها، ليأمنوا في
سريهم، ويسكنوا في قلوبهم ضاعوا، فأرى أن أتعب ويناموا، أصلح
من أن أستريح ويخافوا فيسهروا. فأمسكت عنه .

قال: ولقد أصلح منجنيقات، لما كان في نفسه من المسير إلى
حصن أنطاكية، فأراد امتحانها فنصبت في الموضع المعروف إلى
اليوم بالمنجنيقات، على شاطئ البركة وفوق الجبل الذي يعرف بجبل
يَشْكُر وهو المعروف بالكبش. ولم يكن بين يديه إلى النيل شيء، وإنما
كان جرفاً^(١) يشرف به على الكبش، فركب مولاي ليحرب بين
يديه، فنصب في أحدهما حبال ووضع فيه حجر، ووقف الرجال على
الحبال وجذبوها، فمرَّ الحجر إلى البستان المعروف ببستان عرق الذي
على خليج أمير المؤمنين، وإنما سمي هذا الخليج بأمر المؤمنين لأن عمر
ابن الخطاب رحمه الله أمر عمرو بن العاص بحفر خليج يتصل من النيل

(١) الجرف بفتح الجيم وضم المكان الذي لا يأخذه السيل .

إلى القلزم ، وتحمل فيه الميرة إلى الحرمين ، فحفره وكان متصلاً بالقلزم فسمي بذلك ، لأن عمر رحمه الله أول من سمي بأمر المؤمنين^(١) ثم حذف منجنيقاً آخر أيضاً ، وزادوا في رجاله وجباله ، وجعل فيه حجراً ، وزادوا في جذبه ، فلما استوفوا جرّه انقطعت الكفة وطار في الهواء .

فلقد رأيت مولاي ولم يتكل على حاجب ولا غلام يتقدم ، وإنه يصيح بنفسه إلى الناس الذين ينظرون ، ويشير مع صياحه إليهم بكفه إلى الموضع الذي يقدر أن الكفة وقعت فيه بنجوة^(٢) بصياح شديد . كل هذا إشفاقاً منه على أهل البلد ورأفة بهم .

سكران انقلته
فصاحته من بطنة
ان طولون

وحدث نسيم قال : خرج مولاي ليلة إلى قبة الهواء ، فسمع في أطراف المعافر كلباً ينبح فرا به ذلك ، فقال للغلمان ، وهم قيام بين يديه : اركبوا الساعة وامضوا ركضاً نحو هذا الكلب فانظروا على أي شيء يصيح ، فإن وجدتم أحداً فجيئوني به . فمضى الغلمان نحو صوت الكلب حتى أدركوه ، فوجدوا رجلاً قد كان عند صديق له من جيرانه ، وقد انصرف من عنده يريد منزله ، فوجد بابه مغلقاً ، وهو قائم عليه يدق ، وقد منع أهله غلبة النوم عن أن

(١) روى السيوطي أن هذا الخليج استقره عمرو بن العاص في سنة وجرت فيه السفن وأنه احتقره من حاشية القساط وساقه من النيل إلى القلزم أي البحر الأحمر
(٢) النجا كالنجوة ما ارتقم من الأرض يقال انك من ذلك الأمر بنجوة إذا كنت بعيداً منه بريئاً سالماً

يسمعوا دقه . وكلما دق الرجل نبح الكلب عليه ، فأخذوه ، وأردفه
أحدهم خلفه ، وأقبلوا به ركضاً . فلما رأى الرجل ما حلَّ به طار
النبيذ من رأسه ، وأقبل يستعين بالله . فلما أوقفوه بين يديه كاد
عقله يذهب ، حتى ثبتته الله عز وجل ، فعرفه الغلمان صورة الأمر ،
فقال له أحمد بن طولون : ما الذي حملك على الخروج في مثل هذا
الوقت ؟ فقال له : أنا أحدث عنه الأمير ، أيده الله : كنت عند
صديق لي من جيرتي ، وتمادى بنا الحديث إلى هذا الوقت ، وكنا
نستعمل الحذر والتحفظ ، قبل أيام الأمير ، أيده الله ، فلما ولينا
واشتدت وطأته على أهل الدعارة والفساد ، انقمعوا^(١) من هيئته
وخوفاً من سطوته ، فأمنّا لذلك وصرنا نخرج في مثل هذا الوقت
وقبله وبعده آمنين ببركة الأمير أيده الله . فاستحيا منه أحمد بن
طولون لحسن عبارته وبيان قوله ، وتوقف عما كان قد عزم عليه من
التأديب له في الخروج في مثل هذا الوقت . فقال له : قد كنا على
تأديبك على مخاطرتك بنفسك في مثل هذا الوقت ، فأزال ذلك عنا
جميل عذرك ، وحسن عبارتك عن نفسك ، وفصاحة لسانك ، وعلمنا
أن ذلك لا يكون إلا في عاقل ، وكفى بالعقل واعظاً . وقد جعلت
العوض من ذلك سرعة ردك إلى منزلك ، فلست أشك بأن أهلك
لما علموا بأخذنا لك قد قلقوا لذلك ، ثم قال لبعض الغلمان : أردفه

(١) قه: ضربه بالمقعة وهي خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه والجمع مقامع وقعه كقعه ضربه
بها وقهره وذله كقعه وانقمعوا ذلوا وقهروا

خلفك وردّه إلى منزله . وقام هو فأخذ مضجعه وقدمضى أكثر الليل .

وحدث نسيم الخادم قال : بينا نحن وقوف ليلة بين يدي مولاي ،
وقد طال سهره وفكره ، وكان إذا لحقه مثل هذا ، وطال وقوفنا بين
يديه يقول : تفرقوا واقعدوا ، لعلهم يأنالنا من التعب ، ونعانيه من
غلبة السهر والنوم ، فننقنم هذا القول منه ونتفرق ، فنستلقي في
المواضع التي يبعد نظره عنها .

المجنون العاقل .
ابن طولون

فبينما نحن ليلة وقد نمنا ، إلا وبه قائم على رؤوسنا ولم نشعر به ، فقمنا
مبادرين ، فقال لنا : ما سمعتم هذا الصياح ؟ وتأملنا فإذا صوت عال
يقول : يا أحمد بن طولون يا أخا عاد . فقال للعلماء : اركبوا واطلبوا
صاحب هذا الصوت حيث كان ، حتى نجيشوني به الساعة . وكان
كلامه يجي من ناحية الجبل من بين المقابر هناك . فمضى العلماء وأبطوا
ثم عادوا فقالوا : ما أبقينا موضعاً ، فما رأينا أحداً ، ولا عرفنا خبراً ،
وإذا بالصوت ثانية : يا أحمد بن طولون يا أخا ثمود . فحرد فقال :
ويمكم اخرجوا فاطلبوه حيث كان ، فخرجوا كخرجتهم الأولى
وأبطوا وعادوا ، فقالوا : والله ما أبقينا موضعاً ، ولا تركنا مكاناً ،
حتى طلبناه فما وجدنا أحداً . فقال لهم : ارجعوا قليلاً قليلاً ، وأخفوا
سيركم ، واكنسوا بين المقابر ، فلا بد من الصياح المرة الثالثة ، فلقربكم
منه نقفون على موضعه فتأخذونه ، فمضوا وعملوا كما أمرهم ، فلم يشعروا
به إلا وقد خرج فنادى : يا أحمد بن طولون يا أخا فرعون . فلقربهم

منه عرفوا مكانه فقصده فوجدوه ، وقبضوا عليه ، فإذا به مجنون كان في أيام أحمد بن طولون يكنى أبا نصر ، وكان إذا هاج خط ، وإذا سكن تكلم بكلام بليغ . فأنوه به وعرفوه أنه أبو نصر المجنون ، فسكن غيظه وقال : يا أبا نصر ما حملك على أن خاطبتنا بمثل هذا الخطاب ، وهتفت بنا في مثل هذا الوقت . فقال له : لأنك تعظمت ونكبرت وتجبرت ونسيت خلقك من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ثم من مضغة ، ثم جعلت المضغة عظماً ثم كسيت لحمًا ، ثم سواك رجلاً كاملاً . فبكى أحمد بن طولون بكاءً كثيراً . ثم قال له : ما أحسبك يا أبا نصر إلا متنعماً^(١) علينا ؟ ومع هذا فأتوهمك جائعاً فتأكل شيئاً ؟ فقال له : ما تطعمني شيئاً ولا أنتفع بك . فقال له : ما تغشانا يا أبا نصر ولا تأتيننا ، فضحك وقال : حتى أجيبك ؟ لعن المعروف إن لم يكن ابتداءً ، ثم قال :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عَوْضاً ولو نال الغنى بسؤال
فقال له : صدقت يا أبا نصر ، هاتوا له شيئاً يأكل ، فأتي له بطبق فيه ألوان كثيرة ، وفضلة من جدي ودجاج وفراخ وفالودج ، فأقبل يأكل من كل شيء ، وأمعن في الفالودج فثقلت معدته فنام ، ووضع يده تحت رأسه ، وتمدد بين يدي أحمد بن طولون ، فذهب به النوم وهو يتأمله ، حتى علم أنه قد استثقل في نومه ، فقام وقال :

(١) تطعم في الكلام متنعماً وظلي وتأتني وفي عمله تعذني ، ولا بأس بأن يقال هنا مشتطاً بدل متنعماً

دعوه لا تنبهوه ، ووكل به خادماً يراعي أمره ، وقال له : لا تذكره
على شيء يريده ، فإن طلب ماءً أو غيره فأعطه . فمضى أحمد بن
طولون فنام ، وانتبه قبل انتباه المجنون ، وقت ركوبه ، فسأل عنه
فخبر بنومه ، فركب على راسه ووصى به ، وقال : إن أراد الانصراف
فلا يكلم ولا يخاطب ، ويترك يذهب كيف شاء . فلما انتبه قام مبادراً
نحو الباب فلم يكلم ، وخرج فمضى . فلما عاد أحمد بن طولون سأل عنه
فخبر بذهابه . فتصدق في ذلك اليوم بصدقات كثيرة . وكان
يتعاهده في كل وقت بالطعام والكسوة والبر .

أمره لصاحب
شرطته بالشدة
واللين

وحدث نسيم الخادم قال : قلد مولاي انشركة السفلانية قائد أمن
قواده ، وقال له : ارفق بالرعية ، وانشر العدل عليهم ، واقض
حوائجهم ، وأظهر إكرامهم وصيانتهم ، وتفقد مصالحهم ، فإني أسير
بالليل في محالهم فكل موضع أمر به ، لا يخلو من قارى أو متجداً وداع
أو ذاكر لله عز وجل ، فوفر علينا دعاءهم لنا ، واحرسنا من أن يكون
دعائهم علينا .

ويقول لمن يقلده الشرطة الفوقانية : تشدد عليهم وأرهبهم منك ،
ولا تلن لهم واغلظ عليهم ، فإني أسير في محالهم فما أمر به وضع
فأسمع فيه إلا غناء أو سكران أو معربداً ، قد أخرجته عربته إلى
الوثوب والكفر .

وكان لا يقلد شرطة أسفل إلا الثقات من وجوه قواده . وأما
أشده على قواده وغلانته فمشهور .

عقاب قائد
اعتدى على
راهب قبطي

حدث ابن قراظغان قال : وجه أحمد بن طولون بقائد من جملة
قواده إلى بعض الأرياف في حمل مال ، وإصلاح حال ، فلما أقام القائد
بالناحية التي نزلها وفرغ مما يحتاج إليه أقبل إليه بعض أقباط الضيعة ،
فسعى إليه براهب في الضيعة لشيء كان يحقده عليه ، فأراد التثني منه ،
والقبط لا يحسنون أكثر من سعاية بعضهم ببعض . قال له : إن هاهنا
راهباً قد وجد كنزاً عظيماً مملوءاً مالاً . فحمل القائد الشره والطمع
على أن أحضر الراهب فأرهبه وهدده وأخافه ، فأخذ منه خمسمائة دينار ،
وانصرف القائد من الضيعة . فبلغ ذلك من الراهب مبلغاً كسفه وأتى
عليه ، فجعل يبكي ليله ونهاره ، فرآه بعض من وافي الضيعة فسأل عن
حاله فخبّره فرجه ، وقال له : ولم تبكي ، ولنا أمير عادل منصف ؟
ادخل إلى الفسطاط ، واكتب قصة ^(١) ، فإذا ركب أحمد بن
طولون فادفعها إليه ، فإنه يأمر لما يقرأها برد مالك عليك ، وجسره
على ذلك وسهله عليه .

فشخص إلى الفسطاط وكتب قصته وأقبل بهسا إلى الميدان ،
فوقف على بعض أبوابه ، يلتبس ركوب أحمد بن طولون ، فبصر به
حاجب ذلك الباب ، فدعا به وسأله عن خبره فشرح له قصته ، وأنه

(١) القصة بكسر القاف وجمعها قصص : ما يكتبه المشتكي المتظلم إلى الأمير أو الملك ليرفع ظلامته
وهو ما نطلق عليه اليوم الاستدعاء . وكان الأولى أن يقال الاستدعاء من استدعاء استغاثه واستنصره .

ينتظر ركوب الأمير ليوصل إليه قصته ، وكان الحاجب صديق القائد الذي يتظلم منه الراهب ، فقال له : بينك وبينه شيء غير هذا ؟ فقال : لا . قال : فأنا أدفع اليك الخمسمائة دينار فامض في حفظ الله ، والرجل صديق لي ، وأنا أسترجعها منه أو أتركها له ، وأصونه عن الواقعة به . ففرح الراهب وقال : ما أطلب ياسيدي غير هذا . فأحضر الحاجب خمسمائة دينار ودفعها إليه ، فأخذها ومضى وهو لا يصدق ، وجاء فخرج من ساعته وعاد إلى ضيعته .

فوقف بعض أصحاب الأخبار على ما جرى ، فكتب به إلى أحمد بن طولون ، فأحضر الحاجب فسأله عن الخبر فلم يمكنه ستره ، فأحضر القائد واعتقله ، وأنفذ الحاجب خلف الراهب إلى ضيعته حتى أحضره ، فلما حضر جمع بينه وبين القائد ، وسأله عن الحال كيف جرت ، فخبّره بما كان ، فقال له أحمد بن طولون : كان سبيلك وملكك أن تدعي عليه بثلاثة آلاف دينار ، حتى آخذها لك منه ، وأجعل ذلك تأديباً له ولغيره . ثم قال للحاجب : والله لولا أنها مكرمة سارعت إليها ، وجميل رغبت فيه ، وقال الله عز من قائل : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) لعمرت بك المطبق ، ولكن احذر أن تعاود مثلها ، ولا تستبدن بأمر تأتبه دون أن تعرّفنا به ، ولا تطوّر عنا خبراً ولا سرّاً ولا قصة تُرفع . فقال له : أقلني أيها الأمير ، أقالك الله ، فوالله لا أعود إلى مثلها أبداً . قال : فانصرف إلى موضعه .

ثم أقبل على القائل فقال له : في رزقك نقصير عن مؤنتك ؟ قال : لا . قال فأخبر عنك استحقاقك تأخيراً يضطرك إلى ما أنتبه ؟ قال : لا . قال : فبأي حال استحللت أن تأخذ من هذا البائس الضعيف ما تقطع به قلبه ، وتبكي عينه ، وتفقره وأهله ؟ ألك حاجة أوجبت ذلك عليك ، أو ضرورة دعتك إليه ؟ المطبق . فأخرج من بين يديه إلى المطبق على موضعه منه ، ومجمله في نفسه ، فخرج وهو آيس من الحياة ، وأمر الراهب بالانصراف .

وحدث أبو كامل شجاع بن أسلم الحاجب قال : لما أطلقني أحمد ابن طولون ألزمني دار الصناعة ^(١) ، فدعاني يوماً فقال لي : كل ما تعمل [لي من العدة] يكتبني فيه بالقليل ، مع [تقدم] هيبتي في صدور الناس إلا المراكب فإن البحر لا يهابني ، ولا يخاف سؤرتي ، وليس يعمل في البحر إلا الوثاقة ، والجودة في الصنعة ، وتقديم الإحسان . فقدم الحزم في الاحتياط ، والاستزادة في الانفاق على المراكب لتسلم بعون الله عز وجل وتوفيقه من معرة البحر .

عناية ابن طولون
بأسطوله

وحدث قال : دخلت أم عقبة الأعرابية يوماً إلى أحمد بن طولون ومعها ابنتها عقبة ، وكان كثيراً ما يأنس بها ، ويحب محادثتها فصاحتها ، وحسن كلامها ، وكان يكثر برها في كل وقت ، فسألته التقدم في

أعرابية أبت أن
يكون ابنها
جاسوساً

(١) هي الدار التي تصنع فيها المراكب والسفن ، نقلت هذه اللفظة إلى اللغات الأفرنجية بصيغة Arsenal ثم أعيدت إلينا على العهد التركي باسم « ترسانة » .

تصريف^(١) ابنها فيما يعود عليه نفعه . فقال لابن مهاجر ، وهو بين يديه . انظر له في شغل يعود عليه فيه خير يبين عليه ، وكان البريد إليه ، فقلده ابن مهاجر بريد ناحية من النواحي ، وأجرى عليه من الرزق عشرة دنانير في كل شهر ، فحدث ابن مهاجر قال : إني لقاعد بين يدي أحمد بن طولون بعد ثلاث ، حتى دخلت أم عقبة على الأمير فقالت : أنا شاكرة للأمير أيده الله ، ذامة لهذا الرجل ، تريدني ، فقال لها : ولم ذاك ؟ فقالت : أمرته في إشغال ولدي فيما يعود عليه نفعه ، فشغله فيما لا يُرْحَضُ^(٢) عن رؤوسنا عاره وشناره ، والجوع الكريم أنفع من الشبع اللثيم ، فقال لها : وما ذاك ؟ قالت : وكَلَّه بالنسيئة يحصيهام على المسترسل ، ويهتك بها المستتر ، فقد تحاماه الناس وتناذروه^(٣) فأذا لم يكن غير هذا تركته ، ولم أتعرض لما فيه مقت الله عز وجل وسب

(١) صرفه (بتشديد الراء) في أعماله وأموره فتصرف بها أي عينه فعمل عملاً ووسمه إليه
(٢) قبل إيراد هذه القصة ورد في كتاب ابن الداية ما يأتي : وحدثني نسيم قال : ظلمت عجوز أعراية تعرف بأُم عقيل إلى أحمد بن طولون من تسخير أجمالها ، وكانت فصيحة اللسان ، حسنة البيان ، فتقدم برد أجمالها ، وأمر بعض الحجاب أن يلحقه بها إلى داره ، فوافقت فتقدم في إطلعها ، وأن يطلع عليها أبواب منظام ، ودخلت بمجلسه ، وهو مع خواص له يشرب ، فحدثته بما استحسنته ، وأنشدته ما استطابه ، وهي في ذلك حائرة من صفاء كأس يده ورقة شراب فيه ، فأمر لها بكأس فأحضر ، فقالت : أيها الأمير هذا شراب ماخالط دمي قط ، قال : خذيه وشمي رائحته ، وانظري إلى لونه ، قالت : كل ما فيه يدعو إليه . فلما عزم عليها شربته ، ثم ضحكت بعده ضحكاً لا سبب له . فقالت : أيها الأمير ، فإن الرجل بالحضرة ليسقي نساء من هذا الشراب ؟ قال : نعم . قالت : ذنين ورب الكعبة . فضحك وقال لها : ولم ؟ قالت : تحرك علي ، اعز الله الأمير ، ساكن ما شكوته من ثلاثين سنة ، ولا والله لا عاودة أبداً . فكانت تتفقد أحمد بن طولون في كل وقت فيجزل عائلتها .

(٣) تناذروا القوم : أئذ بعضهم بعضاً شراً مخوفاً وفي الأساس : تناذروا العدو خوف منه بعضهم بعضاً

عباده . فضحك أحمد بن طولون ، وأمرني أن أجري العشرة دنانير في كل شهر ، وأُعفيه من البريد ففعلت ، فشكرت ودعت وقالت : هذا الأشبه بك أيها الأمير ، وانصرفت .

وحدث نسيم الخادم قال : ما خلت دار مولاي قط من كاتب خفي الشخص ، موثق عنده ، يعرف بكاتب السر ، يرتصد في سائر يومه مناظرته إن ناظره ، فيكتب الابتداء والجواب في كل ما يجري ، فإذا انقضى يومه أذفد جميع ما يثبتته مع خاصة يثق به فيقرأ ذلك ويتدبره ، فإن كان فيه شيء يحتاج إلى مدار كته بتغيير أو زيادة تقدم في ذلك بما يُمثّل .

تجسس ابن
طولون على
رجال قصره

وحدث نسيم الخادم أيضاً قال : كان لمولاي في مقرنس ^(١) سقف مجلس بين يديه ألف بدرة ^(٢) ، قدأ حكمت مواضعها ، واستوثقت منها

قصة الغراب
سارق الذهب

(١) في الأصل : مقرنس ، وفي ابن الداية : في المقرنس مجلس : وسقف مقرنس عمل على هيئة السلم ويقول الأستاذ زكي محمد حسن في تعليقاته على كتاب الفنون الفرعية والتصوير والمهارة إن كلمة Stalactite تطلق على الحجر الذي ينشأ على شكل اعمدة نازلة غير منتظمة وذلك في بعض الكهوف بفعل الرشح الذي تنتجه مياه محملة بالاملاح الجيرية ويطلق هذا اللفظ على الأعمدة التي تصبح معلقة في سقف الكهوف وتطلق كلمة Stalagmite أو الاعمدة الصاعدة على الاعمدة التي تنمو من الارض والمقرنس Stalactite في فن المهارة نوع من الزخارف يقلد بها ذلك الحجر الطبيعي ويتكون من أجسام صغيرة بارزة ومدلاة وأكثر ما يستعمل في وجّهات المساجد واسقف القصور .

(٢) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار

بالخشب الغليظ ، والنخل الصلب ، والعمل المحكم . وكأنت بين يديه
يراها ولا يراها غيره ممن يكون بين يديه ، إذا دخل وباب المجلس
مفتوح ، ولم يكن يعلم بذلك ، فلا يراعيه غيره وغيري فقط . وكان
قد أكد عليّ في مراعاته وجعلته اهتمامي . قال : وكان في الدار غراب
شديد الأنس ، وكان مولاي يُعجّب بصياحه ، وما كان يمضي يوم
إلا ومولاي يدخل ذلك المجلس يتأمل البدر ، فدخل يوماً فرأى
بدره مملوكة ، فتقدم بانزالها فأنزلت ، فأمرني بفتحها ووزنها ، فنقصت
عما كان فيها أربعين ^(١) ديناراً . فقال لي : يا نسيم من نظرت أنه
أخذها ؟ فقلت : ما يدخل هذا المجلس غيرنا أنا ومولاي ، ولكنني
أراعي هذه الحال فقال لي : افعل . وشغل ذلك قلبي . فبينما أنا أراعيه
يوماً إذ نظرت ذلك الغراب قد دخل البيت فنقر البدره من خياطتها
فأخرج منها ديناراً واحداً ، فمضى به ، فمشيت خلفه حتى أتى به إلى شق
بين بلاطين فألقاه فيه ، فدخلت إلى مولاي فخبرته بذلك فعجب منه ،
وقام فأتى الموضع ، ودعا بالمبلطين فقلعوا تينك البلاطين ، فوجدنا
الدنانير التي نقصت والدينار الآخر ، لم يذهب من ذلك شيء ، فضحك
مولاي وقال لي : يا بُني ، لو كانت هذه الدنانير لمسكين أو متجمل
ما وجدها ، ولكن يا بُني المقبل محروس . وتصديق ذلك اليوم
صدقة كبيرة .

(١) كذا في ابن الداية وفي الأصل : نقصت عما كان فيها ثلاثون من وزنها أربعون ديناراً

وحدثت نعت أم ولد أحمد بن طولون قالت : كانت مولاي زوجة من بنات الموالى تزوجها بمصر ، وكنت من أحسن النساء وأجملهن وجهاً وخلقاً ، يقال لها أسماء ، قالت : فقلت له يوماً : يا مولاي ليست خلوتها معك على قدر محلها منك ، وما يقتضيه حسنها وجمالها ومحلها أيضاً . فقال لي : ويحك هي صغيرة الكف قصدة الخلق ، وأكره أن يكون هذا في ولدي منها ، فلهذا أتوقف عنها كثيراً .

عزوف ابن
طولون عن
احدى زوجاته

وحدث أحمد بن القاسم أخو عبد الله بن القاسم كاتب العباس بن أحمد بن طولون قال : حدثني أخي عبد الله قال : بعث إليّ أحمد بن طولون بعد أن مضى من الليل نصفه ، فوافيته وأنا منه خائف مذعور ، فدخل الحاجب بين يدي وأنا في أثره ، حتى أدخلني إلى بيت مظلم فقال لي : سلم على الأمير . فقلت : السلام على الأمير ورحمة الله وبركاته . فقال لي من داخل البيت وهو في الظلام : وعليك السلام . لأي شيء يصلح هذا البيت ؟ فقلت : للفكر . فقال : ولم ؟ فقلت : لأنه ليس فيه شيء يشغل الطرف بالنظر فيه ، فقال لي : أحسنت بارك الله عليك ، امض إلى العباس فقل له : يقول لك الأمير اغد عليّ ، وامنعه من أن يأكل شيئاً من الطعام ، إلى أن يجيئني فياً كل معي ، واحذر ذلك فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير أبده الله . وانصرفت ففعلت ما أمرني به ، ومنعته من أن يأكل شيئاً .

تأديب ابن
طولون لابنه
العباس

وكان العباس قليل الصبر على الجوع ، فرام أن يأكل شيئاً يسيراً قبل ذهابه إلى أبيه ، فمنعته فركب إليه ، وكان يوم خميس ، فجلس بين يديه ، وأطال أحمد بن طولون عمداً ، حتى علم أن العباس قد اشتد جوعه ، فأحضرت المائدة ، ولم يُقدّم عليها إلا سماناً^(١) زيرباجاً^(٢) فانهمك العباس في أكلها لشدة جوعه ، وامتدت يده إلى صغار ما كان من البوارد^(٣) على المائدة ، فشبع من ذلك الطعام ، وأبوه متوقف عن الانبساط في الأكل ، فلما علم بأنه قد امتلأ من ذلك الطعام ، أمرهم بنقل الطعام ، فأحضر كل لون طيب ، لا يخلو من أن يكون دجاجاً ثقيلاً وفراخاً مسمنة ، ثم لبّن بالبطة السمينّة والجدي الرضيع ، والخروف النادر ، وماشاكل ذلك [مما] يؤكل من جميع الحيوان مشوياً ، فانبسط أبوه في جميع ذلك فأكل ، وأقبل يضع بين يدي ابنه منه ، فلا يرى فيه حيلة لأكله وشبعه .

(١) كذا في ابن الداية ، وفي الاصل : سمان كردناج ، والسمان بالضم : من الطيور والقواطع لا يدري من اين يأتي للواحد وللجمع وقيل الواحدة سماتاة والجمع سمانيات .

(٢) الزيرماج : منماة بالفارسية طبق من كمون . وكان يطلق في القرن الثالث عشر على طعام مؤلف من سكر ولوز وخل (قاله دوزي) وفي كتاب الطبيخ ان صنعت ان يقطع اللحم السمين صفاراً ويجعل في القدر عليه غمرة ١٠ وقطع دارصيني وحسن مقشور ويسير ملح فاذا اغلي تؤخذ رغوته ثم بطرح عليه رطل خل خر وربع رطل سكر واوقية لوز حلو مقشراً او مدقوقاً ناعماً يذاف ثاء ورد وخل ثم بطرح على اللحم الخ

(٣) الوارد بقول وأبازير مبردة وفي كتاب الطبيخ للبندادي هي البقول المطبوخة الموضوع في الاشياء الحامضة كالخل وما الحصرم والسمان وماء التفاح والريباس والملاست

فقال له : إني أردت تأديبك في يومك هذا بما امتحنتك به ، لا تلقِ بهمتك على صغار الأمور ، بأن تسهل على نفسك تناول يسيرها ، فيمنعك ذلك من كبارها ، ولا تشتغل بما يقلُّ قدره ، فلا يكون فيك فضل لما يعظم قدره ، وهذا يا بني نظير تشاغلك بالسماني ، وهو من صغار الطير ، ولم تتوقف عما تعلم أنه يحضر مائدة أهلك ، مما هو أجل من السماني وأطيب وأمتع ، فلما حضر ، لم يكن فيك شيء منه فضل ، وقد تتبعته نفسك فما قدرت عليه .

وليس يتصل بي أذك أخذت من رجل على حاجة تقضيها له أقل من خمسمائة دينار ، لا يجد صاحبها مسأً معها ، ولا إجحافاً فيها ، إلا غضبت عليك ، وفلت كاتبك بغليظ العقوبة ، ولا تستدعِ البرَّ على الحوائج ، ولكن آفه مقام الهدية التي نفيدها إذا جاءت عفواً ، واحذر أن تقتضيها إن تأخرت عنك ، وكافئ على الهدية بأحسن منها ، فإن أعظم الفقر فقرك إلى رعيته ، وقد جعلت بما عملته معك اليوم تأديباً ومعاقبة وتنبيهاً لك على ما فيه رشدك ، وفقك الله وسددك ، ولا ساء في فيك . فقبل يده ، وقبل منه ، وامثل أمره .

وحدث هارون بن مملوك قال : وقف بعض من ينتحل التصوف

من المصريين لأحمد بن طولون ، وقد انصرف يوماً من صلاة

عقوبة منتحل
التصوف على
فحته

الجمعة ، فقال له : أيها الأمير على رسلك ، فوقف . فقال له : اتق الله الذي إليه معادك وراقبه ، فقد أرعبت الناس وأخفتهم خوفاً قد منعهم من صدقك عن كل ما يجري مما يكرهه الله عز وجل ولا يرضاه ، وأنا لسان جماعتهم إليك . فأمر بالقبض عليه ، فلما نزل أحضر إليه شيوخ البلد ووجوهه ، وكان الناس إذ ذاك متوافرين . فلما اجتمعوا وافى صاحب خبر السر الذي يكتب كل ما يجري ، فدفن إليه رقعة فيما خاطبه به الصوفي ، فأمر كاتبه أحمد بن أمين بقراءتها على الشيوخ فقرأها عليهم ، وسألهم عما أنكروه من أمره حتى بعثهم إلى إيفاد الصوفي إليه ، فحلفوا له بالله عز وجل وبالطلاق والصدقة أنهم ما بعثوا إليه أحداً ، ولا أنكروا له فعلاً . فأحضر الصوفي وقال له : زعمت أن أهل البلد نصبوك للقول فيما أنكروه . فقال له : نصبتني لهذا المظلوم والمقهور من لحقه جور أصحابك . فقال له : لست أعجل عليك ، أخبرني ما الذي اتضح عندك حتى دعاك إلي . فقال : بعض أصحابك منذ ثلاثة أيام أنا أتلف وأبحث عما قد رابني منه ، حتى وقفت على أن امرأة طبالة لاسيل له عليها ، تدخل إليه وتبيت عنده كل ليلة ، واشترى رجل من أصحابك أيضاً غلاماً أمرد فنصب له طرة وقرطقه " بأشياء لا يسمع بها إلا قلب فاسق .

(١) قرطقه : ألبسه الترطق وهو اتقاء . مرب كره

فقال له أحمد بن طولون : أنت الآن في العاجل قد دلتنا على عورتك ، وأعلمتنا أن التجسس المنهي عنه ، والظن السيء المكروه استعماله ، وقد نهى عنه أيضاً ، من شيمتك ، والله عز وجل ستر على عباده لا ينهاك بما التمسته ، فأنا أرى أنك إلى التأديب أحوج منك إلى التائب . ولعل دخائلك الردية أوضح من دخائل من فسقته ورميته بما لا يجوز في الدين أن يُقطع مثله على مسلم في الحكم .

قال هارون بن ملؤل : فقال رجل ممن حضر : أيد الله الأمير هذا الرجل أعرفه وقلبي يكرهه لأن قصده أن يترأس لدنيا يصيبها بالكذب على الناس ، وأنا أشهد وجماعة من حضر أن مسكنه الذي ينزله غصب ، وأن طعمته ^(١) إخافة المستورين . فقال جميع من حضر من الشيوخ : صدق أيد الله الأمير . فأمر به فضرب مائة سوط وطيف به البلد على جمل ، ونودي عليه بما قيل فيه ، وحبس في المطبق ^(٢) .

(١) الطعمة بضم الطاء : وجه المكسب

(٢) روى ابن طلحة الوزير في العقد الفريد له قال : ولقد بلغني عن أحمد بن طولون قضية يؤثر في النفس الزكية سمعها ، ويحس عند ذوي المعرفة والتوفيق وقعها ، وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية ، نازح الحكم فيها ، مهياً مخوناً ، يقوم بسياسة الملك ، ويملي كلمة العدل ، ويأخذ نفسه بالانصاف مع ما هو عليه من الجيروت المفرط ، والقتل المسرف ، وكان يجلس للمظالم ويحضر مجلسه القاضي بكار بن قتيبة وجاءه من النقاء وأهل العلم مثل الربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعي . وكان ابن طولون إذا جلس للمظالم يمسك المظلوم من الكلام ويسمع كلامه الى آخره ، ويكشف غلامته ، ويجلسه بين يديه مقرباً إليه ، قال أحمد بن محمد بن سلامة —

المتبسط مع ابن
طولون وذهاب
نعمته

وحدث أحمد بن أيمن قال : كان لأحمد بن طولون ساعٍ يسعى بالكتب والمعاملين إليه ، وكان من أبناء قبط مصر يعرف بأبي الذؤيب ، حسن الموضع منه ، وكان قد أجرى عليه وأحسن إليه بنصحه له ، وكان ربما أكل معه ، وربما جلس يناديه بين يديه . قال : فاجتمعنا يوماً عند أحمد بن طولون ، فقال أحمد بن طولون لكثير المغني : أنا أشتهي صوتاً ما سمعته منذ خرجت من سر من رأى فقال له : وما هو أيها الأمير ؟ فقال :

ألا سقيتم بني حزمٍ أسيركمُ
نفسى فداؤك من ذي غلةٍ صادرٍ
فقال له : ما أعرفه يا سيدي ، وما استهواني من تقريب أحمد بن طولون لي ، وإيناسه لي [دعاني] إلى أن قلت : أنا أحسنه ، ففرح بذلك فاندفعت ، لما تبينته من سروره ، أغنيه إياه . وكان أحمد بن أيمن

— الطحاوي النقيه : اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدي سلامة فاحتجت إلى الدخول إليه والنظم مما جري لي ، وأنا يومئذ شاب إلا أن العلم والمعرفة بالحاضرين بطني على الكلام والتكن من الحجة فخطبته في أمر الضيعة فاحتج عليّ بحجج كثيرة وأجبت عنها بما لزم الرجوع إليه ، ثم ناظرني مناظرة الخصوم غير انتهاء ولا سطوة عليّ ، وأنا أجيبه وأحل حجته إلى أن وقف ولم يبق له حجة ، فأمسك عني ساعة ثم قال لي : إلى هذا الموضع انتهى كلامي وكلامك ، والحجة قد ظهرت لك ، ولكن أجلتنا ثلاثة أيام ، فلما ظهرت لي حجة ، وإلا سلمت الضيعة إليك . فقامت متصرفاً ، فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجي للحاضرين : ما أفجع ما أشهدتكم على نفسي ، أقول لرحل من رعيتي ظهرت لك حجة أجبتني ثلاثة أيام إلى أن أطلب حجة ، وأبطل الحكم الذي قد أوجبه من يعني إذا وجبت لي حجة أن أحضره وأزوجه إياها ، هذا والله النصب وأتم رسلني إليه ما أتني بعد ألزمت حجته وأزكت الاعتراض عن الضيعة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يدرس أمة لا يؤخذ الحق لضيقها من قوتها ، وتقدم بالكتاب له وعرف الطحاوي الحال من الحاضرين ، فذهب إلى الديوان وأخذ الكتاب بازالة الاعتراض وتسليم الضيعة ، وصارت هذه تتلى من مناقب أحمد بن طولون وعمله بالعدل وإفائته ديوان القسط اهـ .

هذا حسن الصوت ، فطرب أحمد بن طولون طرباً شديداً ، حتى صفق يديه . قال أحمد : فحملني سخف الطرب لا رأيت من سرور الأمير ، إلى أن قمت فرقصت على إيقاع اللحن ، فزاد سرور أحمد بن طولون بذلك ، وغمزني على أبي الذؤيب الساعي أن أسقط عليه ، فتزالت^(١) على البساط وألقيت نفسي عليه ، فأظهر أنه ألم لذلك ، فأخذ يبكي كما يبكي الصبي ، لعاميته وسوء أدبه . فصاح عليه أحمد بن طولون ، فقال له : لم يوجعني ما وقع علي ، أيد الله الأمير ، من جسمه ، وعظم جثته ، وإنما آتاني ما على ظهره من البدر التي اختانها وحصلها من مال الأمير أيده الله . فقال له أحمد بن طولون : أمسك ، وارفع هذا إلى الصحو ، ولا تخلط الجدة بالهزل . فتبينت غلطي بفراط الانبساط ، فما مضت إلا مديدة حتى قبض علي أحمد ابن طولون ، وحبسني وأخذ جميع ما كان لي ، وما خرجت من حبسه إلا بعد وفاته ، أطلقني ابنه أبو الجيش .

وحدث العجيني^(٢) وكان يتولى شرطة أسفل ، أن رجلاً من التجار ، يعرف بالستر والسلامة ، ابتاع خادماً مما أبيع من تركة وكيل أحمد بن طولون الذي قبض عليه ، المعروف بابن مفضل ، بهائتي دينار ، وأنه أخذ جوازاً وخرج بالاعلام إلى الشام ، يؤمل في بيعه هناك رجلاً ، فلما بلغ العريش ، وكان بها وال يعرف بحبيب المعري قد نصبه أحمد

تاجر آل أن
يموت في السجن
مع معاليه

(١) أظهرت اني زلت اي زانت قديمي . (٢) في ابن الداية : يعقوب بن صالح صاحب العجيني

ابن طولون ليتأمل ما يرد من الكتب ونفيس الأمتعة إلى القسطنطينية،
فقرأ الجواز وقال : قد كان يجب أن يحكى في هذا الجواز حلية هذا
الخادم ، فقال الرجل . أنا اشتريته من الواسطي فقال : لست أطلقه إلا
بعد الاستئثار^(١) فيه . فكتب إلى أحمد بن طولون يخبره ، فكتب إليه
يأمره بأشخاصه إليه ، فأشخص التاجر والغلام . فلما وافى وأدخل مع
الغلام إليه ، قال له : من أين لك هذا الخادم قال : ابتعته من الواسطي
كاتبك مما باعه من تركة ابن مفضل . فقال له : أين كنت عازماً به ؟
قال : أستقري به البلدان حتى أجد فيه ما أوئله من الربح ، فقال :
اكتبوا له جوازاً وحلّوا فيه الخادم ، وأطلقوا سيده . فقال : أيها الأمير
فعلى من نفقتي في مجيئي ورجوعي بغير ذنب ولا جناية وجبت عليّ
حتى أشخصت ؟ فقد علم الله جل اسمه ما داخل قلبي من ذلك من الغم
والجزع ، وأنكلف نفقة ثانية ؟ فقال له أحمد بن طولون : لا ، ما نكلفك
نفقة ، كم كانت نفقتك في خروجك ورجوعك ؟ قال : عشرة دنانير ،
فأمر بدفعها إليه ، وتحقق بذلك منه أنه من أهل السلامة ، فخرج
ولم يدع له ، فكتب صاحب الخزانة بما سمعه تكلم له لحقه من
التعب والمشقة في دخوله ورجوعه بما أنكره أحمد بن طولون ، فأمر به
إلى المطبق ، فلما دخله وجد فيه جماعة من عرمانه الكتاب والنقاد
الذين كان قد أيس أن يرى أحداً منهم أبداً ، فسرّ بهم وسرّي^(٢) عنه بنظره

(١) الاثتار : المشاورة كالمؤامرة والاستئثار والتأثر .

(٢) سروت عني الهم وسرّي عني وانسرى عني : انكشف

إليهم ، وسرُّوا أيضاً هم به ، وأنس بهم وأنسوا به ، وقضوه جملة كبيرة مما كان له عليهم ، واستأنف معاملة ثانية لهم ، وباع رجلاً منهم الخادم بربح جيد ، فوجه به إلى من باعه له بدون ذلك لحاجته إلى الثمن ، وأسلف قومًا من المحبسين دنانير كثيرة ، وابتاع في المطبق رحلات^(١) أبيعَت يستغلها ، وأقام مع غرمائه مقام مستوطن طيب النفس ، حامد لله عز وجل على ما قضاه عليه . فذكره أحمد بن طولون يوماً بعد سنة وشهور ، فأمر بإطلاقه .

فحدث يعقوب غلام العجيني قال : دخلت إلى الرجل وأنا مسرور بإطلاقه فبشرته بذلك ، وقلت له : قم انصرف في حفظ الله ، فقد أمر الأمير بإطلاقك . فقال لي : وكيف أخرج من موضع أكثر مالي فيه ، بل جميع ملكي ؟ ومع هذا فلي فيه مستغل وأسلاف على جماعة وديون ، فزبرته وأنكرت قوله ، فصاح وبكى ، وأقبلنا نجاذبه على الخروج ، وهو يجاذبنا على المقام . فرفع خبره إلى أحمد بن طولون فعجب منه وأمر بإحضاره وقال له : ويحك تختار المقام في المطبق على إطلاق السِّرب^(٢) . فقال له : أيها الأمير ١١ صار جميع ملكي في حبسك ، وحصل لي فيه معاملون ، اخترت ذلك ، فإن كان لا بدَّ من إخراجي فاتركني حتى أستنظف مالي وأبيع مستغلي ، فقال له : وكم تحب أن تقيم كذلك ؟ قال : ثلاثة

(١) الرحال : الطنافس الحيرية ، والرحال ما تستعجبه من الأثاث وكلاهما يسلع هنا

(٢) بكسر الهمزة : النفس

أشهر . فقال له : ويحك أجبون أنت ؟ فقال : لا والله إلا صحيح
بحمد الله ، ولكن ما تسمح نفسي بترك مالي فيه ، مع ما اتفق لي
من المعاش مع من فيه ، فقال له : فما تشفق على نفسك من شدة
الحر فيه ، والازدحام والضيق . فقال له : أيها الأمير ، انقيساربه
إذا ازدحم الناس فيها كانت أشد حرًا منه ، ويهون ذلك لكثرة
الفائدة ولذة الربح ، لا سيما ومعاملتي فيه ثقات ، وأحسن معاملة من
التجار ، وأكرم وأوسع صدرًا ، وإنه لتسووني مفارقتهم . فأمر
أحمد بن طولون برده إلى المطبق ، فلم يزل فيه حتى مات . فكان
أمره من العجائب .

مهارة يوسف بن
إبراهيم في
التخلص من ابن
طولون

قال : ووقف رجل ليوسف بن إبراهيم يوماً على باب داره حتى
أقبل من الميدان ، فلما همَّ بالنزول صاح به : أنا عائد بالله وبك ،
ومستجير من رجل في حاشيتك قريب من قلبك ، أنير^(١) عندك ،
فقال له : ومن هو ؟ قال : أذكره لك في سر ، وأنهي إليك من خبره
مالا يسمعك له الصبر عليه . فأدخله معه الدار وخلا به ، ففتح كفه
فأراه كتاباً من موسى بن بُغا إليه ، وقال له : بعث بي إليك قاصداً
وحدك بهذا الكتاب ، فصاح به يوسف بن إبراهيم ليسمع من
حضره : يا هذا ! إن جميع ما ادعيت به ، وذكرت أنه ظلمك فيه
مائة دينار ، ونحن نعطيك إياها ، ونزيل ظلامتك وأمر فأحضرت

(١) قال : فلان أنيري أي من خلصاني .

الدنانير فدفعها إليه وقال له : امض في حفظ الله ، فلم يبق بينك وبينه شيء بعد هذه المائة الدينار من المطالبات ، وأعفنا من تظلمك وتكثرك . فأخذ الرجل المائة الدينار وخرج ، ولم يأخذ منه يوسف ابن إبراهيم الكتاب ، توقياً وخوفاً ، ورغبة في السلامة .
فأحضر أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم فقال له : ما الذي كان في كتاب موسى بن بغا إليك ؟ فقال له : والله ما قرأت كتاباً قط ، والذي يجب عليّ من حق طاعتك فقد عملته . فقال له : فلم لم تقبض على الرجل وتجنّني به فقال له : لم يستكفني الأمير ، أيده الله ، هذا فأكفيه وأمثل أمره فيه ، ومن أتى شيئاً من غير أن يندب إليه فساعٍ يتوقع من شره أكثر مما يطلب من خيره ، فاعتقله أياماً ثم صرفه إلى داره مكرمًا .

وحدث نسيم الخادم قال : أهدى علي بن ماجور إلى أحمد بن طولون ثلاثة خدم كانوا لآتيه ، فأما أحدهم فما خلا من طرفه في وقت من الأوقات ، من شدة ملازمته لخدمته . فقال له يوماً : أيُّ البلدان أحب إليك أن تكون فيه ؟ فقال له : بلد فيه مولاي الأمير . فقال له : ويحك في داري ثلاثمائة خادم وقد تقدمت عليهم تقدماً قصراً بجماعتهم في عيني ، فأنا أخاف عليك أن تحدث بك حادثة منهم فأغتم بك ولا يمكنني أن استدرك أمرك ، فاختر

الخدم الثلاثة
الأذكى

لنفسك بلداً تكون فيه آمن عليك من حال تلحقك ، فقال له : إذا كان الأمر على ما ذكره مولاي الأمير ، فطرَسُوس . فوصله بجملة دنانير كثيرة وأمر له بخيل وبغال وآلة كثيرة ، وأجرى له رزقاً واسعاً وأنفذه إليها

وأما الثاني فكان من أحسن الناس وجهاً وخلقاً ، قرآه يوماً في خلعة رائعة حسنة ، وقد زاد حسنه وجماله فيها ، فقال له وهو خال : لو لحقتني في شرخ شبابي لما أفلت مني ، فقال له : لو كان مولاي الأمير يستأهلني لما أفلت منه . فضحك وقال : يا نسيم ابعث بهذا الخادم إلى محمد ابن أخي ، فأني لا أرغب في هزله ، فهو يفسده أمر قريب يومه . وكان محمد هذا ابن أخيه موسى ، عفيف الفرج ، ولما بعث به إليه ورآه حسناً بضاً^(١) وهبه للسيدة بنت أحمد بن طولون زوجته ، وكان يخدمهما جميعاً .

وأما الثالث فإنه سلم إليه رجلاً أثر الراحة منه وقال له : إن هذا عدوي وعدوكم ، وقدّر عليه أنه سيقتله ، ثم سأله عنه بعد أيام ، فقال له : هو محبوب . فقال له : لو كنت تحبني لقتلته . فقال له : يا مولاي لو كنت لك وحدك لقتلته ، ولكني لك ولخالتي وخالقك وما أقدر أن أرضيك بسخطه ، لأنه أقدر عليّ منك . فنفاه إلى أذنة ولم يقطع رزقه عنه .

(١) البض : الرئس الجسد الرقيق الجلد المتلي

وحدث سيم أيضاً قال : كان أصحاب الأخبار يرفعون إلى مولاي رقاعاً في أقوام تكون سبباً لاصطفائهم وقتلهم ، وكنيت حرباً لأصحاب الأخبار باغضاً لهم ، وكنيت إذا لقيت الرجل منهم لعنته في وجهه جهراً . وكان مولاي إذا رُفعت إليه رقعة حفظ معها ، وأمر بقتل صاحبها ، ودفعها إليّ وأمرني بتحريقها ، ولم يثق بغيري في ذلك .

قول ابن
طولون
الجانسية صناعة
ردية

فسعى أصحاب الأخبار في إفساد حالي عنده ، فكانوا إذا رفعوا إليه واحدة وعلموا أي قد حرقتها ، رُفعت أخرى إلى مولاي وقالوا له : كيف بقيت هذه الرقعة لم تُحرق ؟ فيوهموه أني قد أغفلت أمرها ، أو أخذتها لأعلم ما فيها ومن رُفعت فيه ، فأعلمني مولاي بذلك ، فحلفت له عليه أني ما أغفلت قط تحريق رقعة دفعها إليّ ، ولكن هؤلاء القوم لما علموا ببغضي لهم ، احتالوا في إسقاط منزلي من مولاي ، فقال لي : صدقت ، قد علمت ذلك ، وأنها حيلة منهم عليك في الرقاع التي أمرك بتحريقها ، لأن لي فيها علامة وهي إدخال سبابة يميني حتى يتحيف فيها اسم أعرفه من الرقاع التي يعيدونها إليّ سليمة من علامتي . وهذه بابني صناعة رديئة ليس يصلح لها غير الشرار ومن ليس فيه خير .

وحدث^(١) سعد الفرغاني قال : ركب أحمد بن طولون يوماً، فيبناهو

كشف ابن
طولون جاسوساً
من تكته

(١) تقدمت هذه القصة في أول الكتاب باختلاف يسير في اللفظ وفي بعض الرواة

سائر فاذا هو برقاص يعمل في دار فقال : اقبضوا عليه وامضوا به إلى الدار ، فقبض عليه ومضي به إلى الميدان ^(١) .

فبقي جماعة أصحاب أحمد بن طولون في حيرة من ذلك ، لا يدرون على ما ينزلون أمر الرقاص . ولما عاد إلى داره أحضره وأحضر السياط والعقابين فاعترف أنه جاسوس للموفق ، وأنه أنفذ معه كتباً إلى جماعة من القواد ، قد أوصل بعضها وبقي بعضها ، وأنه عمل رقاصاً ليخفي أمره ، ويختلط بالناس ، ويسمع منهم الأخبار ، ويسأل عما يحتاج إليه ، فوكل به حتى مضى ، وأحضره ما بقي من الكتب ، فقبض على الجميع وأتى عليهم ، وأطلق الجاسوس وقال له : عدّ إليه وعرفه أنا قد وقفنا ، والحمد لله ، على ما عمله ، ولم يضرنا الله جل اسمه به ، بل كشف لنا عن نيات أعدائنا ، فاستأصلنا شأفتهم ، بما مكنتنا الله عز وجل به فيهم . ووكل به حتى خرج من العريش .

فقال له طبارجي : أيها الأمير كيف علمت بهذا الرقاص ؟ فقال له : يا هذا إني لمحت تكته وهو يحمل قصريّة الطين على كتفه [فرأيتهما تكّة] أرمني فقلت : رقاص بتكّة أرمني لا يكون ، فعلمت أنه جاسوس ، فكان من أمره ما قد رأيتم .

(١) في الأصل : الدار ، وقد تكررت

المراط ابن طولون
في اهلاك من
نالوا منه

وحدث أحمد بن محمد الكاتب ، وكان من عقلاء الناس وفهائهم ،
وكان فيه دين وخير كثير ، [قال] : أتاني رسول أحمد بن طولون ،
و [قد] مضى من الليل أكثره ، وأنا نائم في فراشي ، فقرع بابي قرعاً
عنيفاً ، فأشرفت عليهم عيالي ، فإذا جماعة من الغلمان بالشمع والمشاعل ،
فراهم ذلك وعرفوني فأشرفت عليهم ، فعلمت أنه لم يستدع حضوري
في ذلك الوقت لخير ، فأيست من الحياة ، فدخلت المستراح وتطهرت ،
وتطيبت طيب من يفارق الدنيا ، ولبست ثياباً نظافاً ، وقلت :
تكون [مشيئة الله] وودعت أهلي ، وقد كثر بكائهم وضجيجهم ،
ونزلت إليهم فركبت معهم ، فمضوا بي حتى دخلت إلى أحمد
ابن طولون .

فرأيت قاعة الدار كلها شمعاً يتقد ، حتى خلت أنه نهار ،
وسرت فيها حتى بلغت المجلس الذي هو فيه ، وبين يديه شمعتان
عظيمنتان ، في كل واحدة منهما قنطار ، وهما بعيدتان منه ، فسلمت
وأنا أرعد خوفاً ، فرد علي السلام ، فسكن بذلك بعض روعي ،
واستدنا في فدنوت . فقال لي : أنت غداً في دعوة فلان ، ومعك
في الدعوة فلان وفلان ، إلى أن أسمى لي جميع من كان وقع
الاتفاق على حضوره ، فقلت : نعم أيد الله الأمير ، فقال لي :
امض واحذر أن يفوتك شيء مما يجري حتى نبيته وتنصرف به
إلي تعرفنيه . فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير أيد الله . فقال

لي : انصرف راشداً ، فانصرفت ، وقد حرت في أمري فقلت :
أبعد هذه السن أركب الآثام ، وما نقبح به الأُحدوث ، أسعى
بقوم بيني وبينهم مودة وعشرة وأخوة ، وأكون السبب في
قتلهم وإتلاف نعمهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

وتأملت الحال فإذا بي إن خالفت أمره قتلني ، وأيتمت ولدي
وأرملت زوجتي . فعلت على تحمل ذلك ، ويعلم الله جل اسمه
كرهي له ، وأني غير مختار لما لا أؤثره ، وأني صابر على ضيق
الحال طلباً للصيانة ، وتجنباً للدخول فيما فيه المأثم ، ثم فكرت في
وقوفه على الدعوة وعلى حالها ، ومعرفة من يحضرها ، فازداد خوفي
منه وحذري ، وحيرتي في أمري ، وعدت إلى منزلي ، وقد يشسوا
مني ، فلما رأوني تباشروا بي ، وحمدوا الله عز وجل على ذلك ،
ورأوني قد رجعت إليهم من الآخرة ، وأنه جل اسمه قد تصدق
بي عليهم ، ووهبني لهم هبة جديدة .

فلما أصبحت وتعالى النهار ، جاءني رقعة صديقي صاحب الدعوة ،
يسألني أن أقدم الوقت في المصير إليه ، ففعلت ، وأظهرت أن
بي عسر البول وأخذت معي مكتباً أكتب فيه كل ما يجري ،
وحضرت الجماعة التي أسماهم لي أحمد بن طولون ، فكنت كلما سمعت
شيئاً يجب أن أثبته أريهم أني أقوم إلى المستراح ، فإذا حصلت
فيه كتبت كل ما جرى ونهياً ، لما أحب الله عز وجل إرضاءه ،

أنه لم يكن للقوم مد وقت حضورهم إلى وقت انصرافهم حديث
إلا ذكر أحمد بن طولون بكل قبيحة وعظيمة ، والابتغال إلى
الله جل اسمه بالدعاء عليه ، وتمكين الموفق منه ، كل ذلك لأمن
بعضهم من بعض والثقة بهم ، ولما في قلب كل واحد منهم منه .
فلم أزل أكتب كل ما يقوله واحد واحد ، وفي قلبي من ذلك
ما قد علمه الله عز وجل ، إلى بعد العتمة

وانصرفت الجماعة ، وكنت أنا آخر من انصرف ، فجيئت
من نوي إلى أحمد بن طولون كما أمرني ، فأدخلت إليه فأصبته
على تلك الحال ، وهو كالمنتظر لي ، فلما سلمت ردّ عليّ السلام
وقال لي : الساعة انصرفت ؟ قلت : نعم أيها الأمير ، أنا آخر
من انصرف . فقال لي : جوّدت . هات ما معك ، فقلت : هو في
مكتب ، فإن أمر الأمير بنقله نقلته ، فأمر لي بدواة وياض ، فتحنيت
ناحية ، ونقلت جميعه في رقعة ، وقت فدفعتها إليه فقرأها ، فلما
استوفى قراءتها ، قال لي : بارك الله عليك ، خذ ما تحت المصلي^(١) ،
فمددت يدي ، وأنا أرعد وأقدّر أنها أفعى ، قد أعدها لي تضرب
يدي فتأتي على نفسي ، فأصبت رقعة فقال لي : اقرأها ، فقرأتها ،
فإذا فيها جميع ما كتبت ، ما غادرت منه حرفاً واحداً ، وإذا به
قد استظهر عليّ ، بأن جعل معي واحداً من القوم الذين كانوا معنا

(١) المصلي كملى : موضع الصلاة .

في الدعوة لا أعرفه ، فعرفت بعد ذلك أنه كان بعض أصحاب صديقي ،
وأراد أحمد بن طولون [أن يعرف] أينما أصدق وأنصح فيما يرويه
له فكانت نسختنا واحدة ، فحمدت الله جل اسمه ، إذ لم أدع
شيئاً قلّ ولا جلّ حتى كتبته ، وتيقنت أنني لو تركت شيئاً
لاستحلّ قتلي . فلما قرأتها قال لي : دعها وامض مصاحباً ، وأمر
لي بألف دينار فأخذتها وانصرفت ، وليس لي فكر ولا عقل إلا
في أصدقائي ، وما يكون منهم ، وما أتخوفه عليهم .

فلما كان من غدٍ ركبت إلى صديقي صاحب الدعوة لأعرف
خبره ، فلما صرت إلى السكة التي يسكن فيها ، لم أرَ الدار التي كان
فيها أثراً ، ورأيت موضعها رحبة مكنوسة مرشوشة واسعة نظيفة ،
لا أعرفها ولا رأيتها قط . وأقبلت أطلب الدار فلا أراها بوجه
ولا سبب ، فتحيرت ووقفت أتأمل الرحبة والموضع ، فرآني بعض
شيوخ الناحية فتقدم إليّ وقال لي : أراك أعزك الله متحيراً ، فقلت
له : نعم ، أعزك الله ، أنا أطلب دار صديق وما أراها ، ولولا معرفتي
بهذا الموضع لقلت غلطت موضعها ، فقد حرت من ذلك ، فأخذ
بعنان لجامي ، وقدمني ناحية وخلا بي ، وقال لي : امض يا حبيبي في
حفظ الله ، فرحم الله صديقك ، فقد كان حسن المجاورة لنا ، وقاضياً
لحوائبنا وحقوقنا . فقلت له : عرفني ما وقفت عليه لأعلمه وفرّج
عني ، فقال : أما خبره فما أدري كيف جرى ، إلا أنه سعي به

إلى أحمد بن طولون ، وبجماعة كانوا عنده البارحة في دعوة ، فلما كان في أول الليل وافي إلى ها هنا أكثر من خمسمائة رقاد^(١) ، وأكثر من ثلثمائة بغل عليها المزابيل^(٢) ، فأنزلت الدار إلى الأرض بأسرها ، ونقل جميعها إلى البحر^(٣) ، فما أصبح الصباح حتي صارت رجة كما ترى مكنوسة مرشوشة ، كأنه ما كانت ها هنا قط دار ، وغرق صاحبها والجماعة الذين كانوا معه عنده ، لأنه بلغني من جارٍ لبعضهم أن رُسل أحمد بن طولون كانوا يُخرجون واحداً من منزله فيغرق وتؤخذ نعمته بأسرها ، فاذهب في حفظ الله . فزاد غمي وقلقي ، وعظمت مصيبتني وحزني ، وما انتفعت بنفسي بعدهم .

وحدث^(٤) أحمد بن دعيم ، وكان من خاصة قواد أحمد بن طولون ، وكان حديثه لي بعد أن ترك الديوان ، وحسن انقطاعه إلى الله جل اسمه ، قال : قلدي أحمد بن طولون الصعيد الأوسط في وقت خروج عبد الرحمن العمري^(٥) عليه بالصعيد ، فكتب إليّ يستخبرني عما أقف

أعراى أراد أن
يفدى صاحبه
بماله ودمه

(١) الرقاد بالتحديد رقيق البناء الذي يعمل تحت إشرافه على ما قال دوزي وفي التاموس المحيط الرمس بالكسر الرق الأسفل من المائط والطين الذي يبنى به يحمل بهضه على بعض والرماس حامله . والغالب أن الأولى محرفة من الثانية

(٢) المزيلة وتحم الباء ملقى الزبل وموضعه

(٣) ذكر البيروني أن نهر النيل بحر بالإضافة إلى خليج أو ساقية وليس بحر عند بحر الشام فإنه بالإضافة إلى البحر المحيط خليج وقد يقع اسم النيل على نيل مصر بسبب أن أرض مصر كانت بمرآثم نضب الماء منها بالانكباس وبقي فيها خليجان سبعة وذلك معروف في كتب الأوائل .

(٤) ذكر أحمد بن يوسف الكاتب هذه القصة في كتاب المكافأة بقوله : حدثني أحمد بن دعيم . ورواية البلوي أطول وأمتع (٥) (انظر ص ٦٤ من هذا الكتاب)

عليه من حاله ، فكتبت إليه أَعْرِفْهُ ضَعْفُ يَدِهِ ، وانتشار أمره ، وقلة المال . وقبضت على رئيس من رؤساء الأعراب اتهمته بمكاتبته ، وأنهيت خبره إليه ، فكتب إليّ يأمرني بحمله إليه ، وابتياح ما قدرت عليه من النجْب ، والشخوص [إليه] لأشرح له أمره مشافهة ، فامتثلتُ أمره ، فما سرت إلا مرحلة حتى لحقني وجوه تجار العمل ، ومعهم أعرابي شاب وقالوا لي : جئناك في أمر هذا الأعرابي المحمول معك إلى الأمير ، أيدده الله ، ومعنا من يبذل في إطلاقه خمسمائة دينار . فقلت لهم : قد أنهيت خبره إلى الأمير ، فقال الأعرابي الذي معهم : خذ الخمسمائة دينار واجعلني أنا مكانه ، وأطلقه فيحصل لك المال والرجل ، إذ ^(١) لا يعرف الأمير أيهما كتبت بذكره ، فقلت : أفعل .

وكان الأعرابي المحمول من عشيرتي ، وكنت منعموها بأمره ، إلا أنني لم أجد بدءاً من تعريف أحمد بن طولون ما كان منه ، لما كان في قلوب جماعتنا من الخوف منه ، فأحضرت الأعرابي وعرفته ما جرى ، وقلت له : قد سرّني الله بخلاصك . فقال : بماذا ؟ فعرفته ما جرى . فقال : بأن تجعل هذا مكاني ، وتحمله عوضاً مني ، ليجري عليه المكروه دوني ؟ والله لا كان هذا أبداً . ثم قال الأعرابي للشاب الأعرابي : امض لشأنك ، أحسن الله جزاءك ، والتفت

(١) في الأصل : « الذي » وصفا مكانها « إذ »

إِلَيَّ فَقَالَ لِي : يحسن بشيخ مثلي [أَنْ] يَتَرَبَّعُ ^(١) في المعروف ؟ هذا رجل لقيته ، وقد اكبت عليه خيل ^(٢) لتسليه نفسه وما كان معه ، فطردتها عنه حتى تخلص ، فلما رآني في هذا الوقت وما نزل بي ، أراد أن يخلصني بحصوله في موضع إن سلمت روحه لا يخرج منه آخر الليالي ، ثم يَغْرَمُ مَالاً لعله يشغل عليه ويُجحف به ، ليكون له الفضل عليَّ ، والله لا فعلت ، ثم أقبل إليهِ فقال : انصرف في حفظ الله ، فلن يضيع عندي فعلك ، وقد حصلت لك قبلي مكرمة . فقلت له : قد قضيت يا أخي ما يجب عليك ، كثر الله في الناس مثلك ، فانصرف مصاحباً ، فقد وثق الرجل بالله عز وجل في أمره ، وهو جلَّ اسمه يخلصه بجميل هذا الفعل .

فقال لي : لست أفعل ، وعزمت ^(٣) على الأول في القبول منه وقلت له : فلست آخذ منه شيئاً وأعينه في خلاصك ، ولن أدع حالاً أبلغ بها خلاصه أيضاً إلا بلغت ، فامتنع وقال : والله لئن خالفتني وأخذته وحصلتُ بحضرة الأمير لأعرفنه ، فاصرف الرجل ولا تعرضه للهلكة ، فبقيت قد تحيرت ودهشت من كرمها جميعاً . فقال له الشاب : إذا كان الأمر على هذا فما أصنع في عارفتك التي في عنقي ؟ أنشدك الله إلا قبلت المال ، وأزات عني العار ، فأنت

(١) تربح طلب الربح وفي الأماس وهو يترجح ويترجح أي بطاب الأرباح ويتكسب

(٢) رواية المكافأة : خيل لتسليه نياه .

(٣) عزم عليه أقسم عليه

تعلم أنه عار على الكريم أن يموت وعليه دين من ديون المعروف ، فامتنع من قبول المال أيضاً وقال له : إذا رأيت رجلاً قد أحاطت به خيل تريد تسلبه فذُبَّها عنه ، فإذا فعلت ذلك فقد كافأت عارفتي ، انصرف في كلاءة الله عز وجل ^(١) ، فانصرف الأعرابي باكياً متأسفاً على ما قد فاتته ، مما بذله من نفسه وماله ، ولم يزل يقبل رأس الأعرابي ويديه ورجليه ويبكي ويعول ، ويسأله قبول المال وهو ممتنع من ذلك ، حتى أبكى جماعتنا ، فلما لم يجد فيه حيلة انصرف :

فلما دخلت إلى أحمد بن طولون وشافته بنجر العمري ، وذكرت له منه ما سرّه ، وعرضت عليه النُجْبَ واستحسنها ، قلت له : بقي أيها الأمير ما هو أحسن منها قال : ما هو ؟ قلت : الأعرابي الذي كتبت بنجره إلى الأمير أيده الله ، فأمرت بأشخاصه قال : نعم ، وما الذي فعل ، وأردت بقولك إنه أحسن مما جئتنا به ؟ قلت : كان من خبره كذا وكذا ، وشرحت له جميع ما جرى من أوله إلى آخره ، وخبر المال الذي بذل لي ، ومشورتني عليه بأن يفعل ، وصدقته عن جميعه ، فأعجبه صدقي ، واستحسن فعلهما ، وأمرني بإحضار الأعرابي ، فأحضرتة . فلما رآه قال له : يا أعرابي قد كنا عزمنا في أمرك على ما يسوؤك ولا يسرك ، حتى وقفنا على ما جرى بينك وبين من أراد مكافأتك على جميلك عنده ، وقد قننا عن ذلك الأعرابي

(١) وردت هذه الجملة في كتاب المكافأة كما يلي : إذا رأيت رجلاً أحاطت به خيل تريد سلبه فذُبَّها عنه فقد كافأت عارفتي ، انصرف مصاحباً .

بحق عارفتك عنده بإطلاق سبيلك والاحسان إليك . وأمر أن
يخلع عليه ، وأثبتته في ديوانه ، وأسنى له الرزق . وأمرني بإيفاد رسول
قاصدني حمل ذلك الأعرابي إليه ففعلت ، فلما وافى أدخلته إليه ، فقال
له : كثر الله في الناس مثلك يا أعرابي ، وقد قمنا عنك بحق عارفتك ،
بما أتيناك في أمر صاحبك ، وبك نجاه الله عز وجل ويمجّل فعلك من
مكروهنّا ، وأمر فخلع عليه وأثبتته في ديوانه وأجرى له رزقاً
واسعاً . ولم يزال في خاصته ولا يُخلّيهما في كل عيد من صلاة واسعة
إلى أن مات .

وحدث نسيم الخادم^(١) قال : كان مولاي يراعي أمر المحبوس حتى
تمضي له سنة فإذا جازها نسيه ولم يذكره . وكان يقول لي سرّاً : إذا
تبينت من رجل براءة ساحته ، فسهل على أمره واستأمرني فيه ، فإذا
أستعمل التشديد للضرورة ، والقلوب بيد الله عز وجل .

صدق سجين نجا
بإخلاصه

قال نسيم : فقال لي موسى بن صالح ، وكان من الثقات عنده ،
وكان على الشرطتين جميعاً : إن في الحبس رجلاً قد زاد على سنتين ،
وهو منقطع إلى الله عز وجل ، لا يسألنا شيئاً من أمره ، وقد
أكبّ على العبادة ، وقد جرى في أمره شيء ، وهو ذا أشرحه لك
فيما بيني وبينك ، لثقتي بك وبدينك ومحبتك للخير ، ولا أستعين بك

(١) في المكافأة : وحدثني موسى بن صالح المروفي بأبي مصلح ، وكان هذا من الثقات
عد أحمد بن ضولون ، أن أحمد كان يراعي أمر المحبوس

في أمره ، حتى يخلصه الله عز وجل على يديك ، فيحصل لك بذلك ثواب من الله الكريم جزيل . فقلت له : قل . فقال لي : لما رأيت هذا الرجل على هذه الحال قلت له : يا هذا إن الناس يضطربون في أمرهم ، ويسألون الخلاص مما يقاسونه . بكتب رقعة بشفاعة من يعتني بأمرهم ، وأراك خارجاً عن جملتهم ، فجزأني خيراً .

فرقاً له قلبي وكبر في نفسي فخلوت به وقلت له : إني لو استجرت إطلاقك بغير إذن لفعلت ، ولكن استعن في أمرك بمن يضطرب^(١) في خلاصك ، فقال لي : ما أعرف في هذا البلد غير أبي طالب الخليج^(٢) ولو تهيأ الاجتماع معه لحاطبته بما لا تبلغه الرسالة ، فقلت له : والله لا خاطرن فيك بنفسي ، أنا أطلقك سرّاً ، على أن توثقني بأيمان مُحَرَّجَة أنك تعود إليّ ولا تُتخفّرني^(٣) ، فقال لي : إذا كنت عندك بمنزلة من تشك فيه حتى تُتوثق منه بيمين ، فلا حاجة لي في إطلاقك إياي . فقلت : والله لا استحلّفتك ثقةً بك ، فامض في حفظ الله ، وأحكم معه ما تريد .

وكان ذلك ليلة الجمعة ، وفارقتُه على أن يصير إلى محبسه ليلة الاثنين ، فلما كان في سحر يوم السبت وافاني لما فتحت السجن .

(١) يتحرك

(٢) زاد في المسكافة هذه العبارة « وكان هذا الرجل يتولى شرطتي أحمد بن طولون بصر »

(٣) أخفرت الرجل إذا قصت مهده وضمّاه وخفّرت أجرته وحفظته .

فلما دخل حمد الله جل وعز وأثنى عليه ، وسجد شكراً له جل اسمه .
ثم قال لي ، وقد حرّرتُ من أمره ، بعثت إلى أبي طالب الخليج
امرأة من أهلنا فهمة ، وطويت عنه إطلاقي ، وسألته أن يلطف ،
في أمري فوعده بذلك ، وقال : أدخل إلى الأمير وأسأله في أمره ،
فاجلسي إلى أن أعود إليك أعرفك ما يجري ، وأرجو أن يمن
الله الكريم بإطلاقه .

وركب عشية الجمعة أمس فأقام عند الأمير إلى قريب من العتمة
وانصرفت إليّ المرأة فقالت : وافي أبو طالب وهو مغموم فقال لي :
كلت الأمير في أمره فقال لي : لقد أذكرتني رجلاً يحتاج إلى عقوبة ،
ثم تقدم إلى رجل من أصحابه في المصير به إليه في غدٍ عند جلوسه
اليوم ، وقال للمرأة : قولي له ارجع يا أخي إلى الله عز وجل ، فليتني
ما تكلمت في أمرك ، وطال عليّ بقية ليلى ، قلقاً بأمرك أن يحييئك رسول
في إحضاري ، فبكرت إليك في هذا الوقت ، خوفاً من حال تلحقك
فتغمني فيك ، ورأيت والله جميع ما يوعدني به من المكروه أسهل
عليّ من أن أخفرك وأبطل ظنك .

فما استوفى كلامه حتى وافاني رسول الأمير ، فتسلمه مني ومضى به
إليه فلحقته ، فرأيت الأمير وقد شغل الساعة عنه . فقال : أنا أسألك أن
تدخل الساعة إليه من قبل أن يفرغ شغله ، فتدعوه به حتى تشرح له
قصته وتسأله في أمره ، فبادرت معه ودخلنا إلى مولاي ، وإذ به قد دعا

بالرجل وهو بين يديه، وقد ذكر له جنائنه فاعترف بها واعتذر إليه منها عذراً قبله منه . فتأملناه فإذا به قد لحقته عليه رقة ورحمة ورأفة ، ضد ما قدرناه فيه ، فعلمنا أن العناية من الله جل اسمه قد سبقت عنايتنا ، فغنيينا عن سؤاله في أمره وأمر بإطلاقه وأمر له بجائزة

قال نسيم : ثم قال لي مولاي : تسلمه يا نسيم مكرماً . فأخذته اليّ وقد لحقني من السرور بإطلاقه ما علمه الله جل اسمه ، وكذلك موسى ابن صالح ، فوصلته بدنانير كثيرة سوى ما وصل إليه من مولاي ، وصرفته مع موسى بن صالح ، لأنه اختار انصرافه معه ليلجأ أيضاً في أمره ما يحبه ، مما توصل به المثوبة من الله جل ثناؤه .

فلما خلوت بمولاي حدثته بقصته من أولها إلى آخرها ، فأحضر موسى بن صالح وقال له : الله درك فيما أثبتته في أمر الرجل ، فأحضرني ، فأحضرتة ، فلما رآه أكرمه وأدنى مجلسه ، وجعله أخص أصحابه عنده . ولم يزل يواصله يبره إلى أن مات مولاي رحمه الله .

شفاة جماعة في
منعم عليهم

وحدث نسيم الخادم^(١) قال : حبس مولاي يوسف بن إبراهيم في موضع في داره لشيء أنكره منه ، وكان إذا حبس رجلاً في داره أيس منه . وكان ليوسف بن إبراهيم على جماعة من أهل السور معروف كبير وتحمل لمؤنهم . فاجتمعوا وكانوا نحواً من مائة

(١) في السكامة : وحدثنا أحمد بن يوسف قال : حبس أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم الخ

رجل^(١) ، لكل رجل منهم محل في نفسه وقديمه وستره ودينه ، ووافوا إلى باب الجبل ، فاستأذنوا على أحمد بن طولون ، فأذن لهم فدخلوا إليه ، وعنده محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وجماعة من شيوخ البلد . فابتدأوا الكلام بعد السلام بأن قالوا : قد اتفق لنا أيد الله الأمير من حضور هذه الجماعة مجلسه ما رجونا أن يكون ذريعة لنا إلى ما نأمله ، ونحن نرغب إلى مولاي الأمير ، أيد الله ، في أن يسألها عنا ليقف على منازلنا ، فسألهم عنهم فقالوا : نعرفهم بالستر والصيانة والدين والقديم النبيل ، وقد عرضت على جماعة منهم العدالة فامتنع صيانة وتواضعاً .

فأمرهم بالجلوس فلما جلسوا سألهم تعريفه ما قصدوا له فقالوا : ليس لنا أن نسأل الأمير ، أيد الله ، مخالفة ما آثره في يوسف بن إبراهيم لأنه أهدي إلى الصواب فيه ، لكننا نسأله ، أيد الله ، أن يقدّمنا قبله فيما لعله قد اعتزم عليه في أمره من قتل أو مكروه ، وهو في حلٍّ وسعة وأن يفعل في أمره بعد ذلك ما أحب . وقد قضينا حق عارفته عندنا ، وكافينا معروفه لدينا ، بتحمل المكروه فيه ، كما كان يبادر بمرروفه إلينا . فقال لهم : وكيف ذلك ؟ فقالوا : ما أحوجنا أن نفكر معه في شيء نبتاعه لسننتنا من مؤونة وكسوة ، وقليل وكثير ، ولا وقفنا بباب غيره لما غنينا به عن سواه ، وما نوثر ، أيد الله الأمير ،

(١) في المصنفات: وكانوا ثلاثين رجلاً

البقاء بعده ، ولا السلامة من شيء قد وقع فيه . وعَجَّوا بالبكاء بين يديه ، فبكت الجماعة الحضور لبكائهم ، ورقَّ قلب أحمد بن طولون حتى تدمع^(١) معهم وقال لهم : بارك الله عليكم وأحسن جزاءكم فقد كافأتم إحسانه إليكم ، وجازيتهم إفضاله عليكم . ثم قال : يوسف ابن إبراهيم ، فأحضر ، فقال لهم : خذوا بيد صاحبكم وانصرفوا به معكم ، فقد وهبت جنائته لكم ، فأخذوا بيده وخرجوا من عنده ، شاكرين داعين إلى الله جل اسمه في إطالة بقائه ودوام عزه .

ولم يزالوا حول يوسف بن إبراهيم حتى أوصلوه إلى داره ، فشكر لهم فعلهم ، وانصرفوا فرحين بما سهله الله بكرمه لهم من المحنة في أمره . وكان ذلك سبب رضا أحمد بن طولون عن يوسف بن إبراهيم^(٢)

(١) لا تذكروا في المعاجم إلا مقرونة بعينه ما تدمع وحدها فلم يتركها وقد تكررت في هذا الكتاب
(٢) يوسف بن إبراهيم هذا هو والد أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية ، وحيد عصره في العلم والبلاغة وصاحب كتاب المكافأة ، وقعت لأحمد بن يوسف مع أحمد بن طولون يوم وفاة والده قصة ذكرها في كتابه هذا نصها : وبث أحمد بن طولون في الساعة التي توفي فيها يوسف بن إبراهيم والذي بنحدهم ، فجهلوا الدار ، وطالبوا بكاتبه ، مقدِّرين أن يجدوا فيها كتاباً بمن ينفداده فحملوا صندوقين وقبضوا عليّ وعلى أخي ، وصاروا بنا إلى داره ، وأدخلنا إليه وهو فيها جالس وبين يديه رجل من أشراف الطالبين . فأمر بفتح أحد الصندوقين وأدخل خادم يده فوق على دفتر جرياته على الأشراف وغيرهم . فأخذ الدفتر بيده وتصفحه ، وكان جيد الاستخراج ، فوجد اسم الطالب في الجراية ، فقال له وأنا أسمع : كانت عليك جراية يوسف بن إبراهيم ؟ فقال له : نعم ، أيها الأمير دخلت هذا البلد وأنا مملئ فأجرى عليّ في كل سنة مائتي دينار ومائتي أردب قح اسوة ابني الأرقط والعقيقي وغيرهما . ثم امتلأت يداي بطول الأمير فاستغفرت منها . فقال له : نشدتك الله أن تقطع سباً لي برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وتدمع الطالب . فقال أحمد بن طولون : يرحم الله يوسف بن إبراهيم . ثم قال لنا : انصرفوا إلى منازلكم لا بأس عليكم ، فانصرفنا فلحقنا خنازة والدنا ، وحضرنا الملوي وقد أحسن مكافأة والدنا في مخلفيه .

تفاضى رجل عن
مقابلة المعروف
وما عمله عمه

قال مؤلف هذا الكتاب : اتصل بأحمد بن طولون عن القاسم بن
شعبة شيء أكره منه ، فقبض عليه وحبسه في داره ، ووكل به من
يمنع أحداً بدخل إليه ، فلا يخرج من عنده إلا غلام يقضي من حوائجه
وحوائج حرمه مالا بدمنه في منزله ، ولم يمتنه بحبس في مطبق ولا غيره ،
وتركه في داره موكلاً به ، وكان ذلك من جميل أفعال أحمد بن
طولون محافظة لآييه . وكان يصحبه ويتقلب في نعمته رجل يعرف بابن
أخت بن الزنق ، وكان له عم من الشيوخ الأولين الذين فيهم السلامة
والدين . فلما قبض عليه أحمد بن طولون فزع ابن أخت بن الزنق من
مكروه يلحقه من أحمد بن طولون ، وخافه وانقطع عنه ، فبلغ عمه
ذلك فأنكره عليه ، وحثه على المضي إليه ، والتوصل إلى قضاء حاجة
إن كانت له . فاحتج بأنه لا يصل إليه لمنع الموكلين أن يجيئه ، فقال
له [لأن] يقف على مصيرك إليه ومنعهم لك أحسن من وقوفه على انقطاعك
عنه فقال له : أنا أخاف من مكروه يلحقني فقال له : كما كنت يا بني
تقلب في نعمته ، تصبر على ما يلحقك في محنته ، فلا تفضحنا بالعود
عن رجل أحسن إليك ، فلم تكافئه على جميله عندك ، فقال له :
ما أجسر على ذلك . فلما أيس منه قال له : قبحك الله سرقت معروف
الرجل ، وتركته يقارع محنته . فلم ينجع فيه قوله .

وركب الشيخ حمارة ، وصار إلى دار القاسم بن شعبة ، وجيرانه
يناشدونه الله أن لا يتعرض لأحمد بن طولون فلم يقبل ، وقال : والله

لا تحملت عاراً حَمَلْنِيَه هذا الرجل الجاهل القبيح الفعل . فلما وقف
بباب القاسم بن شعبة ، وعليها الموكلون ، وقوم من أصحاب الأخبار ،
سَلَّمَ عليهم ، فقال : كيف حال القائد أبي محمد أيده الله ؟ فقالوا
له : امض يا شيخ في حفظ الله . فقال : ما أمضي حتى أقضي من
حقه ما يلزمني ، إذ كان قد بَعُدَ عنه من يلزمه أمره ، ممن كان في
جملته من أهلي .

فَرَفَعَ خبره إلى أحمد بن طولون فأحضره فقال له : ما كنت
يا شيخ تعمله للقاسم بن شعبة ؟ فقال : والله ما عملت له قط عملاً ،
ولا تصرفت له في حال من الأحوال ، ولا دخلت له داراً ،
ولا سلمت عليه قط ، ولا أعرفه ولا يعرفني ، ولكنه أولاني جيلاً في
بعض أقاربي ، فتوقف عن معاضدته في محنته ، وقضاء حقه على ما أولاه ،
توقياً وخوفاً ، فلم تُطِقْ نفسي الصبرَ على ترك مكافأة جميله عنه ،
فانتصبت الساعة لذلك . والأمر أيده الله أحق وأولى بحسن مكافأة
أبيه فيه ، والصفح له عن ابنه في غلطة إن كان غلطها ، أو زلة إن
كان زلماً ، فقد كان أبوه مشهوراً بحسن الموالاة للأمير أيده الله ،
جميل النصح له طول حياته . فقال أحمد بن طولون : يا شيخ ما في
هذا المجلس أحد يقول فيما اهتمدت إليه من إذكارك إياي حق
أبيه ، ولعمري إنه ليقضي عطي على ولده ، وصفحي عن زلله ، والتجاوز
له عن خطائه ، فأحسن الله جزاءك يا شيخ على جميل فعلك ،

و كثر في الناس مثلك ، فقد نهيتني على قضاء حق أبيه رحمه الله .
ثم أمر بأحضاره ، فلما حضر خلع عليه خلع الرضا وأجازه ، وردّه
إلى منزلته التي كانت عنده . وقال للشيخ : تسلمه يا شيخ بارك الله
عليك ، وأحسن إليك ، فسبقه الشيخ إلى داره فنزلها ، ولم يمض إلى
منزله ولم يدخل داره معه ، وحرص به واجتهد فما فعل ، وقال له :
إنما أردت قضاء حقك والقيام فيه بما قعد عنه ابن أخي خوفاً
وجزاً من الأمير أيده الله ، فله الحمد على ما سهله لي من ذلك ويسره ،
وأستودعك الله ، وانصرف إلى منزله . فلما كان من غد ركب إليه
القاسم بن شعبة يشكر فعله ، وعاد إلى أفضل ما كان عليه لابن أخيه
إكراماً للشيخ على ما أتاه في أمره .

وحدث نسيم الخادم قال : صار إليّ ثابت بن سليمان — وكان
سليمان هذا يكتب لشقيق الخادم ، ثم خدم بعد مولاي — ومعه
رقعة وسألني أن أوصلها إلى مولاي ، فأخذتها منه وقرأتها ، فإذا فيها
يذكر أن شقيقاً الخادم أودع أباه أربعمائة ألف دينار . فأوصلتها
إلى مولاي ، وعجبت من سعائه بأبيه ، فلما قرأها استحضره وقال
له : قد قرأت رقعتك ، فالأمر على ما ذكرته من حصول المال عند
أبيك ؟ قال : نعم ، أيد الله الأمير ، وإننا خشيت أن تمتد يد أخي
إليه ، ويتصل خبره بالأمير بعد وقت ، فليحطني مكروهه ، فقال له :

رجل سمى بأبيه
فقتله ابن طولون

أَمْسَكَ الْآنَ عَنْ هَذَا ، وَاطْوِهِ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، وَلَا يَعْلَمُ أَبُوكَ بِمَجِيئِكَ إِلَيَّ ، حَتَّى أُدَبِّرَ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ فِيمَا أَرَاهُ فِيهِ ، وَانصَرَفَ مَكْلُومًا .
 قَالَ نَسِيمٌ : فَكَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ إِمْسَاكِ مُوَلَايَ عَنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا يَغْفُلُ عَنْ مِثْلِهَا .

فَلَمَّا مَضَتْ سَنَةٌ مَاتَ سُلَيْمَانُ فَأُظْهِرَ مُوَلَايَ غَمًّا بِهِ ، وَتَفَجَّعًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا بَابَنَهُ الرَّافِعَ لِتِلْكَ الرِّقْعَةِ ، فَرَدَّ إِلَيْهِ مَا كَانَ فِي يَدِ أَبِيهِ مِنْ أَمْلَاكِهِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ تَقَوَّى بِهِمْ يَدَهُ ، وَتَرَكَ شَهْرًا ثُمَّ دَعَا بِهِ يَوْمًا ، وَأُنَاقِئَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُ مُخَنَّفِي أَيْيِكَ مَعَكَ بَعْدَ أَيْيِكَ ؟
 فَقَالَ : الْحَالُ صَالِحَةٌ ، وَمَا أَدْعُ حَالًا تُوْدِي إِلَى مَصْلَحَتِهِمْ إِلَّا بَلَقَتْهَا ، بِيَقَاءِ الْأَمِيرِ أَيْدِيهِ اللَّهُ . وَقَدْ أَعَزَّ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ جَانِبِي بِهِ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ ، فَقَالَ لَهُ : احْمِلْ إِلَيَّ تِلْكَ الْأَرْبَعَاةَ أَلْفَ دِينَارٍ الَّتِي لَشَقِيرِ الْخَادِمِ عِنْدَكُمْ ، فَتَلْجَلِجْ وَلَمْ يَكُنْ أَنْ يَرُدَّ جَوَابًا ، فَأَمَرَنِي بِتَسْلِيهِهِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِمَارٍ ، وَأَنْ أَمْرَهُ بِطَالِبَتِهِ بِهَا بِالسُّوْطِ ، فَامْتَثَلْتُ ذَلِكَ وَطَالِبُهُ قَبْلَجٌ ^(١) فَضْرِبُهُ خَمْسُمِائَةَ ^(٢) سُوْطٍ ، وَأَخَذَ جَمِيعَ مَلِكِهِ وَمَا خَلْفَهُ أَبُوهُ ، فَلَمْ يَوْجَدْ عِنْدَهُ بَعْضَ مَا نَقُولُهُ عَلَى أَبِيهِ ، فَأَعَادَ مَطَالِبَتَهُ ثَانِيَةً ، وَضْرِبَهُ فَمَاتَ تَحْتَ الضَّرْبِ ، فَعَرَفَ مُوَلَايَ خَبْرَهُ فَقَالَ : ذَلِكَ أَرَدْتُ لِسَعَايَتِهِ كَانَتْ بِأَبِيهِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — إِلَيَّ ، فَلَارَحِمَهُ اللَّهُ ^(٣)

(١) يُلَجُّ بِشَدِيدِ اللَّامِ : جَدُّ (٢) فِي الْمَكْفَاةِ : خَمْسِينَ سُوْطًا

(٣) فِي الْمَكْفَاةِ جَدُّ ذَكَرَ هَذِهِ النِّصَّةَ مَا يَأْتِي : قَالَ (أَيُّ نَسِيمِ الْخَادِمِ) فَجَبَّتْ مِنْ هَلَاكِهِ هَذَا الْمَقْدَارُ مِنَ الضَّرْبِ ، فَأَخْبَرْتُ أَنَّ هَذَا الْمَضْرُوبَ كَانَ يَسْتَرِيزُ الْفَوَاسِدَ مِنَ النِّسَاءِ فِي وَفُورِ حَالِهِ —

أخبار العباس بن أحمد بن طولون

خروج العباس
على أبيه

قال مؤلف هذا الكتاب: لما ضبط أحمد بن طولون أطراف عمله، بلولؤ غلامه وابن جينغويه، ومن ضمَّ إليهما من الرجال، أغدَّ السير من الثغر إلى انقسطاط لبيادر أمر العباس ابنه. وكان سبب خروج العباس إلى الغرب حقه وتقصه، وإنما قدمه أبوه على سائر ولده لكبر سنّه، ولأنّه كان أحظاهم عنده، ولهوّى كان له فيه من هوى الأبوة. ومن الناس من يعنى عن حظ نفسه، وعيب ولده لهواه فيه، وإن كان أبوه حازماً لا يطعن عليه، لكنه كما قال الشاعر:

وَيْسِيٌّ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنَ هُوَ بَابْنُهُ وَبِشَعْرِهِ مَفْتُونٌ

فخازنه أمله فيه وأتاه من المقدور ما ليس في خلدّه، وهذا لصغر الدنيا عند الله عز وجل، ولنزارة محلّها، وليذبّه أُولي الألباب على مقدارها، وأنها لا تدوم لأحد ولا تصفو له، وإن حسن تدبيره، وصح تمييزه، وقيل هو واحد زمانه.

ولم يزل أحمد بن طولون كذلك مستقيمة أموره كلها، مصححة أمانيه، يُعطى سوّله وإرادته، حتى بلغ الكتاب أجله، فكان أول

— فزارته امرأة كانت ربيطة للجلاّد بالسوط، وعلم الجلاّد بذلك فبكر إليه، ووقف له حتى إذا خرج، انكب على فخذه وقبله، ثم قال: يا سيدي قد اغناك الله، سأتى بما يسطه من الرزق عليك، وظاهره من الإحسان لديك. وكانت مهجتي عندك البارحة، فلم رأيت أن أتبعها لي ملك بها عوض، وليس لي عنها تمديد، فساح في وجهي، وأمر بالزيادة، لما شئت بالمقايين تقدم الجلاّد قصره، ضرب القتل فأنى على نفسه.

انحلال أمره ، وعكس قصته ، وتنقص الأمور عنه ، أمر العباس .
ابنه ، فانعكست العين عليه من آمن سبلها وأعذب شربها ، وذلك .
ولده وقرة عينه ، وأحب الأشياء كلها إلى قلبه ، والموئل لسد
مكانه ، و [أن] ينوب منابه فكان كما قال الشاعر :

أُتيت في أمري من مأمني ولم أكن فيه بِمُرْتَابٍ
وقد يُوفى ويلقى الردى مختس من ضعف أسباب

وذلك أنه اشتملت على العباس ابنه طائفة سوء من صنوف
شتى ، فمنهم قواد استخلصهم ، واستحجب كثيراً منهم ، كانوا يخافون
أباه ويحسدونه بالنعمة عليه ، ويتمنون تلفها وزوالها ، ودخول النقص
عليها ، من أي وجه تهيأ له ، فأشاروا على العباس بالخلاف على أبيه
والانحراف عنه . واتفق لهم أنه أرجف بموته ، لما طالت غيبته
بالثغور والشامات .

منهم علي بن ماجور^(١) وعبد الله بن طغيا وأحمد بن صالح الرشيدي ،
وأحمد بن انقاسم بن أسلم ، و [جعفر] بن حدار^(٢) الكتب ، وكل هؤلاء
كان لأحمد بن طولون عنده النعمة الجزيلة ، والإحسان التام ،

(١) في قضاة مصر وولاتها - علي بن اعور ، وفي ابن الداية : علي بن الجزور .

(٢) اختلفت المصادر فمنها ابن حدار بالحليم ومنها ابن حدار بالحاء ومنها ابن حدار بالحاء . ومنها

ابن جرار [انظر هامش ص ١٢٧ من هذا الكتاب]

جماعة العباس بن
أحمد بن طولون

والأشياء الخطيرة ، إلا أن الحاسد لا دواء له ، ولا يقعه إلا أن يأتي على نفس من يحسده .

ومنهم طائفة أخرى مذهبهم النحو والغريب وعلم النجوم والشعر وما يجري مجراه . وانضاف إليهم جعفر بن عبد الله ، وأحمد بن [المؤمل] المعروف بأبي معشر ، ومحمد بن أزهر^(١) المعروف بالمنتوف . وكل هؤلاء حسنوا له التغلب على مصر ، والفتك بأحمد بن محمد الواسطي .

منزلة الواسطي
من ابن طولون
وما عمل العباس
لإهلاكه

وكان العباس ممتلي القلب من هيبة أبيه ، وكل من أشار عليه لا علم له بسياسة جيش ، ولا تدبير أمر . فرام العباس أن يظهر التغلب من مصر فمنعه الواسطي ، وخاف دخول الخلل في الأعمال ، وكان أبوه أمره قبل خروجه إلى الشام ، واستخلافه إياه في البلد ، ألا يتجاوز ما يُشير عليه به الواسطي وقال له : يا بني إن الواسطي قد عمه أمري ، وعرف ما يصلحه ، فأقبل عليه ، وفوض الأمر إليه ، وتضافرا على ما يحسن معه الأثر فيما أنتما بسبيله . وكانت هذه الطائفة تزري^(٢) على الواسطي عند العباس ، وثقع فيه ، وتوحش بينه وبينه ، ويحكمون عنه أن ألفاظه عامية ، وأنه يغلط في كتبه ، ويكثر اللحن فيها - وكان العباس أديباً حسن الأدب ، إلا أن الكمال لله عز وجل -

(١) في اس الداية والسكدي : سهل بدل أزهر

(٢) تزري عليه : نيه

وقالوا فيه من هذا المعنى مالا يضع منه ولا يعكس فيه ، لفضله وعقله ،
لولا عى قلب العباس وقلب من أشار عليه . أليس البلد في يده ، وأمره
نافذ فيه ، وفيما يريد من مال وغيره ، متمكن منه مبدول له ؟ ولكن
نعوذ بالله من الخذلان .

وكتب الواسطي إلى أحمد بن طولون كتباً بخطه ، يذكر فيها
ما يلحقه من سوء اعتراض العباس ، ومنعه له من استيفاء الرسوم
السلطانية بمصر ، وأنه مقبوض اليد . ويذكر الطائفة التي استولت
عليه ، وتخطيها في البلد إلى ما ليس من عملها . وكان محبوب بن رجاء
عدو الواسطي ، فكان كلما ورد من الواسطي كتاب إلى أحمد بن
طولون ينفذه إليه ، لموضع كتابته لأحمد بن طولون ، وأخذ كل
كتاب يرد عليه ، وكتب عنه بما يأمره به ، فكان ذلك مما يزيد في
غيظ العباس على الواسطي ويحقده له .

ولج العباس وجداً فيما اعتزم عليه ، فلخوف الواسطي من سوء
العاقبة ، قال له بما جعله له أبوه من اليد في البلد : إن أضربت أيها
الأمير ، عما قد حملت عليه ، وإلا منعتك منه . فأجابه العباس بجواب
قيح . وخاف الواسطي تأنيب أبيه في ستر الأمر عنه ، وأن يلزمه أحمد
ابن طولون الذنب فيما يأتيه العباس ، فكتب إليه يشرح له القصة ، ولم
يستر عنه منها شيئاً ، ويذكر أن حيلته تعجز عن منعه . فأجابه
يوصيه بالمداواة له إلى موافاته ، فاستعمل معه ذلك حتى زاد أمره ،

وعجز عن مداراته ، فاستتر في داره ، ولم يحتمل الامتحان . فركب إليه العباس وهجم عليه وأخرجه مكرهاً ، ووجد عنده الأجوبة من أبيه عن كتبه كانت إليه في أمرها ، فأخذها فلما وقف عليها اشتد خوفه من أبيه ، وساء ظنه به ، فقيّد الواسطي وأمين الأسود ، وكان من غلمان أبيه وثقاته ، لأنّه أشار عليه بما يشير به الناصح .

وأظهر العباس لما قوي في نفسه الخوف من أبيه أنه يريد الخروج إلى الإسكندرية ، فقال له محمد بن أباً ونظراؤه من قواد أبيه : ما يصنع الأمير بالإسكندرية ؟ فقال : بلغني أن الروم تطرقها وأحب أن ألقاهم ، لعلّ الله جلّ اسمه أن يظفرني بهم . فقالوا له : بعضنا يكفيك هذا ، والصواب ألا تفارق [ما جعلك] الأمير أيده الله عليه ، والمرتبة التي رتبك فيها ، فأنت أيها الأمير العوض منه ، ومقامه في دار مملكته ، فلم يصغ إلى قولهم ، واستخلف أخاه ربيعة على البلد وخرج ، وكتب هؤلاء القواد إلى أبيه يبلّون بينهم وبينه عذراً ، ويعرفونه أنه قد غلبهم على رأيهم ، ولم يتها لهم منعه إلا على سبيل النصيح ، لقوة يده وما مكنه منه الأمير .

خروج العباس
على أبيه إلى بركة

وأخذ العباس كل ما تنهأ له من المال والمتاع والسلاح والكراع ، وأخذ معه الواسطي وأمين الأسود مقيدين وخرج ، فلما صار إلى الإسكندرية أقام بها أياماً ثم تجاوزها إلى بركة .

ما أخذه العباس
من مال مصر
ورجالها

ووافى أحمد بن طولون إلى مصر فوجده قد أخذ من المال ألفي ألف دينار ، ولم يقنعه ذلك حتى استسلف من التجار ثلاثمائة ألف دينار ، وأمر صاحب الخراج أن يضمها لهم ويكتب لهم بها على العاملين . ففعل ذلك خوفاً منه . وأحضر أحمد بن طولون أبا أيوب وقال له : لم يقنعك [ما أخذ] من المال حتى استسلفت له من التجار ثلاثمائة ألف دينار . فقال له : خفته ، ولم يكن لي به طاقة ، فلم يقبل ذلك منه ، وألزمه غرمها للتجار من ماله ، فبلغ ذلك منه مبلغاً كشفه وأضر به ، فشكا ذلك إليه فقال له : هذا جزاء من عاون عدوي ، وقوى يده بمالي ، فلما انكشف له ما لحقه من ذلك ، علم أنه لو منعه لأجرى عليه المكروه ، فأزال ذلك عنه ، وقبل عذره .

قال : وسعى إليه في ذلك الوقت المعروف بأبي مقاتل ابن أبي ثابت بأبيه لما رأى انحراف أبيه عنه ، وبأخيه المعروف بأبي حفص لتقديم أبيه أخاه عليه فغلاظ عليه سعائته بأبيه فقبض عليه وعلى أخيه جميعاً وضر بهما بالسوط فماتا ، فأخذ ما كان لهما ، وعطفه ذلك على أبيهما .

استرضاء ابن
طولون ابنه
وارسال وفد إليه

قال : وراسل أحمد بن طولون العباس ابنه واطف به ، وأنفذ إليه أبا بكر بن بكار بن قتيبة والصابوني القاضي وأبا محمد معمر الجوهري وزياداً المَعْدَنِي مولى أشهب ، وكان فصيح اللسان ، حسن العبارة ، قوي الفهم . وأمرهم بملايئنته وملاطفته ، ووعدهم في كتابه

الصفح عما جناه ، وألا يسوءه بمكروه . وحلف له على ذلك بأيمان
مغلظة ، وخرجوا ، فلما وصلوا إليه رحب بهم وأكرمهم ورفع مجلسهم ،
فابتدأ زياد المَعْدَنِي فقال : يا سيدي ، سيدنا الأَمِيرَ أيداه الله يقرأ عليك
السلام ، ويقول لك : يا أقرب الناس إليّ ، وأبرّهم لديّ ، وأعزهم
عليّ ، خفرت ظني بك [أقوى ما كان] أُملي فيك ، وأرجى ما كنت
لك ، عن غير إساءة كانت مني إليك ، ولا خطيئة ركبها فيك ،
ولم ترعَ حسن تربيتي لك ، وعظم إشفائي عليك ، وأني رشحتك أنزلتي ،
وقدّرت بك حياة ذكري ، وصيانة شملي ، فأرضيتَ عدوي ،
وأسخطت وليي ، أيا سبحان الله ! أما تخاف العقوبة في الحقوق ، وقانيها
الله جل اسمه فيك ، وثمره المجازاة على الإساءة ، صرفها الله بكرمه
عنك ؟ فإن رجعت إليّ ، فكأنك لم تذنّب ، وإن تبادى بك الاغترار
شخصت إليك بنفسي ، ولم أكن بأول من خسر سعيه ، وأخاف
تقديره . وبكى زياد وبكى معه من حضر ، فتدمع العباس ، وبلغ
قوله من قلبه .

فذكر زياد أنه انصرف مع الجماعة إلى دُور قد أُعدت لهم ، وفرّق
فيما بينهم ، وما يخالجه شك في أنه يرجع معهم إلى أبيه ، لما تبيّنه منه
من انعطافه ، وبلوغ كلامه من قلبه . فخلّت به تلك الطائفة التي أغوته
حتى خرج ، لخوفها من أبيه ، فثفتته عن انعطافه . وقال له ابن حدار
الكتّاب : الله الله فينا وفي نفسك ، انظر لنا ولك ، فأنت تعرف أباك

وغدره ، فارحمنا وارحم نفسك ، فأنت تعرف طبع أهلك وشدة
غدره ، فإنه يرى أن في استئصال شأفتك ، ونقطيع قلبه عليك
فيما يأتيه من أمرك وأمرنا بعدك ، بما السياسة وتوطيد المملكة توجهه ،
فخفف الله فينا وفيك .

وكان كلام زيادله يشبه معنى ما كتبه [به] أبوه ، وكان فيما ذكره
في كتابه بعد دعاء الصدر : وراجع بك إلى الحال التي يحصل لك
عاجلها ، ويتوفر عليك ثواب آجلها ، ولا حرمك ثواب برمي وطاعتي ،
وصرف عنك وزر عقوبي ومعصيتي . ثم قال له فيه : أحين ققات النعمة
فيك أعين الأعداء ، وبلغت الغاية القصوى من سرور الأولياء ،
وبلغت السن التي يكون معها انتفاع الوالد بولده ، واستحكمت ثقتي
بك ، وحسن ظني بالأيام فيك ، واستكفيت على كفايتك وعنايتك
عني ، أتيت مالا يحسن بك ، ولا يحمل بئلك ، أستكفي الله جل اسمه
مؤونة من حملك على ذلك ، وغلبك على رأيك ، فقد سعى في دينك
بما ظلمه ، وعيشك بما كدره ، ودنياك بما نقصها ، وآخرتك بما أفسدها ،
ومروءتك بما أزرى بها ، ونعم الله عز وجل عليك بما يدعو إلى تبديلها
وما أنا بآيس من أن يثيبه على عظيم ما ركبه منك ، وجيل ما جناه
عليك في تضديعك حتي ، وما ألبسك من ثوب معصيتي ، وعرضك
إليه من سخط الله جل ثناؤه وغضبه في إسخطي ومخالفتي ، فإنك
إذا ميزته وتبينته لم تجده إلا أحد رجلين : إما رجل أطعنا الله

عز وجل فيه ، فلزمنا أخذُ جناية جناها منه ، أو رجل طمع في مالك
فاغتنم شغل قلبك فقال : أفوز يحظ من دنياه في هذا الرهج الساطع ،
فإن أحسستُ في أمره نقصاً لجأت به إلى حيث لا يعرف خبري ،
ولا يدري أين أمري ، فميز من شئت من خلصائك ونصحائك ، فقد
ترى أمرك فإنك لا تجده يخرج من هذين القسمين والله المستعان ،
قال زياد : فلما غدونا إليه ، وسلمنا عليه ، وجدناه قد حال عمنّا
كنا شاهدناه منه . فقال لي : يا زياد والله إن أبي مانوى لي
خيراً ، فقلت له : يا سيدي كيف يليق ^(١) هذا بصدرك ؟ وأنت
تعلم أنه ما طلعت الشمس على أحبّ إلى أبيك منك ، فالتفت إلى
بكار القاضي فقال له : يا أبا بكره المستشار موثمن ، وأنا أقلدك
أمري ، أسألك بالله هل تأمنه عليّ ؟ فقال له بكار لما كان عليه من
الدين والورع والزهد : قد حلف أبوك لك ألا يسوءك ، فأما بني لك
بما حلف أو لا يفي ، وما يعلم الغيب إلا الله جل اسمه .
فلا سمع أصحابه قول بكار قالوا له : كيف رأيت ؟ لو تحقق
القاضي ما يثق به منه لما قال هذا . فكتب لنا جواباً للكتاب ،
وشرط فيه شرائط مجحفة ، وأغاظ في خطابه لأبيه ، بإنشاء ابن
حدار الكاتب ، وانصرفنا إلى أبيه ، وعرفناه ما جرى بيننا وبينه .
ولم تزل بينهما مكاتبات ومراجعات .

فشل العباس
وهزيمته في إفريقية
وبرقة والتخاره
بنفسه

ثم دعت العباس حماقته [إلى] الخروج إلى إفريقية^(١) ، ثقة بما معه من المال والعدة والعدة ، ورأى أن ذلك يُقيمه ويوصله إليها . وحسن ذلك وأطمعه فيه أصحابه ، ليعدوا عن أبيه ، وصغروا عنده أمر إبراهيم بن أحمد بن الأغلب صاحب إفريقية ، وكانت وجوه البربر فتسرع إلى به منهم جماعة كبيرة العدة ، صغيرة العدة ، وفرق فيهم صدراً^(٢) من المال الذي كان معه ، وتختلف عنه أكابر القبائل ، واعتلوا عليه بأن بينهم وبين قوم ترات ، ولا يأمنونهم عند خروجهم عن أوطانهم على أموالهم وحرهم ، فرأى أن من حصل معه كاف له .

وكتب إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب يقول : إن المعتمد بالله أمير المؤمنين قد قلدني إفريقية ، وأنه أمره بالخروج إليها . ويأمره بإقامة الدعوة له ، ورحل بأكثر من معه وأكثر المال والذخائر ، حتى انتهى إلى حصن يقال له : « لبدة » ففتح أهله له ، وخرج إليه عامل بن الأغلب به ، فتلقاها بأجل تلق ، فقابلهم بضد ما استحقوه منه ، وأطلق لأصحابه نهب الحصن ، فنهبوا وقتلوا الرجال وسبوا النساء ، وهتكوا من لم يصلوا إلى سببه ، فهرب أهل الحصن إلى إلياس ابن منصور الزناتي [النفوسي] رئيس الإياضية^(٣) ، واستغاثوا إليه ، وشكوا

(١) تونس (٢) صدر الشيء : طائفة منه (٣) الإياضية : فرقة من الخوارج تقول بإمامة عبد الله بن إياض وجمهرتهم اليوم في تونس وطرابلس وعمان وزنجبار . والخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب لما رضى بالتحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان .
وانشأ الإياضية دولاً في إفريقية وعمان في القرون الأولى للإسلام

ما نالهم منه ، فدخلته حمية الاباضية ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وكان العباس قد كاتبه يأمره بالسمع والطاعة له ، وإلا رحل إليه ، ووطئ بلده ، وبلد النفوسي بم عزل عن الناس ، ممتنع لنجدته وكثرة أهله وقوتهم ، ولم يؤد النفوسي إلى ابن الأغلب طاعة قط ، فرد الجواب مع رسوله يقول : قل لهذا الغلام إنك أقرب الكافرين مني وأولاهم بمجاهدي ، وقد ظهر من قبيح فعلك مالا يمكنني معه التخلف عنك وعن جهادك ، وأنا على أثر رسالتي إليك .

وكان ابن الأغلب قد أنفذ إلى محمد بن قره ب عامل طرابلس بخادم له يعرف ببلاغ ، في جمع من أهل القيروان كثير ، فالتقى مع العباس ، وكان القتال بينهم مناوشة لا مناجزة ، فقاتل العباس فيها قتالاً شديداً بنفسه ، وكان مع نقص عقله من الرجال الفتاك ، وكان جيد الشعر . [ومن شعره يفتخر] :

إلى الهياج ونار الحرب تستعز	لله دري إذ أغدو على فرسي
في حدته الموت لا يبقي ولا يذر	وفي بدي صارم أفري أرووس به
فها أنا أليث والصمصامة أذكر	إن كنت سائلة عني وعن خبري
فوقي لمفتخر بالجود مفتخر	من آل طولون أصلي إن سألت فما
مجداً أناف به أبأوه الغرر	ورثت مجد أبي عنه وورثني

(١) كذا في خطط المرزقي وتاريخ ابن عساكر ، وفي الأصل : من آل طولون فاعلم إن علمت فالح

لو كنت شاهدة كرى بليدة^(٢) إذ بالسيف أضرب والهلمات تبتدر
يدعون لا أين والعباس يقدمهم كأنهم حمر^١ والليث مقتسر
إذا لعابنت مني ما تسير به عني الأحاديث والأنباء والخبر
فلما كان من غد ، غاداه النفوسي في اثني عشر ألف مستنصر مقاتل ،
وزحف إليه أيضاً بلاغ بعسكره من خلفه ، فأطبق عليه العسكران ،
فقتل من أصحابه خلق كثير ، ولولا شجاعته ورُجلته^(٢) لأخذ .
فدعته الضرورة ، بقتل من قتل من أصحابه ، إلى أن انهزم ، ولحق
فكاد أن يوتر ، حتى أقبل بجزالته ولطف الله عز وجل به وبعونه ،
وأخذ سواده وذخائره ، وجميع ما كان معه من المتاع والأموال
والسلاح ، وما حصله معه له من مصر ، وعاد إلى برقة أقبح عودة .
وكان معه أمين الأسود مقيداً فتخلص من القتل ، لأنهم علموا بقيده
أنه حرب له ، وكان قد أطلق الواسطي بضمان جماعة من التجار
ببرقة إحضاره إيام متى طلبه ، فكان عندهم مكرماً .

وشاع الخبر بمصر أن العباس قتل ، فتبين الناس في وجه أحمد
ابن طولون كآبة شديدة ، وغماً ظاهراً . لأنه وقع بذلك بين شرين :
أثم ابن طولون من الحالة التي أداء إليها الله

(١) في معجم البلدان ان ليرة مدينة بين برقة وإفريقية (تونس) وقيل بين طرابلس وجبل
نفوسة وهو حصن من بليان الأول بالحجر والاجر وحوله آثار عجبية . وذكر انه كانت فيه
وقمة بين أبي العباس أحمد بن طولون واهل إفريقية . وذكر ابن فضل الله الدمري في مسالك
الأبصار ان هذه المدينة ببرقة مما يقابل أطرابلس الغربية وانها اصبحت خراباً ياباً في عهده
(٢) رجل بين الرجولة والرجلة والرجولية بضمين والرجولية بالفتح

منها فقد ابنه إن صح ، وذهب جميع ما كان معه ، ومنها الثيرة التي تقع بينه وبين النفوسي وابن الأغلب ، إن أمسك عنها انحلت منزلته ، وإن نهض إليها فبا تنفاق الأموال الجليلة العظيمة التي لم تكن في حسابه . فلم يزل مغموماً مهموماً حتى صحت عنده سلامته ، فحمد الله جل اسمه وتصدق بمال كثير .

كتاب العباس
لأبيه

وكان مما أفاض أحمد بن طولون من مكاتبات ابنه العباس إليه ، حتى استخفه إلى الخروج إلى الإسكندرية بنفسه ، قوله في كتابه من إنشاء جعفر بن حدار : إلى الأمير أبي العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين من عبد الله مولى الله ، المتمسك بمناجي طاعة الله ، المنحرف عن زيغ ظلم المعصية إلى وضوح سر البصيرة ، القابل من الله موعظته ، والعامل بما أمر به ، إذ يقول جل ثناؤه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وقوله عز وجل (فَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) سلام على الأمير ، وعلى من استرجع وادّكر ، وفكر وازدجر ، فأنا أحمد إلى الأمير الله لا إله إلا هو ، العاطف بي إلى أرفع سنن الهداية ، والعاذل بي عن ظلم سنن الجهالة ، وأسأله صلاة تامة ينخص بها وليه وخيرته من صفوته ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد وفق الله الأمير لمحال رشده ، وجنبه مقابح أمره ، وسخر

له الخلق عن غامض ذكره ، فإن كذاب الأمير ورد على الخائف منه
عن سبيل العظة والتذكير ، إلى سبيل التهديد والتحذير ، فبعد وقرب ،
وآس وهدد ، وجمع وفرع ، يبذل من نفسه باليسير فيها ، ويدعو
إلى الصلة ويحدث غيرها ، ويعرض من ماله الأنفس ، ويصير من
خطابه الأثر ، ويعدد من واجب حقه ، ولازم مفترضه ، ما اعترف
به مصدقاً لمن اعترف بالطاعة محققاً ، وأذعن به لمن أذعن وحاد عن
الشك ، ووقفت منه على ما أطب حساطا وحواف عاماً ومهمه (?) فإن
استخذأت لاتباع موافقتك ، وتطامننت برعاً عبر محاوربك (?) فلقد
اضطرتني الطاعة ، وأنجذتني الحاجة ، إلى إقامة عذر يتضح لك في
استجلاب مرضاتك ما تجاوزت عما يدهمني ، فثبت في جواب الأمير
مقام الأمير .

إن فئت ضاع دمي (?) وإن سكت فثل النار في كبدي
وبالله أستعين على بلوغ طاعته ، وإليه الرغبة جل اسمه في استصلاحك ،
وتحصينك من زيف شيطانك ، وأما ما قرعت بذكره ووبخت موضعه في
غير كتاب صدر منك في غير جواب ورد ، من انحرافي عن سبيل طاعتك
وجنني عن موالاتك ، والتماسي ابتزاز ملكك ، قوالذي اضطرنني إلى
مجادلة من أوجب الله عز وجل عليّ حقه ، فإن حججته أوحشته ، وإن
قصرت عن الحجة نقصت عنده ، ما حلت عن مخايل ظنك ، ولا كنت
لأنشأت إلا تحت طاعتك ، لكنه اكتنفي أمران واجبان مقرون

حقهما بحق الله جل اسمه وحق رسوله صلى الله عليه وسلم . وسمعت
الله جل اسمه وعلايقول : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا
بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ
إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ)

فكان أكبر ما عندي في تأدية حقتك القعود عن نصره من لزمني
مشايعته ، ووجبت عليّ معاونته ، وقبلت من الله عز وعلا أدبه في
حسن هجرتك . يقول الله عز وجل : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)
فلو ذهبت إلى ذكر ما أتى الله به عز وجل في كتابه المنزل على نبيه
صلى الله عليه وسلم لطلال به كتابي ، وقامت به عليك حجتي . والآن
قد خلّيت عما قلّده أمير المؤمنين ، وما قبلت له تكمّله وإنعامه
من جميع أعمال حضرته ، خوفاً من أن أقوم فيها بالحق فأسخطك ،
وانكفأت إلى هذه الناحية هرباً من موجدتك ، وطلباً للقيام بحقتك ،
أيها الأمير ، ولا أبين بقيامي فيما جعل إليّ ما يخلفك فيه النقيصة ،
إذ كان حبل أمير المؤمنين قد اضطرب في يدك ، فوهت قواه وانحل
مُبرّمه . وتداكت^(١) عساكره في ذلك ، كما تداكّ الأبل اللواقح ،
على الحياض الطوافح ، وسيل من اتبع رضاك أيها الأمير ، وتوقف

(١) تداكّ عليه القوم إذا ازدحموا عليه وفي حديث علي رضي الله عنه ثم تداكّتم عليّ تداكّ
الأبل الهيم على حياضها ، أي ازدحمتم

عما تكره التصرف فيه ، أن تعرف له ذلك ، ولا تجازي عليه
بخلاف ما يستوجب .

وأما تخويفك أيها الأُميرأيأي بخيلك ورَجلك ، وعددك وعَتادك ،
فلو نظرت بعين النِّصْفَة ، ونطقت بلسان المعدلة ، لانفرج عن لُبِّك
رَيْنَ الشبهة ، وانفتح من سمعك ما استد سمعه بالشهوة ، فسمعت بعد
وَقَرٍّ ، وعرفت بعد نُكْرٍ ، أني لو آثرت ما إليه قصدت من مقاومتك ،
لدفعتك عن محل عزك ، وما انحرفت عن دار ذُلك ، ولأُتيت بها
مظهرًا الحق . داعيًا إلى طاعة الله عز وجل ، وفي جوارِي من يجيب
صريح الحق إذا استصرخته ، ثم لو كشف لك عن قناعه ، وحسر عن
ذراعِهِ ، لتطامننت لو طأته الليوث الغضاب ، ولتضعضعت لروعته الصم
الصلاب ، فلو لزمت ما بدر إليه ظنك لَعَوْرَتِ مشاربك ، وَلَدَثَرَتِ
مَسالكك ، ولاستصعب على الراكب مركبه ، ولحيل بينهم وبين
ما يشتهون . لكنني آثرت الله عز وجل وما لديه ، فألقيت أزيمة أورك
سخيأبها ، وسوَّغتُكها مطرحًا لها زاهدًا فيها ، وانقطعت إلى ناحيتي هذه
لقلة قدرها ، وبعد محلها ، لأُخفي شخصي بها لا لشرط القول فيه ،
وأُطلت الخطب به ، والله جل وعز يجزي الشاكرين .

وأما عرضك أمانك قبل انجذاذ الجبل ، فإن الله تبارك وتعالى
يقول : (وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا
لِئِنْ الظَّالِمِينَ) ويقول جل اسمه : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) وَلَقَدْ مَدَحَ خَلِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِطْعَةٍ مِنْهُ فِيهَا حُصِرَ دِينُهُ فَقَالَ : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .
والكتاب طويل وإنما اختصرنا منه هذا القول .

فلما ورد كتابه أغاظه وبلغ منه ، وخرج إلى الإسكندرية وأجابه يقول ^(١) :

كتاب أحمد بن
طولون لابنه
العباس

إلى الظالم لنفسه ، العاصي لربه ، المثلّم لدينه ^(٢) ، المبخوس من حظّ دنياه وآخرته . سلام على كل مُنيب ، مستجيب من قريب .
أما بعد فإن مثلك مثل البقرة تُشِيرُ الْمُدْيَةَ بِقَرْنَيْهَا ، والنملة يكون حتفها في جناحها ، وستعلم ، هبلتك ^(٣) الهوايل ، أيها الأخرق الجاهل الذي ثنى عن الحق عطفه ، واغترّ بضجيج المواقب خلفه ، أيّ مورد هلكة سلكت ، إذ على الله جل اسمه تمرّدت ، فإنه تعالى قد ضرب لك (مثلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ

(١) عارضنا هذه الرسالة على رواية صبح الأعشى وقد جاءت فيه مطولة ، وقال القلشندي :
إيها من قلم ابن عدكان من كتاب الدولة الطولونية . (٢) في الصبح : الملم بذنبه
(٣) هبلته أمته نهله هبلاً ، نكته وهلهم الهبول أي نكتهم الشكول وهي بفتح الهاء من النساء
التي لا يبقى لها ولد . والشكل ضم التاء : فقد الولد .

الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ^(١) . واعلم أَنّ البلاءَ
 باؤذَن الله قد أَظْلَكَ ، والمكروه قد أحاط بك ، والعساكر قد
 أَتَتْكَ كلَّسِيل في الليل ، تؤذَنكَ بحرب وويل ، فأني لأُقسم ،
 وأرجو ألا أجور وأظلم ، ألا أثني عنك عنائاً ، ولا أؤثر على شأنك
 شأنًا ، فلا تتوقلُ ذرّوةً أو تُلجُ بطن وادٍ ، إلا تبعثك وطلبتك ، حيث
 يمت وسلكت ، حتى تستمر من عيشك ما استحليت ، وتستدفع من
 البلايا ما استدعيت ، حتى لا دافع ، بعون الله ، يدفع عنك ، فتعرف
 من قدر الرخاء ما جهلت ، وتود أنك هلكت ، ولم تأت بما إليه
 عَجِلت ، ولا رأيَ من أطاف بك من الغواة قبلت . فحينئذ
 يتفرّى ^(٢) لك الليل عن صبحه ، ويسفر [لك] الحق عن نصحه ، فتنظر
 بعين لا غشاوة عليها ، وتسمع بأذن لا وقر فيها ، وتعلم أنك كنت
 مستمسكاً بجبل غرور متمادياً ، وسالكاً سبيل ضلال لا تجد له
 هادياً ، من عقوق لا ينام طالبه ، وبغي لا يفوت هاربه ، وتقف على
 سوء رويتك ، وعظيم جريرتك ، في تركك قبول الأمان ، وهو لك
 مبذول وأنّ عليه محمود ، واليد عنك كلفة والسيف عنك مغرود ،

(١) في صبح الأعرشي هذه الزيادة : وإنا كنا قربك إيلنا ، ونسبك إلى بيوتنا ، طمعاً في إيلنا ،
 وتأملاً لبيتك ، فلما طال في البغي انهماكك ، وفي غمرة الجهل ارتباكك ، ولم تر الموعظة متين
 بك ، ولا التذكير يقيم أودك ، لم تكن لهذه الذمّة أهلاً ، ولا لضافتك إيلنا . وضماً وعلا ،
 بل لا نكني بأبي العباس إلا تكرهاً ، وطعناً ، لأن الله منك خلدأ فله اسمك ، ونكني
 به دونك ، ونعدك كنت نسياً منسياً ، ولم تكن شيئاً مقبلاً ، فانظر ولا نظربك إلى عار
 نسمة تقلت ، وسخط من قبلنا ترضيت . (٢) قرئ : انش

فتتلف ، واللهف غير نافعك ، إلا أن تكون أجبت إليه سريعاً ، وأقبلت نحوه هرعاً ^(١) واعلم أنك لا تقصد موضعاً إلا تلوتك ، ولا تأتي بلداً إلا قفوتك ، ولا تلوذ بعاصم لينجيك ، إلا استعنت بالله عليه وعليك ، فما يجيرك إلا أحد رجلين إما لدين أو لدنيا ، فأما الدين فأنت بحكمه مفارق ، لأنك عاق مشاقي ، وأما الدنيا فما أحسبه بقي معك من حطام ما سرقتة ، مما حملت نفسك على الاستبداد به ، مما يفي بمكائرتنا ، مع ما وهبه الله جل اسمه لنا من جليل نعمه التي نستوزعه الشكر عليها ، ونرغب إليه في إدامتها ^(٢) . وما دعائي إلى إرفاقتك ، والتسهيل

(١) وردت في صبح الأعشى هذه الجملة بعد ذلك : وإن مما زاد في ذنوبك عندي ، ما ورد به كتابك عليّ بعد قفودي إلى القساطر من التوبيعات والأعالي ، والعداء بالباطيل ، من مصيرك بزعمك إلى إصلاح ما ذكرت أنه فسد عليّ حتى مكثت إلى الإسكندرية ، فأقت بها طول هذه المدة ، واستظهاراً عليك بالحجة ، وقطاً لمن عسى أن يتعاني به معذرة علم بأن الأناة غير صادة ، ولا أنه خالجي شك ولا عارضني ريب في أنك إنما أردت التزويج والاحتياط للهرب ، والتزويج إلى بعض المواضع التي أمل قصدك إياها يودي بك ، ولعل مصيرك إليها يكفينيك ، ويبلغ الي أكثر من الإرادة فيك ، لأنك إن شاء الله لا تقصد الخ .

(٢) وهنا زيادة كبيرة في رواية صبح الأعشى منها : وأما ما ديتتاد من مصيرك إلينا في حشودك وجودك ، ومن دخل في طاعتك ، لإصلاح عملنا ، وكافحة أعدائنا ، بأمر أظهِرنا فيه الشجاعة بنا ، فما كان إلا بسبك ، فأصلح أيها الصبي الأخرق أمر نفسك قبل إصلاح عملنا واحزم في أمرك قبل استهلاك الحزم لنا ، فما أحوجنا الله ، وله الحمد ، إلى نصرتك ومؤازرتك ، ولا اضطررنا إلى التكثر بك على شقاقك ومصيتك « وما كنت متخذ المضللين عضداً » .

وليت شعري على من تهول بالجنود ، وتمخرق بذكر الجيوش ، ومن هؤلاء المسخرون لك ، الباذلون دماءهم وأرواحهم وأديانهم دونك ؟ دون رزق ترزقهم إياه ، ولا عطاء متدرمه عليهم ، فقد علمت إن كان لك تمييز ، أو عندك تحصيل ، كيف كانت حالك في الوقعة التي كانت بناحية أطرابلس ، وكيف خذلك أولياؤك والمرزقة معك حتى هزمت ، فكيف تنتر عن معك من الجنود الذين لا اسم لهم معك ، ولا رزق يجري لهم على يدك ؟ فإن كان يدعوهم إلى نصرتك هيبتك والدارة لك والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكثير ، والعطاء الجزيل .

من خناقلك طول هذه المدة إلا أمور، منها استضعاف أمرك واحتقاره،
وقلة الاحتفال به واستصغاره، ومنها أنا جعلنا تركك على ما اخترته
عقوبة لك من إياك إلى أقصى البلاد، مبعداً عن الوطن والأهل والراحة
والمهاد، وقد فارقت بلدك، وحرمت أهلك وولدك، ومنها أنا علمنا
يقيناً أن الوحشة دعتك إلى الانحياز حيث انفجرت، فأهملناك
ليسكن نفارك، وقلنا إنك تحن إلينا حنين الولد ذي الحسب،
ونثوق إلينا توقان ذي الرحم والنسب^(١)، فلم تسمع من واعظ ولم تعتد
بمحافظة: وأما الآن، وقد اضطررنا إلى الانزعاج فحوك، لاستعمالك
المواربة والمخادعة فيما يجري عليه تدبيرك، فما أنت بموضع للصيانة،
بل تحقيق باللعة والإهانة، فعليك من ولد عاق لعنة الله ولعنة اللاعنين،
والملائكة والناس أجمعين، لا قبل الله لك صرقاً ولا عدلاً، وحاط
بك حيث كنت ولا حاطك حيث توجهت^(٢)، وستعلم أيها المخالف

— عندنا لا يجدونه عندك، وإنهم لا حري بخذلك، والميل إلينا دونك، ولو كانوا جميعاً معك ومقيمين على
نصرتك، لرجونا أن يمكن الله منك ومنهم، ويحمل دائرة السوء عليك وعليهم، ويجري بنا من عادته في
النصر، وإعزاز الأمر، على ما لم يزل يفضل علينا بأمثاله، ويتطول بأشبهه، فإدعائي إلى...
(١) زادني صبح الأعشى: فإدعائي رقتنا بك ما يطفئك البناء وفي تآخينا إياك ما يردك علينا،
ولم يسمع منا سامع في خلاء ولا ملائمة انتقاماً بك، ولا غضاً منك، ولا قدحاً نيك، رقة عليك،
واستقاماً لابد عندك، وتأميلاً لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك، والموفق بذلك لرشدك وحظك.
(٢) وهنا جاء في الأصل الذي نقله الفقه شندي في صبح الأعشى ما يأتي: فوالله لا تستعملن
لنك في دبر كل صلاة، والدعاء عليك في آناء الليل والنهار، والدنو والآصال، ولا كتبت
إلى مصر وأجناد الشامات والنور وقسرين والعواصم والجزيرة والحجاز مكة والمدينة كتباً تقرأ
على منابرها فيك، بالإنك والبراءة منك، والدلالة على عقوقك وقطيعةك، ينقلها آخر عن
أول، ويأثرها غابر عن ماض، وتخلد في بطون الصحائف، وتحملها الركبان، ويتحدث بها
في الآفاق، وتلحن بك وبأعقابك عاراً ما اطرده الليل والنهار، واختلف الظلام والأنوار.

القاطع رحمه العاصي ربه ، أي جنابة على نفسك جنيت ، وأي كبيرة أتيت ، فتندم إن كانت لك روية ، وفيك فضل إنسانية ، وتود أنك لم تكن ولدت ، ولا في الخلق عرفت ، إلا أن ترجع ^(١) راغباً ، وتسرع خاضعاً إلى ما قبلنا ، فنقيم الاستغفار لك مقام اللعن ، والرقعة مقام الغلظة والوهن ، والسلام على من سمع الوعظ فوعاه ، وذُكر بالله فأنقاه .

وسير من الإسكندرية إليه العساكر ، وهم بالنفوذ إليه بعدهم ، حتى وافاه الواسطي ، لأنه تهيأت له الحيلة عند انهزام العباس من النفوس فتخلص بذلك ، وعمل الحيلة حتى هرب منه إلى أبيه ، فوافاه وقد تم عزمه على الحقوق بالعسكر ، فمنعه وقال له : حاله أصغر من ذلك ، وأنا أكفيك أمره مع بعض قوادك ، والصواب أن ترجع إلى بلدك ، ومقر عزك ، قبل منه ، وأنفذ الواسطي مع طبارجي وجماعة من وجوه أصحابه ، وطبارجي مؤثر على الجيش ، وعاد أحمد بن طولون إلى مصر ، فلما قرب طبارجي من العباس خرج إليه مدلاً بنفسه ، ونسي هزيمته في أمسه . فلما التقى العسكران استأمن إلى طبارجي جماعة من وجوه أصحاب العباس قبلهم ، وخلع عليهم ، وقامت الحرب بينهم على ساق ، وتعارك الفريقان ، فصبر أصحاب العباس الباؤون هنيئة ،

فشل عصيان
العباس

(١) في صبح الأعشى : إلا أن ترجع من طاعتنا والإم سراع إلى ما قبلنا خاضعاً ذليلاً كما يلزمك مقيم

حتى دهمهم مالا طاقة لهم به ، ثم ولّوا منهزمين ، لا يلّون على شيء
فذكرت قول البحري :

لَمَّا رَأَوْكَ تَبَدَّدَتْ آرَاؤُهُمْ وَغَدَا مُصَارِعُ حَدِّهِمْ مَصْرُوعَا
فَدَعَوْتُهُمْ بِطَبَا الصَّفِيحِ ^(١) إِلَى الرَّدَى فَأَتَوْكَ طُرًّا مُهْطِعِينَ خُشُوعَا
حَتَّى ظَفِرْتَ بِعِزِّهِمْ ^(٢) فَتَرَكْتَهُ لِلذِّلِّ جَانِبُهُ وَكَانَ مَنِيعَا
فقتل منهم وأسّر خلقا كثيرا ، وولى العباس منهزما في شرذمة من
ظلمانه ، وسرّب طبارجي خلفه الرجال ، وبادر فكتب إلى أبيه كتاب
الفتح ، وكتب بذلك الواسطي نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي هذا وقت غروب الشمس ، من
يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وقد وضعت الحرب أوزارها ،
وأظفر الله جلّ اسمه عبد الأمير ، وجمع أوليائه ، وأيدهم ونصرهم ،
وأحسن معونتهم ، ودمر على الملعون العاق الشاق الغادر العباس ،
وضرب وجهه ، وقتل أكثر الفجرة الذين كانوا معه ، وأمكن من
خلق كثير منهم ، والحمد لله الذي أجرى الأمير أيده الله على عوائده
عنده ، وجعل أوليائه المنصورين ، وحزبه الغالين ، وأعداءه ومن
عدل عن أمره المقهورين ، حمداً يكون قضاء لحقه ، وكفاً لإحسانه ،
وامتلاءً للمزيد من فضله ، تبارك اسمه وجل ثناؤه .

(١) في ديوان البحري : فدعوتهم بطي السيوف إلى الردى .

(٢) في الديوان بدم بدل بعزم وند مدينة بالملك الحرّمي الذي أسره الاثنين وقتله المنتقم
ويمكن أن تكون يدهم والبد الصم

و كنت عند نزولنا المنزل المعروف بدي حى (?) قد أكلتُ أمر
المقدمة والساقة والميمنة والميسرة ، و سرنا على تعبئة ، حتى وافينا المنزل
المعروف بدينار الذي كتبت كتابي هذا منه ، وكان اللعين قد وافى
هذا المنزل من أول النهار ، مستعداً بجموعه وحشوده . فلما توافقت
الفئتان تسرع إلينا مدلاً بنفسه ، متمادياً في غيّه ، فحملت ميمته على
ميسرتنا ، فأعان الله ، جل اسمه وله الحمد ، الأولياء على فلها ، وحملت
ميسرتنا على ميمته ، وحملت أنا في أثرها من القلب ، محتسبين واثقين
بنصر الله عز وجل ، متوكلين عليه ، فولى القوم منهزمين ، قد ضرب
الله وجوههم ، ومنح أكتافهم ، وقذف الرُعب في قلوبهم ، وأتبعهم
الأولياء يقتلون فيهم ، ويأسرون منهم ، وقبل ذلك ما استأمن إلينا
جماعة من مشهورهم ، كتابي يرد على الأمير أيده الله بأسمائهم ، ولم
يُحبب أحداً من الأولياء بحمد الله شيء يكرهه ، ومضى اللعين
على وجهه في نفر يسير من غلمانة ، فأتبعته بصيراً وانعج وكنجوراً ،
وهم مدركوه بمشيئة الله وعونه ، وفي غدٍ نكتب إلى الأمير أيده
الله بشرح انقصة ، وبادرت بكتابي بهذه الجملة ليتعجل الله عز وجل إليه
السرور بما من الله جل اسمه ، ويحمده على ما أولى من إنعامه .»

قال مؤلف هذا الكتاب . وورد الخبر بأن الطائفة التي أنفذها
طبارجي خاف العباس لحقته ، فقتل من غلمانة جماعة ، وقبضوا عليه

أسر العباس وحمله
إلى أبيه مقيداً

أسيراً فأتوا به طبارجي ، فقيده وحمله من وقته إلى أبيه ، وأمر بصيراً وانعج وكنجوراً أن يتقدموا به إليه ، وأنفذ كتاباً بالشرح ، فلما وصل إليه الكتاب ، حمد الله كثيراً وتمثل ، وما تمثل بشعر قط :
 وَبَعَثَ^(١) مَنْ وَلَدًا لَا غَرَّ مَعْتَبٍ^(٢) صَقْرًا يَلُودُ حَمَامَهُ بِالْعَوَسِجِ^(٣)
 فَإِذَا طَبَخَتْ بِنَارِهِ أَنْضَجَتْهَا وَإِذَا طَبَخَتْ بِغَيْرِهَا لَمْ تَنْضِجْ
 وَهُوَ الْهَزْبُ^(٤) إِذَا أَرَادَ فَرِيسَةً^(٥) لَمْ يَنْجِهَا مِنْهُ صِيَاخُ الْمَجْجِ^(٥)
 ومدَّ طبارجي إلى برقة ، فدخلها وأصلح من حالها ما كان فسد ، واستخلف فيها خليفة ورجع إلى مصر ، وحمل بين يديه الأسرى والرؤوس ، ودخل إلى البلد على تعبئة حسنة وترتيب . فلما وافوا بالعباس إلى الجيزة أخرج إليه جميع الجيش ، وذلك في سنة سبع وستين ومائتين ، فلما لقوه زفوه^(٥) بين أيديهم وأدخلوه البلد في قبة

(١) هذه الايات لمران بن عصام اوردها في العقد الفريد وقال : إن عبد الملك سأل عن عمران ابن عصام قيل له : قتله الحجاج قال : ولم ؟ قال : لخروجه مع ابن الأشعث قال : ما كن يلقي له . أن يقتله بغير قوله ، وبعث الايات ، وفي البيان والتبيين ان عمران بن عصام العرفي كان من الشعراء الخطباء وهو الذي أشار على عبد الملك بخلع اخيه عبد العزيز واليعة للوليد بن عبد الملك في خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال : ولم قتله وله ؟ هلا ؟ رعى ، قوله فيه ، وذكر الايات الثلاثة والايات في الأصل كثيرة التعريف فأصلحها من البيان والتبيين والعقد الفريد (٢) معتب هو أحد اجدان الحجاج فهو ابو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن حامر بن معتب بن الكعب وفي الأصل : معتباً صقراً يكون الخ (٣) في البيان والتبيين : الرفج بدل العوسج

(٤) قال في البيان والتبيين : صياح الهجج صياح لطرده الأسد وزجره . وفي الأصل :

وهو الهمام إذا يريد فريسة لم ينجها منه محي — وهج

(٥) زفوه : أسرعوا به

مكشوفة وهو مقيد ، وعليه قرطى ملحم^(١) ، وعلى رأسه عمامة^(٢) فشقوا به البلد ، حتى إذا وافوا به الثلاثة الأبواب ، أمر أبوه بإنزاله عن القبة ، وأركب بغلاً بكاف ، وساروا به كذلك حتى إذا بلغ إلى باب الميدان أوقف موضعه في الشمس .

وأدخل بصير وانعج وكنجور وأصحابهم فخلع أبوه عليهم ، وأحسن إليهم ، وأخرجوا بين يديه ، وهو يرى ما فعل بهم من الجليل ، وهم مسرورون فرحون ، وأمر به إلى حجرة فاعتقل فيها ، ولم يزل معتقلاً حتى وافى طبارجي .

عودة الحملة إلى مصر وقتل العباس ورجاله بيده وعفو الأمير عن الثين

فلما وافى أمر أحمد بن طولون بإخراج الجيش لتلقيه فخرج بأسره وتلقي ، ودخل ودخلوا بين يديه في أحسن زي وأجل تعبى ، والأسرى بين يديه والرؤوس ، فشق البلد حتى وصل إلى الميدان ، فلما دخل إلى أحمد بن طولون خلع عليه خلعاً حسناً ، وحمل بين يديه أكياساً كثيرة دنانير ودراهم ، وحمله على فرس نادر بسرجه ولجامه ، وخيل تُقاد بين يديه ، وانصرف إلى داره في أجلّ حال

وأمر أحمد بن طولون بالأسرى إلى الحبس ، وبالرؤوس أن تنصب على انقيسي ليراها من لم يرها ويشاهدها ، ويشاهد منها كل معروف ، فيأيس منه من أهله ممن خفي عنهم أمره . وأمر بأن تبني

(١) القرطى : القباء ، والملحم : ضرب من الثياب ليست لثمتها من حرير وبذلك يميز عن الثياب الدياج (دوزي) (٢) كذا في ابن الداية ، وفي الاصل : مام ،

دكة عظيمة السمك عالية خارج الميدان فَبُذِتْ ، فلما فرغ منها ركب إليها ، وصعد من سلمٍ عمل لها [من] حجارة عظيمة ، ففرش له عليها ، وجلس عليها وحده ، منفرداً من سائر أصحابه ، إلا خواص غلمانه فأول من دعا به قَقْدَمُ أبو معشر فضربه ثلاثمائة سوط ، وأمر بالعباس فأحضر ، وأوقف بين يديه ، فأمره بأن يقطع يدي أبي معشر ورجليه ، فدفع إليه سيفاً فتقدم فقطع يديه ورجليه ، وألقي من أعلى الدكة إلى الأرض ، فواصل إلى القرار حتى مات ، ثم قدم إليه المعروف بالمنتوف فأمره أيضاً فقطع يديه ورجليه ، ورمى به من أعلى الدكة إلى الأرض ، ثم قدم ابن حدار "الكاتب" ، وكان غيظه عليه أشد ، وحنقه عليه أعظم ، لأن كتب العباس إليه كانت بإنشائه ، فأمره فقطع يديه ورجليه ورمى به إلى الأرض .

وكان أحمد بن طولون إذا قرأ كتاباً من العباس إليه ، تمرُّ به اللفظة البشعة فيقول : هذا من كلام أبي معشر ، وهذه اللفظة من كلام الشيخ السوء ابن حدار " ، وهذا من كلام فلان ، وهذا من كلام فلان ، لأنه كان يعرف كلام كل واحد منهم ومذاهبهم . ثم ضرب أعناق الباقين من الأسرى ، أعادنا الله من البلاء كله ، إلا رجلين من عليهما بالعفو لحرمة كانت لهما به . أحدهما جعفر بن يار جوخ لأنه كان زوج ابنته ، ولأن أباه كان صاحبه ، فأمر بحبسه ، ثم أطلقه على أن يطلق ابنته ،

(١) في بعض المصادر : ابن جدار بالجيم بدل الحاء .

ويخرج عن بلده فطَلَّقَهَا ، وخرج فمات بنواحي الموصل ، ورجل يعرف
بابن عبيد ، ذُكر لأحمد بن طولون أنه خلص ابنه العباس من النفوسي
بالغرب في وقت محاربتة له ، وأنه لولاه ، ودفعه عنه ، وبذله مجهوده
في محاربتة عنه ، لكان قد أُسر وقتل ، فحفظ له أحمد بن طولون ذلك
في العباس ، فعفا عنه وأطلقه ، وأحسن إليه واصطنعه .

فلما فرغ العباس من قطع أيدي أصحابه ^(١) دعا به أبوه فقال له :
قبح الله هذا من رأي وعقل ، ويل لك بهذا العقل وبهذا الرأي
قدَّرت الرئاسة ؟ يا ويلك لمَ لم تجعل العوض من مبادرتك وتسرعك
إلى قطع أيدي أصحابك هؤلاء ، استلقاءك بين يدي ، وتضرعك
إليَّ ، ومسألتك إياي الصفح عنهم وعنك ، والعفو عن جميعكم ؟

تفريع ابن طولون
لابنه وضربه بيده
مائة مفرقة

(١) كان العباس من استغف الناس ، ورث من أبيه استبداده وقسوته ، ولم يرث إدارته
وسياسته . روى ابن الداية قال : حدثني أحمد بن يعقوب ، وكان يتولى خراج برقة من قبل أحمد
ابن طولون في الوقت الذي خرج فيه العباس فأقره عليه . قال : ما عاشت رئيساً قط أجراً على
نفس وقمة من العباس ، ولا أقسى قلباً عند استرحام منه . ولقد انصرف إلينا من هزيمة ، وقد
تضاعف سوء ظنه ، وتدم على قريظته فيما كان بذله أبوه بيرة فأبكى العيون . ولاحظ ثلاثة خدم
صغار يشاورون ، فأمر بالفرقة : يا بزم ، سألت كل واحد منهم عما حاوره أصحابه ، فاختلفت
أقوالهم لصغرهم ، وضيقهم عن الاحاطة بما جرى بينهم ، فأمر بأن تحفر لهم حفرة ، وألقوا
فيها ، وألقى التراب عليهم وهم أحياء وطمَّ الأرض عليهم . وقال لي : لم يكن في داره إلا خادم
يعرف بأبي نصر ، ذهب عني اسمه ، وإني معه ، لجالس إذ خرج خادم معه قطن مندوف فقال
للخادم : خذه ، فنجي بالقطن مثل اللحف ، وقام لما بعد حتى رجع إليَّ فقال : والله لا تأخرت عنه
العقوبة على هذه الأعمال السيئة . قلت : وماذا ؟ قال : أنكر على حظي له ما لا يبالي به ،
فلنه في هذا القطن ، وأخذ الشمعة بيده فلم يزل يشعلها في جوانبه حتى احترق الخادم واسترق القطن

فكان ذلك أجل لك ، وأعظم لمهلك ، وأكبر لمنزلتك ؟ ونقضي
بذلك حقاً من حمل نفسه في طلب مرضاتك ، ومساعدتك على خُطةِ
الهلاكِ فيها ، وقد فارق وطنه وأهله وولده ، وتبعك في هواك ،
فجعلت ، يا ويلك ، مجازاته على ما تحمّله فيك من المكروه ، قطع
يديه ورجليه بيدك ، ثم إيتام ولده وإرمال غياله ، ولكن ما وفقت
لما تأتية فتصونهم عما حلّ بهم منك منةً عليك ، وعزيز عليّ أن
يكون هذا وزنك ، ومقدار عقلك .

فلما تفرق الجمع أمر به فبطح ، وضربه يده مائة مفرعة ، فكان
يضربه ودموعه تنحدر ، كأنه [هو] المضرّوب ، وأمر باعتقاله في داره .

انتقال طباع ابن
طولون من البلد
إلى البخل

قال مؤلف هذا الكتاب : وغلب الحسن بن مهاجر على أحمد بن
طولون ، فحسن له جمع الأموال ، ومنعه من سباحته ، وجربه على
عادات كانت له جميلة ، فقبل رأيه ، وتغيرت سباحته ، واستقصى ابن
مهاجر على الناس ، ومنع كل من كان يبسط عليه عائذته ، ويشمله
معروفه وفائدته ، وظهر ذلك فأنحرفت عنه القلوب ، وتغيرت له النفوس
كما قالت الحكماء : ترك العادات ذنب محسوب .

حدث أحمد بن محمد الواسطي أحمد بن إبراهيم الأطروش بعد وفاة
أحمد بن طولون ، وقد اجتمعاً فتفاوضاً أخبراه فقال : فارق أحمد بن
طولون رحمه الله وقت رجوعه إلى مصر من الإسكندرية ، ورجوعي

إلى بَرَقَة مع طبارجي للقاء العباس ، وهو أمير نبيل سمح ، واسع الصدر
في العطاء والبذل في أبواب الخير ، على حسب ما رأيتم منه ، وعدت
من بَرَقَة مع طبارجي إليه ، وهو أمير ممسك ، ضيق الصدر بخيل ،
مُطَرَّح لما جرت به عادته ، فتطيرت يشهد الله له بذلك ، لأنني مارأيت
سمحاً قط ولا تُحدّث به انتقل عن سماحته ، ودق نظره في توفير
ماله ، إلا عند حضور منيته .

ولما انقضى أمر العباس ابنه ، وهو كان ابتداء انحلال أمره ، تنكّر
عليه لؤلؤ غلامه ، وكان عُمدته ، وعليه كان معوّله ، لتتم مشيئة الله
عز وجل فيه باتقضاء عمره ، وزوال ملكه ، كما يجري حكمه جلّ
اسمه على سائر خلقه ، عند انقضاء المدة ، وتكدير المحنة ، وتنغيص
العيش . وإذا أراد الله أمراً أتى بعضه يتلو بعضاً ليؤدب بذلك
المؤمنين . وينبه به الاعتبارين ، ويخفف به عن قلوب المتقللين ، كما
قال بعضهم ^(١) :

إِذَا مَا كَسَاكَ الدَّهْرُ سِرْبًا لَصَحَّةٌ وَلَمْ تَحُلْ مِنْ قَوْتٍ بِحِلٍّ وَيَعَذُّبُ ^(٢)
فَلَا تَغْبِطَنَّ الْمَكْثَرِينَ ^(٣) فَإِنَّهُ عَلَى قَدَرٍ مَا يَكْسُوهُمْ الدَّهْرُ يَسْلُبُ
فلما خلا قلبه من ابنه العباس ، واطمان بالظفر ، وأمن مما كان
يتخوفه ، تحدّرت عليه الغيرة من جهة أخرى ، فتنكر عليه لؤلؤ غلامه

تنكر غلام ابن
طولون لولاه

(١) البيتان لابن الرومي (٢) في رواية : ويقرب
(٣) في رواية : فلا تنبط . امل الكثير ، وفي الديوان المترفين

الذي كان أقربهم إلى قلبه محلاً ، وأشدّهم مكرّاً وزُلفى ! رباه صغيراً ، ومدّه كبيراً وكهلاً ، وعلى حسب ذلك سدّه به الثلثة التي خاف منها ، وجعله المحامي والذاب عنها ، فكان دخول الخلل عليه من أوكد احتياطه ، وانحلال مُبرّمه من أوثق رباطه .

كيس الذهب
وطمع صاحبه

حدث أسامة بن حباب ، وكان مضموماً إلى لؤلؤ ، قال : حمل أحمد بن طولون غلامه لؤلؤاً في خرجته إلى أعماله بديار مضر^(١) ، بما لا يتسمح به لأحد من أولاده ، ولا غيرهم من خاصة أصحابه المخصوصين به ، من مال ومتاع ، وكراع وآلة ، وكل ما يحتاج إليه وما لا يحتاج ، ثم أمر أن ينادى ، ونحن يومئذ معسكرون بمنية^(٢) مال الله ، براءة الذمة من أي رجل من رجال الأمير أبي محمد لؤلؤ دخل إلى المدينة ، وليست معه حجة منه إلا حلّ به غليظ المكروه . قال :

نفقت لي دابة ، فاستأذنت لؤلؤاً في الدخول إلى القسطنطينية لأعتاض منها ، فأذن لي ، فأخذت كتابه إلى أحمد بن طولون مولاه ، ودخلت ليلاً ، فأني لسائر إذ تعثر فرسي بشيء ، فنزلت أنظر ،

(١) في تويم البلدان لابي الفداء ان الجزيرة تشتمل على ديار ريعة وديار مضر وبيش ديار بكر ، وحران مدينة الصابئين تمد من ديار مضر ، والريقة المدينة التي على الفرات تمد كالراقة من ديار مضر أيضاً ، وكذلك الرها وسروج ، وقال البكري في معجم ما استعجم : ان الجزيرة هي الكور التي تلي الشام وهي المروقة بديار مضر وريقة وبالجزيرة وهي كورة الرقة وكورة الرها وكورة سروج وكورة حران وكورة شمشاط وكورة حصن منصور وسميت الجزيرة لانها بين الفرات ودجلة مثل الجزيرة وقال : ان ديار ريعة تضم عدة كور الخ

(٢) لم نعرف هذه البلدة وقد تقدم ذكرها في ص ١٥١ من هذا الكتاب

فأصببت كيساً فأخذته وركبت ، ووافيت منزلي فنظرت الكيس
فإذا به مملوءً دنانير ، وكانت لي امرأة سالحة ، فحدثتها بخبره ،
فأحضرت الميزان فوزنت الدنانير ، فكانت سبعمئة دينار ، فقالت لي :
يا هذا لا تشتره نفسك إليه ، فلعلّه لمن لا يملك غيره ، ولكن عرّف
به ، وخذ جعلك منه حلالاً موفراً ، يجعل الله لك فيه البركة ،
فسكنت إلى قولها ، فلما أصبحت ، أخفيت شخصي من أن يراني
أحد ، فعرّف أحمد بن طولون خبري ، فأحتاج أن أقيم الحجة في
دخولي ، فوجهت إلى صديق لي في ابتياع دابة عوضاً من دابتي .

فبينما أنا كذلك إذ سمعت النداء : « من دلّنا على كبس فيه دنانير ،
نُجعله مائة دينار حلالاً طيباً ، وأجره على الله . » فقالت لي زوجتي :
كيف ترى ؟ مائة دينار حلال خير من سبعمئة حرام ، فقلت للعالم :
أدخل المتادي ، فدخل ومعه إنسان من التجار ، سيماه تدل على أنه
خشن الطبع ، فقلت للمتادي : أين صاحب الكيس ؟ فقال : هذا
هو . فقال لي : الكيس عندك ؟ قلت : نعم ، وجدته في الطريق ، وضع
كذا وكذا . قال : هاته ، فأخرجته إليه ، فلما رآه لطم وجهه وقال : ذهب
مالي ، وصاح : أنا بالله وبالأمر . ثم قال لي : الأمير بيني وبينك ، فخشيت
أن يسمع أصحاب الأخبار ، فيذهبوا بي إلى أحمد بن طولون . فبادرت
بالخروج معه اضطراراً وقلت لزوجتي : رضيت ؟ هذا رأيك الحسن ،

ومشورتك الجميلة ، ولكن ليس العجب إلا مني حيث قبلت منك .
فقلت لي : لا تخف فإن الله عز وجل معك .

فحملت الكيس معي ، وأخذت كتاب لؤلؤ إلى أحمد بن طولون
حجة في دخولي . فلما توسطنا الطريق قام إلي أصحاب الأرباع^(١) ،
فأريتهم كتاب لؤلؤ وعرفتهم ذهابي به إلى الأمير . ومضينا حتى
دخلنا إلى أحمد بن طولون فقال لي : ألم تخرج مع لؤلؤ ؟ قلت : نعم
أيد الله الأمير قال : فلم دخلت ؟ فعرفته خبري في دابتي ودفعت
إليه كتاب لؤلؤ فلما قرأه قصصت عليه خبري وخبر الكيس ، وما
كان من الرجل ، فأحضره فقال له : كم كان في كيسك ؟ قال : ألف
دينار . فأمر بإحضار الميزان ووزن الدينارين بين يديه ، فوزنت ،
فكان مبلغها سبعمائة دينار . فأمر بردّها إلى الكيس فقال لي : اقبض
أنت الكيس إليك ، إلى أن يجيئك صاحبه . وقال للرجل : اطلب
أنت كيسك جمع الله عليك . فقال : أيها الأمير الله الله فيّ ، هو
والله كيسي ، فقال له : لو كان كيسك لما ادعيت أكثر منه ، وأمر
بإخراجه فأخرج . وقال لي : امض لشأنك ، فانصرفت بالكيس ،
وابتعت منه الدابة واتسعت . فقالت لي زوجتي : كيف رأيت مشورتني ؟
لو استحقته اتاجر لما حرمه الله إياه ، وجعله رزقاً لك . فتركت باقيه
عند زوجتي ، ورجعت إلى لؤلؤ فحدثته بما جرى ، فضحك وأمر لي

بفرس . وكانت هذه الخرجة العظيمة التي بلغ أحمد بن طولون بلؤلؤ فيها كل مبلغ جليل ، هي التي خفر به فيها واستأمن إلى الموفق .

قال مؤلف هذا الكتاب : كان أحمد بن طولون إذا أنكر على لؤلؤ شيئاً أوقع بكتابه محمد بن سليمان ، وقال : هذا منك ليس منه ، فحمل محمد بن سليمان الخوف من أحمد بن طولون على أن حسن للؤلؤ حمل جملة من المال في الأعمال ، والاستئمان إلى الموفق ، فمنع عامل الخراج لؤلؤاً من المال ، واستخف برأي محمد بن سليمان ، حتى أخذ جميع ما أراد من أموال الأعمال ، فلما حصل له المال قال له محمد بن سليمان : قد علمت ما فعل بابنه العباس ، وهو أعز الناس عليه ، وقد تخلصنا منه ، فإن لم تبادر وإلا لم نأمنه ، فأجابه إلى ما أشار به عليه . فكتب محمد بن سليمان إلى الموفق عن لؤلؤ كتاباً يعرفه رغبته في المصير إليه ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، والدخول في طاعته ، فاستبشر الموفق لذلك ، لما في نفسه من مولاه أحمد بن طولون ، وابتهج له ، ورأى أن ذلك إحدى الفرص التي ينتهزها ويبادر إليها ، فأجابه بأحسن جواب ، وأنفذ إليه خلعاً وُحملاناً .

وكانت مع لؤلؤ طائفة من خواص أحمد بن طولون ، فقدّر فيهم أنهم يساعدونه على ما اختاره ، فلما تبينوا حاله أنكروا ذلك ولم يساعده . فكان أكثر ما قدروا عليه ، لما خرج الأمر عن أيديهم ، أن تركوه

استئمان لؤلؤ
للموفق وضغط
ابن طولون على
كاتب لؤلؤ

وانصرفوا عنه إلى مولاه بجملة خبره . فلما وردوا عليه وشرحوا له حاله ، وما هو عليه ، تكدر عليه مشربه الذي كان يشربه فيه ، ومرة مذاقه الذي كان يستحليه ، لنكد الدنيا وأيامها ، كما قال ابن الرومي :
تَذَكَّرْ سَاعَةً أَلْعَقْتَ فِيهَا وَأَنْتَ وَلَيْدُهَا عَسَلًا وَصَبْرًا
لَتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ يُمِسي وَيُصْبِحُ طَعْمُهُ حُلُوءًا وَمَرًّا
وظن أحمد بن طولون أن المخادعة تمكنه من لؤلؤ ، والملاطفة
تثنيه ، ولم يعلم أن سبب زوال ملكه يكون على يدي محمد بن
سليمان لما حققه عليه من أفعاله به وحققه منه .

كتاب ابن طولون
للؤلؤ يعبده
ويذكره

فكاتب أحمد بن طولون لؤلؤاً [وأرسل اليه] كتاباً يلأينه فيه ،
ويذكره تربيته له ، وما يجب من حقه ، وكان من بعض ألفاظه في
مكاتبته له قوله : «وقفك الله لطاعته ، وراجع بك إلى ما هو أعود
عليك ديناً ودنيا برحمته ، إنه ليس شيء يبلغه والد شفيق ، ومستصلح
رفيق ، من مواصلة وعظ ، وتنبيه على حظ ، أو دلالة على رشد ،
وحض على سلوك قصد ، إلا وقد بلغنا أقصى نهايته [معك] ، وأبعد غايته
فيك ، ضناً بك وشحاً عليك ، وتأميلاً لمراجعتك ، وما تركنا شيئاً
ظنناه يؤنس وحشتك ، ويرفع محلك ، ويتجاوز به حق حرمتك ،
إلا وقد أتيناه منه ، على ما نرجو أن يكون لروعتك مسكناً ، وانفسك
مؤنساً ومطيباً ، ولك من كل خوف موقباً .

«وليس يمنعنا ذلك من تكرير القول عليك ، رجاء أن تصادف مواعظنا إياك إصغاءً إليها وإصاخة لها ، لينفعك الله عز وجل بها نفعاً كبيراً ، ويصرف بها عنك شيئاً كثيراً ، وقد تبينت بما كان من مفارقتك لنا ما قارفته من معصية الله جل اسمه فينا ، وتعرضك لما تعرضته من سخطه بانحرافك عن طاعتنا ، واختيارك لنفسك ما كنت عنه غنياً ، وعليه ثقة أميناً ، فانظر هل نلت بذلك فيما بلغت عاجل دنيا ؟ أو آجل صلاح وجزيل [أجر] ؟ بل قدسعت في فسادهما ، ثم تأمل الحال التي أنت عليها ، والحال التي انتقلت عنها ، في أيهما كنت أرخى بالاً ، وآمن سرباً ، وأروحُ بدنًا وقلبًا ، لتعلم أنك لم تُوفِّق في ذلك ، ولم تُسدِّد في اختيارك ، لأن الله عز وجل وكلَّك إلى نفسك ، فاستفزك الشيطان وأضلَّك .

«لقد تبين لك غرورُ ما أتيت به ، بتبديد شملك بعد اجتماعه ، وانصداع شعبك بعد التثامه ، واتضح لك ما كنت أهدرك وقوعه ، من قلة رضا جماعة الأولياء والموالي بك ، واستنكافهم من رياستك ، إذ زالت عنك شمسنا ، فحرمت هيبتك التي ألبسك الله عز وجل بنا ، من تنكر [هم] لك وانصرافهم عنك ، وما تنتظر الشرذمة الباقية معك إلا إمكان اقترصة بثل ذلك ، محاماة منهم على أديانهم ، ووفاء بآيمانهم ، فكيف بك إذا صرت إلى العراق بحال مع من لا يدفع عنك عدوًّا ، ولا يصرف عنك سوءًا ، وقد فارت العش الذي فيه

درجت ، وموطنك الذي منه خرجت ، ومولاك الذي في حجره ربيت ،
وفي نعمته غذيت ، وصرت إلى من لا يرعى فيك إلا^(١) ولا ذمة ،
ولا يوجب لك حقاً ولا حرمة ، بل يجعلك مغنماً ، وفيئاً^(٢) مقتسماً ،
يدنيك ويمنيك ، لا حرصاً عليك بل ليحتوي على مامعك ويستصفيك .
«وقد كتبت إلى أمير المؤمنين وإلى من لعلك تقصده ، أعلمهم أن
المال الذي اختزله من أعمالنا ، هو مما أمرتك بحمله إلى باب السلطان
أعزه الله ، ومبلغه ألف ألف دينار ، فأني حجة أبلغ لهم من كتابنا إليهم
أن المال لهم ، ومحمول إليهم ، فهل تكون بعد استضاف ما معك إلا
بين أمرين ؟ إما أن يردوك علينا ، متقربين بك إلينا ، أو نبذل لهم في
ردك إلينا ما لا يروذك عوضاً منه ، فيكون مصيرك إلينا على جهة
اتقهر والأسر ما الموت أيسر منه ، أفهذه المنزلة خير لك ، أو مراجعتك
الواجب عليك ؟ وإنابتك إلى ما هو أولى بك ، مما تختاره ويرجع إلى
محصول ، ويؤول إلى معقول ، فيكون مصيرك إلينا بوجه مسفر غير
كاسف ، وقلب مطمئن خير خالف .»

والرسالة طويلة وإنما اقتصرنا على هذا منها .

وكان أحمد بن طولون بإتباعه [يصيب] فيما يتخوفه في ظن يظنه
وحدس يحده مما قدمت ذكره بالمعنى فيه ؛ المنبه على صلاحه ، حتى
إذا بلغ الكتاب أجله انقلبت العين ، وتتابعت المحن .

كشفه الأسرار
من حمام الزاجل

حدث نسيم الخادم قال : كان مولاي إذا خرج إلى نزهة يحب
الولع بقوس البندق^(١) وكانت نزهته حول الجُبِّ لا يبعده . فخرج يوماً
إلى النزهة ونزل في مرج حسن ؛ وكان قوس البندق بيده ؛ فمرَّ
به حمام طائر فضربه فسقط ؛ وأخذناه فإذا في أصل جناحه رقعة
كالكتاب فإذا فيها : « قد استراح مولاي محمد فخذوا حذركم ؛
وارفعوا كل شيء فقد عصا الأمير لؤلؤ . » فأمر مولاي من وقته
بإحضار خادم كان على مخلفي لؤلؤ فأحضر [وقال له] : من منكم له حمام
هدي ؟ ومن لكم عليل في عسكر لؤلؤ ؟ فقال له : ليس في دارنا
يا مولاي حمام هدي ؛ ولكن لعبيد الله بن سليمان أخي كاتبنا محمد
طيور تسرح ، وقد كان مغموماً بعله أخيه محمد بن سليمان . فأمر
مولاي بالتقبض على عبيد الله بن سليمان من ساعته

سمى ابن طولون
لاقناع الخليفة أن
يقصد مصر
وكتابه إليه

وَأَسْرَ وَجَدَهُ بِلَوْلُؤٍ ؛ وَأَظْهَرَ التَّهَافُونَ بِأَمْرِهِ ، وَفِي قَلْبِهِ مِنْهُ أَحْرٌ مِنَ
الْجَمْرِ ، وَأَظْهَرَ أَنَّ غَمَّهُ بِالْعَتَمَدِ ، لَّا بَانَ لِلنَّاسِ مِنْ غَمِّهِ ، بَمَا يَلْحَقُ
الْمَعْتَمِدُ مِنَ الْمَوْفِقِ مِنْ اتِّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ وَالْمَاهَانَةِ ، وَمَا يَخَافُهُ عَلَيْهِ مِنْ
الْقَتْلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ فِي أَيْمَانِهِ الْمَوْتُ كَدَةً عَلَيْهِ فِي عُنُقِهِ بِالْبَيْعَةِ أَنَّ
يَغْمُضُ فِي أَمْرِهِ ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ الْخُرُوجَ لِنَصْرَتِهِ ، وَلِيَفْكَ مِنْ تَلَاْعِبِ
أَخِيهِ بِهِ ، وَاسْتِيْلَائِهِ عَلَى الْأُمُورِ دُونَهُ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ فِي خُرُوجِهِ

(١) البندق : واحدها بندقة والجَم بندق وهي ما يرمى به (مرب)

أن يبلغ كل مبلغ يصل به إلى القبض على لؤلؤ ، فأنفذ إلى المعتد بالله رسولا خفي الشخص ، رث الهيئة إلا أنه كامل محصل ، وأنفذ إليه معه سفتجة بمائة ألف دينار ، وكتب معه إليه كتابا هذا منه ، وذلك في سنة ثمان وستين ومائتين :

« قد منعني الطعام والشراب والنوم خوفي على أمير المؤمنين من مكروه بلحقه ، مع ماله في عنقي من الأيمان المؤكدة ، وقد اجتمع عندي مائة ألف عنان أنجاد ، وأنا أرى لسيدي أمير المؤمنين الانجذاب إلى مصر ، فإن أمره يرجع بعد الاستئذان إلى نهاية العز . ولا يتهاى لأخيه فيه شيء مما يخافه عليه منه في كل لحظة . فإن رأى أمير المؤمنين ، أيده الله ذلك صوابا قدمه إن شاء الله وأظهر الخروج لهذه القصة »

استصاح ابن
طولون رجلا
عظيما كان في
حبسه

فحدث أحمد بن محمد الواسطي قال : قال لي أحمد بن طولون : أليس الرأي عندك أن أخرج بجميع جيشي وعدتي كلها حتى أنتاش أمير المؤمنين من تلاعب أخيه الموفق به وأنتقل كرسي الخلافة إلى مصر ؟ فإن بيعته اتى في عنقي تقتضي هذا له مني . فقلت له : ما تبلغ معرفتي وفهمي الكلام في هذا الباب ، ولكن في محبتك من إن أحضرته واستشرته أشار ، لفهمه ورجحان عقله ، عليك بالصواب ، فقال : ومن هو هذا ؟ فقلت : محمد^(١) بن إسماعيل بن عمار . فقال لي : صدقت إنه كذلك ، ولولا فقوري منه لخوفي من غوائله ودهائه ، لما كان بحيث هو ، وكان معي في أجل حال ، فأحضرني ، فوجهت من وقتي

(١) في ابن الداية : أحمد .

فأحضرتة ، فأدخل إليه وهو بحاله التي هو عليها من المطبق ، وعليه قميص غليظ ، ولم يكن يلبسه أحد سواه ، وقد اسودَّ من طول دُخان السراج ، وشعره قد طال ، حتى سقط على وجهه ، لمكثه في المطبق ، فاستدناه فدنا قليلاً ، ثم استدناه ثانية فدنا ، وقال : ما أرضى رائحتي للأمر أيدى الله

فقال له : « دعوتك لأستشيرك في أمر أردت أن أفعله ، لعلمي بجودة رأيك ، وصحة فهمك . فقال له : أين الرأي مني اليوم ، أيها الأمير ، وهذه حالي ؟ فقال له : أنت أوفى رأياً ، وأذكى قلباً ، من أن يختل عليك ما التمسته منك ، أو يعتريك ما يعتري ذوي النقص فقال : يقول الأمير أيدى الله ما شاء ، والله جل اسمه الموفق ، فقال له : إن أبا أحمد الموفق قد احتوى على أخيه أمير المؤمنين المعتمد بالله ، ونفذ أمره في كل ما يريد ، وتمكن من إعنائه بن ضم إليه أمير المؤمنين من الرجال والجيش الذي استدناه منه لقتال البصري . فلما حصل ذلك له صارت له عدة على أمير المؤمنين ، وقد خنت حنثي في يميني التي له في عنقي ، إن قعدت عنه ، وقد عزمتم على الخروج إليه بنفسي وجميع جيشي ، حتى أنصردعوته ، وأنقله اليّ ، فما ترى ؟ » فقال : « إن من الخطر العظيم أولاً خروج الأمير بنفسه ، وجميع جيشه وعدته ، لأن الحرب سجل ، ^(١) والظفر بحسب التوفيق ،

(١) الحرب بينهم سجل أي سجل منهم . ١. على هؤلاء وآخر على هؤلاء . وأصله ان المستعين بسجلين من البشر يكون لكل واحد منهما سجل أي ذوو ملآن . ١٠ (التاج)

فأخاف أن يلحق الأمير ، وأعيذه بالله ، هزيمة فلا تكون له بعدها
قائمة . ولأن يكون الأمير أيده الله من وراء من يبعث به إلى هذا
الوجه ، وهو مادة له ، أولى من أن ينفذ بنفسه . وبعدها فأرى كلام
الأمير كلام من قد لحج من نصرة المعتمد ، وما يريد من رد أمره
إليه ، مما لا يراه له المعتمد ، ولا يعتد به له ، لأنه رجل مشغول
بلهوه ، منهمك في لذاته ، بعزل عن حسن تدبير ، وأن يكافئ
على فعل جميل .

« أرأيت أيها الأمير لو انتقل إليك ، وتمت للأمير حمايته من
أخيه ، وأجابك إلى ما دعوته إليه ، أكان له في قصرك دار يسكنها
غير دارك ؟ فأول ما يستعجل الأمير أن ينتقل عن هذه الدار إلى
ملا يقاربها ولا بدانيها ، بل يضيق بن يحوطه ، بل لا يسع بعضهم ،
ثم يكون الأمير إذا دخلها كبعض الزوار .

« ثم أنت أيها الأمير الآن المتبوع الأمر ، فلا تلبث أن تصير
التابع للأمور ، ولعله أن يكون عنده أثر الناس مله أو مغل أو
نديم ، لا يعشُر^(١) غلام الأمير ، وليس له منه منفعة في أمر ، ولا
يحمل عنه شيئاً من ثقل ، ولا يزيد على أن يلهيه ، ويسهل موارد أموره
ومصادرها عليه .

« وأقل ما في هذا الباب اثني أنه إذا دخل الأمير للسلام يكون

(١) لا يبلغ سناره .

قائماً ، وذلك النديم أو الملهي جالساً ، اوضعه منه ، ومنبسطاً إليه . ولعل هذا إذا شاهده الأمير أخرجه إلى أكثر مما خرج إليه أخوه الموفق فيه ، ثم لا يأمن الأمير أن يسأله بعض غلمانه في ضيعة من ضياعه ، أو عمل فيه أخص غلمان الأمير ، فلا تمسكه مخالفته في كل ما يستدعي منه ، ثم اعتراضات حاشيته في البلد وأصحابه ، وكذلك في الأعمال ، وطلبهم ما يشق على الأمير ويعظم ، فلا يتهياً له منهم ، فإن منع أغضب أمير المؤمنين . ثم الأمير بعد هذا غير آمن من أن تحمله المحافظة أن يسأله استنزالك عن موضعك ، فيجيبه ليكفئه على حال قد تقدمت له عنده إلى محبته ، ولا يخالف إرادته .

« وحسبك أيها الأمير ، أن تستدعي رجلاً إلى بلدك وملكك ، فإذا بلغته الغاية القصوى ، وسوغته كل ما كدحت فيه دهرك ، رأى أن ذلك كله له ومن حاله ، وأن الذي قد بقي معك مما نتجمل به بين يديه ، له دونك ، وأن إبقاءه لك تفضل عليك .

« إن من إقبال الأمير ما يلحق المعتمد من أخيه ، لأنه يجد بذلك الحجة على خلافه ، وترك الائتمار له ، وإسقاط اسمه والدعوة له وتأليب " الأولياء عليه ، وفي هذا ما يتهياً له بلوغه من معونة أمير المؤمنين ، وما يثني أخاه عليه فيعود له إلى إرادته ويزول عنه ما يكرهه ، وما أحب أيها الأمير إظهار هذا الاجتهاد العظيم في قهر الموفق ،

(١) التأليب : التحريض والامساح وهم عليه آب وإب واحد مجتمعون عليه بالظلم والعداوة

ونصرته لأخيه عليه ، لما يتخوف من مثله لقوة يده وكبر أمره
وتمكنه ، والذي أرى ، ولرأي الأمير أيده الله فضله ، ألا يفعل
ما إذا فعله جرى الأمر فيه بينه وبين أمير المؤمنين على ما شرحت له ،
مما يخرج الأمير معه إلى أكثر مما خرج أخوه إليه .
فقال له أحمد بن طولون : حسبك حسبك ، وأمر برده إلى محبسه .

غمط ابن طولون
حقوق الكتاب
واحترامهم

قال أحمد بن محمد الواسطي لأحمد بن طولون : أيها الأمير أكان جزاء
هذا الرجل على هذا الرأي السديد الصحيح الذي قال فيه الحق ومحض
النصيحة ، أن يُردَّ إلى محبسه ؟ قال : نعم ، إني تأملت أمره ، فوجدته
قد نصحنى في دنياي ، وغشني في ديني وآخرتي . ثم تأملت رأيه وجودته
وصحته ، وما حضره منه بغير فكر ولا استعداد ، وهو على هذه الحال
الصعبة القبيحة المفنية للحس ، فضلاً عن غيره ، فكيف لو رأى
نفسه مطلقة ، وهو نافذ الأمر والنهي ، يأكل طيباً ويلبس ليناً ، ويشم
عطراً ، [إذا] لاستد رأيه ، ولبعد غوره ، وتمكن من عدوه ، بقوة
حيلته ، وحزم رأيه . إن أجهل الأمراء من أعطى مقادته للكتاب
العقلاء ، لأنهم أسد الناس رأياً وأقلهم ديناً ، بل يقبل رأيهم من غير
أن يظهر لهم فيه استصوابه !

قال أحمد بن محمد الواسطي : فعجبت من قوله ، وازددت حذراً
له وخوفاً منه ، وكان ابن عمار البائس قد ظن بإخراجه إياه إليه ،
ومشاورته له وما محضه من النصيحة في مشورته ، أن في ذلك فرجاً

وخلصه ، وانحلال عقدته . فلما رَدَّه إلى الحبس أيس مما كان يتوقعه من الفرج ، وصدع قلبه الغمُّ فمات .

الصراف ابن
طولون إلى الشام
للقاء الخليفة

قال مؤلف هذا الكتاب : فورد كتاب طيفور خليفة أحمد بن طولون من الحضرة ؛ يذكر وصول رسول أحمد بن طولون ، وكتابه إلى المعتمد ، والمال المسفتج^(١) ، وأنه خارج إليه مع المعتمد ، ويذكر في كتابه أن يتأهب لموافاته إليه كما استدعاه ، فقد تمَّ عزمه على المسير إليه ، وأنا بين يديه أخدمه إلى أن يصل إليك إن شاء الله . فلما قرأ أحمد بن طولون كتابه بذلك ، أحضر شيوخ كتابه وقواده وشيوخ البلد ، وأحضر ابنه أبا الجيش فاستخلفه على البلد ، وخلف معه جماعة من شيوخ قواده منهم محمد بن أبا وغيره ، ووصاه باتباع أمرهم ووصاهم به ، وأكد على الجماعة في مراعاة البلد والرعية ، والمحافظة على ما يكون منه تمام السياسة واستقامة الحال ، وحسن الأحداث ، وحذر ابنه من التشاغل بلمو أو بشيء غير ما قلده إياه ، وخرج إلى الشام ، وحمل معه ابنه العباس مقيداً في قبة ، وهو يظهر في قوله وفعله أن خروجه لنصرة المعتمد ، والكامن في صدره لولؤ غلامه ، وهو يود أن الأرض طويت له إليه ، أو قذفته بين يديه ، وهو على غاية من السكابة والغم بأمره ، وكان قد استقر عنده أن الموفق

(١) السفتجة كقرطاة ان تعطى مالا لآخر ولآخر مال في بلد المظي ميوفيه إمامهم ، فتستفيد أمن الطريق ، وفله السفتجة بالفتح والمال المسفتج الرسل إلى بلد آخر سفاتيح

قد أنفذ إليه الخلع ، وأنها قد وصلت إليه ، ولم يتحقق وصوله هو إليه ، فلما بلغ الرملة صبحَّ عنده دخول لؤلؤ العراق ، وذلك في آخر سنة ثمان وستين ومائتين .

وكان محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ من أحذر الناس من أحمد بن طولون ، وأشدَّهم فزعاً منه ، لمقدمات كان يعرفها منه . منها أن أحمد بن طولون كان يؤدب الكاتب كثيراً على ذنب الصاحب ، ومنها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه يكذس قصره داخله وخارجه بمكنسة في يده ، فلما انتبه طلبه ليبدأ به ، فاعخوف لؤلؤ عليه من حال لعلها تأتيه ولم يعلم بالرويا أخفاه وقال : وجهت به في مهم لي وأنا أوجه أحضره ، وأمره بالخروج إلى الشام يتقدمه ^(١) .

(١) روى القاضي التتوخي في الفرج بعد الشدة بإسناد ذكره قال : خرج يوماً محمد بن سليمان إلى ظاهر القسطنطينية فاتمى به السير إلى قبة كانت لأحمد بن طولون يقال لها قبة الهواء مطلة على النيل وعلى البر ، فجلس فيها ووجهه الحسين بن حمدان وجماعة من القواد . ثم قال : الحمد لله الذي بيده الأمر كله يفعل كما يشاء . فقال له الحسين بن حمدان : لا شك أن تجد يدك الحمد لأمره ، قال : نعم وهو عجيب طريف ، ذكرته الساعة ، وهو أني تزعت إلى مصر وأنا في حال رثة في زي صغار الأتباع ، فضايق علي المماش بها ، فاتصلت بلؤلؤ الطولوني ، فأجرى علي دينارين في كل شهر ، وصيرني مشرفاً في اصطبله على كراعته ، فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهي جيداً ، ولا أقدم على الوقوف بين يديه . فلما كان بعض الأيام أحضرني فقال : ويحك من أين بعرفتك الأمير ؟ يعني أحمد بن طولون . قلت : والله ما رأي قط ، ولا وقت عينه علي إلا في الطريق ، ولا محلي محل من يتصدى للقائه . فقال : دعاني الساعة وهو في قبة الهواء فقال : معك رجل أشقر أشهل يقال له محمد بن سليمان قلت : ما اعرفه ، قال : بل هو في جنبك ، فأبده عنك ، فإني رأيته البارحة وفي يده مكنسة يكس داري بها ، فتوق ويحك ، ولا تتعرف إلى أحد من حاشيته ، وأقربني على أمري ، فامتثلت أمره . ومضت لهذا الحديث شهر . ثم دعاني ثانية فقال : ويحك ، ماذا بليت به منك ، وبليت انت به من هذا الأمير ؟ دعاني بعدة من أصحاب الرسائل فوافيته ، وأنا في غاية الوجع ، فقال : اليس أمرتك بعرف محمد بن سليمان الأزرقي —

قصة الصنم الذي
اجتبه العامة
يعتقدون فيه

وإنما أراد أحمد بن طولون أن يعمل في أمر محمد بن سليمان ، كما
صنع في أمر صنم كان في عين شمس^(١) ، وذلك أنه كان بعين شمس صنم

— الأشر؟ قلت : قد عرفتك يا سيدي اني ما استخدمت من هذه سيلة ، ولا وقت لي عليه
عين ، قال لي : كذبت ، وهو منك في اصطبلك ، فأخرجه عن البلد الساعة ، فلم يره رأيت في
النوم أيضاً ، وفي يده مكنسة وهو يكلس بها سائر دوري وحجري ، ونسأل الله الكفاية . قلت
للؤلؤ : اي ذنب لي يا سيدي في الأكلام ؟ فقال لي : صدقت ، داسيتر إلى ان يقتلني الأمير
ذكرك . وكان يجري عليّ رزقي في كل شهر ، وأنا لا اعمل شيئاً .

فلما تمياً من إغناذ لؤلؤ إلى الشام ما تمياً نهضت معه ، ونجّاه عنه كتابه ، لما علموا من تغير حاله
عند صاحبه ، وأدناي وقرّبي وأجرى عليّ عشرة دنانير في كل شهر ، وحملني على دابة ، فزمت
خدمته ولقيته واستخدمت إليه فزادني من بره . ولم ينتبه أحمد بن طولون من استيعاش لؤلؤ ،
فكتب له بالرجوع إلى مصر ، فشاورني فأشرت عليه بالانحدار إلى نواحي ديار مصر ، وأخذ كل
ما استخف قلبه من المال ، ولم أترك غاية إلا أتيتهافي تضيّيبه وتألييه ، حتى اوردته مدينة السلام .
ثم تقلبت في الأحوال في خدمة السلطان وخدمة الدول ، وتوفي أحمد بن طولون وحبس ابنه
وقتل ابو الجيش وتولى بعده هارون بن خمارويه بن أحمد ، وضم إليّ القواد والرجال ، وكان فيهم
لؤلؤ صاحب ، وكان اصغرهم حالاً ، فلم اقصر في صلاح حاله والاحسان إليه ، ومعرفة حقه .
فلم ادن من الشام حتى تلقاني بدر الحامي مطيعاً ، وتلاه طنجج من جف مسرّداً ، وصرت إلى مصر
فلما شارفتها وتبشّيتان بن أحمد بن طولون ومن معه من جند مصر ، قتلوا هارون ، وتولى شيان
الأمير اياماً ، وانتال إليّ القواد في الأمان ، ولحق بهم شيان ، ونجّاهم الرجالة وقطعة من
الفرسان ، واظهروا الخلاف ، فأوقعت بهم واقبتهم قتلاً وأسراً ، ودخلت القسطنطينية وحوت
العم والمهج ، واشخصت الطولونية من البلد إلى الحضرة ، حتى لم يبق فيها منهم احد . وصح بذلك
منام أحمد بن طولون ، فسبحان الذي ما شاء فعل ، وإياه نسأل خير ما تجري به اقداره ، وان
يختم لنا بخير رحمة . ١٠ هـ

قلنا : وقد كان لمحمد بن سليمان الكاتب هــ هذا اثر عظيم في القضاء على الدولة الطولونية ذكر
القلع شدي انه سار بالمساكر من العراق من قبل المستنكفي بالله ودخل إلى مصر في سنة اثنتين
وتسعين ومائتين وقد ولي الطولونية عليهم ربيعة بن أحمد بن طولون فقتلهم بالبلد منه وخرب القطنان
وهدم القصر قصر بني طولون وقلع اساسه ، وخرب موضعه حتى لم يبق له اثر .

(١) يقول العلامة أحمد زكي باشا في قاموس الجغرافية القديمة : المطرية وعين شمس جنتان قريتان
من مصر القاهرة ترفان عند الفراعنة باسم اوز وعند اليونان باسم هيليوپوليس (Héliopolis) .
قلنا : وهما لهدنا حاسرتان زاهرتان .

على مقدار الرجل المعتدل الخلق ، من كَذَّان^(١) أبيض حسن الصورة ، يُخَيَّلُ لِمَن استعرضه أنه ينطق . فحدث إبراهيم بن كامل المصور^(٢) أنه وُصف لأحمد بن طولون فأحب رؤيته ، فقال له خادم له نصراني ثقة عنده في جميع أحواله في داره ، يقال له ندوسة . ما أختار [أن] يراه الأمير أيده الله ، فقال له : ولم ؟ قال : لأنه ما رآه وال قط إلا عزل . فركب إليه في سنة ثمان وخمسين ومائتين فتأمله ، فلما رآه أحضر القطاعين ، وأمرهم أن يجتثوه من الأرض ، فوضعوا الفؤوس عليه ، فلم يتركوا منه عضواً صحيحاً على الأرض ، حتى درس وعفا خياله ، وذرى ما بقي حياله في الصحراء . ثم دعا بندوسة خادمه فقال له : يا ندوسة من صرف [منا] صاحبه ؟ فقال : أنت أيها الأمير ، صرف الله عنك كل محذور . وعاش أحمد بن طولون بعده اثنتي عشرة سنة [أميراً] ، وإنما حمل محمد بن سليمان الخوف منه والحذر على أن حسن لصاحبه لو لو الذهاب عنه إلى الموفق ، لتسلم منه نفسه ، ويأمن عليها من مكروهه .

مؤلفه ابن
طولون دمشق
لانتظار الخليفة

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما بلغ أحمد بن طولون إلى دمشق ، وشاع الخبر بحركة المعتمد إلى مصر ، أقام أحمد بن طولون بدمشق مترقباً له ، حتى وافاه خبر المعتمد مع رسوله الناقد كان إليه بالمال ، ينجزه بجزءه إليه ، وقد فصل من الحضرة ، وأنه يسلك على طريق

(١) الكذبان : حجارة رخوة كالدّر . (٢) في ابن الداية : المصري .

البرية إلى مصر ، بن خفّ معه من ثقاته ، فاضطرب أحمد بن طولون لذلك ، وتندم على مكاثبته بها حركة على المسير إليه ، وتبين كل ما ذكره له ابن عمار أنه يكون كله ، فقلق لذلك وتصبّر له ، حتى أتى من إقباله ما لم يكن في حسابه ، وبما جرت به عادة الله جل اسمه عنده .

ورد عليه كتاب طيفور خليفته يقول : قد كنت على المسير إليك مع أمير المؤمنين المعتمد حتى جرى ما أوجب تأخره ، فتأخرت بتأخره ، وأرجو أن تكون الخيرة للأمير أيده الله في ذلك إن شاء الله . وذلك أنه لما قرأ كتابك ، ووقف على ما دعوته إليه من المسير إلى ناحيتك ، سره ذلك وشكره لك ، وأظهر الخروج إلى الزهة ، وأخرج معه أخاه أبا عيسى وإبراهيم بن مدبر وأحمد بن خاقان وخطارمش وتينك^(١) ، وسار على كتابة يريد مصر ، فبلغ أخاه أبا أحمد الموفق خبره ، فكتب إلى إسحاق بن كنداج الحزري يعرفه أن أخاه قد خرج قاصداً إلى أحمد بن طولون ، ومتى تم هذا الأمر استولى أحمد بن طولون على أمره ، فلم يكن لكم ولا لأحد منكم مقدار ، ولم يلتق اثنان في عسكر الموالي ، إن صح ذهابه وتمّ إلى ابن طولون يتجنب عن وجه العدو ويتمكن^(٢) من الدخول إلى الساطان ، فيكون ذلك سبباً لزوال دولة بني العباس . ويناشده الله جل وعزّ في كتابه في تجديد العناية في رده ، ووعدته إن ردّ المعتمد أقطعه إقطاعاً

ارجاع المعتمد
من شخص إلى
الشام

(١) كذا في الطبري وفي الأصل بلا نقط ، وفي ابن الأثير : نيزك .

(٢) في الأصل : نوكتته وفي الجملة تشويش

واسعاً ، ووصله بالمال الجزيل ، وزاد في رياسته وعمله . وذلك في جمادى الأولى سنة تسع وستين ومائتين .

فلما قرأ إسحاق بن كنداج الكتاب حرّكه على ما استدعاه منه الموفقُ الحسدُ لك أيها الأمير ، والطمع فيما وعده به ، ورحل إليه راغباً راهباً في خيل جريئة في أربعة آلاف غلام ، من نصيبين^(١) إلى الموصل ، فسأل عن المعتمد ، فقيل له إنه قد رحل عنها في أمس ذلك اليوم . ووجد له مراكب وحرّاقات وسفينتين . فيها متاعه وحرمه بموضع يعرف بالدواليب ، ووكل بهم ومنع من سيرهم ، وأمر الموكلين ألا يطلقوا لأحد من أسباب المعتمد أن يتجاوز الموصل ، وسار حتى لحق المعتمد بين الموصل والحديثة ، فضرب مضربه دون مضارب أصحاب المعتمد ، وسار إليه فلم يلقه أحد من أصحاب المعتمد ، حتى وقف بباب مضربه ، فخرج إليه فحرّير الخادم فسلم عليه ، ودخل فاستأذن له ، وأمره بإدخاله إليه ، فدخل إليه ومعه محمد ابنه وحبشي ووصيف ابنا أخيه وطيب بن صفوان وجماعة من وجوه قواده ، فسلم على المعتمد ، ووقف بين يديه . فقال له المعتمد : يا إسحاق ، لم منعت الحشم من دخول الموصل ؟ — لأن الخبر بلغه ، وكان بين يديه يومئذ أحمد بن خاقان وخطار مش وتينك — فقال : يا أمير المؤمنين ، وما دخول الحشم الموصل ؟ قال : لأنني آثرت دخولها . قال : لا والله أيد الله أمير المؤمنين ما إلى ذلك

(١) قال ياقوت : إنها مدينة عائرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام . وهي

اليوم شبه بقرية كبيرة .

سبيل: أخوك في وجه العدو ، عدوك وعدو دولتك ، يقف على زوالك
عن مستقرك ، ومدينة آبائك ، فينصرف عن مقاومته ، ويخلي بينه وبين
دار ملكك ، وبهذا جاءني كتابه . فقال له المعتمد : أفغلامي أنت أم
غلامه ؟ فقال : كلنا يا أمير المؤمنين ظلمناك ، ما أطعت الله ، فإذا
عصيته فلا طاعة لك علينا ، فقال له : وما معصيته ؟ فقال : تخليك
عن دار ملكك ودار آبائك ، وتركت أخاك ، وهو مجاهد عنك وعن
دولتك ، لعدوك ، فتظعن عن مستقرك . وفي هذا عصيان الله عز وجل ،
ثم خرج من المضرب ، وخلف أصحابه معه بين يديه .

ووجه إلى المعتمد بقول : إن رأي مولاي أن يبعث إلى أحمد بن
خاقان وخطار مش وئبنك لنتشاور فيما نحن فيه فعل ، فوجه بهم إليه ،
ومعهم إبراهيم بن مدبر ، وسار معهم إلى مضربه ، فلما حصلوا فيه قال
لهم : علمتم أنه ما جنى أحد على الإسلام جناية أعظم من جنائتكم ، قالوا :
وكيف ؟ وما هذه الجناية ؟ فقال : أولها إخراجكم الخليفة في عدة
يسيرة ، وهذا هارون الشاري ^(١) في جمع عظيم ما رآه ، فلو علم به
لأسره ، فكان قد حصل الخليفة مأسوراً في يدي الشاري ، فكانت
تكون فضيحة ليس أعظم منها ، فلولا تحصنكم الساعة في عسكري
لكان هذا ، ولقتلتم وذهب الخليفة . وأحضر القيود وقيد الجماعة ،
ووجه فقبض على مضاربهم ، بجميع ما كان لهم فيها .

فلما أمسى الليل بعث ابنه محمداً وبابني أخيه في جماعة ليحفظوا المعتمد .
 فلما أصبح دخل على المعتمد فسلم عليه وقال له : يا أمير المؤمنين ألا أمر
 مضطرب بناجية أخيك لا نزاعك عن مستقرك ، وما مقام مولاي
 ها هنا معنا ؟ فقال له : احلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني .
 فحلف له وانحدر به إلى سر من رأى ، فقال المعتمد في ذلك :
 أصبحت بملكك من كنت أملكه وصار بأمرني جبراً وبنهائي
 وصرت في حجره طفلاً يروني أخشاه حقاً كما قد كان يخشاني
 فالحمد لله شكراً لا شريك له على الذي خصني منه وأولاني^(١)
 فلما بلغوا سر من رأى تلقاه أبو العباس بن الموفق وصاعد بن مخلد ،
 فسلمه إسحاق إليهما ، وانصرف إلى دار الخليفة ينتظر عودتهم ، فأنزلا
 المعتمد دار أبي أحمد بن الحبيب التي في طرف الجسر ، ومنع من
 نزول الجوسق والمعشوق^(٢) . ووكل به قائداً في خمسمائة رجل ،
 يمنعون أن يدخل إليه أحد . فقال المعتمد للموكل به : ما أنت ؟
 قال : أخدم أمير المؤمنين . قال : هذا توكيل مليح .

(١) قال ابن الأثير في الكامل : وكان (أي المعتد) في خلافته محكوماً عليه قد تحكم
 عليه أخوه أبو أحمد الموفق وصديق عليه حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلثمائة دينار فلم يجدها
 ذلك الوقت فقال :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتعاً عليه .
 وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذلك شيء في يديه
 إليه تحلل الأموال طراً ويمنع بعض ما يجي إليه
 وكان أول الخلفاء انتقل من سر من رأى . د بنيت ثم لم يجد إليها أحد منهم

(٢) الجوسق : القصر وهي فارسية وهو اسم أحد قصور الخلافة ، والمعشوق : اسم لقصر عظيم كان
 بالجانب الغربي من دجلة قبالة سامرا . عمره المعتد على الله وعمر قصر آخر يقال له الأحدي

وعاد أبو العباس بن الموفق ، وصاعد كاتب الموفق إلى إسحاق بن كنداج ، فخلعاً عليه خلعةً حسناً ، وركب من دار الخليفة وعليه تاج ووشاح وسيفان ، ولقبَ بذي السيفين ، و[كل] ذلك غرق بالجوهر^(١) ، وعقد له على مصر مكان أحمد بن طولون ، وأقطع ضياع القواد الذين كانوا مع المعتد ، ومبلغ مالها عشرة آلاف دينار في السنة ، وسلمت إليه نعمهم .

فلما وقف أحمد بن طولون على هذا كله من كتاب صاحبه إليه وتواترت الأخبار أيضاً به ، والكتب إلى سائر الناس ، أقام بدمشق ووجه فأحضر قضاة أعماله ، وفيهم العمري وأبو حازم وبكار بن قتيبة فاستفتاهم في خلع أبي أحمد الموفق ، فكل أفتاه بخلعه إلا بكار^(٢) بن

خلع الموفق في
مدينة دمشق
ورقيقة خلعه

(١) في الطبري : كل ذلك . منسوخ بالجواهر ، يقال : غرق اللجام بالنفض وأغرق : سلاه .
(٢) قال القاضي في تاريخه : كان المعتد قد سار في جمادى الآخرة سنة تسع وستين وماهين يريد مصر ، بمكاتبة جرت بينه وبين أحمد بن طولون في ذلك ، وكان ابن طولون بدمشق ، فلما بلغ الموفق ذلك ، وهو في قتال صاحب الزنج ، أخذ إسحاق بن كنداج ورد المعتد وسلمه إلى صالح بن محمد فأنزله دار ابن الحبيب برسم رأي وحج عليه ، ولقب الموفق إسحاق ذا السيفين ، وولاه أعمال ابن طولون ولقب صاعد بن محمد ذا الوزيرين ، وكتب ابن طولون من دمشق أن الموفق نكث يعة المعتد ، وأمر بجمع القضاة والفقهاء والأشراف ، وسار إلى دمشق فاجتمعوا وخلع الموفق ، وكان الفقهاء أفتوا بخلعه إلا بكار بن قتيبة فإنه قال : أنت أوردت علي كتاباً من المعتد بأن الموفق وليّ عهده ، فأورد علي كتاباً منه بخلعه . فقال : هو الآن مطلوب مقهور ، وأنا أيضاً أحبسك حتى يرد كتابه بإعلانك تقيده . وبسره ، واسترجع منه ما كان دفعه إليه من جوائز ، ووجدتها في منزله بخواتيمها ستة عشر كيساً . فيها ستة عشر ألف دينار . وسلم ابن طولون القضاء إلى محمد بن شاذان الجومري وجعله كالخليفة لكار ، وكان يكثر يحدث في السجن من طلاق ، ولم يزل يكار محبوساً ، وابن طولون يخرج كلاً خرج للمظالم وأمر بأن يقام بين يديه إلى أن مرض ابن طولون فأخرجه إلى دار عند مولى الجنائز القديم اه . وقال ابن

قتيبة فإنه تلكاً في ذلك ، فتغافل عنه أحمد بن طولون ، وحقدها له في نفسه ، وكتب كتاب الخلع على نسخ ، وأنفذ إلى كل عمل من أعماله نسخة تقرأ على المنبر في جميع أمصاره وتُتَلَّد ، فمن جوامع ذلك .
بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أجمع عليه القضاة والأولياء ووجوه أهل الأمصار ، حين أحضرهم أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين مجلسه ، بمسكركه في مدينة دمشق سنة تسع وستين ومائتين ، وسألم عما يوجهه ما أقدم عليه الناكث أبو أحمد في أمير المؤمنين المعتمد على الله ، من إيقاع الحيل على فض جيوشه ، وتشريد جماته ، بحملهم على السيف مرة وقتلهم بالسهم أخرى ، ثم تخطى ذلك إلى إخافة سِرْبِه ، وحمله على الائتثار له في كثير مما يوثره ، مما يضع به من منزلته ، وينقص من محله ، فلما كثر هذا عليه ، وخافه على نفسه ، أجمع على النفوذ إلى أحمد بن طولون للاعتصام به ، إذ هو ثقته وعمدته ، ومن خلص له على التجربة ، بتوقفه عن مكاره الخلفاء قبله ، وأن أبا أحمد لما رأى ذلك خاف أن يظلّ مأموراً بعد أن كان آمراً ، وكتب إلى إسحاق بن كنداج في قصده ورده ، فشخص إليه في جمع كثيف ، حتى وافاه بين الموصّل والحديثة فردّه ، وأمير المؤمنين يناشده الله ، ويذكره به ، ويخوفه مروقته عن الدين ، وتقضيه ما أكدته عليه

— عا كر : قال الطحاوي : وكان الأمير أحمد بن طولون من المعرفة بمحنة (بحق بكار بـ) قتيبة ، وإلى إليه والتعظيم لقدرة على نهاية ، وكان يأتي إليه بحضورنا وهو يتلى على الناس الحديث ، على كثره من كان يحضر مجلسه ، وأمر حاجبه أن لا يقطع مستعليه عن الاستملاء . تاليه ثم يصعد إليه إلى المجلس الذي كان يحدث فيه ويقعد مع الناس فيه . أتم بكار مجلسه وهو حاضر لا يقطعه بحضوره إليه .

البيعة ، وإنما قدم عليه وقد فارق الطاعة ، وبرئ من الذمة ، ووجب جهادُه على الأمة ، فلم يُصنع إلى ذلك ، ولا اكترث به ، لما جعل له على ما يأتيه من أمره من الخطام ، فشرهت نفسه إليه ، وإلى ما استباحه من مال من أقام على الطاعة ، ووفى بالعهد والذمة ، حتى أدخله سرٌّ من رأى مأسوراً ، وسلمه إلى صاعد بن مخلد فحبسه ووكّل به ، ومنع من جميع أهله وولده وشملته ، فأصبح مقبوض اليد ، بعيد الناصر ، يخاف على نفسه آناء ليله ونهاره ، عرضة لسوء القول وقبيح الفعل . فالأمة في حرج من القعود عن نصرته ، والأولياء في حنث من نقض بيعته ، والسنن دائرة ، والأحكام ضائعة ، والحق منتبذ ، والعدل شارد ، وغير الله عز وجل تنتظر . فرأى كل من حضر خلعه مما كان أمير المؤمنين بتّه له من ولاية عهده ، والتبري منه ، والجهاد له ، إذ كان قد منع حقوقاً ثلاثة : أولها حق الإمامة ، والثاني حق الأخوة ، والثالث حق النعمة عليه . وأوقع من حضر من الحكم شهادته عليه وفتياه به ، فكتب بذلك عشر نسخ نسقاً واحداً لا يغير بعضها بعضاً ، وفيها خطوط القضاة ، بما نسخته :

يقول عبيد الله بن محمد العمري القاضي بجندي قنّسرين والعواصم
والشغور الشامية ، وجندي حمص ^(١) [وأنطاكية] : قد قرئ عليّ

شهادة القضاة
على كتاب الخلع

(١) في تاريخ ابن عساكر : عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب أبو بكر العمري القاضي من أهل المدينة ولي القضاء بحمص وقنّسرين وأنطاكية والننور النامية وقهم دمشق الإمام ابن طولون وكان من خلع أبا أحمد الموفق بدمشقي

هذا الكتاب ، وهو قولي ، والحق عندي ، والذي أفتيت به ، لما
صحّ عندي من غدر الناكث المعروف بأبي أحمد ، وتعديه وخروجه
عن طاعة أمير المؤمنين أيده الله ، وأنه قد استوجب بما كان منه ، مما
سمي ، ووصف في هذا الكتاب إسقاط اسمه وخلعه وترك الدعاء له ،
وأنه غير مستحق لإمامة المسلمين ، ولا مأمون عليهم ، ولا موثوق
به في ذلك ، وأشهدت عليّ وعلى فتياي من أثبت شهادته في هذا
الكتاب . وكتب عبيد الله بن محمد القاضي بخطه ، في يوم الخميس
لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين .
وكتب عبد الحميد : يقول عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي
بدمشق والأردن وفلسطين : قد قرئ عليّ هذا الكتاب وهو قولي ،
والحق عندي ، وهو الذي أفتيت به ، وقد صحّ عندي غدر الناكث
المعروف بأبي أحمد ، وتعديه وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين أيده
الله ، وأنه قد استوجب بما كان منه إسقاط اسمه وخلعه ، وكتب بخطه .
وكتب أحمد بن أبي العلاء قاضي ديار مصر بمثل ما كتب به
صاحبه حرفاً بحرف .

وتوقف بكار بن قتيبة في شهادته ، فغضب أحمد بن طولون لأنه
لم يشرح كما شرحوا ، ولا شهد كما شهدوا ، وتوقفه كان موضعه من
الورع والدين ، فكتب : شهد بكار بن قتيبة القاضي بمصر والاسكندرية
ونواحيهما على ما سمي ووصف في الكتاب من أولها إلى آخرها من

إحسان أمير المؤمنين أيده الله إلى الناكث أبي أحمد بن جعفر المتوكل على الله وتفضله عليه ، وبما كان من تعديه على أمير المؤمنين ، وأن الناكث أبا أحمد قد استحق بما كان منه خلعه وترك الدعاء له . وكتب بكار بن قتيبة يده .

وأنفذت النسخ ، فكان الخاطب إذا دعا للمعتمد في أعمال أحمد ابن طولون قال بعد ذلك : اللهم استنقذه ممن أسره وجار عليه وقصده ، يريد الموفق ، ثم يدعو للمفوض ثم لأحمد بن طولون . وكتب إلى ابنه أبي الجيش يأمره أن يبعث إلى مكة قائداً جليداً في عسكر كثيف ، يمنع من أن يدعى لأبي أحمد على منابر مكة أو بالموقف أو عرفات ، فأخرج لذلك المعروف بالغنوي وابن السراج في جيش ضخيم ، وأقبل من العراق مع الحاج قائد يعرف بابن الناعمودي^(١) ، وكان على مكة يومئذ هارون بن محمد العباسي ، فعاون أهل مكة أهل العراق ، فكانت الهزيمة على المصريين ، فجرى من ابن السراج كلام كتب به أصحاب الأخبار إلى أحمد بن طولون فأذكره ، فلما قدم أمر به إلى الخليفة^(٢) .

تلاعن الموفق
وأحمد بن طولون
من الثأير

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما بلغ الموفق ما عمله أحمد بن طولون

(١) كذا في ابن الأثير ، وفي الطبري الناعمودي ، وفي الأصل : ساردي

(٢) يقول المؤرخون إن جعفر بن الناعمودي قتل من أصحاب ابن طولون مائتي رجل وانهزم الباقون وسلوا وأخذت أموالهم ، وأخذ جعفر من قائدي ابن طولون نحو مائتي ألف دينار وامن المصريين — والمزاري والمناطين — وكان المصريون فرقوا في هؤلاء مالا لياؤنوم — وفري كتاب في المجد الجامع بلعن ابن طولون ، وسلم الناس وأموال التجار

من إسقاط اسمه وترك الداء له ، أمر بلعنه على المنابر وخرجت براءة بلعنه إلى سائر الأمصار جميعاً فكانت نسختها :

« إن الله عز وجل قرن بطاعته طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة أولي الأمر ، انتخبهم لأعز دينه ، وإقامة معالمه . فقال جل من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فإن عدو الله الملبأين لجماعة المسلمين ، المعروف بأحمد بن طولون ، أظهر ما كان منه من معصية وشقاق ، فيما بين أقاصي المغرب إلى أكناف العراق ' ، ومرق من الدين ، وخالف أمير المؤمنين ، وأخرب ثغور المسلمين ، وقاتل فيها المجاهدين ، بأهل الفسق الملاحدين ، واستباح حريمهم ، وسفك دماءهم ، فلما تبين أمير المؤمنين أمره ، وعرف كفره ، تبرأ منه إلى الله عز وجل ، ولعنه لعناً ظاهراً وأمر بلعنه ليلحقه ذلك من خواص الأولياء وعوام الرعية ، اللهم فالعنه لعناً يفلح حده ، ويقل جنده ، ويتعس جده ، واجعله مثلاً للغابرين ، إنك لا تصلح عمل المفسدين ، يا رب العالمين . »

وكان أحمد بن طولون لما أسقط اسمه والدعوة له على المنابر ، أمر أن يحوا اسمه عن الطرُز التي قد كتبت قبل ذلك ، ولا تُكتب

(١) روى السيوطي أنه كان لأن طولون ما بين رجة مالك بن طوق إلى قصى المغرب . ورجة مالك بن طوق كانت بين الرقة وبنداد على شاطئ الفرات بينهما وبين بنداد مائة فرسخ وبينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حلب خمسة أيام

فما يستأنف ، فلم يبق بمصر ولا بنواحيها ثوب على طرازه اسم الموفق
إلا نقض ، فلحق الناس في ذلك مشقة .

وعمل شعراء الشام في حضرة الخليفة أشعاراً كثيرة ، فمن ذلك
ما قاله إسحق بن طريف المخزومي في شعر له طويل .

شعراء الشام
يحمسون لإنقاذ
الخليفة من أخيه

كيف يرُجى للعهد من نقض العزم دَلَم يَرعَ حُرْمَةَ الأجدادِ
ناكث قد أضلَّ قومًا أطاعوا هُ على نكثِ يعةٍ وفسادِ
أيُّ صومٍ لنا وأيُّ صلاةٍ وإمامُ الهدى أسيرُ الأعادي
أيُّ عذرٍ لكم يَخْذُلُ إمامَ لا بسِ ثوبٍ خيفةٍ وأضطهادِ

وقال عبد الرحمن بن سلامة الشيباني :

هذا الخليفةُ في فِنا أعدائه متذلِّلٌ لهمُ أخو أَسْتَسْلَامِ
متوقَّعٌ للقتلِ كلَّ عَشيةٍ وصباحِ يومِ غَدٍ من الأيامِ
يبكي على أولاده وعباله كبكاءِ ذاتِ الثُكلِ والأيتامِ
غَدروا به غدرَ الجحود لكلِّ ما قد كان أولاهم من الإِنعامِ

وقال منصف بن خليفة الهذلي في شعر طويل له :

أمسى الخليفةُ بعد العزِّ مأسوراً وأصبح اليومَ مقهوراً ومحزوناً
لم يرعَ ذمته أهلُ العراق ولا حموه حين غَدَوْا لله عاصيناً
سلُّوا عليه سيوفَ الغدرِ [مُشرَّعةً] لقتله [وأبانونا ما يُسرُّونا
يكلفون وليَّ الله داهيةً والله يكرهه فيها ما يُجْبُونَا

خليفة الله مأسورٌ ومضطهدٌ والناسُ في دارٍ لهموما [يبالونا]
وقال النابلسي الضرير من شعر له طويل يخاطب فيه أحمد
ابن طولون :

يا سميَّ النبيِّ لا نسيَّ اللهُ لك الذَّبُّ عن حريمِ النبيِّ
دولة الدين والخلافة عزَّت بك لا بالطريد عنها البغي
يعني أبا أحمد الموفق لما فناه المهتدي فرداه المعتمد

أُبْزِلَ أَسْمُهُ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ كَلِّ مَقَامِ أَمْرِي كَرِيمِ سِنِي
رَامَ مَا لَنْ يَنَالَهُ فَلَقَدْ خَا فَا وَخَابَ اعْتَصَامُهُ بِالْخِصِي
يعني اعتصامه بيازمان الخادم

وَلَبِعَدَّاءُ لَهُ وَ[سَحَقًا] لِإِسْحَاقَ قَا الْيَهُودِيَّ دِينَهُ الْخَزَرِيَّ
يعني إسحق بن كنداج في معاضدته له على المعتمد

وقال محمد بن بشر العنسي :

يَا بَنِي الدِّينِ مِنْ مُرَادٍ وَقَحْطًا نَ وَأَ كَفَائِهِمْ مِنْ الْأَقْوَامِ
ضَارِبُوا عَنْ خَلِيفَةِ اللَّهِ بِالِيٍّ ضِرِّ وَقَوْمُوا بِهِ قِيَامَ الْكَرَامِ
حَسْبُكُمْ سُبَّةٌ عَلَيْكُمْ وَعَارًا دَائِمًا عَيْبُهُ مَدَى الْأَيَّامِ
مَا أَصَابَ الْإِمَامَ يَوْمَ ابْنِ كَنْدَا جَ وَقَدْ [جَدَّ] أَمْرَ أَهْلِ الشَّامِ

قال مؤلف هذا الكتاب وتواترت الأخبار من الحضرة إلى
أحمد بن طولون اظهور أبي أحمد الموفق على الناجم البصري وأنه
التحقيق لؤلؤ غلاه
ابن طولون
بالموفق

قد شارف انقبض عليه في آخر سنة تسع وستين ومائتين ، فخرزله ذلك وأقلقه ، وكان الموفق قد أراد لما كان فيه من الفضل والعقل ، وجودة التحصيل ، أن يستشف أمر لؤلؤ في مولاه أحمد ابن طولون ، فقال له : تخرج إليه لتقاتله ، فأسرع الإجابة إلى ذلك ، فنقصه ذلك عنده ، ووضع من عينه ، لأن جميع ما كان يفعله الموفق بأحمد بن طولون ، إنما كان غيره عليه ألا يكون له كما هو لأخيه . وكان يقف على فضله ومجمله فيتأسف ألا يكون له ومعه .

فتقدم الموفق بأن يكتب جريدة بأسماء من شَخَصَ مع لؤلؤ ، وأن تكون عدتهم مائة ألف رجل فارس وراجل . وتقدم سرًا إلى الكتاب بأن يدافعوا عن ذلك ، فظن لؤلؤ أن الأمر حقًا ، فجدد آله ، واستبدل بدوابه ، وزاد منها في عدتها ، وشمر ذيله لمحاربة مولاه ، والموفق يتأمل من حاله في كل وقت ما قد عمي لؤلؤ عنه ، ويقدر أنه لا ينتقد عليه قُبْحَ ما قد عمل على أن يحمل نفسه عليه .

حدثنا عبد الله بن الفتح عن ابن الداية ، وكانت له من أبي أحمد الموفق منزلة ، قال : لما تأمل الموفق أمر لؤلؤ ، وما عزم عليه في أمر مولاه ، فنقصه بعد سروره كان لمجيئه إليه ، فتوقف عن

الرجوع عن
اللعن في بلاد
الشرق وبلاد ابن
طولون

إنفاذه ، وأمر كاتبه صاعد بن مخلد وجماعة من خاصته بمكاتبة أحمد بن طولون ، وتوبيخه على المبادرة بخلفه ، وإسقاط اسمه ، ويقولون : إنه إنما كان يجب أن تفعل ذلك لو رأيت بالخليفة حادثاً ، فأما ولم يجر إلا منع أمير المؤمنين من فعل شيء أثره ، لو بلغه لعاد عليه وعلى مملكته ضرر ، فذلك غير منكرب موجب مائسرت إليه ، لأنه ليس قادحاً في عمن ، ولا يُخرجاً عن بيعه ، ولا عادلاً عن طاعة ، وأنت تعلم أن خواص الملوك يردون أمرهم في كثير مما يحبونه احتياطاً لهم وعليهم ، ولا يخرجون به عن طاعة ، ولا يحتشون في بيعه ، وأنه قد كان يجب عليك أن تصون نفسك عن سوء الظن بنا ، في أننا نستجيز أن نحدث في أمير المؤمنين حادثة ، نبراً إلى الله الكريم منها ، ويحلفون أن اللعن الذي خرج عن غير إرادة مني ولا محبة ولا اختيار ، وأني لكاره لما جرى من ذلك ويشيرون عليه بأن يكاتبني بما يزيل به ما قد وقع بيننا وبينه .

قال : وكتب بما أمرهم به إليه عن أنفسهم ، وحلفوا له على كراهية الموفق لما جرى من اللعن وغيره ، ويقولون في كتبهم إليه إن الأحسن بك والأجل ، لما خصك الله به من الفضل ، والمحل الجليل ، والمروءة المقرونة بالدين ، أن تكتب إليه تذكر فيه ما أنت مؤثر له من طاعته ، وما توجبه من حقه ورعايته ، وما يشا كل ذلك مما أنت بحميل فعلك ووافر تحصيلك ، أهدى إليه إن شاء الله .

وَضَمِنْتَ الْكُتُبَ مَا لَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ مِنْ اسْتِعْطَافِهِ ، وَمَا يَبْعَثُهُ عَلَى
إِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا حُبَّوهُ ، وَأَنْفَذْتَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلْتَ إِلَى
أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ الْكُتُبَ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكْتُبُوا إِلَّا بِمَا اخْتَارَهُ الْمَوْفُقُ
وَأَمَرَهُمْ بِهِ ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ وَأَجَابَ جَمَاعَتَهُمْ يَقُولُ : إِنْ الْمَوْفُقُ أَحَدُ
مَوَالِيهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا انْحَرَفَ عَنْهُ لِحَصْرِهِ الْخَلِيفَةَ ، وَأَسْرَهُ إِيَّاهُ ،
وَأَنَّهُ لَوْ خَلَّاهُ مَعَ اخْتِيَارِهِ ، وَأَزَالَ عَنْهُ الْمَوَانِعَ الَّتِي أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا ،
وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَامْتَثَلَ أَمْرَهُ عَلَى رِسْمِهِ كَانَ ، وَلَمْ
يَنْحَرَفْ عَنْ طَاعَتِهِ ، وَلَا عَدَلَ عَنْ مَحَبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ ، لَكَانَ كَبَعْضِ
خِدْمَتِهِ ، وَأَنْ جَمِيعَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ مَالٍ عَمَلُهُ مَحْفُوظٌ لِلْخَلِيفَةِ ، وَإِنْ أَقَامَ
عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَصْرِهِ إِيَّاهُ فِي يَدِهِ وَتَوَكَّلَ بِهِ ، حَارَبَتْ عَنْهُ وَلَوْ لَمْ
يَبْقَ مَعِيَ أَحَدٌ ، فَأِنِّي أَرْجُو أَنْ أَرْزُقَ الشَّهَادَةَ عَلَى حَسَنِ الطَّاعَةِ .

وَكَانَتْ الْكُتُبُ قَدْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ سَرًّا فَأَنْفَذَ الْجَوَابَ عَنْهَا سَرًّا .
فَلَمَّا وَصَلْتَ إِلَى الْمَوْفُقِ ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا سَرًّا مَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَاسْتَحْسَنَ
هَذَا الْفِعْلَ مِنْ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ ، وَأَنْ ذَلِكَ مِنْهُ إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِرَادَةِ
قُوَّةٍ فِي طَاعَتِهِمْ ، وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ فِي مَوَالِيَتِهِمْ ، وَكَانَ الْمَوْفُقُ كَامِلُ
الْعَقْلِ ، مَتَمَكِّنًا مِنْ نَفْسِهِ ، حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ ، ذَكِيَّ الرُّوحِ ، فَسَكَنَ
ذَلِكَ مِنْهُ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ ، وَأَمَالَ قَلْبَهُ إِلَيْهِ ،
فِي كَلَامِهِ ، وَأَيْسَ مِنْ أَنْ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ يَتَخَلَّى عَنْ الْقِيَامِ بِأَمْرِ
الْمُعْتَمَدِ ، فَفَعَلَ لِلْمُعْتَمَدِ كُلَّ مَا اخْتَارَهُ ، وَنَقَلَ إِلَى قَصْرِهِ ، وَبَلَغَ لَهُ كُلَّ

ما يجبه ، وأزال الموكلين عنه والتشديد عليه ، فأضرب عن كل
ما قد عزم عليه في أمره ، كل ذلك [رعاية] لأحمد بن طولون ،
ولكبره في نفسه وحاله وقوة يده ، وفضله في قلبه ، وامثل كل
ما رسمه في كتبه وزيادة عليه رضا له ، وراسل الموفق المعتمد يقول له
ما اختار لعنه وإنه لنادم عليه ، وعلى كل ما جرى في أمره ،
وشكر له حسن محافظته عليه ، وحسن طاعته له ، وسأله مكاتبته
بما يزول به ما بينهما . فسر المعتمد هذا من أخيه الموفق

وكتب إلى أحمد بن طولون كتاباً بخطه يسأله الرجوع عما
هو عليه لأبي أحمد الموفق ، ويعرفه ما جرى في أمره ، وما فعله
ورجع عنه ، ويشكره على ما كان منه ، حتى عاد له الأمر كما أحب .
ويسأله أن يرد الدعوة له على المتأخر ، وإعادة اسمه إلى الطهر ،
 ويعود إلى ما كان عليه من استقامة الحال ، وأنفذ الكتاب إليه
مع الحسن بن عطف ، وأنفذ معه كتاب الموفق بخطه ، بإسقاط
اللعن عن أحمد بن طولون ، فلما بلغ الحسن بن عطف الرقة بلغته وفاة
أحمد بن طولون فرجع إلى الحضرة .

وكان قد اتصل بلؤلؤ غلامه أن مولاه قد باع نساءه وأولاده
في سوق الرقيق بمصر ، وقبض على جميع ما كان له في داره ، فبلغ ذلك
منه كل مبلغ ، وأقبل إلى الموفق فبكي بين يديه وقبل الأرض ،
خيانة لؤلؤ
وتفضيل الخارج
والربيع عليه

وعرفه ما بلغه عن حرمة وأولاده ، وسأله إنفاذ الجيوش معه على ما كان عزم عليه ، وضمن له أنه المجهود في طاعته ، حتى يأخذ له البلد ، وبسط لسانه في مولاه ، ولم يدع شيئاً يُغري به الموفق ويوحش به قلبه على مولاه حتى نقله ، فوعده الموفق بإفناذ الجيوش معه ، وخلع عليه ، وحمل على دابة من دوابه ، وتقدم ، إلى الكتاب بتجريد الجيوش معه . كل ذلك سخرية به ومدافعة ، إلى أن يرد الجواب مع الحسن بن عطاء ، فيقبض حينئذ على لؤلؤ رضاء أحمد بن طولون لما شاهده من انحرافه عن مولاه ، وقبح فعله بمن رباه وأحسن إليه ، وكان هذا الفعل من الموفق لما فيه من العقل والرياسة والمروءة ، وعمل على أن يوكل به ويرده إلى أحمد بن طولون عند ورود جوابه عليه .

قال مؤلف هذا الكتاب : و [ما] كان فعل لؤلؤ في أمر مولاه كفعل الخارجي في الحجاج بن يوسف ، على أن رأي الخوارج في الحجاج وغيره من الولاة معروف . حدث مروان بن الحكم الأزدني قال : أتني الحجاج بن يوسف بخارجي خرج عليه فقال : اضربوا عنق ابن الفاعلة ^(١) ، فقال له الخارجي : بشما أدبك أهلك يا حجاج ، أبعد الموت منزلة أصانعك لها ؟ ما كان يؤمنك أن ألقاك بمثل ما لقيتني به ؟ فقال له الحجاج : صدقت لله درك ، وأطلقه . فرجع الخارجي إلى [أهله] ، فلما كان بعد وقت من الزمان ، عزم الخوارج على قتال

(١) في دمر الآداب : ابن الفاعلة

الحجاج ، فقالوا لذلك الخارجي : ارجع معنا إلى قتال الحجاج ابن
 القاعلة ، فوالله ما أطلقك هو بل الله عز وجل الذي أطلقك ، فقال
 لهم : هيهات غلّ يداً مُطْلَقُها ، واسترقّ نفساً معتقها ^(١) وأنشأ يقول ^(٢) :
 أُقَاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ مَلَكُوتِهِ ^(٣) يَدِي نَقَرْتُ بِأَنْهَا مَوْلَانُهُ
 [إِنِّي إِذَا لَا أَخُو الدِّنَاءَةِ وَالَّذِي عَقَّتْ عَلَيَّ عِرْفَانُهُ جَهْلَانُهُ]
 ماذا أقول إذا وقفت حياله في الصفِّ واحتجبت له فعَلَانُهُ
 وتحدث الأقوامُ أن صنيعه ^(٤) غُرِسْتُ لَدِي فَحَنَظَلْتُ نَخْلَانُهُ
 أَأَقُولُ جَارَ عَلِيٍّ ؟ إِنِّي فِيكُمْ لَا أَحَقُّ مِنْ جَارَتِ عَلَيْهِ وَلَانُهُ
 والله لا خُنتُ الأَمِيرَ بَالَهُ وجَوَارِحِي وَسِلَاحُهَا آلَانُهُ
 أَجِدُ الْحَزَابَةَ أَنْ أَكُونَ مُصْعِرًا ^(٥) خَدَيَّ أَوْ مَكْفُورَةً حَسَنَانُهُ ^(٦)

فهذا على أنه خارجي لا عهد له ولا عقد ، شكر الحجاج على ما
 فعله في أمره ، وما من به عليه ، فمنعه ذلك من الإساءة إليه والعودة
 إلى ما يكره ، ولولئ لو كفر أيادي مولا ، وإحسانه إليه ،
 وإنعامه عنده ، ولم يشكر شيئاً منها ولا رعاه ، وقد منّ عليه
 بالأموال ، وصير له الجاه العظيم ، بعد أن ربا صغيراً في حجره
 كأحد ولده ، وأوطأ عقبه ^(٧) الرجال كثيراً . وأمره على من هو خير

(١) في أمثال الميداني : واسترقّ رقبة . معتقها ، قال : وهو مثل يضرب لمن يستعبد بالاحسان إليه .
 (٢) صححت هذه الآيات على تاريخ ابن عساكر وعلى زهر الآداب للعصري . وفي ابن
 عساكر زيادة بيت غير مفهوم . وقيل إن هذه الآيات لعمران بن حطان أحد رؤساء الخوارج البلاء .
 (٣) في ابن عساكر وزهر الآداب : عن سلطانه
 (٤) ليس هذا البيت في ابن عساكر ولا الزهر وهو في الأصل :
 أحب المراه أن أكون مصعراً خدي أو لعناء كاهراً حسناً
 (٥) أي كثر أتباعه

منه أماً وأباً وجالاً ومحلاً ، لشتان بين الرجلين ، والحديث شجون .
قال المنصور للربيع حاجبه ومولاه ، وإنما ملكه كبيراً ، وقدمه
واصطفاه رجلاً : يا ربيع ، سل حاجتك ، فلقد سكت حتى نطقت ،
وخففت حتى ثقلت ، وقللت حتى كثرت . فقال : والله يا أمير
المؤمنين ما أُرهب بخلق ، ولا أستقصر عمرك ، ولا أغتنم مالك ،
وإن يومي بفضلك عليّ لأحسن من أمسي ، وغدي في تأمليك
أحسن من يومي ، فلو جاز أن يشكرك شاكر بعين الخدمة والمناصحة
لأسبقني إلى ذلك أحد . فقال له : صدقت عليّ بذلك أحلك مني
هذا المحل ، فسل حاجتك ، فأني أقسم عليك لتفعلن ، فسأله أشياء
فوقع له بها وبجائزة حسنة .

وما يُشكُّ في أن لؤلؤاً قد وصل إليه من مال صاحبه أكثر
مما وصل إلى الربيع ، لأن المنصور كان رجلاً متقللاً قنوعاً ، فكان
في عطائه على قدر ذلك . ثم ازدادت حال الربيع حتى قلده وزارته
بلزومه مناصحته .

مصدر لؤلؤ

قال : ونزلت حال لؤلؤ عند الموفق ببغية الوبي ، وأصله الداني ،
وفعله الردي ، حتى قبض عليه ، وأخذ جميع ما كان في يديه ،
فلما صيره ظرفاً فارغاً ، أطلقه كلباً والفاً ^(١) ، كل ذلك كان

(١) ولغ الكلب في الاناء وفي الشراب ومنه وبه : يلغ كيهب ويالغ وولغ كورث ووجل
ولغاً ويضم وولوغاً وولغاً بمركبة شرب ما فيه بأطراف لسانه أو أدخل لسانه فيه فحرکه .

من الموفق غيظاً عليه ، لا شاهده منه في أمر مولاه .
ولمَهدي بلؤلؤ في آخر أيام هارون بن أبي الجيش خمارويه ،
وقد دخل إلى الفسطاط فمأراه إنساناً ، ولا أولوه إحساناً ، ومنعوه
أن يلبس سيفاً ومنطقة ، فكان ير كب بدراعة ، و غلام واحد
بين يديه ، كأنه من بعض وكلاء الريف ، فكان ما نزل به ثمرة
العقل السخيف ، والفعل القبيح



سبب موت احمد بن طولون ولكل أجل كتاب

قال مؤلف هذا الكتاب : أول ذلك أن يازمان الخادم ، لما خلا ذرعه بوفاة موسى أخي أحمد بن طولون وإبراهيم بن عبد الوهاب اليتيم ، تمكن من طرسوس وخلت له ، [فتاربه خلف^(١)] وكان قد استمال طائفة من مطوّعيها ، فوثّبهم على خليفة طخشي الذي استخلفه موسى عليها ، لما حضرته الوفاة فأخرجوه عنها ، واتصل خبره بأحمد ابن طولون ، وهو يومئذ بدمشق ، وخاف التدبير عليه ، فسلك طريقاً متجافاً ، ووجه إلى الخايض والقناطر بن يمنع منها أن تقع عليه حيلة فيها ، حتى بلغ المصيصة^(٢) فأقام بها ، وكاتب يازمان وراسله بالشيوخ يدعوهم إلى الطاعة وترك المشاقّة ، والالتقياد إلى أمره ،

ما جرى لابن
طولون مع يازمان
رجوعه مغيظاً
مخفياً

(١) تتجلى هذه المادثة بما أورده الطبري في حوادث سنة ٢٦٩ قال : وفيها كان وثوب خلف صاحب أحمد ابن طولون في شهر ربيع الاول منها بالثغور الشامية وهو عامله عليها يازمان الخادم مولى الفتح (منلق) ابن خاقان فحبسه ، فوثبت جماعة من أهل الثغر بخلف وخلصوا يازمان ، وهرب خلف ، وتركوا الدعاء لابن طولون ولعنوه على المنابر ، فبلغ ذلك ابن طولون فخرج من مصر حتى صار إلى الشام ، ثم صار إلى الثغور الشامية فغل أذنة ، وسد يازمان وأهل طرسوس أبوابها ، خلا باب الجهاد وباب البحر ، وبقوا الماء فجري إلى قرب أذنة ولاحوها ، فتحصنوا بها ، فأقام ابن طولون ياذنة ثم انصرف ، فرجع إلى انطاكية ثم مضى إلى حمص ثم إلى دمشق فأقام بها

(٢) المصيصة : من بلاد الثغور تسمى اليوم سيس والفرنجة (Mopsueste) ويقول البكري في معجم ما استعجم : المصيصة بكسر أوله وتشديد ثانيه بده ياء ثم صاد أخرى مهملة : نمر من ثغور الشام معروف . قال أبو حاتم قال الأصمعي : ولا قل مصيصة بفتح أوله

وببذل له الأمان ، ويُخيره بين الخروج منها سالماً مسلماً مرفوراً ،
وعينت أسباب الشر والمخاربة ، أو يقيم عليها غلاماً من غلامه من قبيله ،
فلم يجبه إلى واحد منهما . فدخل إلى أذنة ^(١) ، وكاتبه أيضاً منها
فلم يجبه ، فزحف إليه فوجده قد تحصن بها ، ونصب منجنيقاته
وعرّاداته ^(٢) على سورها ، فنزل أحمد بن طولون بمرجها ، وأحاطت
عساكره بحيطانها ، ففجر يازمان عليهم نهر البردان ^(٣) ، وكان ذلك
في كانون الأول ، وأوان شدة البرد والمطر . فكاد أن يغرق أكثر
عسكر أحمد بن طولون ، فرحل عنها ليلاً بعد أن غرق المرج وما
حول مدينة طرسوس ، وغرقت المضارب والخيم ، وكل ما كان في
العسكر ، فلم يتهياً له مقام ساعة واحدة ، ووافى إلى أذنة فكتب
إليه كتاباً يقول فيه :

أما والله أيها الناقص الأنذل ^(٤) ، لولا [إرادة] إبقائي على ثغور
المسلمين ، وكراحتي أن أفتح عليها للعدو معرفة تكون سبباً
لهلاكها ، لعلمت أن مثلك لا يقاوم غلاماً من غلامي ولا بعشره ، فلما
انتصرت بما فتحت ففرقت به ما لا يمكن دفعه إلا بما فيه هلاك الثغر

(١) بوزن حسنة بلد من الثغور قرب المصيصة ويقال لها اليوم أطنه وهي حاضرة كيليكيا
(Cilicie) من الكور الكبرى في آسيا الصغرى

(٢) العرادة بالشديد : هي أنصر من المنجنيق شبيهه والجمع الرادات والمنجنيق ومكسر الميم :
آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق والجمع منجنيقات ومجانيق

(٣) اسم هذا النهر اليوم قرصو أي النهر الأسود وبالأفرنجية Cydnus

(٤) التذل والتذيل الخسيس من الناس والمهتر في جميع أحواله والجمع أنذال ونذول ونذلاء ونذال

انصرفت كافاً يدي ، محافظاً لله عز وجل ولجماعة ساكني الثغر ،
لا محافظة لك ولا عجزاً عن حملتك الضعيفة والسلاح .
وأصبح أحداث طرسوس في حوا (?) إلى ما غرق من الآلات
التي زرعتها أهلها لما غرقت بالماء فنهبوها

وانصرف أحمد بن طولون عن يازمان ، بغيط عظيم ، قد تمكن
في قلبه منه ، إن شفاء أهلك ثغور المسلمين وبلغ منبته ، فرأى أن
كظمه ، وتحمل غيظه لما كان فيه من الدين والخير ، أعود عليه في آخرته .
وطال مقامه بأذنة ، وكان ذلك في عنفوان اشتداد البرد كما
ذكرنا متقدماً ، فمات من سودانه خلق كثير ، لأنهم بقوا بطول
مقامهم عراة في البرد . وتساقط من الدواب مثل ذلك من كثرة
الثلوج ، فلما زاد الأمر عليه رحل إلى المصيصة ، فاجتمع إليه
وجوه قواده وكبار أصحابه فقالوا له : لا تبرح أوزيرول هذا البرد ،
وتعود إلى يازمان ويمكنك الله جل اسمه منه . فقال لهم : والله لا يراني
الله عز وجل وأنا أجهز جيشاً لمحاربة طرسوس إذ كانت سكن الإسلام .

فأقام بالمصيصة ثلاثة أيام ، وقد نالته علة من البرد ، فلم يبلغ
أنطاكية حتى زادت علته ، وكان بدؤها هيضة : أكل ابن جواميس
فاعتراه بعد الهيضة قذف فأعقبه في كثير ، فكان بدؤه سبباً صغيراً
كما قال ابن الربيعي :

بدء علة ابن
طولون ورجله
إلى مصر وما وقع
له مع طبيبه

لا تَحْقِرَنَّ سَبِيًّا كَمْ جَرٌّ شَرًّا سَبَبُ
وتزايدت علة الدَّرب^(١) . وكان طيبيه سعيد بن توفيل^(٢) ،
فوجده قد خرج إلى بعض الديارات هناك ، فاغتاظ لذلك عليه ،
وضاق له صدره ، فزاده الغيظ هيضاً ، فلما وافاه طيبيه سعيد
أغلظ له القول ، ومنعته عزة نفسه أن يشكو إليه أمره وما ناله ،
والعلة تزبد قليلاً قليلاً وتستحكم . ثم دخل إليه طيبيه في الليلة
الثانية فاشتم منه رائحة نبيذ ، والنبيذ عند النصارى فهو والله دينهم
وعاداتهم ، وقال له : لي يومان في هذه العلة وأنت لأم شارب
وتأثنتني متنبذاً فقال له : طلبني الأمير أيده الله بالأمس و كنت في
بيعة^(٣) يتبرك مثلي بالصلاة فيها ، ويسافر إليها من البلدان البعيدة^(٤) ،
فلما قربت منها استغنمت ذلك ، فلما جئت لم يخبرني سيدي الأمير بما
جرى بعدي ، فقال له : أما كان يجب أن تسألني عن حالي ؟ فقال له :
خفت سوء ظن سيدي الأمير ، ولم يجوز أن أسأل أحداً من الحاشية
عما لا يعلمون صحته ، وشربي النبيذ فإنما آخذ منه الشيء اليسير ،

(١) الدَّوْرَب : فساد المعدة

(٢) ذكر ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء أن الحسن بن زيرك كان طبيباً بمصر في أيام
أحمد بن طولون يصحبه في الإقامة فإذا سافر صحبه سعيد بن توفيل

(٣) الغالب أن هذه البيعة هي بيعة القسيان في انطاكية وصفها ابن بطالان في القرن الخامس
وصفاً دقيقاً وقال كلاًه ياقوت في مادة انطاكية

(٤) في طبقات الأطباء : فقال : يا سيدي طلبني أمس وأنا في بيعتي على ما جرت عادتي ،
وحضرت فلم تطهرني

لأننا نأخذ في قرباننا ديناً ، لا أشربه كما يشربه الناس ، وأنا مشغول
بخدمة الأمير . فقال له الأمير : فما الحيلة الآن ؟ قال : تمتنع من الغذاء
الليلة ، فلا تذوق شيئاً قل ولا جل ، بوجه ولا سبب ، ولو قرمت^(١)
إليه بكل نوع من الشهوة له ، ونتحمل ذلك على كل حال . فقال له :
ويحك فأنا والله الساعة جائع شديد الجوع وما أصبر . فقال له :
الله الله أيها الأمير ، فإن هذا جوع كاذب لبرد معدتك تجده .
فلما كان في نصف الليل اشتد به الجوع فلم يصبر ، وعاد ذلك الحزم
فيه نقصاً ، فدعا بشيء فأكله ، وأتى بطبق فيه فراريج [حارّة] مشوية
وخروف وجدي بارد ، فأكل من كل ما رآه ، فلما حصل في معدته
انقطع عنه الإسهال .

قال نسيم الخادم : فلما وقفت على ذلك خرجت إلى سعيد بن
توفيل وهو قائم في الدار فقلت له : قد أكل مولاي الساعة من خروف
وجدي وفراريج وبزماورد^(٢) ودجاج ، فخف عنه القيام وامتنسك .

(١) القرم محرّكة : شدة شهوة اللحم وكثرة حتى قيل في الشوق إلى الحبيب

(٢) الزماورد : طعام من البيض واللحم وقول النامة بزماورد أصوب لأن فارسيته بزماورد
(الألفاظ الفارسية المربة لادي شير) وفي كتاب الطبخ لمحمد بن الحسن الكاتب البغدادي أن
صنعت أن يؤخذ الشواء الحار الذي قتر وجهه ويقطع ويجعل عليه ورق النعم ويسير من خل خمر
وليون مملوح ولب جوز ويرش عليه يسير ماء ورد ويدق بالساطور دقاً ناعماً ولا يزال يستقى
خلّاً إلى أن يشربه جيداً ويؤخذ الحبز السميد الفائق اللب فيخرج لبايه ثم يمحي من ذلك الشواء
حشواً جيداً ويقظم ويل بالماء وينشف ويرش فيه ماء ورد ثم يفرش فيه نخم طري ويبقى فيه بعضه
فوق بعض وينطى أيضاً بشيء من النعم ويترك ساعة يستعمل

فقال : الله المستعان ، والله أمر هو بالقه . ثم قال لي : ضعفت القوة المدافعة بقهر الغذاء لها قليلاً ، وستتحرك خركة شديدة قال : فوالله ما جاء السحر حتى قام أكثر من عشرة مجالس . ورحل عن أنطاكية وعلته نزايد ، إلا أن في قوته احتمالاً لها . ووافى إلى دمشق فأقام بها لتسكن علته .

وكان ابن أبي الساج قد كاتبه ، وعزم على أن يوجه إليه ابنه يكون عنده رهينة بالوفاء ، وإظهار الدعاء له في أعماله بالجزيرة ، فظن أحمد بن طولون أن رأيه فيما أظهره صحيح ، فأنفذ إليه عبد الله ابن الفتح وطبارجي ومعهما الخلع والجوائز والخيل ، على أنه إن وفى بما ذكره ، ودخل في طاعته ، سلما إليه المال والخلع وما حمل إليه ، وثبتا اسم أحمد بن طولون على الجزيرة وأعمالها .

ولما قرب طبارجي من ابن أبي الساج خشي أن يكون ذلك حيلة عليه ، وكان أحمد بن طولون قد تقدم إليهما بالقبض عليه ، فولى هارباً ، فرجع طبارجي وابن الفتح إليه فعرفاه بما فعل فعجب من ذلك . وخاف سعيد بن توفيل عليه من نزايد العلة ، فأشار عليه بالرحيل إلى مصر ، فاستخلف على دمشق ابن دغباش ، وقلد عبد الله بن الفتح الرقة ، وجعل أنعج على السيارة بينهما ، ورحل على عجلة عملت له موطأة ، يجرها الرجال قليلاً قليلاً ، لأنه لم يتهياً له ركوب بغل ولا قبة ، لئلا نتحرك على ذلك [علته] ، فسار بهذه الحال حتى بلغ

الفرما^(١) ، فشكبا إزعاج العجلة أيضاً له ، فركب الماء في المركب
يخبث قليلاً قليلاً حتى وفي إلى القسطنطينية ، وركب من ساحل
القسطنطينية إلى الميدان .

توبيخه للقاضي
بكار لامتناعه عن
خلع الموفق

فلم يستقر في داره حيناً حتى أحضر بكار بن قتيبة القاضي
فسأله عن امتناعه من التصريح كما صنع غيره في أمر الموفق ، وقال
له : لم توقفت عن خلعه ، وقد حصر الخليفة وأسر وقهره واستبد
بالأمر دونه ، أمثل هذا لا يخلع ؟ ويؤمر على المسلمين لمخالفته رب
العالمين ، فقال له بكار : أنت أوردت عليّ كتاباً من الخليفة المعتمد
بتوليته العهد ، فلو أوردت عليّ كتاباً من الخليفة المعتمد أنه قد
خلعه ، وأما بخلعك أنت له أخاه أنا لا يجوز لي غير ما عملته ، إذ لم يجوز
لي أن أقبل الأمر بنصه . فقال له : صدقت ، أثبتك لعمرى بكتاب
منه بتقليده العهد وهو مطاع القول ، وهو اليوم محصور مأسور
مضيق عليه ، قد نكث عهده من قلده إياه ، ولم يُجازِه على جميل
فعله به ، واستبد بالأمر دونه ، وحصره وقهره ، فوجب بذلك على المسلمين
خلعه . فقال له بكار : ما أقول في هذا شيئاً إلا بحجة أثبتها . فقال
له أحمد بن طولون : أنت شيخ قد خرفت ، ونقص عقلك ، وأعجبك

(١) الفرما : على ساحل بحر الروم وهي قصبة الجفار على فرسخ من البحر حاضرة آهلة عليها
حصن ولها أسواق حسنة (قاله المقدسي) وهي اليوم خراب . وفي معجم ما استعجم : الفرما بفتح
اوله وثانيه ممدود على وزن فعلاء وقد تقصر مدينة مروفة تلقاء مصر . والجفار واحدها الجفرا
ن (بفتح الجيم وإسكان الفاء) البئر ليست بمطوية .

قول الناس « بكار وبكار » فدعاك ذلك إلى أن خرجت عن جملة من شهد بأنه مستحق للخلع ، وخارج عن طاعة أمير المؤمنين ممن فيه الخير والدين ، ثم أقامه للناس في الميدان ، وأمر بتحريق سواده فحرق ، وحبسه في داره . فكان بكار في كل جمعة يلبس ثيابه وطويلته^(١) ويخرج إلى باب الدار التي هو معتقل فيها ، يريد الجامع الجامع لصلاة الجمعة ، فيقول له الموكلون : ما إلى الخروج ، أيها القاضي ، سبيل ، إلا أن تؤمر . فيقول لهم : الله شهيد على أني أرجع إليكم ، فيقولون له : ما إلى ذلك سبيل . فيقول : اللهم اشهد ، اللهم اشهد . ويرجع . فرفع ذلك إلى أحمد بن طولون فأرسل إليه يقول : زعمت أن المحجور عليه بأمر وينهي ويكتب ويكتب ، فكيف حال الممنوع ؟ فما تريد أنت أيضاً ؟ أوردت عليّ كتاباً من الخليفة بتقليدك القضاء فأنفذت ذلك لك ، والآن فقد منعتك ، فتورد عليّ كتابه برّدك حتى أردّك . فأقام في الحبس مذ قدمته الأولى من الشام إلى عودته الثانية منها .

وتفرغ [أحمد بن طولون] لأشياء كانت في نفسه ، فمنها هزيمة صاحب دار هزيمة ، أوقع به واصطفاه جميع ما ملكه وحبسه ، لأنه كان رُفع إليه قال : توهمنا أننا نخدم إمارة ، ولم ندر أنها خلافة ، إلا إنها خلافة وسخة مخوفة العاقبة .

عقوبة من
استصغر أمره
وزهد في تجارة
كانوا حسنها له

(١) أي قلنسوته الطويلة كما صرح بذلك الطبري في حوادث أول سنة ٢٣٩ حيث وصف دخول العلويّ عسكر الموق قال : وعليه قباء ديباج وقلنسوة طويلة . وقال الملاحظ في البيان : فإن كانت القلائس مكشوفة زادوا في طولها وحدة رؤوسها . وقال في أخلق الملوك : كان الحجاج إذا وضع على رأسه طويلة لم يجترأ أحد من خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلاً .

وإنه اجتاز بـبكار بن قتيبة وقد أقيم للناس فقال له : عز علي ، كفانا الله وإياك ، فما هذا مقامك ، فحبسه في المطبق حتى مات فيه .
وأوقع بزياد المحدث في لأنه بلغه عنه أنه سمع حسن بن مهاجر كاتبه^(١) ، وقد لحن في لفظة ، فضحك منها . وكان أيضاً القواد كلهم يبغضونه ويسبونهم لفصاحته وعجمتهم ، ولأن أحمد بن طولون تقدم إليه أن ينتسب إلى ولائه فقال له : أيها الأمير ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ملعون من انتسب إلى غير مواليه . وجماعة من بالمغرب يشهدون بعنق أشهب لي ، فأمسك عنه . وبلغه أيضاً أنه كان يعيب ألفاظ أحمد بن طولون ويقول : كان أشهب مولاي أسد راباً ، وأحق بالرياسة منه ، فحبسه حتى مات في حبسه .

وقبض على أبي الضحاك محبوب بن رجا وأخذ جميع ما كان له وحبسه في المطبق ، وقال له : أنت كنت السبب في خروج ابني العباس إلى الغرب بالتضريب^(٢) بينه وبين الواسطي ، وإنفاذك كتب الواسطي إلى ابني العباس بما كان يطالعني به من أمره ، وأغريته به ، وملأت صدره عليه ، لتقتل الواسطي وتنفرد بموضعه

وكان معمر الجوهري قد حسن له التجارة ، فحمل إليه مالا على أن يشغله له في كتان . فرأى فيما يرى النائم كأنه تمشش^(٣)

(١) في الاصل : كتابه

(٢) التضريب بين القوم : الإغراء

(٣) التمشش : من اطراف النظام

عظماً ، فدعا بالعسال المفسر ، وكان حاذقاً بالعبارة ^(١) ، فقصَّ عليه ما رآه فقال له : أسفَّت نفس الأمير إلى مكسب لا يشبه خطره ومحلّه ، فدعا بإبراهيم بن قراطغان ، وكان من أحد ثقاته ، ويتقلد صدقاته ، فقال له : امض إلى أبي الحسن معمر ، فخذ منه ثمن الكتان وتصدق بجميعه ، ففعل ذلك ، وكان مالاً واسعاً .

شكوى طيبه من
استبداده وعدم
سماعه نصائحه

حدث إسحاق بن إبراهيم قال : قلت لسعيد بن نوفيل طيب أحمد بن طولون ، وقد صار إليّ بعد قدومه بيوم يسلم عليّ ، ويشكو إليّ ما عاناه من علة أحمد بن طولون ، وكان يخدم أبي وعمي قبله : ويحك ، أنت حاذق في صناعتك فارِه ^(٢) فيها ، وليس لك عيب إلا أنك مُدِلٌّ بها ، غير خاضع لمن تخدمه بها ، والأمير وإن كان فصيح اللسان ، هو أعجمي الطبع ، وليس يعرف أسباب الطب ، ومقدار صناعته ، فتدل فيها عليه ^(٣) فيحتمل ذلك لمقدار محل الطب والحاذق فيه ، وقد أفسده أيضاً عليك إقباله ، فالطف له وارفق به وداره ، وخاطبه من حيث يشاء ، واخدمه كما يختار ، وواظب على أمره ، واحتمل شيئاً إن جرى منه ، فإن احتمالك يثنيه عما لعلك تنكره . فقال لي : والله ما خدمتي له إلا كخدمة الفقار للسنور ، والسَّخْلَة

(١) تبيّر الرّؤيا يقال عبر الرّؤيا عبراً وعبارة وعبّرهما فسرهما وأخبر بآخر ما يؤل إليه أمرهما
والعسال هو ابو علي الحسن بن محمد بن أحمد المصري كان في تفسير الرّؤيا عجياً من العجائب وسمع الحديث
توفي سنة ٣٠٢ هـ (أنساب السطاني) (٢) حاذق (٣) وفي رواية : يدبر نفسه بها وينقادك

للذئب ، وحذري منه كحذرهن ، وإن قتلي لأحب اليّ من صحبته ، لأنه يُنكر عليّ مالا ينكر ، ويخالف من علاجه ما ينفعه ، ويسارع إلى ما أحذره منه ، وأنها عنه ، فإذا حدث ما يكرهه نسبني إلى أني قصرت في علاجه ، وجعل الذئب لي . قُلت له : فأنت على هذا مرحوم ، أعانك الله بلطفه .

محاولة قائدین
الاعتداء على بلاد
تعد من عمل ابن
طولون

فلما اشتدت علة أحمد بن طولون أرجف إسحاق بن كنداج وابن أبي الساج بموته وأذاعا [ذلك] ، وطمعا في الوثوب على أعماله التي تقرب منهما . وبلغ ذلك أحمد بن طولون فكتب إلى أنعج يأمره بالمصير إلى عبد الله بن الفتح ليعاضده ، وكتب إلى ابن دعباش يأمره بعاضدتهما ، إن احتاجا إليه ، ووصاهم بأن تكون كلمتهم واحدة ، وقلوبهم متفقة ، وأمر بمضاربه فأخرجت إلى منية الأصبح^(١) ، وأنفذ إلى الشام جيشا فيه خاقان ويلبق ، وأقام في مضاربه نحواً من شهر ، ونفذت بذلك الأخبار إلى ابن كنداج وابن أبي الساج فكفّ ذلك منها طمعها ، ومنعها مما كانا قد عزموا عليه .

وكان أحمد بن طولون إذا جرى ذكر إسحاق بن كنداج يقول : قال اليهودي كذا ، وفعل اليهودي كذا ، لأن الخزر^(٢) كلهم يهود .

(١) في ياقوت أنها شرق مصر . مسوبة إلى الأصبح س عبد العزيز بن مروان أخى عمر بن عبد العزيز س مروان . ولم يذكر صاحب الخطط التوفيقية هذه البلدة في حاضرها بشي واتسع فقط في الكلام على غابرها .

(٢) في قاموس الجغرافية القديمة : أن بحر الخزر تسميه العرب بحر الخزر (بضمه ففتحة) —

محاورة ابن
طولون مع أطباؤه
ورأى هلاكه طبيبه
الخاص

وأضرَّ بأحمد بن طولون مقامه في مَضْرَبه لكثرة المواء ، فدخل إلى داره وعلمته تزويد ، فأحضر الحسن بن زيرك الطبيب ، فشكا إليه سعيد ابن توفيل طبيبه . وكان ابن زيرك هذا حاذقاً أيضاً في صناعته مقدماً فيها ، وذكر له توانييه في علاجه ، فَسَهَّلَ عليه عاتيه ، ووعدته بالسلامة منها عن قرب ، فأنس إلى هذا القول منه وفرح به ، وخفَّ عليه بالراحة في داره والطمانينة ، وبملاطفة النساء له بالغمز مرة ، وبالمهدوء أخرى . ورفقُ النساء بالعليل يحدث راحة ، وكذلك محادثة الصديق المحب ، أو الصاحب المخلص ، واستماع الأخبار والأحاديث ، من جدِّ وهزل ، تحدث سلامة وراحة قوية ، ومرحاً في القلب . فهذا أجلُّ ما استعمله العليل .

فلما حصل لأحمد بن طولون هدوؤه في داره ، واجتماع شمله وسكونه ، تبرَّك [بقول الحسن] بن زيرك ، فجعل يخلط فيما يأكله مع الحرم ثقة بقول ابن زيرك ، ويسرَّ عن طبيبه وغيره ما يخلط به على نفسه ، ولا يمتنع من شهوة يؤثرها ، لقوة قلبه بقول ابن زيرك الطبيب وما أطعمه فيه . وإنما قصد بذلك أن يكسره عن شكواه إليه طبيبه سعيداً ، فكانت راحته التي وجدها لا أصل لها ، فازدادت عاتيه بتخليطه . وكان قد اشتهى على أمِّ أبي العشائر ابنه سمكاً قريضاً^(١) فأحضرتة

— باسم بعض العشائر المتوطنة على ساحله وهي تسمى الخرج زيادة جيم في آخرها كما هو الشأن في الكلمات الفارسية المبرمة . مثل ما ذج والوذج ولوزنج إلى آخره والمتهور أنهم يهلون الجيم في النطق والكتابة (١) السمك القريس : لغة في القريس وهو الذي يطبخ وعمل فيه صباغ (كالخل والزيت) وترك حتى يجف

إياه فأكل منه ، فاستمكن في معدته حيناً حتى تدافع الإسهال عليه ، وزاد أمره ، فأحضر أطباء البلد كلهم ، وجعل الذنب لهم ، وقال لهم : أخطأتم في علاجي ، وأرهبهم وأخافهم . وقال للحسن بن زيرك الطبيب ، وكان قد سقاه دواءً ممسكاً : أحسب أن الذي سقيتني إياه أمس كان غير صواب ، وكذلك ما أسقيتني اليوم أيضاً . فقال : والله ما أسقي الأمير إلا ما أجتهد في الصواب فيه ، وأتولى عجنه وعمله بيدي ، وأعلم أنه علاجه وموافق له ، وكل ما تناوله الأمير أيده الله أمس واليوم فمحمود ، زائد في القوة الممسكة ، يُنهضها ويقويها في معدتك وكبدك .

وضاق صدر ابن زيرك من خطابه له ، فقال : يحتاج الأمير أيده الله ، إلى إحضار جماعة أطباء البلد كلهم ، في غداة كل يوم ، حتى يجتمعوا على المشاورة ، ويتفقوا في أمره على ما يستقونه ، فلا يتناول إلا ما أشارت به الجماعة ، واتفقت فيه آراؤهم . فضيق هذا القول صدر أحمد بن طولون فقال : والله لأن لم ينجع في دواؤكم وتدبيركم لأضر بن أعناقكم بأسركم ، فما أنتم إلا ممخرقون ، وعلى الأعداء متجننون ، لا يحصل العليل منكم على شيء في الحقيقة .

فانصرف الحسن بن زيرك من بين يديه وهو قلق بكلامه ، [قد فعل] الخوف منه في قلبه ، وعمل فيه الفكر ، وكان شيخاً كبيراً فحميت كبده عليه من انغم الشديد ، وقوي عليه الفكر فاختلط

عقله ، فبقي يومه وليلته يهذي بعله أحمد بن طولون ، ويورد كلامه له ، وما توعد به الجماعة ، فمات من الغد ، وطلبه أحمد بن طولون فعرف موته فازداد غمه وقلقه ، وأمر يجمع الأطباء فجمع له أطباء البلد الموصوفون في التقدم في الصناعة والحذق ، وكانوا إذ ذاك متوافرين ، فكانوا يحضرون في كل يوم بين يديه ، ويحضر طبيبه سعيد بن توفيل خشية ما جعله ابن زيرك في نفسه ، فيتشاورون في أمره ، فإذا اتفقوا على صفة لا يشكون فيها جميعاً ، عملت شربة فيها شربتان ، فيشرب أحدهم نصفها بين يديه ، ويسقى النصف الآخر . كل هذا حتى يزول الشك عنده فيهم ، فكان من يشرب منهم ما لا يحتاج إليه جسسه ضره وأعقبه علة ، فكانوا يحتملون من ذلك أمراً عظيماً طول علته .

الطبيب المقبح
الذى اختير
للحرم

قال : وكان أحمد بن طولون قد قال لسعيد بن توفيل طبيبه قبل علته : أريد طبيباً يصلح لخدمة الحرم ، ويكون بين أيديهم في غيبتى وحضورى . وكان له ابنٌ بارع في صناعته ، قد حذق الطب ، وكان ذكي الروح ، حسن الوجه . فقال له : لعبد الأمير ابن كُبَيْس ، قد برع في الطب ، فإن أمرني بإحضاره أحضرته . قال : أحضره ، فلما أحضره نظر إلى حسنه فقال له : وبلك ! أقول لك طبيب يصلح للحرم ، تجيئني بمن يفتنن ويفسدهن ، أنظر لي واحداً مقبحاً ،

لا يهش إليه أحد . فحملت سعيد بن توفيل النفاسة والغيرة على موضعه
أن يدخل معه فيه غيره ، على أن [أخذ] هاشمًا — وكان شاكرية^(١) —
فألْبسه دُرّاعة^(٢) وخفًا وعمامة ، وقلع ثيابه الوسخة التي كان
يخدم فيها ، وكان مُقبَّحًا جدًّا ، فأدخله إليه . فلما رآه قال له :
نعم هذا يصلح لمن ، وقد جوّدت فيه ، فألزمه خدمتهن ، وكان
لهاشم هذا إقبال قد أزف ونجوم قد طلعت ، لم يعلم بها سعيد بن توفيل ،
ولا أن هلاكه يجري على يديه ، فأدخل إلى الحرم فسأله عن أشياء
تنفق عندهن : من دواء الشحم وعلاج سواد الشعر وعلاج الحيض
وأشباه ذلك . وكان هاشم خبأ ملعونًا ، فاجراً ردي الطبع ، فجرى
معهن في ميدانهن كما أردن ، فقال لهذه : أنا أعمل لك كذا وكذا .
وقال لأخرى لما تطلبه منه : أنا أعمل لك في هذا ما لا يعرفه أحد
ولا يحسنه . وعمل لكل واحدة منهن ما أرادت ، فحظي بذلك
عندهن ، حتى ضرب بعضهن ببعض المثل ، وكسب منهن كسبًا كثيرًا
ما كسب صاحبه مثله مع أحمد بن طولون . ولم يكن يحسن غير دق
العقاقير ، وعجن الأدوية بين يدي سعيد ، ونفخ النار تحت الأدوية
المطبوخة ، ولم يكن يمكنه من عمل شيء من الطب ، لأنه لم يكن
وزنه ذلك ولا عمله عنده ، وإنما كان يمسك حماره إذا دخل دار
الأمير أو بقله ، وينام في الاصطبل .

(١) الشاكرية : الأجير والمستخدم مررب جاكر .

(٢) الدراعة : جة من صوف مشقوفة القدم

وكان جماعة الأطباء قالوا لسعيد لما اصطنع هاشمًا وأدخله إلى الأمير والحرم : يا سعيد نفست^(١) على غيرك أن تدخله دار الأمير ، وفيهم من لا يشك فيه أنه يصلح لذلك ، حذقًا بالصناعة وفهمًا لها ، ثم مع هذا كنت تكون آمنًا منه عليك وعلى حالك ، والله ليكونن لك من هاشم الذي اخترته يوم يردّه إليه طبعه الرديء ، وأصله الدنيء .
حدث جرّيج بن الطباخ المتطبّب قال : لقي سعيد بن نوفيل [عمر] بن صخر الطبيب فقال له [عمر] : ما الذي نصبت هاشمًا له ؟ فقال : لخدمة الحرم ، لأن الأمير طلب مني طبيبًا مقبّحًا . فقال له : قد كارت في أبناء الأطباء قبيح قد حسنت تربيته ، وطاب مغرّسه ، يصلح لهذه الحال ، ولكنك استرخصت الصنيعة ، والله يا أبا عثمان ، لئن قويت يد هاشم ليرجمن فيك إلى دناءة منصبه وخساسة مميّته . فتضاحك سعيد من قوله ، وقد رآن ذلك لا يكون

ثقة ابن طولون
بدجال وزهده في
إشارة الأطباء

فلما جمع أحمد بن طولون الأطباء ، واتفقوا على ما يعالجونه به ، دخلت إليه أم أبي العشائر ابنة فقالت له : قد أدخل مولاي إليه اليوم جميع الأطباء ووقفوا على علاجه ، وعمل كل واحد منهم بما عنده من الصواب بما سقوك إياه ، وأرجو أن يكون فيه الشفاء بمشيئة الله . ولم يُحضّر مولاي هاشمًا طبيبًا فيمن حضر ، والله يامولاي ما فيهم مثله ، لأننا قد شاهدنا منه في خدمته لنا ما حمدناه

(١) نفس به كفرح : ضوعليه بخير حسد وعليه التي نفاسة لم يره اهلاً له

وتبر كنا بصفاته . فقال لها : — طلباً للفرج ، ولما هو عليه من العلة التي
يطمع العليل فيها بكل شيء ، وتعلق نفسه بما توعد به فيها من العافية — :
أحضِرْ يديه سرّاً حتى أخاطبه ، وأسمع ما عنده في مشاهدته حالي .
فأدخلتهُ إليه سرّاً ، بعد أن شجّعته على كلامه ، وسهلت عليه هيئته ،
لأنه جبن من دخوله إليه ، مما لم يقدر أنه يراه أبداً . فلما دخل إليه ،
ومثل بين يديه ، وأخذ محسّسه ، وتأمل له قليلاً ، لطم وجهه وقال : أغفل أمر
الأمير أيده الله حتى بلغ إلى هذه الحال ؟ لأحسن الله جزاء من تولى أمره .
فكان لطم هاشم وجهه بين يدي الأمير ، وما تكلم به في أستاذه تصديقاً
لقول من أنكر على [سعيد] تقديمه وإدخاله إياه إلى الحرم ، وتركه
بحيث لا يستحق ، وكان ما خاطبوه فيه حقاً . فقال له أحمد بن طولون : يا مبارك
فما الصواب الآن ؟ قال : يتناول الأمير أيده الله قميحة صفتها كذا
وكذا ، وعدّد فيها قريباً من مائة عقار ، ولم يعلم أن سبيل هذه
القماح تمسك [عندما] تتناول ثم تعقب ضرراً كبيراً ، لأنها تتعب
القوى الماسكة ، وكان استعماله ما اتفق عليه الأطباء مع سعيد وسقوه
إياه لو دام عليه أحمد عاقبة وأذفع ، فامتنع من شرب ذلك يومه ،
وتناول القميحة التي أشار بها هاشم ، وعملها له بين يديه ، فلما
تناولها أمسكت وحبست قيامه وقوي قلبه لذلك ، وحسن موقع
هاشم من قلبه ، وظن أن البرء قد تمّ له ، فقال له : ويحك يا هاشم
إن سعيد بن توفيل قد حماني منذ شهر من لقمة عصيدة ^(١) اشتيتها

(١) العصيدة : دقيق 'بكت' بالسمن وبطح

ومنعني منها لعنه الله ، وأنا والله أشتهاها . فقال له : أيها الأمير قد
أخطأ سعيد ، العصيدة مقوية ، ولها أثر حميد . فأمر أحمد بن طولون
بإصلاحها فأصلحت ، وجي منها إليه بجام^(١) واسع ، فأكل منه أكثره ،
وطابت نفسه ببلوغ شهوته ونام ، وكان يشتهي النوم فيتعدّر عليه ،
فأثقلت معدته ووجد خفّاً في انقطاع الإسهال ، وطاب له النوم بعد
الأكل ، وظن أن ذلك صلاحه وعافيته ، وطوى ذلك عن طبيبه
سعيد ، ولم يوقفه على شيء منه .

فتبارك الله الخالق الباري المتفرد بالكمال والبقاء ، بينما كان له
العقل الصحيح ، والرأي السديد ، والفراسة المضيئة ، والحدس الصادق
الذي ما كان يخطئ في أيام إقباله ، وما كان يلزمه نفسه ويتفقد
منها ومن غيرها ؛ وشدة حذره وتوقيه . . . حتى انقلبت العين في
هذا كله دفعة واحدة ، وصار هو عدو نفسه يطعمها سرّاً من طبيبه
السمك القريض ، مع ما يعلمه الناس كلهم فيه ، والعصيدة الثقيلة المتخمّة
المؤذية في حال الصحة فكيف مع العلة ؟ ثم يخادع نفسه ويسخر منها ،
ويكتم طبيبه وغيره حاله في ذلك ، حتى [كأن] في معدته بسوء فعله
عدواً قاتلاً ، ويفضل مثل هاشم على مثل طبيبه سعيد بن توفيل وغيره
من حذّاق الأطباء ، إلا أنه إذا أراد الله عز وجل أمراً سلب كل
ذي لبّ له ، حتى تتم مشيئته .

(١) الجام : كلمة فارسية وفي القاموس : إناء من فضة وجمه أجزم بالهيز وأجوام وجاماتو أجزم

محاورته مع ابن
توفيل وضربه إياه
وقلته

فلما أكل العصيدة ونام انتبه من نومه ، فأحضر سعيد بن توفيل فقال له : يا سعيد ما تقول في العصيدة ؟ قال : ثقيلة على الأعضاء ، وأعضاء الأمير تحتاج إلى التخفيف لا التثقال . فقال له : دعنا من مخاريقك ، قد آكلتها بحمد الله ، ولم أرَ إلا خيراً . فأمسك سعيد حيزة في أمره . وجاءوه في الوقت يسفر رجل من الشام وفاكهة ، فقال لسعيد : ما تقول في السفرجل ؟ فقال : مُصٌّ منه شيئاً يسيراً على خلوة من المعدة فإنه صالح . فلما خرج سعيد من عنده أكل سفرجلتين كبيرتين ، فعصر السفرجل العصيدة فتدافع الإسهال جدّاً ، فدعا بسعيد بن توفيل فقال له : يا ابن الفاعلة ، ألم تزعم أن السفرجل صالح ؟ ما صلاحه وقد عاودني الإسهال ؟ فقال سعيد ينظر إلى النَجْو^(١) فرجع إليه فقال : هذه العصيدة التي أحمد الأمير أمرها وذكر أنني ممخرق ، وأني غاطت في منعه منها ، لم تزل قائمة متحيرة في الأحشاء لا تطيق عبوراً ، ولا تطيق المعدة هضمها لضعف قوتها حتى عصرها السفرجل ، ولم أطلق [لك أن تأكل] السفرجل ، إنما قلت تمصُّ منه يسيراً ، وكان سعيد قد أخبره الغلمان أنه أكل سفرجلتين ، فقال له في خطابه : أكل الأمير السفرجل للشبع ، لم يأكله للعلاج . فقال له : يا ابن الفاعلة أخذت تهاترني وأنت صحيح سوي ، وأنا عليل مدنف^(٢) . السوط ! فأحضر ، فضرب بهن يديه مائتي سوط ،

(١) النجوى : ما يخرج من البطن من ريج أو غائط

(٢) دنف الرجل : قتل من المرض ودنأ من الموت .

وحمل علی جمل و طیف به البلاد ، و نویدی علیه : هذا جزاء من ائتمن .
فغان . و نهیت داره فوات بعد یومین .

قال مؤلف هذا الكتاب : وكان أحمد بن طولون يجذب سعيداً قديماً من قتله له ، وكان قد وقع له لتتم المشيئة في سعيد أيضاً أنه قد أغفل علاجه في بدء العلة ، حتى تزايدت عليه وعظم أمرها ، ولم يكن الأمر كما ظنه أحمد بن طولون به ، ولا كان الخطأ إلا منه على نفسه ، والذنب له دون غيره . وكان سعيد بن توفيل من يوم أكل السمك قد أيس منه ، وعرف نسيم الخادم بذلك ، وكان غلاماً قفاً محصلاً . حدث نسيم الخادم أن مولاه أحمد بن طولون طلب سعيد بن توفيل يوماً من الأيام فقيل له : مضى يستعرض ضيعة ذُكرت له يشتريها ، فأمسك ، فلما حضر قال له : ويلك يا سعيد ، اجعل صحتي ضيعتك التي تشتريها لتستغلها ، وواصل مراعاة خدمتي ، واحرص على صحتي ولا تغفل ذلك ، واعلم أنك تسبقني إلى الموت ، إن كان موتي على فراشي ، وأني لا أمكك من الاستمتاع بالحياة بعدي . فقال بعض العلماء حين سمع هذا القول : ما سمعت حثاً لم تطب على مبالغة في نصيح أشد من هذا .

قال مؤلف هذا الكتاب : وفي إفاقة من عاتيه ، أطلق محبوب بن رجاء
رجاء من محبسه ، ورد إليه جميع ما كان أخذ منه ، فوجد محبوب

من محبسه ورد ماله عليه

ماله مختوماً بخاتمه بجماله . . . دنانير ، ما عرض له ولا نظر إليه .

فلما رأى أحمد بن طولون اشتداد العلة أحضر خواصه من وجوه قواده وابن مهاجر والواسطي ، وقال لهم : استهدوا لنا الدعاء من الناس كافة ، وسلوهم الخروج إلى الجبل ، والتضرع إلى الله جل اسمه بالمسألة له في عاقبته لنا ، فشاع هذا القول منه في الناس ، فخرج المسلمون بالمصاحف إلى سفح الجبل ، وتضرعوا إلى الله في أمره بنيات خالصة لمحبتهم له ، وشكروهم لجليل أفعاله ، وكثرة معرفته وإحسانه ، وصيانتهم عن كل حال يكرهونها منه ، أو من أحد من حاشيته ، مع أمتهم ورخص أسعارهم ، بمراعاة ذلك وحرصه عليه ومحبته له .

طلب ابن طولون
دعاء الرعية له

فلما رأى اليهود والنصارى ذلك من المسلمين خرج الفريقان ، النصارى معهم الإنجيل ، واليهود معهم التوراة ، وفي أيديهم حزم الآس ، وفي أيدي شمامستهم البخور ، يبغرون يبغورهم الذي يتبركون به ، واجتمعت الجماعة كلها في سفح الجبل ، واعتزل كل فريق منهم على حدة ، يدعون الله عز وجل ، ويتضرعون إليه في أن يمنَّ عليه بعاقبته . فكان يوماً عظيماً ، وارتفعت لهم ضجة عظيمة هائلة حتى سمعها في قصره ، فبكى لذلك ، وتضرع معهم إلى الله جل اسمه ، والمنية قد قربت ، كما قال بعضهم :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

قال : ومن شيم النصارى أن يتضرعوا بمثل هذا الفعل في الاجتماع والخروج ، إذا قدم البلد والجدید ، وكذلك رأيناهم قد عملوا في قدوم بولس إلى البلد ، خرج النصارى إليه ، وفي أيدي شمامستهم الزبور وغيره . . . ومعهم الحجار يبخرون من باب المدينة إلى أن دخل إلى داره وخرجت إليه أيضاً اليهود ، وفي أيدي أحبارهم وشيوخهم الآس ، وفي أيدي بعضهم كتبهم يقرءونها بين يديه ، فكان لهم ذلك اليوم ضجيج في البلد .

رسوله إلى
القاضي بكار وما
كان منه

وحدث نسيم الخادم قال : دعاني مولاي ، وقدمت قطعة من الليل ، قبل وفاته بشهر واحد ، فقال لي : ادخل إلى بكار بن قتيبة فإن أصبته يصلي ، فانتظر فراغه من ركوعه وسجوده ، فإذا سلم فقل له عني : أنت تعلم ميلي إليك قديماً ، وإكرامي لك مبتدئاً ، وأنه لم يفسد مملك عندى إلا أمر الخلع ، وأن شهادتك فيه كانت مباينة لشهادة غيرك ، مخالفة لما . وقد شاع في عسكري أنك نقمت هذا الخلع عليّ ، والله ما انحرقت عن الناكث لایساءة كانت منه إليّ اعتدتها له ، ولا أردت بخالعه إلا الله عز وجل ، لأنه أسر الخليفة ، ومنعه ما يجري له . والصواب أن تحضر مجلسي في جمع من أوليائي وأولياء أمير المؤمنين ، فتبرأ من الناكث براءة تدل على صدق نيتك لأمر المؤمنين ، وترجع إلى عملك ، وترجع لك

إلى ما كنا عليه من الإكرام والموالاة ، والحال التي كانت بيننا ،
وإن امتنعت من هذا فلا لوم علينا فيما أتينا به في أمرك ، مما لم نوثره
ولا نختاره والله فيك .

قال نسيم الخادم : ففتحت باب الحجرة التي كان فيها بكار
معتقلاً ، ودخلت فوجدته قائماً يصلي ، فقلت من حيث يسمع :
رسول الأمير ، لأنه كان ثقیل السمع ، فوالله ما حركه ذلك
ولا فكر فيه ، ولا أوجز من صلاته ، ولم يزل يقرأ حتى فرغ من
حزبه ، ثم ركع وسجد وجلس قليلاً ، وقام وقرأ طويلاً ، ثم
ركع وسجد وجلس يسيراً ، ثم سَلَّمَ ، فقلت له : ر [سول الأمير] ،
فقال : وما يريد الأمير ؟ فقصصت عليه الرسالة فقال : قل
له : يعزُّ عليَّ أن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من ميلك
إلى ما لا بدَّ لك منه ، وقد أعنَّني وآدبني ، لأنك تكلفني الشهادة
بالبلاغات التي لا يُعَدُّ لها الحكم ، فخفف الله في أمري فأني شيخ
فاني ، وأنت عليل مدنف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل
قريب ، وقد والله نصحت لك والسلام . وقام إلى صلاته .

قال نسيم : فخرجت من عنده وقد أبكى قلبي ، وأبكى عيني ،
فدخلت إلى مولاي فأعدت عليه قوله ، فبكى وبقي يقول : شيخ
فاني ، وعليل مدنف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل قريب .
وأقبل يكرر ذلك ثم قال لي : انظر أعرف المضمومين إليك ،

فوكله به في دار تكثيرها له ، وأطلق له دخول ابني أخته إليه ومن أحب . فاكثرت له داراً في نواحي الموقف ، ووكلت به رشيقي أخا سعد الفرغاني ، لأنه كان شيخاً فيه دين وخير ، فلم يزل معتقلاً فيها إلى أن مات مولاي ، فأطلقه أبو الجيش يوم موته واستحله لأبيه ، فكانت هذه الفعلة من أبي الجيش أحد أفعاله الحسان ، فأقام بعد مولاي عشرين يوماً ومات فلحق به .

جاسوس الموفق
على اس طولون

حدث شعيب بن صالح قال : أُرْجِفُ الناس ب وفاة أحمد بن طولون قبل أن يموت بشهور ، وعللُ الخوف أبداً تطول على أصحابها . فدخل إليه يوماً جماعة من أصحاب أخباره ، ومعهم رجل من أهل المدائن فقالوا له : هذا صاحب خبر الموفق . فقال له أحمد بن طولون ليس [ينجيك] مني ولا يخلصك غير صدقك إياي ، فاصدقني تنج فقال له : نعم أنا صاحب الموفق ، أنفذني إليك قاصداً لَأَعْرِفَ له صحة أمرك في علتك لا غير ، لما أُرْجِفُ بك عنده . فقال : [لقد سلم] الله روعي وجسمي ، وأنا صحيح العقل والتمييز لم أمت ، بمن الله وطوله ، وأولياي متمسكون بطاعتي ، والدليل على ذلك إتيانهم إياي بك ، ارجع إليه فقد أَمَّنَكَ الله جل اسمه وعرفه ذلك ، وقل له . إني لم أنحرف عنك وأخافك وأخالف عليك كرهاً لك ، ولا كان ذلك مني إلا طاعة لأمير المؤمنين وما أكَدَّته عليّ بيعته ،

فإن رجعت عما أتيت في أمره كنت لك كما أنا له متصرفاً بين
أمركما ونهيكما وطاعتكما . واحذر أن تقيم ، ووكل به حتى أخرج
عن البلد من وقته .

قال مؤلف هذا الكتاب : فورد علينا الخبر أنه لما وصل إلى
الموفق رسوله هذا ، فأدى إليه رسالة أحمد بن طولون ، بكى غماً منه
بعلة ، وقال : صدق والله في قوله . ونذر الله عز وجل في عاقبته
نذراً من صيام وصدقات .

وحدث شعيب بن صالح قال : دخلت يوماً إلى نسيم الخادم أسلم
عليه ، فرأيت عنده شيخاً من أهل الدينور^(١) حسن الظاهر ،
وذلك بعد وفاة أحمد بن طولون بمديدة يسيرة ، فرأيت متمكناً من نفسه
حسن الإجابة^(٢) . فقال لي نسيم : تريد أن تقف على أن مولاي قد
ختم له بخير ؟ سل هذا الشيخ يحدثك بخبره معه فأخبرني حضرته ، قال :
فترحم الشيخ على أحمد بن طولون ، فسألته عن ذلك فقال لي : كنت
يوماً جالساً في الموقف ، في دكان بعض أهل سوق الجهاز ، وإلى جانبي
رجل حسن الهيئة ، فذكر أحمد بن طولون في علة وغلظها ، فقال
رجل من حضر معنا في الدكان : قد مات ، فقلت ، وما أعرف لي غلظة
غيرها : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) ،

كم الألواء عن
التكلم في ابن
طولون إلى آخر
أيامه

(١) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قريتين وقرب شبرزور وهمذان

(٢) تقرأ إجابة وإجابة وكلتاها لاتصدم النحوي

قيام ذلك الرجل من جانبي ، فما بعدُ حتى عاد ومعه خمسة رجاله وقال لهم بيده : خذوه . فطرح ردائي على وجهي [وساقني] سوقاً عنيفاً حتى أدخلت الميدان ، فعرضت على حسن بن مهاجر ، فقال لي : يا كلب بطرت بعيشك بالأمن ، ولو شغلت بالخوف لتركت الفضول ، فحسست من كلامه قد وشي بي^(١) . ثم كشب رقعة ووجهه بهامع خادم إلى الأمير ، فما أبطأ حتى خرج ، فخاطبه بما لا أقف عليه ، فقام وأدخلني معه ، فعججت في سرّي إلى الله جل اسمه ، وسألته حسن الدفاع عني ، ومثلت بين يدي الأمير ، وقد زاد اضطرابي ، وأنا مستعين بالله على ما أتخوفه منه ، فسلمت فردّ عليّ السلام باصبعه ، ورأيت عليه أثر البكاء . فقال لابن مهاجر : ترفق قليلاً قليلاً ، سل هذا الرجل هل سبقت منا إليه إساءة ؟ فردّ عليّ ابن مهاجر قوله . فقلت : لا والله أيد الله الأمير . فخاطبني هو وقال لي : فما أخذك ويحك بإطلاق لسانك بما لا يجوز لك في ولائك ؟ فقلت : أعزّ الله الأمير يماً لا يُضبط من المآقد الذي يجري بالمحبوب والمكروه ، وخوّر يلحق الطباع الضعيفة فيمنعها من حسن التحرز . فقال لابن مهاجر : قد أحسن الاحتجاج لنفسه ، وما يسهل عليّ إصلاحه في تقويمه بفسادي في معادي ، على شدة حاجتي في هذا الوقت إلى عفوري ، ثم التفت إليّ فقال لي : حدثني فلان عن فلان عن وهب بن منبه

(١) في الأصل مكذا : « مد راي » بلا نقط

فقال : أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل : مرُ عامة أمتك ألا تنأسى بالملوك في ارتكاب الكبائر ، فإن للملوك كباير من الأفعال الجميلة لا يصل إليها عامتهم ، تمحص بها آثامهم ، ويحسن بها صدرهم^(١) . ثم قال لنسيم : ادفع إليه خمسين ديناراً واصرفه مصوناً . قال الدّينوري : [حفظت الحدِيث ونسيت إسناده لفرط ما لحقني من الخوف والهيبه ، فقد بقي في نفسي منه جرح لا يندمل ، وغم لا يزول إلا بعد وجوده ، وقد أحفيت^(٢) الطلب له وأنا كذلك إلى أن أجده بعون الله ، فرحم الله أحمد بن طولون ، فامر لي وقت إلا وأنا أترحم عليه ، وأستغفر الله جل اسمه له .

قال : وكان أحمد بن طولون كثير الاستقصاء في مال الجيش ، فلما اشتدت علته تقدم إلى ابن مهاجر في إطلاق رزق سنة للجيش في بيعة أبي الجيش بعده ، فظن ابن مهاجر أن ذلك من اختلاط العلة ، فأهمل العمل به ، فلما كان من غد يومه سأله عما صنع في ذلك . فقال له : ماخرج الحساب من أيدي الكتاب بعد . فقال له : أظننت ويحك تخطيطاً بي من العلة ؟ ما أنا كذلك والحمد لله كثيراً ، بل أنا بضده ، وإنما لمثل هذا الوقت جمعت الأموال ، وإنما أردت أن يعلم الجيش أنه قد حصل لهم مالا يسمح ببعضه من

إطلاقه رزق سنة
لجيشه

(١) في الأصل : وبحسوها صدرم

(٢) أخفى السؤال : ردّده والإخفاء مثل الإلحاف وهو الإلحاح

يحاربهم ويكاثروهم ، فتكون أيديهم وقلوبهم قوية ، فسكن ابن مهاجر إلى هذا القول ، وأطلق المال للرجال ، فعظمت منته عندهم ، وكثر شكرهم .

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما اشتدت بأحمد بن طولون علة دعا بأحمد بن محمد الواسطي وقال له : يا بنيّ لمثل هذا اليوم وهذه الحال رببتك واصطفيتك ، وقد علمت حسن موقعك مني ، وأني فضلتك على الولد وكل أحد ، فلا تخف الظن بك ، واعلم أن الوفاء أحسن لباس ، وأفضل معقل ، والله يشكره عز وجل لمن استعمله . حرمني هن أمهاتك وأخواتك قال : والواسطي يلطم وجهه ويبكي ، وأحمد بن طولون يبكي معه ، وهو يحلف له أنه لو تعرض للقتل لما قصر فيما عاد بمصلحة شمله ويقول : وأرجو أن يهب الله للأمير العافية ، ولا يرينا فيه سوءاً أبداً ، ويقدمنا جميعاً بين يديه ، وكل ذلك [وهو] يعجّ بالبكاء .

فحدث نسيم الخادم ، [قال : فلما خرج] الواسطي من حضرة مولاي قال لي : يا نسيم والله ما أخاف على حرمني إلا منه ، وعلى جميع مخلفي ، لأنه قوي الحيلة ، فاسد الدين ، ولولا أنه وقت استكانة إلى الله عز وجل وخضوع ، ما كنت آمن على مخلفي منه . قال : فلما كان من غدر الواسطي بأبي الجيش ما كان ، وذهابه

غدر الواسطي
بعد وفاة ولي
نعمته

إلى المعتضد ، ومعاونته إياه على أبي الجيش ، ذكرت قول مولاي
رحمه الله ، وفراسته فيه ، فناصر الله عز وجل أبا الجيش بغدره ، وبقي
شريداً طريداً مطرّحاً بأنطاكية ، مذموم الأثر والسيرة ، فذكر
إحسان مولاي إليه ، ولم يكافئه على جميل فعله به ، وكل أوزار
احتقبا فيه ، فتصوره الناس بالغدروقة الوفاء . ومات بعد مولاي يديس .

قال نسيم : فلما كان من غد خطاب مولاي للواسطي وما وصاه
به ، أحضره وأحضر محمد بن أبا وطبارجي وجماعة من وجوه خاصته
وقواده ووجوه دولته وكتابه فأحضر أبا الجيش فقال له : يا بني
إني لم أدفع الحنث في يمين البيعة إلا بما كنت أحمله إلى أمير المؤمنين
المعتمد خاصة ، وهو مائة ألف دينار في كل سنة . ذكر لي فيما كاتبني
به أنها تكفيه ، فكان حملي هذا المسال يقينا الحنث في يمين البيعة
بيعته ، فلا تؤخرها عنه ولا تقطعها ، ولو أعتك الحروب وواصلتك ،
فلا تغفل حملها وما يقاومها ، فإنك تدفع بها حنث هذا الجيش
بأسره في يمين البيعة ، وتشرح بها صدورهم في قتال من قصدك ، ممن
قهر الخليفة ومنعه أمره وتصرفه في إنفاذ حكمه ، وجميع أمره ، والله
بكرمه يكفيه

وصية ابن طولون
لابنه أبي الجيش

[قال أبو جعفر] محمد بن عبد كان : إن أبا الجيش لم يزل يحمل هذا
المال إلى المعتمد حتى تقلد إسماعيل بن بلبل الوزارة فأوقع الصلح
بينه وبين الموفق .

قال : فلما فرع أحمد بن طولون من وصية ابنه في حمل المال الى
المعتمد أقبل على وجوه قواده وغلمايه فقال لهم : قد وطأت لكم المهاد
بهذه الدولة ، وخلفت لكم من عدتها ما يكفيكم ، فاطرحوا الأحقاد
بينكم ، وأسقطوا التحاسد ، واتركوا الاستئثار ، ولتكن كلمتكم
واحدة ، وجماعتكم كرجل واحد ، ولا تغتروا بمخاريق أهل العراق ،
ومواعيد من يطلب سيئاتكم ، فليس يرأسكم أبداً مثلي ، ولا أحنى مني
ومن ولدي عليكم ، فلا تخفروا ذمتي ، واحفظوا صحبتي وتريتي لأكثركم ،
وإيثاري وإحساني وتفضيلي لجماعتكم ، وهم يحلفون له ويكون بأجمعهم

وصيته لقواده
وغلمايه

ثم عطف على أبي الجيش فقال له : يا بني لا تعدلن عن مشورتي
عليك ، فإن تجد أبداً أنصح لك مني ، قد خلفت دخل بلدك يزيد
على ما ينوبك بجيشك وسائر مؤونتك ، فلا تطلعن فيه بداءيجور ، فيختل
أمرك بخرابه ، ولا تقبل بنصيحة من يتنصح لك بما يؤول الى خراب
بلدك ، واللاجحاف بمعامليك فيه ، فإنه عدو مبين من حيث لا تعلم ،
فانبذه عنك ، ولا تقربه منك ، وقد خلفت لك رعيته لا يطلبون منك
إلا لين الجانب ، والأمن من المخاوف ، ولم أكن أمنهم لين جانبي
بخلا بة عليهم ، ولكنني آثرتك على نفسي بمنعي لهم لين جانبي ، والأمن
من مخافتي ، فاستعمل أنت ذلك معهم فتملك قلوبهم ، وبيادروا
الى طاعتك ، ويهشوا الى التصرف بين أمرك ونهيك ، في صغير

وصيته لأبي
الجيش أيضا

أمرك وكبيره ، ولم أترك لك عدوًّا أخافه عليك ، واعلم يا بني
أن كل سرف يؤول الى اختلال وتلف ، فاقصد في . . .
مهماتك ، ولا تمد يدك الى المسال المخزون عند خير الخادم [واجعله]
ذخيرة لملكك وأقمه مقام جارحة من جوارحك لا تبذلها إلا في
شدة تخاف معها فساد سائر جسدك ، أو عند ما تقدّر بإخراجها صلاح
سائر جسدك ، وكان خير الخادم هذا خادم المتوكل

ثم قال له : واسلك يا بني سبيلي واقتف آثارني في سائر من خلفت
يأنسوا بناحيثك ، ويحسنوا طاعتك ، ولا يميلوا الى عدو يخالفك ،
ولا تقبلن مقال السُّعاة فيما تقوى به سوقهم عندك ، فكل شر وسوء
يؤول الى اضمحلال وزوال ، ويهلك في ذلك من سلكه .

ثروة ابن طولون قال مؤلف هذا الكتاب : وكانت الوديعة التي عند خير الخادم
ألف بدره ، " وكانت عند نسيم فنقلها الى خير ، وكان يكنى بأبي
صالح . وكان أحمد بن طولون قد قرن به أبا الجيش يؤدبه ، وكان
ثقة مأموناً ديناً ، كان يعرف بخير الطويل ، ولما فرغ أحمد بن طولون
من وصيته لأبي الجيش قال له : يا بني وفي حاصلي ألف ألف دينار .
وسبعمائة ألف دينار ، وهو غير الوديعة ، يكون ذلك لعطاء جيشك ،
وما عسى أن يعرض لك عند مقاومة من يقصدك ، ومادة الخراج بعد
ذلك فقير منقطعة عنك ، هذا يا بني ما تملكه الدولة ، والذي أملكه

أنا خاصة من دخل أقطاعي وابتياعي ، ما يحصل لي منه في كل سنة في بيت مالي مائتا ألف وخمسون ألف دينار ، فاقسمها في ولدي وانظر إليهم بعيني ، وتغمد هفواتهم ، وسدّ خللهم ، وكفهم عن الفاقة إلى غيرك ، وبصرهم رشدهم ، وامنعهم من سرف الإِنفاق ، فإنك أبوهم بعدي ، جبر الله جماعتكم ، [وأحسن الخلافة] عليكم ، وأنا أكرر عليك القول يا بنيّ لئلا تنسى . ليس المال الذي عند خير الخادم لي [فتشتركو] بقسسته بينكم . فلا تظن أن كل ما قويت يدك على أخذه هو لك ، فصنه وامنع نفسك منه ، واستشعر فيه ما وصيتك ، فإن انقادت لك الأمور لم يضرك بقاؤه لك ، وإن عارضتك الحوادث كان عدة لك ، فلا تغرنك وجميع مخافيّ وحاشيتي السلامة ، فتنسوا ما في نفوس أهل العراق عليكم ، فأنتم شجائي حلو قهم ، فلا تأمنوهم ، ولا تناموا^(١) عن الحزم فيهم ، فإن أحسستم بضعف عنهم ، فابذلوا جميع ما تملكونه في السلامة بينهم ، ولا تضعوا أيديكم في أيديهم ، فإنني أعرف ذنبي لهم ، والله أسأل رعاية جماعتكم . ثم بكى وبكت الجماعة ، حتى ارتجت الدار لبكائهم . فلما اشتغل بهذه الوصية لم انقطع عنه الإِسْهال ، فأمل أصحابه عافيته وبرءه ، وذو المعرفة أيس منه

عنايته بسور
قصره وهو
مريض

حدث نسيم الخادم قال : لما استحكما إِيّاس مولاي من السلامة كان يُحمل كل ليلة في مِحْمَةٍ^(٢) يطوف في الميدان ، فلا يرى فيه ثلثة

(١) في الأصل : فارماونوم فلاناسرن

(٢) المِحْمَةُ بالكسر : مركب للنساء كالهودج إلا أنها لا تقب أي لا تسل لها قنة .

يخاف أن تفتح ، أو تفتح في هيج ، فيقتحم منها قوم يدخلون منها إلى القصر [إلا] ويأمر بسدها ، حتى سد كل ثلثة كانت فيه ، ثم يدعو بثقائه فينعي إليهم نفسه ، ويسألهم حسن المكافأة بعده بالطاعة لولده ، ويقتضيه ذلك بسالفه عندهم .

فلما دخل ذو القعدة من سنة سبعين ومائتين دعا بابنه العباس ، فأطلقه من قيده وخلع عليه ، وقلده جميع الأعمال الخارجة عن أعمال مصر من الشامات والثغور . وقال له : أنا أوصيك يا بني بتقوى الله عز وجل ومكافأة أخيك والإمساك عن الاستطالة عليه ، بزيادة سنك على سنه ، فلا تترك أن يقصدك من العراق مدخلا بينكما يتأني [منه لكما ، ولا] تسمع ممن يطلب صلاح نفسه بفساد ما بينكما ، ولا تضمرن لأخيك غير ما تظهره ، فإن القلوب مجنونة . واعلم أن جوار أخيك لك أصلح من جوار غيره ، ولا تضمرن له خلافا فتبسطا ما بينكما ، ويجد عدوكما بذلك سببا إلى هلاككما ، وقد تقدمت بإزاحة علل رجالك ، فاحرص أن يكون خروجك إلى عملك قبل وفاي ، فإن الراغب عنك كثير أكثر من المائل إليك ، وأخاف أن تتلوم^(١) على الطمع في موضعي وتترى ، فتذهب نفسك ، بترك الله رشداً ووقفك ، ووقاك ما أخافه عليك وأحاذره فيك بمنه

وصيته لابنه
العباس

(١) تلوم في الأمر : تمكث وانتظار

إشرافه على
الآخرة وموته

ثم شكّا بعد ذلك ظلمة في بصره، ثم لم يبصر شيئاً، وجعل يخفت^(١)
وتضعف قوته، وينحلّ جسمه، إلا أن عقله ثابت لم يتغير منه
شيء، والدليل على ذلك وصيته هذه، ورأيه فيها الرأي التام الذي
لا يكون بأسدّ منه ولا أقوى ولا أبلغ، إلا ما حرمه الله جل اسمه إياه
من التوفيق في علقته، حتى تنفذ مشيئته تباك وتعالى، فلم يحم نفسه من
مأكول، ولا وقاها ضاراً، كما أراد الله عز وجل فلم يملك دفعاً.

حدثت نعت أم أبي العشائر ابنه قائت :

كنت جالسة بين يديه، والعصاة في يدي، وقد أليست
منه، وأنا انتظره أن تقبض روحه فأشدّ لحية، ولسانه ضعيف،
إلا أنه طلق إذا تكلم، ففتح عينيه ثم غلقها ثم فتحها، ونظر إليّ
نظر من رجع بصره إليه، فحمدت الله على ذلك. ثم قال بصوت
قوي، ولسان طلق ذرب^(٢) :

يارب ارحم من مهمل مقدار نفسه، فأبهره ملكك عنه

ثم تشهد أحسن شهادة وأتمها، وقضى في آخر تشهده، وإن ذلك بعد
ذهاب [طائفة] من ليلة الأحد لعشر ليال خلون من ذي القعدة سنة
سبعين ومائتين فحولت وجهه إلى القبلة وأخذنا في أمره

لوتيب جازة
حدس طولون

قال مؤلف هذا الكتاب : حدثنا شيخ من صالحى أهل المعافاة
قال : جاءني بعض إخواني من كبار المتزهدين الأخيار يعرف بالرمامي،

(١) حقت الرئيس : أقطع كلامه وسكت (٢) لسان ذرب : مصيح

وكان من أحسن الصوفية فقال: لا تتخلف عن جنازة هذا الرجل .
فقلت له : وما في ذاك من الفائدة ؟ فقال لي : كل الفائدة . قلت :
ما هي ؟ قال : ترى انحلال ما عقدته الدنيا من الأمور الجسيمة وتبدُّده ،
فيهون عليك ما عاصاك منها ، ويزول عنك التيب لما انساقي منها ، ويصغر
في عينك ما اكتنزه المغرور ورحل عنه ، وتعلم أن جميع أحوالها إلى
زوال . فقلت : نعم صدقت .

ومضيت فرأيت جمعاً عظيماً هائلاً ، وحالاً كبيرة تعجز الصفة
عن ذكرها ، حتى ظننت أنه ما بقي في البلد أحد من رجل ولا امرأة ،
وكل فرق شتى ، كل فرقة على حديثها رجالاً ونساءً ، فتأملت فإذا كل
صنف من غلمانهم أيضاً فرقا ، وقواده فرقا ، وكتابه فرقا ، وسائر أصحابه
ومن يلوز به ويخدمه فرقا فرقا ، ومن كان فضله عليه وجراياته وصدقاته
فرقا فرقا . وقد تميز أيضاً النساء من حاشيته وهن أيضاً فرق فرق :
حرمه منفرد في خلق عظيم ، لا يخالطن أحد من حشمن ، وحشمن
ناحية لا يخالطن غيرهن ، ونساء قواده ، ونساء غلمانهم ، ونساء كتابه ،
ونساء أصحابه ، كل صنف منهم على حدة لا يخالطن غيرهن ، ونساء
القطائع فرق فرق ، وكل الجماعة عليهم من الكتابة أمر عظيم ، وكل
منهم مسلم لا أمر الله عز وجل .

ثم أقبل من النساء السودانيات اللاتي كان فضله عليهن ، وجراياته
القمح والدرهم في كل شهر ، خلق عظيم لا يحصى [ولا] يقوم بعرفة

مبلغه إلا الله جل اسمه ، صائحات صارخات ، فارتجت الأرض لهن ، وعظمت الحال في قلوب من شاهدين ، ثم أقبل بعدهن [من] صالحى من يسكن المعافر ممن فيه الدين والورع والخير نساء ورجال قد كان له على جماعتهم المعروف الواسع . ولو لم يكن إلا العين الماء التي صارت حياة لهم ، وصيانة ومرفقاً إلى اليوم وإلى القيامة ، إن أراد الله جل اسمه ذلك ووقاها من الغير ، فأقبلوا مبتلين إلى الله جل اسمه يسألونه الرحمة له والمغفرة والتجاوز عنه ، بخشوع وتضرع واستكانة وبكاء . فشاهدت من ذاك ما هالني وذكر جميع من حضر أنه ما رأى مثله لموت خليفة من الخلفاء ولا غيره ممن عظم قدره . ثم أقبلوا به مفرداً على سرير ، مدرجاً في ثوب وشي سعيدي كافوري ، وأبو الجيش خلفه وحده راكب ، لموضع خلافته والإمارة ، والعالم من صغير وكبير ، وشريف وقاض وعدل ، وكل من في البلد يمشون ، وبين يديه من غلمان ، وخلفه من كل صنف ، ومن قواده وسائر من بقي من أصحابه مالا يخصصه إلا الله جل وعز ، فأتوا به إلى المصلى الذي كان بناءه ، فتقدم ابنه أبو الجيش فصلى عليه ، وصلى الناس بأجمعهم ، وعدلوا به إلى قبره وواروه في لحده ، وخلّوه وحيداً فريداً ، أقرب الناس منه وأحبهم إليه من حشا عليه التراب ، وانصرف عنه كل ذلك الجمع العظيم ، وذهبوا حتى كأنه لم يكن منهم أحد . فتبارك الله أحسن الخالقين ، وما لك يوم الدين ، [سبحانه لا يموت ولا يزول و] كل نفس ذائقة الموت .

مأتم اقامته
الواقعية

قال مؤلف هذا الكتاب : لما انصرفت من جنازته ^(١) اجتزت
بمنزل الواقعية ، وكانت من عقلاء النساء ، حسنة الدين ، كريمة
الطبع ، وكان أحمد بن طولون محسناً إليها عارفاً بحملها ، فاستأذنت عليها
فأذنت لي ، فدخلت فوجدتها قد أقامت له مأتماً سرّاً ، هي وجوارها
وخواصها ، يندبونه ويضرّون بالعيدان على هذا البيت ، ويرقصن على
إيقاعه ، ولا يزدن عليه شيئاً غيره ، وهن يبكين أحرّ بكاء وأحزنه
يا عين بكّي خالداً ألفاً وبدعي واحداً

فما سمعت والله أحر منه ، ولا آلم للقلب ، ولا أشجى من أصواتهن به
حتى أبكينني بكاءً عظيماً ، وانصرفت من عندها حزينة كئيبة . فلما
كان بعد أيام صرت إليها لا أعرف خبرها فأصبتها بحال حزن عظيمة ،
فسلّيتها وعزيتها ، فجعلت تحدثني بأحاديث أحمد بن طولون ، وتصف لي
أحواله ، وتشكو وجدها به إلى أن قالت لي :

شعر ابن طولون
بالتركية

إعلم أنه لما جرى على المعتمد من الموفق ماجرى ، من سوء الاعتراض
والقدح في السلطان ، بلغ ذلك منه مبلغاً عظيماً فألف كلاماً بالتركية
وقال لي : أريد أن ألقيه على [إحدى] جواريك ، وتلجّنيه أنت
لها ، وتغنيه حتى أسمعها منها . فأحضرت جوارياً فاخترت منهن ربيعة
فألقاه عليها ، فوالله ما سمعت أرق منه ولا أشجى ، فلحنته لها فكان

(١) وهنا أيضاً نشك في إلام المؤلف بمنزل الواقعية لأنه لما وضع كتابه كان قد تم اعتراض
الدولة الطولونية ومضى عليها أكثر من ثلاثين سنة فزائر الواقعية وزائر مت هو مما يرى
ابن الداية مؤرخ الطولبيين الأول

صوته عليها إلى أن اعتلّ ، وتعلمه أيضاً جواريه ، فما كان يسمعه أحد إلا أبكاه ، وأوجع قلبه . فسألها أن تسمعني ، وكانت فصيحة بالتركية ، فقالت لي : ليس تفهمه لأنه كلام بالتركية مؤلف ، ولكنني إذا أنت سمعته فسرته لك بالعربية ، ثم أحضرت ربيعة جاريتها فغشته بلحن شجي ، وإيقاع حسن ، فأبكاني وآلم قلبي ، وما سمعت [صوتاً] من المناحات أحرق منه للقلوب ، وفسرته لي فكان :

غلب الضبابُ على الشمس حتى صار النهارُ ليلاً
 وضعفت الشمسُ وانطلقت السماءُ بما لا يحسنُ منها
 فبكأ الرأس من قهر البدر وصاح : ما خوفي اقطعوني
 وأريحوني بالله من الملعونة ، ياسيد الملوك طراً ،
 بالعين تراك تطلع ، ولسان يخاطبك يقطع . إن سيني
 قد خرج من غمده ، وليس يرجع حتى ترجع إلى بيتك ،
 وقد أوترت قوسي وليس أحطه حتى تكفي أعاديك
 ثم قالت لي : قد سمعت حسنه بالتركية ، وهو بالعربية فيه
 كلام — كما رأيت — غير مستحسن ، إلا عند من يعرفه بالتركية ،
 فودعتها وانصرفت .

قال مؤلف هذا الكتاب : مات أحمد بن طولون ، وعمره يومئذ يبلغ منه
 خمسون سنة ، لأنني صرت إلى " نعت أم ولده يوماً للسلام عليها ،
 (١) ما نخل من اجتمع إلى نعت إلا أحمد بن يوسف الكاتب ، والمؤاز لم تكن له صلة باليت
 لطولوني ولا أدرك نعتاً

فأصبت بين يديها رقاعاً ، قد أخرجتها لشيء تطلبه فيها ، فوجدت
رقعتين فقالت لي : هاتان الرقعتان بخط الماضي رحمه الله ، وبكت ،
فسألتها أن تريني إياهما ففعلت ، فقرأت إحداهما فإذا فيها : دخلت
إلى مصر متقلداً معونتها يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان سنة
أربع وخمسين ومائتين ، وقد مضى من عمري أربع وثلاثون سنة
ويوم واحد .

وقرأت الرقعة الأخرى فإذا فيها رؤوس أربعة أصوات ، كان
يقترحها على من يغنيه ، لا يختار من الأغاني غيرها .

الأصوات التي
كان ابن طولون
يختارها

أحدها

متى تجتمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حياً تجتذبك المظالم

والصوت الثاني

رب من أنضجت غيظاً صدره فتمني لي موتاً لم يطع

والصوت الثالث

طلعت عليك طوابع الوخط فرضيتن رضا على سخط

والصوت الرابع

قد حصت البيضة رأسي فما أطمع غمضاً غير تهجاع

أسعى على جل بني مالك كل امرئ في شأنه ساع

فبكيت وبكت ساعة ، وجلست عندها طويلاً ، فلما أردت

الانصراف قالت لي : أنا آتس بمحادثتك ، لعلمي بغمك على الماضي

رحمه الله ، فأحب ألا تغيبني . فكنت أصير إليها في كل وقت

أولاد احمد بن
طولون

قال : وخلف من الولد ثلاثة وثلاثين ولداً منهم سبعة عشر ذكراً
وست عشرة أنثى . فأما الذكور فأبو الفضل العباس ، وهو أكبر
ولده ، وأبو الجيش خمارويه بعده ، وأبو العشائر مضر ، وأبو
المكرم ربيعة ، وأبو المقانب شيبان ، وأبو ناهض عياض ، وأبو معدّ
عدنان ، وأبو الكراديس خزرج ، وأبو حبشون عدي ، وأبو
شجاع كندة ، وأبو منصور أغلب ، وأبو لهجة ميسرة ، وأبو البقاء
هدى ، وأبو المقوض غسان ، وأبو الفرج مبارك ، وأبو عبد الله
محمد ، وأبو الفتح مظفر .

والبنات : فاطمة ، وإيس ، وبعلب (؟) ، وصفية . وخديجة ،
وميمونة ، ومريم ، وعائشة ، وأم الهدى ، وموثنة ، وعزيزة ،
وزينب ، وسمانة ، وسارة ، وغريرة

تركة احمد بن
طولون

وخالف من المال العين ما قد ذكرناه متقدماً ، ومن الغلمان أربعة
وعشرين ألف غلام ، وأطبقت جريدة مواليه على سبعة آلاف رجل ،
وخلف من الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس ، ومن الجمال ثلاثة آلاف
جل ، ومن البغال ألف بغل ، ومن الخيل لركابه ثلاثمائة وخمسين فرساً .
وخلف من المراكب الحربية مائتي مركب حربي كبار بآلتها .
وكان خراج البلاد يومئذ مع ما ينضاف اليه من مال الضباع التي

كانت للأمرء بالحضرة أربعة آلاف ألف وثلاثمائة ألف دينار^(١)
 وخلف من الأمتعة والفرش والآلة والأواني وآلات السفر
 ما لا يحصى كثرة ، ولا يعد ولا يحده ، ولا يدرك كثرة واتساعاً .
 فأما نفقاته المشهورة المعروفة فمأراينا ولا رأى أحد قبلها مثلها
 لأحد قبله ، ولا يرى بعده ، كل ذلك كان منه طلباً للشواب
 والجزاء من الله جل اسمه .

لفقاته على
 مصانعه وصدقائه

منهما ما أنفق على الجامع^(٢) وهو مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار ،
 وعلى البيمارستان^(٣) ومستغلة ستون ألف دينار ، وعلى العين التي بالمعافر

(١) قل ابن إياس عن ابن وصيف شاء أن أحمد بن طولون لما تولى على مصر أخذ في
 أسباب عمارة قراها وعمارة جسورها وقناطرها وحفر خلجانها وسد ترعها . فاستقامت أحوال
 الديار المصرية في أيامه بعد ما كانت قد تلاشت أمرها إلى الخراب وانحطت خراجها في أيام من
 تقدمه من الهال . فلما حصلت العمارة والعدل من الرضاء سائر أعمال الديار المصرية حتى بيع في أيامه
 كل عشرة أراذب بدينار وعلى هذا فقس في جميع البضائع ووصل خراج مصر في أيامه مع وجود هذا
 الرضاء أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار غير المكوس . ونقل القريزي في الخطط أن ابن
 طولون لما تسلم مصر من ابن مديرك كانت قد خربت أرضها حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف دينار فاستقصى
 أحمد بن طولون في العمارة وبالع في ما فاتهم خراجها إلى أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار
 (٢) في تاريخ سعيد بن بطريق أن أحمد بن طولون لما فتح أطاكية رجع إلى مصر وبني فيها المسجد
 الجامع المظلل على البركة وبني البيمارستان وبني مصنفاً يجري فيه الماء من البركة المعروفة بالحيش إلى المعافر
 (٣) في مجموعة الحكم المنسوبة لياقوت المستنصبي أن أحمد بن طولون أراد أن يكتب وثائق
 أحبابه التي حبسها على المسجد العتيق والبيمارستان فتولى كتابة ذلك أبو حازم قاضي دمشق
 فلما جاءت الوثائق أحضر علماء الشروط لينظروا هل فيها شيء يفسدها فنظروا فقالوا ليس فيها شيء
 فنظر أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الفقيه وهو يومئذ شاب فقال : فيها غلط فطلبوا منه
 بياناً فأبى ، فأحضره أحمد بن طولون وقال له : إن كنت لم تذكر الغلط لرسلني فأذكره لي فقال : ما
 أفعل قال : ولم ؟ قال لأن أبا حازم رجل عالم ، وعسى أن يكون الصواب معه وقد خفي عليّ
 فأعجب ذلك ابن طولون وأجازه . وقال له : تخرج إلى أبي حازم وتوافقه على ما ينبغي فخرج إليه
 فاعترف أبو حازم بالغلط ، فلما رجع الطحاوي إلى مصر وحضر مجلس ابن طولون سأله فقال :
 كان الصواب مع أبي حازم وقد رجعت إلى قوله وستر ما كان بينهما فزاد في قسار طولون وقربه وشرفه .

مائة ألف وأربعون ألف دينار. وأنفق على حصن الجزيرة مائتي ألف دينار ، وأنفق في بناء الميدان مائة وخمسين ألف دينار ، وأنفق على مَرَمَاتِ الثغور وعلى حصن يافا مائتي ألف دينار ، وكانت قائمة صدقاته في كل شهر ألف دينار ، وكان ما يجريه على جماعة من أهل المسجد وأبناء الستر والمتجملين وأولاد النعم ، سوى ما [يجري من مال] السلطان عليهم من الرزق الراتب في كل شهر ، خمسمائة دينار. وما كان يحمله للصدقات في الثغور في كل شهر خمسمائة دينار . وكان راتب مطبخه وعلوفة دوابه في كل يوم ألف دينار ، وما كان يقيه من الأتزال والوظائف في كل يوم خمسمائة دينار . وكانت له وظائف خبز ولحم على قوم مستورين نساء ورجال في كل شهر ألفا دينار . وكانت لذته وشهوته كماها فيما يصنع في كل جمعة من الأطعمة الواسعة العظيمة لكل صنف من الحلواء ، وتنصب الموائد ، ويحضر الناس من كل نوع من فقير ومستور ومتجمل ومحتاج ، ومن يتقرب إليه بأن يراه وقد أكل طعامه ، فيقربه ذلك من قلبه ، وهو جالس في مستشرف له ينظر إليهم ، ويفرح بما يراه منهم ، فساعة يسجد شكراً لله ، وساعة يقف فيصلي ركعتين ، وساعة يدعو الله ، وساعة يبكي ، ويطالب الناس بأن يزولوا ، ولا يخرج أحد إلا ومعه الزلة الكبيرة العظيمة ، فإذا انصرفوا حمد الله وشكروه .

ووجه بابن قراطغان ، وهو كان صاحب صدقاته إلى المعاف ، ومعه حمالو الخبز والقذور اللحم المطبوخة والقالودج والحبيص ، وخبزه المعروف

في كل رغيـف رطلان يسمـى أبو الوفا والـدراهم^(١) حتى يفرق ذلك بالمعافـر على المستورات ، ومن لم يكن في طاقته الحضور لطعامه .

منامات رؤيت
لابن طولون لبشر
بنعجاته

قال : حدثنا محمد بن الحسن اليافـي ، وكان من الصالحين ، شديد التقشف ، وقد جرى ذكر أحمد بن طولون بعد وفاته قال : رأيت أحمد بن طولون في منامي ، وكأنه في روضة خضراء وعليه لبسة حسنة رائعة ، وقد حسنت صورته وهو جالس يده تحت خده ، وعليه [حلة] عظيمة . فقلت [ما فعل الله] بك ؟ فقال : غفر لي وأمر بي إلى الجنة . فقلت له : بماذا ؟ فقال لي : إنه لما فارقت روعي جسدي ساقني سائق عنيف في موضع لا أعرفه فاجتزت بيجهم ، وقد فغرت فاها وخرج لسانها ، فعدلت عن الطريق التي يسوقني السائق فيها ، خوفاً أن تحرقني ، فابتدرت إلى امرأة حسنة الوجه ، عظيمة الخلق فقالت : لا بأس عليك يا أحمد ، قد وهبك ربك لي ، ثم مشت بيني وبين النار ، فكنت أخاف من عظيم النار أن تسلني وإياها فتحرقنا جميعاً ، إلا أنني قد أمنت على نفسي بها ، ثم بدرت إلى امرأة أخرى مثلها في حسنها وعظم خلقها ، فقالت لي : أبشر يا أحمد برضا ربك عنك ، وصاحت هي وصاحبتهـا على النار فحمدت وانقطع لسانها وبعدت عنا ، فقلت للمرأة الأولى : من أنت ؟ فقالت لي : أنا أم الجهاد بطرسوس ، الشاكرة لمبرتك لنا في الشدائد ، وعفوك عن أهل

(١) كذا ، وكتب « يسمي » بالالف ، ولعل البارة هكذا : سماً ألف الدراهم .

الثغور في الجرائم ، فقلت للآخرى : من أنت ؟ فقالت : أنا الصدقات التي كنت تبذلها بيننا وشمالاً وصباحاً ومساءً ، وانصرفتا عني ، وهما تقولان لي : لا تنس شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم يودي بالسائق : أدخله من باب المغفرة فأدخلت إلى هذا الموضع . فقلت له : فما هذه الكتابة التي أراها بك ، فقال : استحياء من الله ربي عز وجل لما اقترفته من الآثام ، وارتكبته من الأمور العظام . . فانتبهت من نومي وأنا أترحم عليه ، ولكافه بين يدي يخاطبني ، لما شاهدته منه وما تداخل قلبي من خطابه .

قال مؤلف هذا الكتاب : وحدثنا الحسن بن علي العباداني ^(١) ، وكان من أهل عبادان ، وهو من أهل التبعيد والزهد والورع ، دخل إلى مصر وسكن المعافر ، وله هناك مسجد معروف ، قال : رأيت في منامي كأنني في الرحبة التي فيها العين التي بناها أحمد بن طولون للمعافر ، وكأني قائلاً يقول لي : الأمير في المسجد - وأومأ بيده إلى مسجد الأقدام - فسلم عليه ، فقلت له : نعم . فدخلت المسجد فإذا أنا بأحمد بن طولون ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، وبينما أنا كذلك إذا بنار من وراء المسجد عظيمة . فقال لي : ألا ترى هذه النار ؟ فقلت : نعم . فقال لي - وأومأ بيده إلى العين التي بناها - : لولا هذه لأكلتني هذه النار . فانتبهت وقد سررت بهذه الرؤيا له .

وحدث محبوب بن رجاء قال : رأيت أحمد بن طولون في منامي بحال حسنة . فسألته عما لقي ، فقال لي : غفر لي . فقلت له : مع عظيم

هنا ارتكبت ؟ فقال : خفف ذلك عني أن أكثر من أسأت إليه
كان مستحقاً من ربه ما نزل به مني ، فكنت عقوبة بعثها الله عز وجل
مني عليه . ثم قال : إنما البلاء ظلم من لا ذنب له ولا ناصر . فقلت له :
فستقرك في الجنة ؟ فقال : ما استقر بعد أحدني جنة ولا نار ، ولكنه
تلوح لنا دالات المغفرة من طيب النفس ، وأمن السرّب .

قال : ومن الدليل على أنه خفف عنه كما ذكر ، ما تحدث به كامل
ابن سعيد متطبب سعيد الصغير ، وكان سعيد هذا من أجلاء قواد
الموفق ، قال : قال لي سعيد يوماً ، وقد دخلت إليه فرأيت مغموماً ،
فسألته عن حاله فقال لي : شربت أمس نبيذاً فسكرت وعربدت
على غلام لي فضربته بالمقارع حتى مات تحت الضرب ، فلما كان في
السحر من يومي هذا ، رأيت في نومي كأن آتياً أتاني فقال لي : أنا
رسول رب العالمين يقول لك : غضبت على عبد من عبيدي ملكك
رقه ، فضربته بغير حجة حتى مات ، وعزتي وجلالي [لأعجلن لك]
العقوبة في الدنيا . قال : فقلت له : يوقيك الله ويصونك ، هذه أضغاث
أحلام ، فأظهر زهداً عظيماً ، وغماً شديداً ، وتصدق في يومه بعشرة
الاف درهم دية الغلام وانصرفت . فلما كان من غد صرت إليه ،
فقال لي : ويحك رأيت البارحة أشد مमारأيت قبلها ، فقلت له وما هو ؟
قال : جاءني ذلك الشخص بعينه البارحة في منامي فقال لي : يقول لك
رب العزة : تقتل عبيدي وتصانعي عنه ، هيهات ! وانتبهت من قوله
مرعوباً وجلاً خائفاً . فقال كامل بن سعيد المتطبب : فما مضى لقوله

إلا أيام يسيره حتى أنفذه الموفق رسولاً إلى أحمد بن طولون في حمل
مال ، وكتب إليه طيفور خليفته بالحضرة يعرفه أن الموفق حمّله
رسائل إلى وجوه قوادك في تضريبهم عليك ، وإفساد قلوبهم لك ،
فاحذره ، ووصل كتاب طيفور إليه قبل وصول سعيد ، فحين وصل
إليه ووقعت عينه عليه لم ينهه^(١) حتى قال له : يا ابن كذا وكذا !
فرغت من تضريبك الرجال بسرّ من رأى — وكان أحمد بن طولون
يعرفه بذلك — وصرت إلى بلدي حتى تضرب عليّ رجالي ، وتفسد
نياتهم بالقشور والمحال ، العمد ، فأحضرت فقال : دماغه ، فلم تزل العند
تأخذ دماغه حتى مات ، فجرّ برجله بين يديه ، فصحت رؤياه التي رآها .
قال مؤلف هذا الكتاب : وبهذا الخبر صحت رؤيا محبوب بن
رجاء في قوله إنه لما رآه في منامه قال له : خفف عني أن أكثّر من
أسأت إليه كان مستحق ذلك من ربه ، فجعلني عقوبة له ، بعثها الله عز
وجل عليه مني . قال : وكان بين قتله سعيد الغلام وبين مسيره [إلى ابن
طولون والـ] اقتصاص منه . فكان الوقت الذي بلغ الكتاب
فيه أجله .

وحدث عبد الله بن الفتح — وكان من أصحاب سيما الطويل — قال :
رأيت في منامي كأن سيما الطويل متعلق بأحمد بن طولون على باب المسجد
الجامع الذي بناه بمصر ، وهو يصيح بأعلى صوته : يا رسول الله ! أعني
على أحمد بن طولون فإنه قتلني ، واصطفي مالي ، واستباح أهلي وولدي .

(١) كنهه عن الأمر قتنه : كنه وزجره فكف وأصلها كنه

فتأملت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل إلى المسجد فصاح به :
يا سيماء ! كذبت ، ما قتلتك أحمد بن طولون ، قتلك عجيج سهل التاجر الذي
قدرت أن عنده مالا وجدة ، فضربته حتى كاد أن يموت ، ثم دَخَنْتُ
عليه حتى مات من التدخين ، وأنت وأحمد خاطئان أقل أحدكما وزرا
أحسنكما سيرة ، وأكثركما معروفا أقربكما من الله ومغفرته .

وحدث أحمد بن دعيم ، وكان من قواد أحمد بن طولون . وترك
الديوان وحسنت طريقته في الخير قال : رأيت أحمد بن طولون فيما
يرى النائم ، وهو بحال حسنة فسألته عما فعل الله به ، فقال لي : يادعيم
ما ينبغي لمن سكن الدنيا أن يحتقر حسنة يعملها ، ولا سيئة يأتيها ،
عدل بي إلى الجنة بثبتي على رجل متظلم إلي ، وكان عي اللسان ، بعيد
البيان ، منقطع الحججة ، ضعيف الجسم ، وقد ارتاع مني مع ذلك
واضطرب ، فوقفت عليه وسكنته حتى سكن روعه ، وصبرت عليه
في خطابه ، حتى قامت حجته بثبتي ، فتقدمت بإيصاله ، فانصرف
وقد أثر فيه السرور .

وحدث أحمد بن عبدالعزيز الحريري - وكان في خزانة أحمد بن
طولون ، ومعه قدم من العراق - قال : فرّق أبو الحيش كسوة أبيه
على حاشيته ، فلحقني منها نصيب ، فما خلا شيء مما صار إلي من رفء^(١)
ووجدت في بعضها رقاعا .

لباسه واقتصاده

(١) في الأصل : من ادا

قال مؤلف هذا الكتاب : [كان أحمد بن طولون] يقول كثيراً :
ينبغي للرئيس أن يجعل اقتصاده على نفسه ، وتسمحه على شمله
وقاصديه ، فإنه يملكهم بذلك ملكاً لا يزول به عن قلوبهم ،
ولا تفسد معه سرائرهم في نصحه وموالاته وحسن طاعته ، وهذه
كانت صورته رحمه الله .

قال : وحدثنا عبد الله بن الفتح أن فحريراً الخادم غلام المعتمد
حدثه أنه لما ورد الخبر بوفاة أحمد بن طولون على المعتمد بكى حتى
خيف على عينيه ، وعجّ حتى رحمه جماعة خاصته وشمله ، وحرم شرب
النبيذ . وكان ليلة إلى أحمد بن طولون ومحبته ، إذا قعد للشرب جعلت
بين يديه صينية فيها خردادي ^(١) وقدح وكوز ومغسل ، كل ذلك بلور
على اسم أحمد بن طولون ، فإذا شرب ندماءه ملأ الغلام من الخردادي
الذي في تلك الصينية قدحاً ومضى به ، ولا يزال يفعل ذلك إلى أن
ينصرف الندماء ، وكلما فرغ الخردادي ملأ إلى أن يسكر المعتمد .
فلما مات وحزن عليه وامتنع من الشرب وأقام كذلك مدة
طويلة لم يزل ندماءه يتلطفون له ويخاطبونه بما يسليه ، ويسهل أمره
عليه ، ويعاونهم على ذلك أقرب الناس منه ، وعياله وولده وخاصته
حتى نصب مجلسه . فلما قد صينية أحمد بن طولون من مجلسه ، كانت

وقع نعي ابن
طولون في المعتمد
وحزنه عليه

على رسمها فيه ، عاود البكاء عليه والنحيب ، وخرج إلى أكثر مما كان
خرج إليه في الابتداء ، ورفع المجلس والنيذ من بين يديه ، ولم يزل
على ذلك أيضاً مدة طويلة ، ورثاه فقال :

إلى الله أشكو أسيَّ عرّاني كوقع الأسلِ
على رجلٍ أروّعِ ترى فيه فضلَ الرجلِ
شبابٌ خبا وقدهُ وعارضُ غيْثٍ أَفَلْ
شكّتْ دولتي فقدهُ وقد كان زينَ الدولِ
إذا أمّهُ اتقاصدو نَ حَبّاهم جميعَ الأملِ

[قلت لعبد الله] بن الفتح : ما توهمت أن المعتمد يقيم شعراً لأنني
أنشدت أشعاراً لم أرضها فقال : كان يمزح بأشعار^(١) فاذا شاء جود .

وحدث علي بن يحيى بن أبي منصور ، وكان خاصاً بالموفق ومقرباً
عنده قال : رأيت الموفق في الساعة التي ورد عليه فيها وفاة أحمد
ابن طولون ، وقد استرجع ووجع ، وظهر منه عليه كآبة ، لم أرها
ظهرت منه قط لموت قريب ، ولا ولي حميم مناص . فقلت له : ما توهمت
أنه يرد عليك شيء أسرّ من نعي أحمد بن طولون ، فما هذا الغم
العظيم الذي قد جرى ، وجرى في غير موقعه ؟ فقال لي : دعنا من
هذا وافهم نعي ما أقوله لك : كان هذا الرجل مخالفني ، والخلاف

وقع نعي ابن
طولون في الموفق
وتقديره لصفاته
الغر

(١) في الاصل : ما شاء عماره « بلا قط »

يزهد وينقص ، وأعظمه خلاف استباح فيه مخالفتي ما اندرته (?)
وغلبني عليه ، وأسأله خلاف أحسن فيه مخالفتي بتدبير ما احتازه منه
فأدى إلى عمارته ، وكان خلاف أحمد بن طولون لي أحب من
طاعة من يطيعني ويستبيح أموالي ، ويخرّب بلداني ، فخلاف من
يحسن تدبير مافي يديه ، أحب إليّ من موالة من يحتوي على من
وكلته إليه ، وتؤدّم العاقبة فيه بسوء تدبيره ، وقبح أفعاله . وكان
هذا الرجل رحمه الله يدبر ما قلده ، كما يدبر المالك ملكه ، ويجوّه
حياطته لنفسه ، ثم لم يخرج عن طاعة ، ولا أجرى عن حال مذمومة :
رعيته شاكرون ، ومعاملوه حامدون ، وبه متبركون ، وأعماله عامرة ،
وأمواله على يديه راحية ، وأصحابه مغتبطون به ، حسن السياسة ،
جميل الفعل ، كثير المعروف ، فلما قلده أخي نواحيه ، خزاجها
ومعاونها ، ضبط جميع ذلك ضبط جزل محتاط ، فتزايدت أفعاله
الجميلة فيها ، على ما كان منه متقدماً ، ثم أقدمني أخي من مكة على
كره مني لذلك ، وكان مقامي بها أحب إليّ وأروح لنفسي
هذا لما عاينته وما كابדתه فلما قدمت إليه
رأيت أمو [الدولة] مضطربة على غاية من الاضطراب والانحلال ،
حتى إنه كاد الأمر أن يخرج عن أيدينا بقلة ضبطه لأمر دولته ،
وسلوكه مالا يحب فيها . فاجتهدت في جمع شتات هذه الدولة ،
ورأيت أمير المؤمنين أخي المؤكّد لي البيعة رجلاً لاهياً ، مقبلاً

على لذاته ، مشغلاً بأفراحه ، لا يشغله عن ذلك شيء من أمر دولته ، ولا يفكر فيه ، قد ألقى أموره إلى من استبد بها دونه ، واجترأ عليها واشتغل بمصالح نفسه وما عاد لمحبيه ، ولا يفكر في عاقبة ، ولا يتخوف من حادثة .

فتعطرست^(١) لبقاء هذه الدولة بما ضبّطتها به ، وصنّتها عما كانت قد أشرفت عليه من الزوال . وتأمّلت أمر غلمانه كلهم ، فما أجدت . أمر أحد منهم ، وتأمّلت أمر أحمد بن طولون رحمه الله ، فوجدته قد حمل إلى إمامه المنفرد باصطناعه ، مذ تقلد هذا البلد ، ما كنت أَرْضَى أن يحمل إليّ بعضه لا صلاح ما أنا بسبيله ، ولضيق الأمر وتعذر الأموال عليّ ، فيما أعانيه ودُفعت إليه ، وناظرني بما إذا تأمله المتأمل المنصف علم أن عذره في خلعي ، أوجب من عذري في لعنه ، وما خرج إليه في أمري من انحرافه عني ، أوجب مما خرجت إليه في أمره وفي انحرافي عنه ، وإن كنت أظهر ذلك بلساتي وقلبي ينكره ، ويعلم خطائي فيه ، وعذره فيما يأتيه ، وأئمتنا هؤلاء فهم فساد فيما بيننا وبين الناس . هذا المهتدي أشرت عليه أن سدرح (?) في سيرة أبيه ، وأعلمته أن الزمان الذي فسد بما أوجبه ما أجرى إليه من سوء التدبير بما يكون فيه المشقة المحقة د غشيمة

اني إنما أردت وقصدت الطعن على تدبيره
ورأيه ، وقد علم الله جل اسمه أني قد نصحتة فضرَبَ بيئي
وبين الناس ، وعمل في أمري ما شاهدوه ، ونفاني عن حضرته ،
وركب خطأه وسوء تدبيره ، فلم يزل يركض فيه حتى قتل أقبح
قتلة ، فشمت به عدوه ، وإغتم به وليه ، وغم نفسه لاستبداده.
برأيه ، وإن كان كل ما يجري فمن الله جل اسمه ، وقضاؤه ينفذ
كما يشاء بسلب كل ذي لب لبه حتى تتم مشيئته ، إلا أن مخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك المشاورة خطأ ، فأقمت ، طول
ما أقمت ، هادئ القلب ، آمن السرب ، طيب النفس ، غير مفكر
إلا فيما عاد بأجري ، وحمدته في عاقبتني ، إلى أن ردَّني أخي .
ولأحمد بن طولون رحمه الله أولاد عداد ، وموالٍ وعدد جم ،
لم يروا غير رياستهم ، ولم يكن في جماعتهم من قلبه ممتلئ من هيبته
غيره ، لأنه ربي في خدمتنا ، وشاهد قوة أمرنا وأحوالنا ، فامتلاء
من ذلك قلبه ، وكبرت سطوتنا في عينه ، وخاف الآن أموالاً
جمة عظيمة ، لا يحوط جميعها من قليل وكثير إحصاءً بمحص ، ولا
ضبط محتاط مكفي ، وإذا اجتمع لمن يقوم مقامه من ولده قلة التهييب
لنا ، إذ لم يشاهد من أحوالنا ما قدمنا ذكره من مشاهدة أبيه من أمرنا ،
مع كثرة المال والأعراض والعُدَّة الجليلة العظيمة والعِدَّة الكثيرة
الوافرة القوية ، بالحال الجليلة والجمال والمال والشجاعة والإقدام ،

حسب ما اختصهم أبوهم ، وانتخبهم واختارهم ، وملاً أعينهم بما
لانتسمح نحن بمثله لكثير من أصحابنا فكيف غيره ، فهم على ولده بذلك
يحتاطون وفي

بجالين أحدهما المحافظة لما أتاها أبوهم فيهم من الجميل و . .
عليه من عظم الأحوال ، وثانيه لأنهم تيقنوا أنهم لا يجدون مثله ولا مثل
ولده أبداً ، فلهذه الأحوال تعظم علينا نكايتهم معياراً ، ويبعد
علينا في ذلك مرامهم ، ويطرأ علينا منهم ما لعلنا أن نقصر عنه ، وعن
بلوغ المراد به ، لأن الأنصار مع المال حيث كان ، ولا سيما أنصار
من أنصار ، فإن بأيدينا من يقوم منهم كان خليقاً بالغبلة ، وإذا كان
النصر لم قدحت فينا عليه لنا قدحاً عظيماً وهدت منا ركناً كبيراً ،
وكنامع ذلك قد اضطررنا إلى إتلاف الأموال التي تحتاج إليها المملكة
المجاهدة عدواً إن تحرك ، فإن كان النصر لنا عليه لم نجد بداً من أن
نستخلف على بلدنا ونواحيه من هم كانوا لنا وللأعمال أصلح وأجود
وأوثق وأحسن تدبيراً وأجمل حالاً وسياسة فيما تقلده .

وكان بغية المتقلد بعد أحمد بن طولون رحمه الله وبعد تركته
تحصيل الأموال وجمعها لنفسه واستنثاره بها وبجميع ما تنبسط يده
إليه دوننا ، ثم بعد ذلك تخريبه بلداننا ، وإطلاقه نهبها ، وإخافة
سرب أهلها ، ودون فائدة للسلطان ، ولا عائدة علينا ، إلا ما تنبسط
به الألس بالدعاء علينا والوزن لملد : عناقنا ، وهو غير مفكر في

ذلك وليس وكده إلا ما عاد لمحييه . ثم أقبل يترحم على أحمد بن طولون
ويبكي على فقده :

فقال علي بن يحيى بن أبي منصور : فقلت للعوف : ثبت ، الله
عزم سيدي وسدد رأيه ، وعوضه منه وحرس له ما منحه به ،
فهذا والله الرأي السديد ، والفهم الرشيد ، ولولا ما خصة .
..... قد قام الآن

سيدي أيده الله عندما تبينته بما بينه لي الأمير أيده الله وشرحه
من حال هذا الرجل رحمه الله ، وكشف منه ما كان عني مغطى
وعن سائر الناس الذين لا يعدون مقدار ما علمه الأمير مد الله في
عمره ، وبلغه أفضل آماله في دنياه وآخرته ، والله بكرمه بينه
ما خوله ، ومن به من رياسته ، ويجعله عماداً لها بينه وقدرته .

ما حمله ابن
طولون إلى
المعتمد

قال مؤلف هذا الكتاب : وجدت ثبتاً^(١) لابن مهاجر بما حمله أحمد
ابن طولون إلى المعتمد وفرق في جماعة من حاشيته لأربع سنين ،
أولاهن سنة إحدى وستين ومائتين وأخراهن سنة خمس وستين ومائتين ،
مما كانت به السفائح تنفذ إليه سرّاً مع من يثق به ، ويأمنه على سره
وماله ، ولا يعلم بذلك أحد ممن يكره علمه به من أصحابهم وغيرهم
مما يبلغه ألفاً ومائتا ألف دينار .

لرخاء العام في
بلاد ابن طولون

قال : وكانت نفقات أحمد بن طولون رحمه الله جداً لا هزلاً كلها
فيما قرره من الله عز وجل [و] من صالحه كل بلد تقلده يرغب في دعائهم

(١) التت محركة النهر الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشباهه كما أنه أحد من المحبة

ويستجلبه بكل نوع ، ويحنو على رعيته ويستجلب به دعاءهم .
وكان وكده وشغله واهتمامه بإسعاد بلده ، وسائر ما بعد من
بلدانه ، يسعى فيما يرخص الله جل اسمه به أسعاهم ، وجميع ما يباع في
بلده وسائر بلدانه ، فكان الرخص به عاماً ، في كل بلد من سائر
الأطعمة . وكان السبيل به آمناً ، والأرزاق يبركته دارة ، والنعمة من
الله جل وعلا منه ارادته (?) جل اسمه على سائر الناس مترادفة متكافئة .

نعت سيرة أحمد بن طولون



استدراك

كتب إلينا من بمبي العلامة ايفانوف Ivanov يقول إن البلوي قد يكون من الاثني عشرية أو أنه كان من إحدى فرق الإسماعيلية التي نظر إليها فيما بعد أنها لا تعد في أهل السنة ومثل البلوي كثيرون ممن أدخلوا في جملة الإسماعيلية .

وكتب إلينا العلامة أبو عبد الله الزنجاني في طهران يقول : إن كل ما ورد في كتب رجال الشيعة بشأن البلوي ينتهي إلى نصين : أحدهما ما ورد في فهرست ابن النديم في بحثه عن الإسماعيلية والدعاة إلى مذهبهم وذكر مصنفهم ، وأظن أنه وقع اضطراب في عبارة كتاب الفهرست فإنه بعد أن ذكر الحلاج وأخباره وأسماء كتبه تعرض لذكر رجال لا نسبة بينهم وبين الباطنية . فقد ذكر عبد الله ابن بكير وهو من الفطحية وأجمعت الشيعة على تصحيح حديثه للوثوق به . وذكر الحصين بن مخارق وهو واقفي . وذكر أبا القاسم علي بن أحمد الكوفي وهو مرمرى بالغلو والتخليط وذكر داود بن كورة القمي وهو إسماعي . ثم ذكر البلوي ولم يشر إلى دعوته للباطنية . وذكر بعده محمد بن أحمد القمي وهو من معاريف الشيعة الإمامية . فلولا قرائن أخرى لما أمكن عدّه من رجال الباطنية لأن صاحب الفهرست خلط رجال الفرق المختلفة بعضهم ببعض . والنص الآخر هو نص ابن الغضائري وقد نقله ابن المطهر الحلي الشهير

بالعلامة تلميذ نصير الدين الطوسي الحكيم الفلكي وزير هلاكو .
وفيه أن البلوي مصري كذاب وضاع للحديث لا يلتفت إلى حديثه
ولا يعبأ به . اه

هذا ما قاله السيد الزنجاني ، وبه يثبت ما أشرنا إليه في مدخل
الكتاب من أن أهل السنة والشيعة متفقون على رمي البلوي بالوضع
واتهامه بالكذب ، والله أعلم بما دعا إلى الصاق هذه التهمة به وببلغ
هذه الروايات من الصحة .
أما إسماعيلية البلوي فما برحت موضع الشك بعد الذي أورده
صديقنا الزنجاني .

مناعم المطاف

ومن الواجب ، ونحن نودّع البلوي الذي أطربنا بنغمته وقنه في
تأليف هذه السيرة ، أن نشكر لأصدقائنا الأسانذة عبد القادر
المبارك ، و خليل مردم بك ، ويوسف العش ، على معاونتهم لنا في حل
بعض مشكلات تجلت في الكتاب بجهل الناسخ . ونخص بالثناء
حضرات أصحاب المكتبة العربية لتفضلهم بنشر الكتاب على هذه
الصورة الأنيقة . وأكبر الفضل لأحدهم صديقنا الأستاذ أحمد عبيد ،
فإنه أعاد النظر في الكتاب من أوله إلى آخره ، ودقق فيه تدقيقاً بليغاً ،
فرد بذلك معظم نصوص المخطوط إلى نصابها من الصواب . جزاهم الله
عن الآداب أفضل الجزاء .

فهارس

سيرة أحمد بن طولون

- ١ - فهرس مراجع التصحيح والتعليق
- ٢ - ٥ أسماء الرجال والنساء والأئم والجماعات
- ٣ - ٥ البلدان والبحار والأنهار والأماكن
- ٤ - ٥ الموضوعات

فهرس مراجع النصحيح والنعلس

١	احسن التقاسيم للمقدسي البشاري	٢٨	زهر الآداب للحصري
٢	أخبار الحكماء للقفطي	٢٩	صبح الأعشى للقلقشندي
٣	الاذكياء لابن الجوزي	٣٠	طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
٤	أسرار الحكماء لياقوت المستعصي	٣١	طبقات الختابة لابن أبي علفى الفراء
٥	الالفاظ الفارسية المربة لادي شير	٣٢	الطيفخ لمحمد بن الحسن الكاتب البقداي
٦	الانساب للسماني	٣٣	المقد الفريد لابن طلعة الوزر
٧	اليان والاعراب عما بأرض مصر من	٣٤	المقد الفريد لابن عبد ربه
	الأعراب للمقرزي	٣٥	الفرج بعد الشدة للتوخي
٨	اليان والتبين للجاحظ	٣٦	الفهرست لابن النديم
٩	التاج في أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ	٣٧	للطوسي
١٠	تاج المروس للزبيدي	٣٨	قاموس الجغرافية القديمة لآحمد زكي
١١	تاريخ الامة القبطية للجنة التاريخ القبطي	٣٩	القاموس المحيط للفيروزآبادي
١٢	تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري	٤٠	الكامل لابن الأثير
١٣	تاريخ سعيد بن بطريق	٤١	الكامل للمبرد
١٤	تاريخ القضاء	٤٢	كنوز الفاطمين لركي محمد حسن
١٥	التاريخ الكبير لابن عسآكر	٤٣	لسان العرب لاس منظور
١٦	تاريخ مصر لابن إياس	٤٤	لسان الميزان لاس حجر
١٧	تاريخ الوزراء للصافي	٤٥	المخصص لابن سيده
١٨	اليعقوبي	٤٦	مروج الذهب للمسعودي
١٩	تويم البلدان لأبي الفداء	٤٧	ممالك الابصار لاس فضل الله الفمري
٢٠	تنقيح المقال للآمامقاني	٤٨	المشبه للذهبي
٢١	نهار القلوب للآمالجي	٤٩	معجم البلدان لياقوت
٢٢	الآواهر في الجواهر للبيروني	٥٠	معجم ما استعجم للبكري
٢٣	جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري	٥١	المغرب في حلى المغرب لآحمد بن يوسف
٢٤	حسن المحاضرة للسيوطي		الكاتب المروف بابن الداية قطعة منه
٢٥	الحراج لآبي يوسف		في سيرة آحمد بن طولون
٢٦	خطط المقرزي	٥٢	المكافأة لآحمد بن يوسف الكاتب
٢٧	روضة المحبين لابن قيم الجوزية	٥٣	منتهى المقال او رجال آبي علي

٥٨ : الوافي بالوفيات لاصفدي	٥٦ : ورد الطائفة لابن تيري بردي
٥٩ : وفيات الأعيان لابن خلكان	٥٥ : ميزان الاعتدال للذهبي
٦٠ : الولاة والقضاء للسكندي	٥٦ : النجوم الزاهرة لابن تيري بردي
	٥٧ : النقود الاسلامية للمقرئزي

وغير ذلك من الدواوين الشعرية كديوان البحري وديوان ابن الرومي

Encyclopédie de l'Islam.

معلة الاسلام (مادة الطولونية وأحمد بن طولون ، والنظام ، والقاهرة)

Dozy ; Supplément aux dictionnaires arabes.

ملحق بالمعجم العربية لدوزي

Dozy: Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes.

المعجم المنصل في أسماء الثياب عند العرب لدوزي

Zaky Mohamed Hassan: Les Tulunides.

الطولونيون لزي محمد حسن

فهرس أسماء الرجال والنساء
والأسم والجماعات (*)

الأتراك (الترك) ١٨٤٢٧٤٣٢٤٣٢٤	— ١ —
٣٥٢٣٩٤٠٤١١٨٤١٥٢	
ابن الأثير ١٠٢٤١٠٣٤١٠٩	آدم ٣٢
٢٩٨٤٢٩٣	الاباضية ٢٥٤٤٢٥٣
أحمد بن إبراهيم الأطروش ١٦١٢٧١٤٧١٦٢	إبراهيم بن أحمد بن الأغاب ٢٥٣٢٥٣
أحمد بن اسماعيل بن عمار (المعروف بسبع شعرات) ١٧٨٤١٧٩٤٢٤٣	٢٥٦٤٢٥٤
أحمد بن أعين ٧	إبراهيم الخليل (عليه السلام) ٢٦٠٢٦٠
أحمد بن أبي أوفى ٧	إبراهيم بن عبد الوهاب اليتيم ٣١٠٤٩١
أحمد بن أمين ١١٥٤٢١٥٤٢١٧	إبراهيم بن قراطقان ١٨١٤١٩٨
أبو أحمد بن جعفر المتوكل = الموفق	٣٥١٤٢٠٦
أحمد بن جيفويه ٦٨٤٦٩٤١٠١	إبراهيم بن كامل المصور (المصري) ٢٨٩٤٢
٣٠٤١٠٤١٠٥٤١٠٦٤٢٤٤	إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله
أحمد بن خاقان ٢٩٠٤٢٩١٤٢٩٢	ابن علي بن محمد بن عمر بن علي بن أبي
أبو أحمد بن الخصيب ٢٩٣	طالب المعروف بابن الصوفي ٦٢٤٦٣
أحمد بن دعباش (أودع باج) ٩٢٤٩٣	إبراهيم بن مدبر ٢٩٢٤٢٩٠
٣٢٠٤٣١٥	أناش ٢٣

(*) رتبنا هذا القهرس على حروف الهجاء باعتبار الحرف الاول والثاني وما يليهما (بعد اسقاط اداة التمرين ولفظ اب واين واخت وما إليها) والرقم الكبير للصفحات فإذا كان بأعلاه رقم أصغر فذلك إشارة الى ان الاسم مكرر في هذه الصفحة بعده ، وإذا كان بجانب الاسم هذه الإشارة = فمناها انظر .

الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان ٣٢٠
 الأصمعي ٣١٠، ٣٢٧
 ابن أبي أصيبعة ٣١٣
 الاطروش = احمد بن ابراهيم
 الاعراب ٣٢، ٣٨، ٤١٠، ٤١٠، ٤١٠، ٤١٠
 ابو الأغر ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦
 ابن الاغلب = ابراهيم بن احمد
 أغلب بن احمد بن طولون ابو منصور
 ٣٤٩
 الافشين ٢٦٥
 الياس بن منصور الزناتي النفوسي ٢٥٣
 ٢٧٠، ٢٦٤، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٤
 اماجور التركي (ماجور الافرنجي) ٥٢
 الامامية ٣٦٥، ٥٥، ٤٤
 أندونة الراهب ١١٨
 اندونة الكاتب ٨٩
 انمع ٣٢٠، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦
 انوشردان ١٦٧
 الاوس ٣٢
 ابن إياس ٢٥٠
 ايتاخ ٣٣
 ايفانوف ٣٦٥
 ايمن الا-ود ٢٥٥، ٢٤١، ١٠١
 ابو ايوب (ابو دؤيب) ١٦١، ٤٧٢
 ٢٤٩، ١٩٠

أرخوز بن يولخ بن طرخان ٢٩٠
 ابن الأرقط ٢٣٩
 أسامة بن حباب ٢٧٣
 اسحق بن ابراهيم ٣١٩، ٤٧
 اسحق بن دينار ٤٨، ٤٦، ٤٨
 اسحق بن طريف الخزومي ٣٠٠
 اسحق كاتب جرجان (النصراني) ١٦١، ١٦٢، ١٦٣
 اسحق بن كنداج الخزري (ذوالسيفين)
 ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥
 ٣٢٠، ٣٢١
 بنو اسرائيل ٣٣٦
 اسرائيل بن فروخ ٧٠
 الاسلام ٣١٢، ٢٩٢، ١٣١، ٦٣، ٤٤
 اسماء زوجة احمد بن طولون ٢١٢
 اسماعيل بن بلبل ٣٣٨
 اسماعيل بن جعفر الصادق ٥
 اسماعيل بن عبدالله المروزي (ابو نصر)
 ٥١، ٢٥٠
 الاسماعيلية (السبعية) ٤٤، ٤٦، ٥٥
 ٣٦٥
 الاسود = ايمن الاسود
 ابو الاسود = العطريرف
 ابن الاشعث ٢٦٧
 اتباس ٣٣
 أتهب ٣١٨، ٢٤٩

— ب —

بابك الحرّمي ٢٦٠

الباطنية ٢٦٥

يا كباك ٢٧٤١٩ ٤٤٢٤٣٣٤

٤٦٤٤٥٤٤٣

البحّة ٦٦٤٦٤

البحثري ٢٦٥٤٢٤

بدر الحميمي (?) ٨١

بدر الجماعي ٢٨٨

البرايّة ١٩٦

براقّة الحاسب ٧

البرنطية (البربطية) ١٩٦

بشر بن غياث المروسي ٦٥

بصير ٢٦٦٤٢٦٧٤٢٨

ابن بطلان ٣١٣

بغا (أبو موسى) ٢٣٣٤٩٣

بكار بن قتيبة (أبو بكر) ٥١٤٩

١٦٧٤١٧٩٤٢١٦٤٢٤٩

٢٥٢٤٢٩٤٢٩٥٢٩٧

٢٩٨٤٣١٦٤٣١٧٤٣١٨

٣٣١٤٣٣٢ (ابن اخته) ٣٣٣

أبو كرو البناء المقدسي ١٨٤

ابن أبي بكر ١٨٦

السكري ٣٦٤٣٧٤٣٦٣١٠١

٣١٠٤٢٧٣

ملاخ (خادم ابن الأُغلب) ٢٥٥٤٢٥٤

البلوي = عبد الله بن محمد بن عمر

بلي ٣

بهم بن الحسين ٦٣

بولس ٣٣١

البيروني ٢٣٠٤١٩٦٤٦٠

— ت —

أبو تراب = أحمد بن شعاع

الترك = الاتراك

تركان بن عبد الله بن الإمام ١٢٦

١٢٨٤١٢٧

التركّان ٣٧

أبو نفري بردي ١١٢٤٩٣٤٧٤

تعلب (?) بنت أحمد بن طولون ٣٤٩

تكنين بن منصور الخزري مولى المعتضد

١٠٣٤١٠٢

قنوح ٩٦

التوحّي (القاضي) ٢٨٧٤١٥

تيتك (تيرك) ٢٩٢٤٢٩١٤٢٩

— ث —

ثابت بن سليمان ٢٤٢

الثعالي ٥

ثمود ٢٠٣

— ج —

الجاحظ ٣١٧

جباب الجوهرى ٦٠

ابن الجراح = الحسن بن مخلد

= علي بن عيسى

جريح بن الطباخ المتطبب ٣٢٥

ابن جرير = الطبري

جعفر بن حداد (أو جرار) الكاتب

١٧٧ ٢٤٥ ٢٥٠ ٢٥٢ ٢٥٣

٢٦٩ ٢٥٦

جعفر الصادق ٥

جعفر بن عبد الغفار ١٠٦

جعفر بن عبدالله ٢٤٦

جعفر بن المعتد (المفوض الى الله) ٢٧٧

٢٩٨ ٨٥ ٨٣ ٨١ ٧٨

جعفر بن يار جوخ ٢٦٩ ١٥٤ ١٥٣

الجل الشاعر ٦٩

ابن جمهور ١٦١

الجزاوي ١٨٩

ابو الجيش = خمارويه

ابن جيفويه = احمد بن جيفويه

— ح —

ابو حاتم ٣٧ ٣١٠

ابو حازم (قاضي دمشق) ٣٥٠

ابن حباب الجوهرى ٦٠

حباسة بن يوسف ١٠٢

حبسية اخت احمد بن طولون ٣٣

حبشي (ابن اخي اسحاق بن كنداج)

٢٩٣ ٢٩١

الحجاج بن يوسف الثقفي ٣٩٤ ٣٠

٤٠ ١٨٥ ١٨٦ ٣٠٦

٣١٧ ٣٠٧

ابن حجر ٥

ابن حداد = جعفر بن حداد

حدري الجوهرى ٦٠

بنو حزم ٢١٧

الحسن بن زيرك (الطبيب) ٣١٣

٣٢٣ ٣٢٢ ٣٢٣

حسن بن شعرة ١٤٨ ١٤٩

الحسن بن ساجان بن ثابت ١٧٩

الحسن بن عطف ٣٠٥ ٣٠٦

الحسن بن علي العباداني ٣٥٣

الحسن بن قاسم الانباري ١٨٥

الحسن بن محمد بن احمد المصري العسال

(أبو علي) ٣١٩

الحسن بن مخلد بن الجراح ٤٣ ٥٧

١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٧

حسن بن ملاحر ١٤٢ ١٤٥

١٤٦ ٢٠٩ ٢٧١ ٣١٨

٣٦٣ ٣٣٧ ٣٣٦ ٣٣٥ ٣٣٠

الحسن بن واقع ٤٢٤٧	خلف (صاحب احمد بن طولون) ٣١٠
الحسين بن احمد الماذرائي المعروف بان	ان خلكان ١٥١
زنبور (ابو علي) ١٨٠	ابن الخليج ١٠٤
الحسين بن حمدان ٢٨٧	الخليج = ابو طالب
حسين الخادم (المعروف بعرق الموت)	خايل مردم بك ٣٦٦
١٤٤٤ ١٤٣٤ ٤٢٤٥ ١٤٤٤	خارويه بن احمد بن طولون (ابو الجيش)
الحصري ٣٠٧ ١٢٨	١٣ ٢٦ ٣٢ ٤٧ ١٨ ١١
الحسين بن مخارق الواقفي ٣٦٥	١٨٤ ٢١٨ ٢٨٦ ٢٩٨ ٣٠٩
ابو حفص بن ابي ثابت ٢٤٩	٣٣٣ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨
الحلاج ٣٦٥ ٤٦	٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤٥ ٣٤٩ ٣٥١
حماد بن علي الأزدي ١٣١ ١٣٠	الخوارج ٢٩٢ ٢٥٣ ٨٩ ٤٥
حمدان (أو احمد) بن خاقان ١٠٦	٣٠٦ ٣٠٧
الحنابلة ٧٣	خير الخادم (ابو صالح الطويل) ٣٤٠
حميد الأرقط ١٨٦	٣٤١

— د —

الدارقطني ٢٥	داود بن كورة القمي الإمامي ٣٦٥
ابن الدابة = احمد بن يوسف الكاتب	ابن دشومة = عبد الله بن دشومة
دعباش ٧٠	ابن دعباش = أحمد بن دعباش
دعبل بن علي الخزاعي ٩٥	دعناج الحاجب ٥٥
دوزي ٢٦٨ ٢٣٠ ٢١٣ ١١٩	

— خ —

خاقان الطرسوسي ٣٢٠ ١٥٢	خديجة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
خديجة أخت محمد بن الفتح ١٧٣	الخزرج ٣٢٠
الخزرج ٣٢١ ٣٢	خزرج بن احمد بن طولون ابو الكراديس ٣٤٩
ابن الخصيب = ابو احمد بن الخصيب	خطاروش ٢٩٢ ٢٩١ ٢٩٠

- 3 -

الذهبي ٥

ابو الذؤبب الساعي ٢١٧ ٢١٨

—, —

الراغب (الأصفهاني) ١٢٧

الرائقي ١٩٥٦

ابن الربيع ٣١٢

الربيع (حاجب المنصور) ٤٣٠٨

الربيع بن سليمان (صاحب الشافعي) ٢١٦

ربيعة بن احمد بن طولون (ابو المكرم)

۳۴۹۶۲۸۸۶۲۴۸

رجاء بن یار جوخ ۱۵۳

الرشيد = هارون

رشيق اخو سعد الفرغاني ۳۳۳

الرمامي ٣٤٣

أبو روح = سكن

الروم ٢٨ و ٣٦ و ٣٧ و ٤٠ و ٤٩

۲۴۸۶۱۵۱ ۶۱۳۴۶۵۱-۹۶۹۸

ابن الرومي ٢٧٢ ٢٧٧

۳۴۷۶ ۳۴۷ ۲۰۰۰

ابو ريشة = سليمان بن ثابت

- j -

زبدة ۷۸

الزیدی ۱۱۸

ابو زرعة البصري ٩٣

زکی محمد حسن ۲۰۰۶۲۰

الزنادقة المانوية ٦٣

ابن زنبور = الحسين بن أحمد

الزنج ۲۹۴۶۸۴۶۱۹

الزنجاني (ابو عبدالله) ٣٦٥ ٣٦٦

ابن اخت بن الزنق ٢٤٠^٢

زیاد المحدثی (مولی اشہب) ۲۴۹،

31867026201620.

ابن زيرك = الحـن بن زيرك

زینب بنت احمد بن طولون ۳۴۹

— ۳ —

ابن أبي الساج ٣١٥، ٣٢٠

سارة بنت احمد بن طولون ٣٤٩

مجمع شعرات = احمد بن اسماعيل

ابن السراج ٢٩٨

سعد الفرغاني ١٧٥٦ ١٨٩٦

۳۳۳ ۶ ۲۲۴

سعيد بن بطريق ۳۵۰

مسعود (الحاجب) ۱۳۴۱

سعيد بن قوفيل (ابو عثمان الطيب) ٣١٣هـ

6 7 321 6 319 6 310 6 318

$\epsilon^{\Gamma} \mu \nu \zeta$, $\epsilon^{\Sigma} \mu \nu \theta$, $\epsilon^{\Gamma} \mu \nu \xi$, $\epsilon^{\Gamma} \mu \nu \psi$

□ ۳۴۹ ۶ ۳۴۸ ۶ ۳۴۷

شجاع بن اسلم الحاجب (ابو كامل)
٢٠٨

الشراة = الخواارج

شعبة ابن خركام البابي ٢٦٧، ٢٦٦
٧٢، ٧٠، ٦٩، ٦٨

ابن شعرة = حسن بن شعرة

شعيب بن صالح ١٣٠، ١٢٩، ١٢٧، ١٣٣، ٣٣٤، ٣٣٣، ١٤٢، ١٣٣

شعير الخادم (صاحب البريد) ٤٣، ٤٤
٢٤٣، ٢٤٢، ٨٨، ٥٨، ٥٦، ٤٥

شمس الدين سامي ٥٢

شيبان بن احمد بن طولون (ابو المقانب)
٣٤٩، ٢٨٨

الشيعة ٣٦٦، ٣٦٥، ٦٣، ٤٥

— ص —

الصابئة (الصائون) ٢٧٣

الصابوني القاضي ٢٤٩

الصابي ١٨٠

صاعد بن مخلد (ذوالوزارتين) ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٣

صالح بن احمد بن حنبل ٧٣

صالح بن علي ١٤٥

صالح بن محمد ٢٩٤

صالح بن يارجوخ ١٥٣

ابو صجبة (ضحية) ٤٤، ٤٣

سعيد الصغير (من قواد الموفق) ٣٥٤
٣٥٥

سعيد الغلام ٣٥٥

سعيد بن كاتب الفرغاني القبطي ١٨١
سكن (ابو روح) ٦٩، ٦٨، ٦٧

سلامة (جد الطحاوي) ٢١٧

سليم (بعض الشهود) ٨٠

سليمان (كاتب شعير الخادم) ٢٤٢، ٢٤٣

سليمان بن ثابت (المعروف بأبي ريشة) ٧٣

سمانة اخت احمد بن طولون ٣٣

سمانة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
السمعاني ٣١٩

السنة ٣٦٦، ٣٦٥، ٢٥

السندي بن شاهك ١٩٦

سهل التاجر ٣٥٦

سوار الخادم ١٤٢، ١٤١، ١٣٧، ١٥٩

ابن سيده ١٩٤

سبا الطويل ٩٥، ٩٤، ٩٠، ٨٩، ٩٦، ٣٥٥، ٣٥٦

السيوطي ٢٩٩، ٢٠١، ١٩٥، ٦٩

— ش —

الشافعي •

الطرسوسي (أبو العباس) ١٠٠٤٩٨	الصندي ٧٣
١٢٣، ١٢٤	صفية بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
طفح بن جف ٢٨٨	الصقالية ٩٠
طفرغر ٣٣	الصليبيون ٣٧
ابن طلحة الوزير ٨٠، ١٨٤، ٢١٦	مندل المزاحمي ١٢٨
الطوسي (نصير الدين) ٣٦٦، ٣٤	صم عين شمس ٢٨٨
طولون ٣٣، ٣٤	الصوفي (أو ابن الصوفي) = إبراهيم
آل طولون ٦، ١٦، ٢٥٤	ابن محمد
ابن طولون الصالح = محمد بن علي	الصولي ١٥
الطويل = خير الخادم	ط —
الطويل = سببا	أبو طالب الخليج (صاحب شريطي ابن
طيب بن صفوان ٢٩١	طولون) ٢٣٦، ٢٣٥
طيفور التبركي (خليفة ابن طولون بالحضرة)	الطاليون ٦٣، ٦٢
٦٠، ٦١، ١٠٩، ١٣٩،	الطالقاني = القطان
١٥١، ١٦٧، ٢٨٦، ٢٩٠، ٣٥٥	طاهر بن الحسين ٣٣
ع —	طاهر الكبير الخادم ١٩٤، ٧
عاد ٢٠٣	طبارجي ١٢٧، ١٢٨، ٢٢٥، ٢٦٤، ٢٦٤
عائشة بنت أحمد بن طولون ٣٤٩	٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢،
العباس بن أحمد بن طولون (أبو الفضل)	٣١٥، ٣٣٨
٢٣، ٢٥، ٣٥، ٥١، ٩١، ١٠١	ابن طباطبا = أحمد بن محمد بن عبد الله
١٠٦، ١٥٤، ٢١٢، ٢١٣،	الطبري ٥٠، ٢٩٨، ٣١٠، ٣١٧
٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧،	الطحاوي = أحمد بن محمد بن سلامة
٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤،	طخشي بن بابرده ٩١، ١٠٩، ١٣٣
٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٦٥،	٣١٠
٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠،	

١٩١٤٠١٩٠٢٧٧٤٧٦	٢٣١٨٤٢٨٦٤٢٧٦٤٢٧٢
عبد الله بن رشيد بن كاس ١٠٩	٣٤٩٤٣٤٢
عبد الله بن الزبير ١٤٦	أبو العباس بن خاقان ٣٣
عبد الله بن طغيا ٢٤٥	العباس بن علي ٦٣
عبد الله بن عبد الكريم ١٨٤	أبو العباس بن الموفق ٢٩٤٤٢٩٣
عبد الله بن الفتح ٣١٥٤٣٢٠	العباسيون (بنو العباس) ٢١٤١٩
٣٥٨٤٣٥٥	٢٩٠٤١٠١٤٣٦٤٢٧٤٢٦٤٢٢
عبد الله بن محمد بن محمد بن محفوظ	العباسة بنت أحمد بن طولون ١٥١
البوي (أبو محمد) ٤٤٤٣٤٤٥	٣٤٩
٤٨٤٧٤٦٤١٠٤٩٤١١	عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي ٢٩٧
٤١٣٤١٢٤١٨٤٢١٥	عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن
٤٣٦٦٤٣٦٥٤٢٣٠٤٣٣	عبد الله بن عمر بن الخطاب (أبو
عبد الملك بن صالح ٣٣	عبد الرحمن العمري) ٦٥٤٦٤
عبد الملك بن مروان ٢٦٧	٢٣٣٤٢٣٠٤٦٧٤٦٦
بنو حميد ٧	ابن عبد ربه ١٧٧
ابن عبيد ٢٧٠	عبد الرحمن بن سلامة الشيباني ٣٠٠
عبيد الله بن خاقان ٩١	عبد الرحمن صاحب الغرب ١٠٣٤١٠٢
عبيد الله بن سليمان ٢٨٠	عبد الرحمن العمري (صوابه أبو
عبيد الله بن سليمان بن وهب ٨٧٤٧٩	عبد الرحمن = عبد الحميد بن عبد الله)
عبيد الله بن محمد العمري القاضي (بن	عبد العزيز (بن مروان) ٢٦٧
عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن	عبد القادر المبارك ٣٦٦
الخطاب = أبو بكر) ٢٩٤	ابن عبد كان = محمد بن عبد كان
٢٩٧٤٢٩٦	عبد الله بن إياض ٢٥٣
عبيد الله بن يحيى (الوزير) ٣٥٤٣٦	عبد الله بن بكير ٣٦٥
عقاب الجوهرى ٦٠	عبد الله بن دشومة ٢٧٣٤٧٤٤٧٥

علي بهجت ١٦٣	العثمانية (الدولة) ٣٧
علي ابن الخزور ٢٤٥	المعجم ٣٥٤٣٤
علي بن الحسن بن شعيب المدائني ١٧٨ ^٢	المعجم ٢١٨ ^٢
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ٥٥	عدنان بن احمد بن طولون (ابو معد) ٣٤٩
٢٥٨٤٢٥٣	عدي بن احمد بن طولون (ابو حبشون) ٣٤٩
علي بن طباطبا ١٩٩	العرب ١٨٤٤٣٦٤٣٥٤٣٢٤٢٠
علي بن عيسى بن الجراح (الوزير) ٤٣٤٧	عرق الموت = حسين الخادم
علي بن ماجور ٢٤٥٤٢٢٢٤٩٥٤٩٢	عزيزة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
علي بن محمد العلوي البصري الناجم	ابن عساكر ١٠٣٤١٧٦٤١٧٧ ^٢
٣١٧٤٣٠١٤٣٨٢٤٨١٤٣٢	٤٣٠٧٤٢٩٦٤٢٩٤٤٢٥٤
علي بن مهاجر ٧	الاحمال المفسر = الحسن بن محمد بن احمد
علي بن يحيى بن ابي منصور ٣٦٣٤٣٥٨	ام ابي العشار = نعت
ابن عمار = احمد ومحمد بن اسماعيل	عقبة ٢٠٨
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥٥٤٣	ام عقبة الأعرابية ٢٠٩٤٢٠٨
٢٠١٤٢٠٠٤١٤٧٤١٤٦٤٧١	ابن العقبني ٢٣٩
٢٩٦	ام عقيل الأعرابية ٢٠٩
عمر بن صخر الطبيب ٣٢٥	العلاء الطائي ٢٠٠
عمر بن عبد العزيز ٣٢٠٤١٤٦	العلوي البصري او علوي البصرة = علي
عمر بن العاص ٢٠١٤٢٠٠	ابن محمد
عمران بن حطان ٣٠٧	علي بن احمد (ابو الجيش) ١٦١
عمران بن عصام العربي ٢٦٧ ^٢	١٦٤٤١٦٣ ^٢
العمري = عبد الحميد بن عبد الله	علي بن احمد الكوفي (ابو القاسم)
العمري = عبيد الله بن محمد	٣٦٥
ع = ابن فضل الله	علي بن اسحق ٩٥
ابو عوانة ٥	علي بن اعور ٢٤٥

عياض بن احمد بن طولون (أبو ناهض)	٧٣
عيسى بن ابراهيم بن نوح (ابو نوح)	٤٣
عيسى بن شيخ	٢٥٤
عيسى بن شيخ الخشاشي	١٧٥
عيسى الكرخي	٩٣
عيسى بن يارجوخ	١٥٤، ١٥٣
غريرة بنت أحمد بن طولون	٣٤٩
غسان بن أحمد بن طولون (أبو المفوض)	٣٤٩
ابن الغضائري	٣٦٥، ٤
الغطريف (أبو الاسود)	٧١، ٧٠
الغزوي	٢٩٨
الفارسي	١١٨، ٧
فاطمة بنت أحمد بن طولون	٣٥، ٣٤٩، ١٥٤
الفاطميون	١٢٠، ٥٥٧، ٧
الفتح (أو فلاح) بن خاقان	٣١٠
الفتح بن يارجوخ	١٥٣
فخلة بنت أحمد بن المدير	٦٠
أبو الفداء	٢٧٣
ابن الفراء	٢٨٨
فرعون	٢٠٣، ٤٥٦
ابن فضل الله العمري	٢٥٥، ٤١١٨
القطحية	٣٦٥
فييت	١٩٦، ١٩٠
قاسم	١٧٤
قاسم (أم أحمد بن طولون)	١٧٤، ٢٣
قاسم (أم محبوب بن رجاء)	١٧٤
القاسم بن شعبة (أبو محمد القائل)	٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣
القطب (الأقباط، الأئمة القبطية)	١٨١، ٢٠٦
قييحة (أم المعتز)	٤٤، ٤٠
أبو قبيل (وقيل) الملاحمي	٤٢
قحطان	٣٠١، ٣
ابن قراطقان = إبراهيم بن قراطقان	٤٠
قريش	٩٦
القصبص	٩٦
(القصبصيون)	٩٦
قضاء	٣
القضاعي	٢٩٤، ٨٦، ٨١
القطان الطالقاني (أبو جعفر)	١٣٤، ٢

— ق —

— غ —

— ف —

— م —

ماجور (الافرنجي) ٥٨ ٥٥٢
 ٩٣ ٩٢ ٩١ ٨٦ ٨٥
 الماذرائي = الحسين بن احمد
 الماذرائيون ١٨٠ ٥٧٠
 بنو مالك ٣٤٨
 مؤمنة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
 المأمون ٢٠٠ ٤٧٨ ٣٣
 مؤنس الخادم ١٠٣ ٤١٠
 المانوية = الزنادقة
 مبارك بن احمد بن طولون (ابو الفرج)
 ٣٤٩
 المتوكل على الله ٨٠ ٤٤٥ ٤٤٠ ٣٣
 ٣٤٠ ٤١٤٨
 المجنون (ابو نصر) ٢٠٤
 محبوب بن رجاء (أبو الضحاك) ٩٢
 ٥٧١ ٣٣ ١٣١ ١١٣ ١١٢
 ٤١٤٨ ٤١٤٧ ٤١٤٦ ٤١٤٥
 ٤٣٢٩ ٣١٨ ٢٤٧ ٤١٧٤
 ٣٥٥ ٣٥٣
 محمد (رسول الله) صلى الله عليه وسلم
 ٢٩٩ ٢٥٨ ١٢٥ ١٠٨ ٣١ ٤٥
 ٣٦١ ٣٥٦ ٣٥٥ ٣٥٣ ٣١٨
 محمد بن آبا (القائد) ٣٢٨ ٢٨٦ ٢٤٨
 محمد بن أتابش ١٠٣

٤١٣٨ ٤١٣٧ ٤١٣٦ ٤١٣٥
 ٤١٤٠ ٤١٣٩
 قطر الندي ابنة خاروية ١٥١
 القفطي ٤٢
 القلقشندي ٢٨٨ ٢٦٣ ٢٦٠
 قبش ٤٠
 ابن قيم الجوزية ١٩٣
 — ك —
 الكاظم = موسى الكاظم
 كامل بن سعيد المتطبيب ٣٥٤
 كرنكو ١٩٦ ١٢٠ ٦٣ ١٦
 الكريزي = محمد بن عبيد الله
 كنجور ٢٦٨ ٢٦٧ ٢٦٦
 كندة بن احمد بن طولون (ابوشجاع)
 ٣٤٩
 الكندي ٢٤٦ ٩٢ ٨٦ ٦٣
 كُنيز المغني ٢١٧
 — ل —
 ليس بنت احمد بن طولون ٣٤٩
 لؤلؤ غلام بن طولون (ابو محمد) ٢٥٠
 ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ١٠١ ٢٤٤
 ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٥ ٢٧٦
 ٢٧٧ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٦
 ٢٨٧ ٢٨٨ ٣٠٢ ٣٠٦
 ٣٠٩ ٣٠٨ ٣٠٧

محمد بن أحمد بن طولون (أبو عبد الله) ٣٤٩	محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالح
محمد بن أحمد القمي الإمامي ٣٦٥	الدشقي ١٣
محمد بن أحمد بن مودود (أبو جعفر) ١١٢	محمد بن علي بن محمد (?) (أبو جعفر) ١٨٩
محمد بن أزهر (وقيل ابن سهل) المعروف بالمتوفى ٢٦٩، ٢٤٦	محمد بن علي الماذرائي (أبو بكر) ١٨٠
محمد بن إسحاق بن كنداج ٢٩٣، ٢٩١	محمد بن الفتح (أبو الفتح) ١٧٣
محمد بن إسماعيل بن عمار ٢٨١، ٢٨٠	محمد بن فروخ (أولرج) (أبو جعفر) ٧٠
محمد بن بشر العنسي ٣٠١	محمد بن قره‌ب (عامل طرابلس) ٢٥٤
محمد بن الحسن الكاتب البغدادي ٢١٣	محمد كرد علي ٣٠
٣١٤	محمد بن محمد الجذوعي ٧٣
محمد بن الحسن البجلي ٣٥٢	محمد بن موسى بن طولون (أبو جعفر) ٢٢٣، ٢٤٧
محمد بن داود ٨٦، ٢٤٤	محمد بن هارون النغلي ٨٩
محمد بن زبيدة (الأمين) ٧٨	محمد بن هلال ٥٩، ٢٤٣
محمد بن سايجان (كاتب لؤلؤ) ٥٣	ابن مدبر = إبراهيم بن مدبر
٢٨٨، ٢٨٧، ٢٨٠، ٢٧٦	ابن مدبر = أحمد بن محمد
محمد بن شاذان الجوهري ٢٩٤	مراد (قبيلة) ٣٠١
محمد بن عبد الغفار ١٧٧	سروان بن الحكم الأردني ٣٠٦
محمد بن عبد كان (أبو جعفر) ١٠٩، ٧	الروزي = إسماعيل بن عبد الله
١١٠، ١١٢، ١٤٥، ١٤٧	الروزي (أبو جعفر) ١٨٤، ٢٧
٣٨٣، ٢٦٠، ١٤٨	١٨٧، ١٨٦، ١٨٥
محمد بن عبد الله (أبو عبد الله) الطراساني	صبيح ٤٩٣
الدهان ١٥٤، ٧	مریم بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ٢٣٨	مساور الشاري ٨٩
محمد بن عبد الله الكريزي ٥١، ٥٠	المستعين بالله ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩
	٩٣، ٤٨، ٤١، ٤٠

المستكفي بالله ٢٨٨

المسعودي ١٨١

مسلمة بن عبد الملك ٧١

المصريون ٢١، ٢٥، ٩٦، ٩٨

ابو مصلح = موسیٰ بن مصلح

مضر بن احمد بن طولون (ابو العشائر) ٣٤٩

ابن المطهر الحلي (العلامة) ٣٦٥

مظفر بن احمد بن طولون (ابوالفتح) ٣٤٩

معاوية بن ابي سفيان ٢٥٣

معقب بن مالك (من اجداد الحجاج) ٢٦٧

٤٠٦٤٤٦٧٤٠٦٣٩ الخ

المعظم بالله ٢٦٥٦١٩٦٦٣٣٦٣٢

المستفيد بالله ٣٣٨٦١٠٣٦٥٠

الحمد لله رب العالمين

۷۷۶ ۷۷۷ ۷۷۸ ۷۷۹ ۷۸۰ ۷۸۱ ۷۸۲ ۷۸۳ ۷۸۴ ۷۸۵ ۷۸۶ ۷۸۷ ۷۸۸ ۷۸۹ ۷۹۰ ۷۹۱ ۷۹۲ ۷۹۳ ۷۹۴ ۷۹۵ ۷۹۶ ۷۹۷ ۷۹۸ ۷۹۹ ۸۰۰

6^r λ1 6^r λ• 6Y9 6^r Yλ 6 YY

67 2A. 61E. 61. 9691 6A9

ᲢᲠᲗᲚᲠᲗᲗᲗ ᲢᲠᲗᲚᲠᲗᲗᲗ

6^r 292 6^v 291 6^r 290 6^r 289

6Y9A 6Y90 6²Y9E 6⁷Y9W

6^r 317 6^r 3.0 6^r 3.2 6^r 3.1

6 7 30Y 6 7 31 6 7 32 6 7 33

۳۶۳۶۳۵۸

ابو معشر = احمد بن المؤمل

معمر الجوهري (ابو محمد أو أبو الحسن)

61716^r17. 10967167.

31963186296⁵1986⁷178

ابن أبي المغيث (أو الغيث) ٦٤

ابن مفضل (وکیل احمد بن طولون) ۱۴۰

61806 1206^F 1226^E 121

٢١٩٦٢١٨

المفوض الى الله = جعفر بن المعتمد

ابو مقاتل بن ابی ثابت ۲۴۹

المقتدر بالله ١٠٢٤ ١٠٣٤

المقدس ٣١٦٠١٣٤

المقريري ٢٠١٢، ٥١، ٥٧، ٦٤، ٧٥

61A-617161096A36Y7

٣٥٠٠٢٥٦١٩٦٦١٩٠٦١٩٠

المكتبة العربية (أصحابها) ٣٦٦

المكتفي ٢٥٠

المكفوف الملاحى = ابو قبيل

١٠٩٤٣٧٤٣٦ ملك الروم.

الماليك التركمان ٣٧

المنتوف = محمد بن ازهر

منصف بن خليفة الهذلي ٣٠٠

منصور بن شیخ ۱۵۲

این مهاجر = حسن بن مهاجر

٢٩٩٢ ٢٩٩٦ ٢٩٥٠ ٢٩٩٤	المهتدي بالله ٣٣ ٤٥ ٥١ ٧٧
٢٩٩٨ ٣٠٠٠ ٣٠١ ٣٠٣	٣٦٠ ٣٠١
٣٠٨ ٣٠٦ ٣٠٥ ٣٠٤	المهتدي الفاطمي ١٠٢
٣١٦ ٣١٧ ٣١١ ٣٣٣	موسى بن أتابش ١٠٣ ١٠٤
٣٣٤ ٣٣٨ ٣٤٦ ٣٥٥	١٠٥ ١٠٦
٣٥٨ ٣٦٣	موسى بن بُنا ٧٧ ٧٩ ٨٥ ٨٦
مياس (أم أبي الجيش ولد احمد بن	٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩١ ٩٣ ١٥٣
طولون) ٣٩	٢٢٢ ٢٢١
الميداني ٣٠٧	موسى بن صالح ٢٣٤ ٢٣٧
ميسرة بن احمد بن طولون (ابو لجة)	موسى بن طولون (ابو عمران) ٣٣٤٧
٣٤٩	٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٦٣
ميمونة بنت احمد بن طولون ٣٤٩	٣١٠ ٩١
— ن —	موسى بن طونيق ١٢٥
الناطقة الديباني ١٣١	موسى الكاظم ٥
الناطسي الضرير ٣٠١	موسى بن مصلح (المعروف بابي مصلح)
الناجم البصري = علي بن محمد	٢٣٤
ابن الناعمودي (جعفر القائد) ٢٩٨	الموفق (ابو احمد بن جعفر المتوكل) (الناكث)
النجاثي (صاحب كتاب الرجال) ٤	٢٧٤ ٢٧٥ ٢٨٤ ٣٤٤ ٦١ ٧٧
نحرير الخادم ٨٠ ٢٩١ ٣٥٧	٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٤
ندوسة ٢٨٩	٨٩ ٩٠ ٩١ ١٠٨ ١٠٩
نسيم الخادم ١١٧ ١١١ ١٢٥	١٢٠ ١٢٣ ١٣٥ ١٣٨
١٦٨ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٦ ٢٠١	١٣٤ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠
٢٠٣ ٢٠٥ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١	١٥١ ١٥٣ ١٦٧ ٢٧٦
٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٣٤ ٢٣٧	٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٤
٢٤٢ ٢٤٣ ٢٨٠ ٣١٤	٢٨٦ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٣

هدى بن احمد بن طولون (ابو البقاء) ٣٤٩
ام الهدى بنت احمد بن طولون ٣٤٩
هرثة ٣١٧
هشام بن عبد الملك ٧١
هلاكو ٣٦٦

— و —

الواثق ٣٣
الواقية ٣٤٦
الواسطي = احمد بن محمد الواسطي
وصيف ٩٣، ٣٣
وصيف بن اخي اسحاق بن كنداج
٢٩٣، ٢٩١
ابن وصيف شاه ٣٥٠
وصيف اللاني (مولى القضيصيين) ٩٦
الوليد بن عبد الملك ٢٦٧
وهب بن منبه ٣٣٥

— ي —

يارجوخ ٤٦، ٤٥، ٣٥، ٢٧
١٥٣، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٤٧
يازمان الخادم ٣١٠، ٣٠١، ٣١٢، ٣١٣
ياقوت (الرومي) ٣٢٠، ٤١٨٠
ياقوت المستعصي ٣٥٠
يحيى بن بركة الحاسب (أبو زكريا)
١٦٥، ١٦٤

٣٣٤، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٢٩
٣٤١، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦
ابن النديم ٣٦٥، ٤٤
ابو نصر خادم العباس بن احمد بن طولون
٢٧٠
النصرانية ٤

نعت ام ابي العشائر ولد احمد بن طولون
١١٠، ٤٧، ٣٤٣، ٣٢٥، ٢١٢، ٤٣
٣٤٧، ٣٤٦
نعيم (المعروف بأبي الذؤيب أو الذهب)
١٣٢، ١٣٠، ٤٧٣
النفوسي = الياس بن منصور الزناتي
نفيس الطباخ ١٤١
نوح بن اسد (عامل بخاري) ٣٣

— ه —

هارون بن أبي الجيش خمارويه بن احمد
٣٠٩، ٢٨٨، ٤٥٣
هارون الرشيد ٣٣، ٣٦، ٤٤، ٧٧
٧٩، ٧٨
هارون الشاري ٢٩٢
هارون بن محمد العباسي (والي مكة) ٢٩٨
هارون بن مأل ٢١٦، ٢١٤، ٤٧
بنو هاشم ٤١
هاشم (طبيب الحرم) ٣٢٥، ٣٢٤
٣٢٦

يزبك الفرغاني ٢٧٠	بليق الطرسومي (القائد) ٣٢٠، ٢٦٨
ابن يزداد (القائد) ٦٣	امو يوسف (الامام) ٤٤
يشكر ٢١٨٣	يوسف بن ابراهيم (والد ابن الداية)
يعقوب بن اسحق (ابو يوسف الكاتب)	٢٢٢١، ٢٢٢٢، ٢٣٣٧، ٢٣٣٨، ٢٣٣٩
٤٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٤٩	يوسف بن ابراهيم التتوخي (المعروف
١٦٧، ١٦٥، ١٦٤	بالقصيص) ٩٦
يعقوب بن صالح (صاحب العجيني	يوسف العش ٣٦٦
أو غلامه) ٢٢٠، ٢١٨، ٤٧	أبو يوسف الكاتب — يعقوب بن اسحق
اليقوي ٩٦، ٦٤، ٦٢، ٤٣	اليونانية ١٩٦
بليخ ٧٣٤	

فهرس أسماء المدن والبحار والامكان

أنطاكية ٣٦٨٩٤٢٩٤٢٩٥٤	- ١ -
٣١٠٤٢٩٦٤٢٠٠٤١٣٤٢٩٦	آسيا الصغرى ٣١١
٣٥٠٤٣١٥٤٢٣١٣٤٣١٢	الاحمدى (قصر) ٢٩٣
الأهرام ١٠٢١٩٥٤١٩٦٤	إخنم ٦٣
لون ٢٨٨	أذنة ٣٦٤٣٢٣٤٢٣٠٤٣١٠٤
- ب -	٣١٢٤٢٣١١
باب البحر ٣١٠	الأردن ٢٩٧٤٦٠٤٥٠
باب الجبل ٥٤	إرمينية ٥٢٤٢٥١
باب الجهاد ٣١٠	الاساكفة ١٨٠
باب الخاصة ٥٤٤٥٣	أسفل الأرض = الوجه البحرى
باب الدرمون ٥٥٤٥٤	الاسكندرونة ٣٦
باب الساج ٥٥	الاسكندرية ٤٨٤٤٧٤٢٤٦٤٤٢
باب السباع ٥٦٤٥٥	٤١٦٤٤١٠٢٤٦٧٤٦٢٤٥٠
باب الشرطة ٥٣	٤٢٦٢٤٢٥٦٤٢٦٠٤٢٦٢٤
باب الصلاة ٥٥	٢٩٧٤٢٧١٤٢٦٤
باب الصوالة ٥٦٤٥٤	إسفى (امنا) ٦٣
باب فارس ٩٦٤٩٥	أسوان ٦٥٤٦٣
باب الميدان ٥٤	اسيوط ١١٨٤٦٤٤٥٧
باضع ٦٤	أطنه ٣١١
البحر الاحمر = بحر القلزم	الأشمونين (اشمون) ٦٤
بحر الخزر ٣٢٠	إفريقية ٢٥٣٤٧
بحر الروم ٣١٦	أنشاص ١٠٢

بولاقي ١٩٣	بحر القلزم ٢٠١٤٦٥
يباس ٣٦	البحر المالح ٦٤
بيعة القسيان ٣١٣	البحر المحيط ٢٣٠
البيارستان (المارستان) ١٨٠٤٣٥٠	بحيرة الاسكندرية ٦٧
— ت —	بخاري ١٥٥٤٣٣
تكريت ٣٦	الدريس (?) ٦٢
تنور فرعون ٥٦	بُذ ٢٦٥
تنيس ١٣٤٤٥٧	البردان (نهر) ٣١١
تونس ٢٥٣	برقة ٦٢٤٤٦٤٢٥٤٢٣٤٢١
— ث —	٧٠٤١٠٢٤١٥٤٤٢٤٨
الثغور (الثغر) ١٩٤٢١٤٢٨٤٣٥	٢٥٥٤٢٦٧٠٤٢٧٢
٣٦٤٣٧٤٤٧٤٧٤٧٤	بركة الحبش ٣٥٠
٨٩٤٩٠٤٩١٤٩٢٤٩٧	بستان عرق ٢٠٠
٩٩٤١٨٣٤١٩٥٤٢٤٤٤٢٤٥	البصرة ٢٧٤٨٤١٨٠
٢٦٣٤٢٩٦٤٣١٠٤٣١١	بغداد (دار السلام) ١٨٤٢١٤٢٢٤
٣٤٢٤٣٥١٤٣٥٣	٢٥٤٢٦٤٣٣٤٣٦٤٥١
— ج —	٥٩٤٦٠٤١٣٤٤١٨٠٤١٨٤
الجامع (جامع ابن طولون) ١٨٠٤	٢٣٩٤٢٨٨٤٢٩٩
٣٥٠٤٣٥٥	بغراس ٣٦
جامع اولاد عتاك ١٩٣	بلاد البجة ٦٤
الجب ٢٨٠	بلييس ١٠٢٤٥١
الجيل (في بلاد فارس) ٣٣٤	باخ ١٥٥
جبل نفوسة ٢٥٥	البلاد المصرية = مصر
جبل يشكري ١٨٢٤٢٠٠	ببي ٣٦٥

١٥١٤١٤٣٤١٤٢٤١٠٨٤١٠٧	جرجا ٦٣
٣٠١٤٢٨٩٤٢٨٨٤١٥٤٤١٥٢	الجزيرة (جزيرة ابن عمر) ٣٦٤٢٦٤٣١
٣٥٠٤٣٠٥	٣١٥٤٢٩١٤٢٧٣٤٢٦٣٤١٠١
حلب ٢٩٩	الجزيرة (جزيرة مصر) ٣٥١٨٧٤٨٦
حلفا ٦٥	الجفار ٣١٦
حلوان ١١٨	الجوسق ٢٩٣
حمامان للمارستان ١٨٠	الجزيرة ٨٦٤٧٢٤١٠٣٤١٠٢٤
حصن ٣١٠٤٢٩٦٤٩٣	١٣٣٤١٨٩٤١٩٠٤١٩١
حوض ابي قديرة (حارة) ٥٣	٢٦٧٤١٩٥
— خ —	— ح —
خليج امير المؤمنين ٢٠٠	الحبش ٦٤
— د —	الحبشة ٦٤
دار ابي احمد بن الخصب ٢٩٤٤٢٩٣	الحجاز ٢٦٣٤٤٤٣
دار الديوان ١٨٠	الحدبنة ٢٩٥٤٢٩١
دار السلام = بغداد	حوران ٢٧٣٤١٠٣٤١٠١
دار الكتب الظاهرية ١٣	الحومان ١٨٤٤٢١
دار هرثة ٣١٧	الحزبة (الخربة) ٦٤
ديبج ٥٧	حصن أنطاكية ٢٠٠
ديق ٥٧	حصن بركة ٧٠
دجلة ٢٩٣٤٢٧٣٤٨٩٤٣٦	حصن الجزيرة ٣٥١٨٧٤٨٦
الدر ٦٥	حصن القوما ٣١٦
دمشق ١٣٤٢٨٤٣٠٤٥٢٤٦٠	حصن منصور ٢٧٣
١٧٥٤١١٣٤١٠٣٤٩٣٤٩٢	حصن ياقا ٣٥١٤١٨٤
٢٨٩٤٢٩٤٢٩٥٤٢٩٦	الحفصة ٣٣٤٥٧٤٥٩٤٦٠٨٦

رحبة مالك بن طوق ٢٩٩	٣٥٠٤٣١٥٤٣١٠٤٢٩٩٤٢٩٧
الرقعة ١٠١٤٨٧ ٢٧٣ ٤١٧٣ ٢٧٣	دمياط ١٣٤٤٥٧
٣١٥٤٣٠٥٤٢٩٩	دهلك ٦٤
الرقتان ٨٦	الدواليب ٢٩١
الرملة ٢٨٧٤٩٢	دور الماذرائين ٧٠
الرثاها ٢٧٣	ديار بكر ٢٧٣
— ز —	ديار ربيعة ٢٧٣
الزقازبي ١٠٣	الديار المصرية = مصر
زنجبار ٢٥٣	ديار مقرر ٢٨٨٤٣٧٣٤١٧٣
— س —	الدمارس (?) ١٠٢
سر من رأى (سمرنا) ٣٦٤٣٣	دي حي (?) ٢٦٦
٤١ ٤٤٢٤٦٠٤١٥٠٤١٦٧	دير القصير ١١٨
٣٥٥٤٢٩٦٤٢٩٣٤٢١٧	دينار (منزل) ٢٦٦
سروج ٢٧٣	ام دينار ١٩٠
السقاية ١٨٠	الدينور ٣٣٤
ابو سقبل (قرية) ٦٥	ديوان الانشاء ١١٢
السنبلاوين ٥٧	ديوان التصفيح ١١٣
سواكن ٦٤	— ذ —
سوق الجهاز ٣٣٤	ذات الساحل ١٩٠
سوق الدواب ٥٥٤٥٣	— ر —
سوق الرقيق ١٨٠	رأس ابو فاطمة ٦٥
سوق الطباخين ٥٤	الرافدان ١٩ = دجلة والفرات
سوق العيارين ٥٣	الرافقة ٢٧٣

الصرحج ١٨٠	سوق الفاميين ٢٥٤
صور ١٨٤	سراماط (?) ١٣٠
- ط -	سيس (Mopsueste) ٣١٠
طبرستان ١١٩	- ش -
طبرية ١١٩	شارع الجراء ١٣٣٤١٢٤
طرا ١١٨	الشام (الشام) ٢١٤٢٠٤١٥٤٣
طرابلس (أطرابلس) ٢٥٣٤٢٣	٢١١٩٤١٠٣٤٢٩٢٤٧٤٤٣٤٢٦
٢٦٢٤٢٥٥٤٢٥٤	٢١٣٤٢٤٦٤٢٣٠٤١٧٨٤١٥١
طرسوس ٢٣٧٤٣٦٤٣٥٤١٩	٢٨٨٤٢٨٢٤٢٨٦٤٣٠٠
٣٨٤٣٧٤٦٣٤٤٩٤٤٧٤٣٨	٣١٧٤٣٠١
٢٩٨٤٩٧٤٩١٤٩٠٤٨٩٤٨٧	الشامات ٢٤٥٤٢٥٢٤٢٥٠٤٢٤٣
٢٩٩٤١٢٢٤١٤١٤١٥٤١٨٣	٣٤٢٤٢٦٣
١٨٤٤٢٢٣٤٣١٠٤٣١١	الشرق ١٠٢
٣٥٢٤٣١٢	الشرقية (مديرية) ١٠٢٤٥١
طهران ٣٦٥	شمشاط ٢٧٣
- ع -	شهران (قرية) ١١٨
عبادان ٣٥٣	شهرزور ٣٣٤
العباسة ١٥١٤١٥١	- ص -
عدن ٦٥	الصالحية ٥١
العراق ٣٨٤٣٧٣٤٧٦٤٨٤٤١٠١	صالحية دمشق ١٣
٢٨٨٤٢٨٧٤٢٧٨٤١٠٧٤١٠٦	الصعيد (اعلى الارض) ٦٢٤٤٦
٢٩٨٤٢٩٩٤٣٠٠٤٣٤١	٢١٧٤٨٧٤٦٧٤٦٥٤٦٣
٣٥٦٤٣٤٢	الصعيد الاوسط ٢٣٠
	صهاريج الامير ١٣٤

٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦٢ ، ٢٧٣ ،	صرفات ٢٩٨
٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٦ ،	العريش (عريش مصر) ١٩٤ ، ٨١ ،
فلسطين ٢٩٧ ، ٦٠ ، ٥٠ ،	٢٢٥ ، ٢١٨
القيوم ١٠٣ ، ١٠٢ ،	عكة ١٨٤
— ق —	عمان ٢٥٣ ،
القاهرة ٢٨٨ ، ١٩٣ ، ٥١ ،	العواصم ٢٩٦ ، ٢٦٣ ، ٣٦ ، ٢١ ،
قبة الهواء ٢٨٧ ، ٢٠١ ،	عذاب ٦٥
قريسين ٣٣٤	العين ٣٥٠ ، ٣٤٥ ، ١٨٠ ، ٥٦ ،
قرو Cydnus = البردان	٣٥٣ ،
القصر (قصر بني طولون) ٣٤٢ ، ٢٨٨ ،	عين أبي ابن خليف ٥٦
قصر عيسى بن شيخ الخشاشي ١٧٥	عين شمس ٢٨٨ ، ١١٧ ، ١١٦ ،
القطائع ٢٠٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٢٨٨ ،	— غ —
٣٤٤	الغرب (المغرب) ١٠١ ، ٨١ ، ٦٣ ،
قنا (مديرية) ٦٣	١٠٢ ، ٢٤٤ ، ٢٩٩ ، ٣١٨ ،
قنسرين ٢٩٦ ، ٢٦٣ ، ٩٦ ، ٣٦ ،	غزنة ٤٤
قوص ٦٤	الغور ٤٤ ،
القيروان ٢٥٤	الغور ٤٤
القيسارية ١٨٠	الغوطة ٩٣
قيسارية بدر (القيسارية الوفاية) ٥٣ ،	— ف —
٨١	الفرات ٢٩٩ ، ٢٧٣ ، ١٠١ ،
— ك —	الفرما (الفرما) ٣١٦ ،
الكبش ٢٠٠ ،	الفسطاط ٨٦ ، ٧٢ ، ٦٣ ، ٤٢ ،
كنيسة مريم ٩٣ ،	١٠٢ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٦٤ ،
كيليكيا (Cilicie) ٣١١ ، ٣٢ ،	١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ،

١٠٢ ١٠١ ٩١ ٩٠ ٨٦
 ١٣٤ ١٣٨ ١١٨ ١١٣ ١٠٣
 ١٥١ ١٤٨ ١٤٣ ١٤٢
 ١٧٥ ١٧٣ ١٦١ ١٥٦
 ١٩٠ ١٨٩ ١٨٤ ١٨٠
 ١٩٩ ١٩٦ ١٩٥ ١٩٤
 ٢٣٥ ٢٣٠ ٢١٧ ٢١٦
 ٢٤٩ ٢٤٧ ٢٤٦ ٢٤٥
 ٢٧١ ٢٦٧ ٢٦٣ ٢٥٥
 ٢٨٩ ٢٨٨ ٢٨٧ ٢٨١
 ٣٠٥ ٣٠٠ ٢٩٧ ٢٩٠
 ٣١٦ ٣١٥ ٣١٣ ٣١٠
 ٣٥٥ ٣٥٣ ٣٥٠ ٣٤٢ ٣٣٠
 المصيبة ٣٦ ٣١٠ ٣١٢
 المطربة ٢٨٨
 المعافر ١٢٩ ١٨٠ ٢٠١ ٢٤٣
 ٣٥٣ ٣٥٢ ٣٥١ ٣٥٠ ٣٤٥
 المعشوق (قصر) ٢٩٣
 المعرة (معرة النعمان) ٩٦
 المعصرة ١١٨
 المغرب = الغرب
 المقس ١٩٣
 المقطم (جبل) ٢٠٠ ٢٥٤
 مكة (المكرمة) ٦٥ ١٥٤
 ٢٥٩ ٢٩٨ ٢٦٣ ٢٥٩

— ل —

لؤلؤة ٩٠
 لبدة ٢٥٥ ٢٥٣

— م —

ماذرايا ١٨٠
 المارستان = البيمارستان
 المدرسة العربية ١٣
 المدينة (النورة) ٢٩٦ ٢٦٣ ٢٦٣
 مدينة السلام = بغداد
 مرسين ٣٧
 مرعش ٣٦
 مريس (مريسة) ٦٥
 مسجد الأقدام ٣٥٣
 مسجد عبد الله ١٤٩
 مشتول ١٠٢
 مشتول السوق ١٠٢
 مشتول الطواحين ١٠٢
 مشتول القاضي ١٠٢
 مصر ٢٠ ١٩ ١٥ ٩ ٧ ٣
 ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧
 ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩
 ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢
 ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥
 ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١

النيل ٤٩٢٧٤٣٥٦٦٨٤٠٢	المنامة (المنامة ؟) ١٨٧
١١٨ ٤ ١٣٤ ٤ ١٩٣ ٤ ٢٠٠	المنزلة ١٣٤
٢٠١ ٤ ٢٣٠ ٤ ٢٨٧	منية الأصبح ٣٣٠
— ه —	منية مال الله ٢٧٣ ٤ ١٥١
هـ ٤٤	الموصل ٢٩٥ ٤ ٢٩١ ٤ ٢٧٠ ٤ ٨٩
هـ ٣٣٤	الموقف (بصر) ٣٣٤
هـ ٢٨٨	الموقف (بكرة) ٢٩٨
— و —	الميدان ٤١٢٤ ٤ ٨٠٤ ٤ ٥٥٨ ٤ ٥٤ ٤ ٢٠
الواحات ٦٣	١٥١ ٤ ٢٢١ ٤ ٢٠٦ ٤ ١٦١ ٤ ٢٢١
وادي النيل ٢٧	٢٣٥ ٤ ٢٦٨ ٤ ٢٦٩ ٤ ٣١٦
واسط (القصب) ٢٤ ٤ ٣٩ ٤ ٢٣ ٤ ٤٠ ٤ ٧٣	٣١٧ ٤ ٣٣٥ ٤ ٣٤١ ٤ ٣٥١
الوجه (في الحجاز) ٣	— ن —
الوجه البحري ٨٧	النهر الأسود = البردان
— ي —	نصيبين ٢٩١
يافا ١٨٤ ٤ ٣٥١	النوبة ٦٥ ٤ ٥٣

فهرس الموضوعات

٥٤	قصر اس طولون	٣	مدخل الكتاب — المؤلف وتأليفه
٥٦	الوثايات باس طولون الى بغداد	١٣	اصل المخطوط
٥٧	ارساله الهدايا الى ارباب المسكنة في الحضرة	١٦	راموز طرة الاصل المخطوط
٥٨	اهلاك اس طولون لاحد اعدائه بالحر والجبر	١٧	راموز الصفحة الاخيرة
٥٨	حسن حيلته في ارضاء حكومة بغداد	١٨	احمد بن طولون بتصوير البلوي
٦٠	حسن حيلة وكيله في دار السلام	٣١	فائحة الكتاب
٦٢	خارج على اس طولون بين بركة والاسكندرية	≡	سبب التأليف
≡	خارج آخر في الصعيد	٣٢	طريقة المؤلف في تأليفه
٦٤	ناثر آخر في بلاد البجة	≡	قمة الباسيين بالانراك
٦٧	خارجي في الصعيد	٣٣	مصر على عهد الباسيين
٧٠	هياج اهل بركة	≡	أصل طولون والد احمد
٧٢	تقليد اس طولون الخراج والمعونة بمصر والفتور	٣٤	أولية أحمد بن طولون
٧٣	مدح وفد مصر لاس طولون	٣٦	غرام الخليفة بالطرائف الرومية
≡	تدبيره الخراج واسقاطه الماعون	٣٧	طهور احمد بن طولون بالشجاعة والتجدة
٧٦	عشور ابن طولون على كثر	٣٨	محبة الخليفة لاحمد بن طولون
٧٧	مسير ابن دشومة	٣٩	خلم المستمين وتسليمه لاس طولون
≡	انقسام الدولة العباسية شطرين	٤٠	امتناع اس طولون من قتل المستمين
٧٨	ضعف الخليفة وتشاغله بذياته	٤١	كيف قتل المستمين
≡	استطراد في فضل المأمون على الآخرين	٤٢	مبدأ سادة اس طولون بتوليته مصر
٧٩	ارتناك الموفق وإضافته	٤٣	عمال مصر عند دخول اس طولون
٨٠	رسول الموفق الى ابن طولون وتحذير المستمدين	≡	دهاء اس طولون وما عمله لظهوره بمظهر المنظمة
كتاب احمد بن طولون الى الموفق يهدده		٤٦	تثبيت ابن طولون في اماره مصر
ويشوعده		≡	طلب موسى بن طولون ولاية الاسكندرية
٨١	ارسال الموفق المال للضرب على ايدي	٤٨	اغتيال ابن طولون بولاية مصر
ابن طولون واستعداد هذا وتحصنه		مطالبة موسى بن طولون بوعده اخيه وضربه	
٨٨	قضاء ابن طولون على اعدائه	٤٨	مقارع بيد احمد
٨٩	اختناق من عينتهم بغداد لحفظ الفتور الشامية	٥٠	توثب ابن شيخ على فلسطين والأردن
٩١	تقليد الفتور لاس طولون	٥١	مبدأ قوة ابن طولون بالاكتار من الجند
٩١	هلاك اعداء اس طولون	سرباء القباطم والقصور والاسواق وامتداد	
		المران	

- ٩٢ استتباعه امراء الشام
٩٦ مفاوضته سيما الطويل وطبيعة ابن طولون
٩٥ مقتل سيما الطويل
دخول ابن طولون طرسوس ورجوعه عنها
٩٧ لاسباب سياسية
احسانه لاهل طرسوس واجتماعه بيمن النساء
٩٨ طريقته في ضبط المجالس وتقل الكلام
١٠٠ مثال من حزمه والتظير بينه وبين غيره
١٠١ القبض على موسى بن اناش وهو في صميم جيشه
١٠٣ تفضيله المصريين في الاستخدام على العراقيين
١٠٦ وكيل ابن طولون في بغداد وحيلته في
الانتفاع بالعدو
١٠٧ ملك الروم يطلب الهدنة
١٠٩ عزوف ابن طولون عن النساء
١١٠ مضى اخلاق ابن طولون وعاداته في ادارته
١١١ تدقيقه في الرسائل الصادرة عنه
١١٢ شدة ابن طولون على اقرب الناس اليه
١١٣ توفر ابن طولون على كشف اسرار صحابته
١١٤ غرام ابن طولون بالتجسس على الناس
١١٥ ابن طولون ورهبان التبطل
١١٨ محبس ابن طولون على احد اصحابه
١٢٢ اهتداء ابن طولون للجواسيس عليه
١٢٦ معرفته الجواسيس بالنظر في لباسهم
١٢٥ جاسوسان على ابن طولون
١٢٨ النساء الصالحات والجاسوسان
١٢٩ المتلاعب من رجال ابن طولون
١٣٠ كشف ابن طولون للقتيلة
اهتداؤه لمن يفر منه
الجاسوس الصادق الشريف
١٣٣ خيانة وكيل ابن طولون ومصيره
١٤٠ استخدامه الصادقين
١٤٢ صفات بعض عمال ابن طولون
١٤٥ فصاحة محبوب بن رجاء
١٤٧ انتقام ابن طولون ممن كان يثأل منه
١٤٨ صديق لاس طولون يتقلب عليه ويريد قتله
١٥٠ معاملته لاولاد حيه
١٥٣ مقتل خراساني بيد من هتك الخراساني عرضه
١٥٤ قتل التيد وذكاه ابن طولون
١٥٦ الخطيب الموعود بالقوبة ومكافأته
١٥٩ كشف ظلامة امرأة
صبيحة نصراني لابن طولون
١٦١ سجين ابن طولون يتم ثقافته في الحبس
١٦٢ امرأة تبكي زوجها لستره عليها
١٦٨ وزير لجأ الى ابن طولون ثم شط عليه
١٧٣ القضاء على ابن مدير
١٧٥ مثال من تشدد ابن طولون مع الرعية
١٧٨ بعض صدقات ابن طولون ومساكنه وآثاره
١٨٠ مهندس نصراني يعني لابن طولون عيناً وجامعاً
١٨١ مضى افعال ابن طولون الجميلة
١٨٣ عطف ابن طولون على حفظة الكتاب العزيز
١٨٦ حمار الجيزاوي المتظلم
١٨٩ الصياد قتل الذهب
١٩٣ الحمام الهدادي وشكر ابن طولون للنعمة
١٩٦ البحث عن الكنتوز وتشدد ابن طولون
في عيار الذهب
١٩٦ اطعام ابن طولون وعطفه على شيخ فقير
١٩٧ ابن طولون يطوي الصدقات لطالباها
١٩٨ وابناء البيوتات
١٩٩ شفقتة على اهل مصر وبعدة عن اذام
سكران اتذمه فصاحته من بطش ابن طولون
٢٠١ الجنون العاقل مع ابن طولون
٢٠٣ امره لصاحب شرملة بالشدة واللين
٢٠٥

- ٢٥٥ تألم ابن طولون من الحلة التي اداء اليها ابنه
 ٢٥٦ كتاب العباس لايه
 ٢٦٠ كتاب احمد بن طولون لابنه العباس
 ٢٦٤ فشل حصيان العباس
 ٢٦٦ أسر العباس وحمله الى أبيه مقيداً
 عودة الحملة الى مصر وقتل العباس رجاله
 ٢٦٨ بيده وعفو الأمير عن اثنين
 قريع ابن طولون لابنه وضربه بيده
 ٢٧٠ مائة مقرة
 ٢٧١ انتقال طبايع ابن طولون من النيل الى البخل
 ٢٧٢ تكرر غلام ابن طولون لمولاه
 ٢٧٣ كيس الذهب وطمع صاحبه
 استثمان لؤلؤ للموفق وضغط ابن طولون
 ٢٧٦ على كلب لؤلؤ
 ٢٧٧ كتاب ابن طولون للؤلؤ مده وبذكرة
 ٢٨٠ كشفه الاسرار من حمام الزاجل
 سعي ابن طولون لاقتناع الخليفة ان
 ٢٨٠ يقصد مصر وكتابه اليه
 استصاح ابن طولون رجلاً عظيماً كان
 ٢٨١ في حبسه
 غمط ابن طولون حقوق الكتاب واحتقارهم
 ٢٨٥ إنصراف ابن طولون الى الشام للقاء الخليفة
 ٢٨٦ قصة الصنم الذي اجبته والامة يستقذون فيه
 ٢٨٨ موافاة ابن طولون دمشق لا انتظار الخليفة
 ٢٨٩ ارجاع المتمد من شخصه الى الشام
 ٢٩٠ رجوع المتمد الى سر من رأى
 ٢٩٣ خلم الموفق في مدينة دمشق ووثيقة خلمه
 ٢٩٤ شهادة القضاة على كتاب الخلم
 ٢٩٦ تلاعن الموفق واحمد بن طولون من الثاير
 ٢٩٨ شراء الشام يحسون لاقتاذ الخليفة
 ٣٠٠ من اخيه
- ٢٠٦ عقاب قائم اعتدى على راهب قبطي
 ٢٠٨ عناية ابن طولون بأسطوله
 أعرابية ابت ان يكون ابنها جاسوساً
 ٢١٠ نجس ابن طولون على رجال قصره
 قصة الثراب سارق الذهب
 ٢١٢ معروف ابن طولون عن احدى زوجاته
 تأديب ابن طولون لابنه العباس
 ٢١٤ بقوة منتعل التصوف على قحته
 ٢١٧ المتبسط مع ابن طولون وذهاب نعمته
 ٢١٨ تاجر آخر أن يموت في السجن مع مامله
 مهارة يوسف بن ابراهيم في التخلص من
 ٢٢١ ابن طولون
 الحنام الثلاثة الأذكياء
 ٢٢٢ قول ابن طولون: الجاسوسية صناعة رديئة
 كشف ابن طولون جاسوساً من تكته
 ٢٢٦ افراط ابن طولون في اهلاك من نالوا منه
 ٢٣٠ أعراي اراد ان يهدي صاحبه بماله ودمه
 ٢٣٢ صدق سجين نجا باخلاصه
 ٢٣٧ شفاعة جماعة في منعم عليهم
 تناضي رجل عن مقابلة المعروف ومامله عمه
 ٢٤٠ رجل سعى بأبيه قتله ابن طولون
 (اخبار العباس بن احمد بن طولون)
 ٢٤٤ خروج العباس على أبيه
 ٢٤٥ جماعة العباس بن احمد بن طولون
 منزلة الواسطي من ابن طولون ومامل
 ٢٤٦ العباس لا هلاكه
 ٢٤٨ خروج العباس على أبيه الى برقة
 ٢٤٨ ماأخذ العباس من مال مصر ورجالها
 ٢٤٩ استرضاء ابن طولون ابنه وارسال وفد اليه
 فشل العباس وهزيمته في إفريقية وبرقة
 ٢٥٣ واقتناره بنفسه

- ٣٣٧ غدر الواسطي بعد وفاة ولي نعمته
٣٣٨ وصية ابن طولون لابنه ابي الجيش
٣٣٩ وصيته لقواده وغلماه
٣٣٩ وصيته لابي الجيش أيضاً
٣٤٠ نزوة ابن طولون
٣٤١ عنايته بسور قصره وهو مريض
٣٤٢ وصيته لابنه العباس
٣٤٣ إشرافه على الآخرة وموته
= ترتيب جنازة احمد بن طولون
٣٤٦ ماتم اقامته الواتية
= شعر ابن طولون بالتركية
٣٤٧ مبلغ سنة
٣٤٨ الأصوات التي كان ابن طولون يختارها
٣٤٩ اولاد احمد بن طولون
= تركه =
٣٥٠ تقائه على مصانف ومصدقائه
٣٥٢ منامات رؤيت لابن طولون تبشر بنجاة
٣٥٦ لباسه واقتصاده
٣٥٧ وقع نعمي ابن طولون في المتدحيزه عليه
= = = في الموفق وتقديره
٣٥٨ لصفاته الفخر
٣٦٣ ماحله ابن طولون الى المستند
= الرضاء العام في بلاد ابن طولون
٣٦٥ استدراك
٣٦٦ خاتمة المطاف
٣٦٧ فهارس سيرة احمد بن طولون
٣٦٨ فهرس مراجع التصحيح والتعليق
= أسماء الرجال والنساء والأسم والجملات
= = البلدان واليغار والاثار والاماكن
٣٨٨ = الموضوعات
٣٩٦
- ٣٠١ التحاق لؤلؤ غلام ابن طولون بالموفق
الرجوع عن اللعن في بلاد الشرق وبلاد
٣٠٢ ابن طولون
٣٠٥ خيانة لؤلؤ وتفضيل الخارج والبيع عليه
٣٠٨ مغير لؤلؤ
(سبب موت احمد بن طولون)
ما جرى لابن طولون مع يازمان
ورجوعه منيظاً محققاً
٣١٠ بدء علة ابن طولون ورجله الى مصر
وما وقع له مع طيبيه
٣١٢ توبيخه للقاضي بكار لامتاعه عن خلق الموفق
٣١٦ عقوبة من استصفر امره وزهده في تجارة
كانوا حسنوها له
٣١٧ شكوى طيبيه من استبداده وعدم
سماعه نصائحه
٣١٩ محاولة قائدين الاعتداء على بلاد تمد
من عمل ابن طولون
٣٢٠ محاورته ابن طولون مع اطباؤه واهلاكه
طيبيه الخاص
٣٢١ الطبيب المتبحر الذي اختير للحرم
٣٢٣ ثقة ابن طولون بديال وزهده في
اشارة الاطباء
٣٢٥ محاورته مع ابن توفيل وضره اياه وقتله
٣٢٨ اطلاق ابن رجا من محبسه وردد مال عليه
٣٢٩ طلب ابن طولون دواء الرعية له
٣٣٠ رسوله الى القاضي بكار وما كان منه
٣٣٣ جاسوس الموفق على ابن طولون
كم الانواء عن التكلم في ابن طولون
الى آخر أيامه
٣٣٦ اطلاقه رزق سنة لحيشه
٣٣٦

نصائح

هذا وقد ورد في الصفحة الـ ١٢٨ هذه العبارة « ولا أميُّ إليه وأناثره » وهي
كذلك في الاصل إلا أنها من غير نقط ، وقد رجح عندنا أن تكون هكذا :
« وآلا أميُّ إليه وأن أبرّه » .

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

To: www.al-mostafa.com